

L4-1



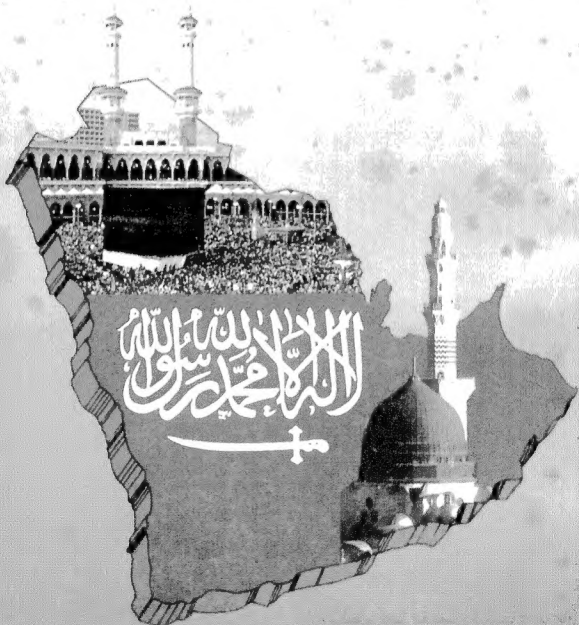


# الحجارة



مجلة فصلية محكمة تصدر عن طلبة الملك عبد العزيز بالرباط

العدد الأول • السنة السابعة عشرة • شوال، ذو القعدة، ذو الحجة ١٤١١ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيَسِّرْ لَنَا ذُرِّيَّتَنَا  
وَأَعِزَّهُمْ أَنْ اللَّهَ شَدِيدَ الْعِقَابِ

- الألفاظ - ٢٥ -

صِدْقُ اللَّهِ الْعَظِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مجلة فصلية محكمة تصدر عن  
دائرة الملك عبد العزيز بالرياض

### دائرة الملك عبد العزيز بالرياض

أنشئت بمقتضى المرسوم الملكي الكريم رقم م/٤٥، في  
١٣٩٢/٨/٥ هـ، كهيئة مستقلة ذات شخصية اعتبارية،  
يديرها مجلس إدارة له كافة الصلاحيات اللازمة لتحقيق  
أهدافها.

والغرض من إنشائها: خدمة تاريخ المملكة  
وجغرافيتها، وآدابها، وآثارها الفكرية والعمرانية بخاصة،  
والجزيرة وبلاد العرب والإسلام بعامه، وذلك عن طريق إنجاز  
البحوث ونشرها، وجلب الوثائق والمخطوطات وتحقيقها،  
وإصدار مجلة تحمل اسمها.

كما أنها «المركز الوطني للوثائق والمخطوطات»، بمقتضى  
الموافقة السامية رقم ١٢٦٠٨/٥ في ١٢٦٠٨/٥ هـ.

العدد الأول ● السنة السابعة عشرة ● شوال، ذو القعدة، ذو الحجة ١٤١١ هـ

٢٩٤٥ - الرياض. ١١٤٦١ المملكة العربية السعودية

رقم الفاكسيميلي: ٠٠/٩٦٦/١/٤٤١٧٠٢٠

**رئيس التحرير**

**محمد حسين زيدان**

**الأمين العام للدارة . والمدير العام للجنة**

**عبد الله بن حمد الحقييل**

### **هيئة التحرير**

د. منصور إبراهيم الغازي

عبد الله بن محمد العزيز بن ادريس

د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري

د. محمد إله الصالح المهيمن

د. محمد عبد الحكيم السعيد

**سكرتير التحرير، والمشرق الفني**

**مصطفى أمين جاسم**

### **الاشتراكات**

ترسل الاشتراكات بشيك

مصدق باسم

دارة الملك عبد العزيز بالرياض

### **الإدارة، والتحرير**



٤٤١٣٩٤٤ - ٤٤١٣٣١٨

الفاكس: ٤٤١٣٣١٦

### **البحوث**

ترسل البحوث باسم

رئيس التحرير

٤٤١٧٠٢٠

### أرأى، الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

- ترسل البحوث مطبوعة على الآلة الكاتبة أو بالكمبيوتر على ألا تزيد عن ثلاثين صفحة من القطع المتوسط ، وأن يكون اسم الباحث رابعيًا ، وأن يذكر عنوانه مفصلاً .
- ترسل البحوث سريعاً إلى محكمين ، ويتم نشرها بعد النظر في صلاحيتها لمنهج المجلة .
- ترتيب البحوث داخل العدد يخضع لأسباب فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث .
- لن ينظر في البحوث غير المستوفية لشروط المجلة .
- لا ترد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .

### قيمة العدد

السعودية : ثلاثة ريالآت - الإمارات العربية : أربعة دراهم  
قطر : أربعة ريالآت - مصر : ٤٠ قرشاً - المغرب : خمسة دراهم - تونس : ٤٠٠ مليم  
خارج البلاد العربية : دولار للعدد

### الاشتراكات السنوية

- ٢٠ ريالاً للاشتراك السنوي داخل المملكة العربية السعودية .
- وفي البلاد العربية ما يعادلها .
- ٦ دولارات خارج البلاد العربية .

### الموزعون

- |   |   |
|---|---|
| ■ البحرين : مؤسسة الهلال للتوزيع<br>٢٦٢٠٢٦ : ☎ ٢٢٤ النمامة -      | ■ السعودية : الشركة السعودية للتوزيع<br>٦٦٩٤٧٠١ : ☎ ٢١٤٩٣ جدة - |
| ■ مصر : مؤسسة الأهرام للتوزيع<br>شارع الجلاء - القاهرة : ☎ ٧٥٥٥٠٠ | ■ ٤٧٩٤٤٤ الرياض<br>أبو ظبي : مكتبة المنهل                       |
| ■ تونس : الشركة التونسية للتوزيع<br>5 ميج قرطاج : ☎               | ■ ٣٧٧٨ أبو ظبي - : ☎ ٣٢٣٠١١                                     |
| ■ المغرب : الشركة المغربية للتوزيع<br>683 الدار البيضاء 5 : ☎     | ■ دبي : مكتبة دار الحكمة<br>٢٢٨٥٥٢ : ☎ ٢٠١٧ -                   |
|   | ■ قطر : دار الثقافة<br>٤١٣١٨٠ : ☎ ٣٢٢٣ -                        |





● بقلم رئيس التحرير ●



# نجد بين الشام ، والعراق

وهذا العنوان لا بد أن يكتب اليوم وإن كان استقراء



التاريخ بمنحني البرهان على ما أزعصم أنه فقه التاريخ

لا تجديده ولا تبديله ، فالشام من باديتها على حدود الجوف «دومة الجندل» إلى أقصى شامها سواء كان جبال طوروس ، أم مدينة أذنة «أطنه» فهذا الإقليم ، قومي العروبة لم يشذ عن عرويته إذا ما اعتنق أي مذهب ، ومن الغرابة بمكان أن كان في الجاهلية عربي العرق فلا بدع أن يكون قومي العروبة أما الغرابة فإن الشام بعد ملك تدمر وملك أولاد جفنة وملك أمية تكاثر فيها المستعربون



ألبانياً بيت المؤيد العظم، كردها إبراهيم هانانو، وتركياً وغير هؤلاء ولكنهم على الذروة في القومية العربية كأنها الأرض واللغة والمسجد كل هؤلاء طوعوه بالرغبة الصادقة والحنين إلى الوطن حتى لا يحسبهم من لا يعرف أصولهم أنهم عربٌ أقحاح عربوة الشام يمنية قحطانية لكن وبكل ما تقدم لا تشذ عن نجد لم تشن حرب عليها ناصرة لها بل ومنصورة بنجد ويشهد بذلك وادي السرحان ودومة الجندل يوم احتضنه سلطان الأطرش عبد الرحمن الشاه بنذر ومن إليهم أيام ثورتهم على فرنسا؛ فالأمر إذاً الشام لنجد نصيره ونجد للشام حضان ناصره.

ودعونا نأتي إلى العراق ففي الجاهلية كان فارسياً أو كلدانياً أما بعد القادسية فقد أصبح العراق إقليماً عربياً أكثر شعبه نجدي تميمي عنزي شمري مزي ويعني ذلك أنها عدنانية العروبة، ويدعو ذلك أن تكون مع نجد الناصر والمتصرة أكثر من الشام؛ فأكثرية شعب العراق عربٌ أقحاح بينا عربوة الشام بعد ملوك الطوائف قليل فيها العرق العربي وما انتشى فيها بعد الدروز إلا بالفداعين في حلب والرولة في حوران ومن لف لفهم وكلاهما من عنزة الوائلية العدنانية جذها ربيعة بن فزار (ربيعة الفرس).

إن شعب العراق العربي العرق الكثير النسل ما كان قومياً كما الشام، ولكنه الفخور بعروبه فما الذي جعله حرباً على نجد وليس ذلك من اليوم وإنما هو حين أصبح شعوب الزعامة فالشعوبية الزعامة أبادت قومية الشام أعني بني أمية واستطاعت بوازع الثأر ونازع الغل أن تستحوذ زعامة الشعوبية الخراسانية على العباسيين وهم أعني العباسيين على الذروة في العروبة ولكن الثارات والغل

أهلك أمة في لحظة واحدة بل وقاد أبو مسلم المنصور أن يجهز على عمه عبد الله بن علي لأن أبا مسلم خشي من عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أن يستقل قومياً وعربياً في الشام ولا أخشى غضب أحد إذا ما قلت الآن إن بني العباس حتى في عصرهم الذهبي بعد المعتصم كان في طاعة الشعوبية خرسانية أول الأمر، وتركية بعد.

فعن هذا كله كان زعامة العراق تشن الحرب على نجد بينما أكثر شعبها من نجد طغيان الزعامة وشهوة الشعوبية والآن أكثرية الجيش العراقي الصدامي من نجد الولود كما قالت العرب (نجد ولود، والعراق داية) طغيان الزعامة شعوي ضيع القومية العربية حتى إن الثورة على ياسين الهاشمي عظيم العراق والعرب كانت من طغيان الشعوبية فلا تستبعدوا هذه الحرب شنها شعوي ليس فيه دمّ عربي

والخلاصة الشام القحطانية مع نجد العدناني، والعراق العدناني شن الحرب من عهد المنصور على نجد وما إليها . . حتى الحجاز . . حتى المدينة المنورة . . بل حتى مدينة فاس في المغرب يوم دس الرشيد السم لابن عمه إدريس حفيد الحسن المثنى . . أهو الجوار أم هو الجور؟!

● محمد حسين زيدان ●

# من الملامح الاقتصادية

في نجد

## «قبل قرنين ونصف»

د. محمد بن سعد الشويعر



التجارة جزء من حياة البشر، من حيث التعامل والأخذ والعطاء؛ وذلك أن البيع والشراء ضرورة من ضرورات البشر. فكل فرد بائع ومشتري، ووسيلة ذلك أنفس المعادن وأخفها حملاً، وهما الذهب والفضة. فكان البيع والشراء يتم بهما، وفي حالة فقدهما أو ندرتهما تتم المقايضة بنوع من المعروضات للبيع والشراء، مع المفاضلة بينهما بحسب ما يترضى عليه الطرفان.

والتجارة هي عبارة عن الاهتمام بالأشياء الضرورية ، وبيع وشراء ما يحتاجه الناس في حياتهم اليومية ، من ملابس ومركب ، ومسكن وغذاء . وما ينتج عن ذلك من نفع تتصرف به حياة الناس ، وتدبر به أمور حياتهم ومعيشتهم .

ونجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى ، حيث تصافحت يدا الإمامين محمد ابن سعود ، ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله في الدرعية عام ١١٥٨ هـ ، وتعهدا على إقامة شرع الله ، والدعوة لدينه والجهاد في سبيل ذلك . . كانت تعتمد في اقتصادها على البساطة لضعف مواردها ، ويمكن تصنيف الأمور الضرورية وفق متطلبات الناس في حالتين :

● موارد محلية تغطي الحاجة ، ويصدر الفائض للبلدان المجاورة ، ليحقق مصدراً معيناً على توريد الضروريات . . . ويتمثل هذا في المواشي بأنواعها ، وما ينتج عنها من صوف وجلود ، وسمن وغزل . ويتبع ذلك بعض المحاصيل الزراعية الناتجة عن النخيل .

فمن الموارد المحلية الزراعية والحيوانية ينظم البشر هناك حيواتهم ، ويتعاملون فيما بينهم ، فالبدوي يبيع في الحاضرة ما عنده ، ليشتري ما يتوافر لديهم من طعام ولباس وأوانٍ وغيرها وهكذا الفلاح والحضري ، ويقوم على تلك المنتجات المحلية صناعات وحرف يدوية . .

● وموارد خارجية مما لا يتوافر إنتاجه في البيئة ، مما يحتاجه الناس من أوانٍ وقدر وملابس وأدوات . . . فهذا يستورد بقوافل جماعية ، تتعرض لمخاطر البادية ، وقطاع الطريق : بالتعدي نهباً ومقاتلة . . . ولذا يعمد أصحابها إلى دفع ضريبة باسم «أخاوة» لشيخ القبائل للحماية أثناء مرور القافلة بأراضي هذه القبيلة ، وتنتهي المسؤولية إذا دخلت القافلة حدود القبيلة الأخرى ، مما يستوجب



دفع عدة أخاوات لأكثر من قبيلة، حتى تبلغ القافلة مقصدها في إحدى الحواضر كما نبه إلى ذلك ناصر خسرو في رحلته عام ٤٤٣هـ، عند مسيرته من الطائف إلى الأفلاج «فلج» فقد قال في واحدة من وقائع سفره: نزلنا عند أكبرها وتسمى حصن بني نمير، وهناك قليل من النخيل، وبيت الأعرابي الذي استأجرنا جملة في الجزع هذه، ولبثنا هناك خمسة عشر يوماً، إذ لم يكن معنا خفير يهديننا الطريق، ولكل قوم من عرب هذا المكان أرض محددة، ترعى بها ماشيتهم، ولا يستطيع أجنبي أن يدخلها، فهم يمسكون كل من يدخل بغير خفير، ويجردونه مما معه، فيلزم استصحاب خفير من كل جماعة، حتى يتيسر المرور من أراضيهم، فهم وقاية للمسافر، ويسمونهم أيضاً مرشد الطريق «جلاوز» وقد اتفق أن جاء إلى الجزع رئيس الأعراب الذين كانوا في طريقنا، وهم بنو سواد، واسمه أبو غانم عيسى بن البعير. فالتحذنا خفياً، وذهبنا معه، وقابلنا قومه. فظنوا أنهم لقوا صيداً، إذ إن كل أجنبي يروونه صيد، فلما رأوا رئيسهم معنا أسقط في أيديهم، ولولا ذلك لأهلكونا، وفي الجملة لبثنا معهم زمناً، إذ لم يكن معنا خفير يصحبنا، ثم أخذنا من هناك خفيرين، أجرة كل منهما عشرة دنانير، ليسيرا بنا بين قوم آخرين<sup>(١)</sup>.

وقد استمر هذا الوضع في نجد وغيرها من أطراف الجزيرة، حتى قيام الدولة السعودية الأولى، حيث أبطلها قادتها بتوفيق من الله، ثم بقوة الوازع الديني، والوازع السلطاني، لأن الأمن اتسعت أرجاؤه كما ذكر ابن بشر في تاريخه. ثم عادت الحالة لوضعها السابق إلى أن أرسى دعائمه الملك عبد العزيز رحمه الله فانمحت هذه الظاهرة، واستتب الأمن، ونمت الحركة الاقتصادية، وأمن الناس والحجاج بشيء لم يعرف له نظير من قبل. . . . والله الحمد والشكر على ذلك.

كان في نجد ذلك الوقت طبقة من التجار، وفئة من المتصلين بالمناطق المجاورة للبيع والشراء، وكان التواصل التجاري مرتبطاً، بحسب وضع الناس ذلك الوقت داخلياً، ومع جيرانهم.

وفي النبد اليسيرة التي جاءت في الرصد التاريخي عن تلك الفترة، دلالة على أهمية القوافل التجارية، لأنها شريان الحياة الإقتصادي، إذا سلمت من الاعتداء.

ولللملامح الاقتصادية ذكر في النبد التاريخية التي رصدت بعض الأحداث في نجد، فمن ذلك :

#### أولاً : القوافل التجارية :

١ - يذكر ابن بسام [١٢٦٨ - ١٣٤٦هـ] في مخطوطته تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق . مقتطفات تنبئ عن التعامل التجاري، والحركة الاقتصادية، بيعاً وشراء، ونقلًا ومتاجرة، ولكن باقتضاب شأنه شأن كل من كتب عن تاريخ المنطقة فمن ذلك قوله :

- في عام ٨٧٨هـ كثرت الأمطار والسيول، وعمّ الرخاء في البلدان<sup>(٢)</sup>.
- وفي نفس السنة ٨٧٨هـ أخذ آل كثير والعوازم وزغب، قافلة كبيرة لأهل نجد على اللصافة - ماء - وهي قادمة من البصرة وفيها من الأموال والأمتعة الشيء الكثير<sup>(٣)</sup>.
- وفي عام ٨٨٥هـ يقول : أخذ آل كثير قافلة لعنزة في الوشم، وفيها أخذ آل مغيرة قافلة للدواسر خارجة من الأحساء<sup>(٤)</sup>.
- وفي ٨٨٩هـ يقول : أخذ سبيع والدواسر قافلة كبيرة لعنزة، خارجة من الأحساء وذلك في الدهناء . وقتل شيخ القافلة، ماضي بن صلال من الدواسر<sup>(٥)</sup>.



- وفي ٨٩٤هـ ، يقول أخذوا عنزة قافلة للفضول في سدبر<sup>(٦)</sup>.
- وفي عام ٨٩٩هـ ، يقول : أخذوا الدواسر قوافل آل مغيرة وآل كثير على بنبان<sup>(٧)</sup>.
- وفي عام ٩٠٥هـ ، يقول : أخذوا سبع قوافل الفضول في الخرج . وفيها أخذوا الدواسر قافلة للفضول خارجة من الأحساء<sup>(٨)</sup>.
- ومن هذه النماذج نستنتج أن قوافل النقل كانت تتولاها قبائل البادية ، لتجمعها واستعدادها للمجابهة من جانب ، ولما يدر عليها من موارد متاجرة ، أو عوضاً عن أجره النقل .
- ويعتبر الاعتراض على القوافل التجارية ، من أبرز الأحداث التي يرصدها المؤرخون كثيراً ، ويتناولها الناس في مجتمعاتهم أخباراً ذات أهمية .
- ٢- كما يذكر ابن بشر [١٢١٠ - ١٢٩٠هـ] ، في سوابقه شيئاً من ذلك أيضاً ، إلا أن الجديد عنده اهتمامه بأخبار وقوافل الحاضرة وأسعارهم ومن ذلك قوله :
- في عام ١٠٧٢هـ ، أخذ أهل البير قافلة من اللباس لأهل العينة ، لأن رئيسها عبد الله بن معمر أخذ لهم إبلاً من سوانيهم فأخذوا القافلة من أجلها<sup>(٩)</sup>.
- ومكانة العينة ذكرها الفاخري [١١٨٦ - ١٢٧٧هـ] ، في تاريخه في حوادث عام ١١٣٨هـ ، عندما قال : وفيها كانت وجبة - أي كثرة الموت - العينة ، حل بهم وباء أفنى غالبهم ، ومات فيهم رئيسهم عبد الله بن محمد بن معمر الذي لم يذكر في زمانه ولا قبله في نجد ، من يدانيه في الرئاسة . ولا سعة الملك والعدد والعدة ، والعقارات والأثاثات<sup>(١٠)</sup>.



● وفي عام ١٠٩٦هـ، يقول ابن بشر [١٢١٠ - ١٢٩٠هـ] وفيها : غلا الطعام من الخنطة وغيرها، وصارت الوزنة بمحمدية والصاع بثلاث<sup>(١١)</sup>، وإذا أطلقت الوزنة فيعني بها من التمر، أما الصاع فمن الخنطة، وهاتان السلعتان هما أبرز ما يرصد في النبذات التاريخية باعتبارهما الغذاء الرئيسي للسكان ومناطق اهتمامهم . وبمعرفة سعرهما تبرز الناحية الاقتصادية ومستوى المعيشة في البلاد.

● وفي عام ١١٢٥هـ، يقول الفاخري [١١٨٦ - ١٢٧٧هـ] وفيها : كثرت القوافل من عنزة جاء والتمر على مائة بالأحمر، وآخرها انتهى إليه عند رحيلهم خمسين، ورخصت الجلايب - ويعني بها الإبل - وبيعت الفاطر - وهي كبيرة السن من الإبل السمينة - أذناها خمس محمديات، وأعلاها أربعين، وأعلا بيع ثمن الركاب - وهي من الإبل ما استخدم للركوب - ثمانين جديدة، والسمن عشرة أصواع<sup>(١٢)</sup>.

● وما نجده كثيراً لدى الفاخري، وابن بسام، وابن بشر، نجد مثله مختصراً في النبذ التاريخية الأخرى كابن ربيعة العوسجي، والمنقور، وابن لعبون وغيرهم . . لكننا لا نراهم يذكرون سلعاً تجارية أخرى ولا عن تكاليف الصناعات البسيطة المحلية . . مما يعطي مؤشراً على ضعف المصادر الاقتصادية .

### شراء المدن:

العقار مصدر من مصادر الحركة الاقتصادية، والإنسان فطر الله فيه حب الأرض والاستئناس بها، ومن هنا ندرك سبب كثرة القتال في نجد ذلك الوقت، حسبها رصد في النبذ التاريخية، ورغبة بعض الأسر في إجلاء أسر أخرى عن

البلدان . لأن موارد ذلك البلد ضاقت بأهله فأراد القوي أن يبعد الضعيف عن طريق القوة .

لكن بعض الوجهاء والأثرياء ، لا يلجؤون لمثل هذا الأسلوب ، وإنما يعمدون إلى إحدى حالتين : إما الإحياء والمصالحة مع أهل المنطقة ليجاوروهم ، وإما بالشراء والتملك . . والحالة الأخيرة ، تعتبر أسلوباً اقتصادياً بالدفع والتملك . . ومن ذلك المدن التالية :

١ - العيينة : فقد ذكر ابن عيسى [ ١٢٧٠ - ١٣٤٣ هـ ] ، أن حسن بن طوق ، جد آل معمر قد اشترى العيينة في عام ٨٥٠ هـ من آل يزيد من بني حنيفة ، أهل الوصيل والنعمية الذين من بقيتهم اليوم آل دغثير المعروفون في بلد الرياض ، ورحل من ملهم ، ونزلها وتداولتها ذريته من بعده (١٣) .

٢ - حريملاء : ذكر ابن طعيس في بحثه عن هذه المدينة ، أن أحمد أبو ريشة ، بعث ابنه يوسف في القرن التاسع ، ليختار مكاناً صالحاً للسكنى ويعمره ، ووقع نظره حسب وصية والده على حريملاء ، وأمضى سبع سنوات في حفر الآبار ، وتنظيم القنوات ، وإنشاء المساكن ، وبناء السور ، والده يمدّه بالمال الذي ضاق ذرعاً وأمره بالعودة إلى الشام ، فتركها في عام ٨٩٣ هـ (١٤) .

أما ابن بشر فقد ذكر في سابقة سنة ١٠٤٥ هـ ، أن آل رباح نزلوا بلد حريملاء المعروفة وغرسوها ، وذلك أن آل حمد بن يائل وقع بينهم وبين آل مدلج في التويم خلاف ، فخرج علي بن سليمان آل حمد ، واشتروا بلد حريملاء من حمد ابن عبد الله بن معمر ، وكانت في ملك حمد المذكور (١٥) .

- كما تبرز المغارسة وهي استثمار اقتصادي : الموقع « الأرض » لشخص والجهد الزراعي لشخص آخر . فيقام الغرس مشتركاً في غلة بينهما . . . وهذا كثير في

الملكيات الخاصة بالأفراد . كما تظهر المبيعات الفردية بالشراء أيضا في التملكات الفردية والأسرية . التي لم ترصد تاريخياً ، وإنما يفصح عنها ما يتوافر لدى الناس من عقود مبيعات . .

وعن المغارسات تأتي لمحات تشير لذلك ، فقد ذكر ابن بشر في سوابقه أنه في عام ١٠١١ هـ : غرس الحصون القرية المعروفة في سدير ، والذي غرسه آل تميم ، غارسهم عليه صاحب القارة ، المعروفة بصبحا في سدير عند بلد الجنوبية (١٦) .

### العملات :

النقود - فضية أو ذهبية - هي محور الاقتصاد ومسيرته . . . ولم يكن في نجد ذلك الوقت عملة مستقلة ، كما أن تجارتهم وتعاملهم لم يكن مع بلد بذاته حتى يأخذوا عملته . . ولذا فإن الإشارات التاريخية تنبئ عن وجود عملات عديدة ، وذكر بعضها هو من باب الإبانة عن الواقع ، وليس من قبيل الاستقصاء ذلك أن قوافل البادية ، هي التي تقوم بأغلبية النقل ، في التوريد والتصدير ، من نجد وإليها إلى ما يجاورها وكل قبيلة تتولى ما يليها من ديار وحواضر ، هذه التجارة تستوجب التداول النقدي ، ولما لم يكن في المنطقة عملة خاصة بها ، إلا أن التعامل التجاري مع البلدان المجاورة ، يحتم وجود عملة معتبرة ، فكانت العملات السائدة في كل بلد هي محور التعامل الاقتصادي .

وفي اللمحات التاريخية المرصودة ، تمر بنا أخبار اقتصادية ، ومعلومات عن النشرة التسعيرية لكل سنة ، بحسب الوضع الاقتصادي السائد في البيئة : عرضاً وطلباً . . كما يحصل في النشرات الاقتصادية والتجارية في عصرنا الحاضر .

لكننا لا نعلم عن تلك العملات التي كانت متداولة في المنطقة ، وإلى أي جهة تنتمي ولا شك أن بعضها يرتبط بأكبر دولة تتعامل مع المسلمين وتسيطر على أغلبية الرقعة الإسلامية ، إنها الدولة العثمانية ، وقد يكون بعضها سبقها ، أو يرتبط بجهات أخرى كالحكومة البريطانية .

ومن هنا فإن ما يمر علينا من أسماء العملات ، قد تكون غير أسائها الحقيقية المعروفة به في بلادها وإنما هي مصطلحات ودلالات أطلقها أهل المنطقة عليها ، فأصبحت اصطلاحاً ينبئ عما ترمز إليه ، ولا مشاحة في الاصطلاح لأن الاسم الحقيقي أعجمي يثقل نطقه على ألسنة العرب . . . وقد يكون لسبب آخر لا نحيط به ، والعرب إذا أعيتهم معرفة الحقيقة عن أي شيء وإرتباطه باسمه قالوا : إن الأسماء لا تعلق .

ومن العملات التي تكرر كثيراً ما يلي :

- ١ الدينار : وهو عملة ذهبية مضروبة ، والدرهم وهو وحدته .
- ٢ الدانق : عملة ذهبية توزن . ويأتي للدانق ذكر في كتب الفقه .
- ٣ الأحمر : عملة ذهبية .
- ٤ الحمديّة : عملة فضية ، مجزأة من الأحمر . كتجزئة الدرهم الفضي من الدينار الذهبي
- ٥ المشخص : عملة ذهبية ، يظهر أنه أثمن من الأحمر وأعلى قدراً .
- ٦ المحلّق : عملة نحاسية مشقوقة الوسط ، وبعضهم يرى أنها فضية . ولعل التسمية من كونه على هيئة حلقة .
- ٧ المطبق : عملة نحاسية تماثل المحلّق في القيمة .

٨ الحرف : دراهم فضية كانت معروفة في ذلك الزمن .

٩ الجديدة : عملة مستطيلة وهي بمثابة القرش ، وكانت سائدة في الأحساء والرياض في بداية عهد الملك عبد العزيز «يرحمه الله» .

● فالدينار ذكره ناصر خسرو في أجرته للجمال من الفلج إلى البصرة ، واشترط عليه تسليمه ذلك المبلغ في البصرة لنفاد ما معه من نقود <sup>(١٧)</sup> ، كما نقد أحد الجمالين عشرة دنائير في رحلته من الطائف إلى الفلج عندما مرّ بديار بعض القبائل . لأن كل قبيلة تأخذ عليه عشرة دنائير لكل خفير يحميه في حدودها وهم كثيرون <sup>(١٨)</sup> . كما أوضح الدرهم ، وأن تعامل أهل الأفلاج بالذهب النيشابوري <sup>(١٩)</sup> . وهذا يدل على أن الدينار عملة الدولة العباسية ذلك الوقت سنة ٤٤٣ هـ معروف في المنطقة .

● ولقلة توافر النقد ذلك الوقت فإن كثيراً من المعاملات الاقتصادية كانت تتم بالمقايضة ، فقد ذكر ناصر خسرو أن أهل قلعة الفلج «الأفلاج» : أجروه على نقش محراب مسجدهم بمائة منّ من التمر ، ومائة من تمر عندهم شيء كثير ، فقد أتى وأنا هناك ، جيش من العرب وطلب منهم خمسمائة من تمر فلم يقبلوا وقاتلوا . وقتل عشرة رجال من أهل القلعة . وقلعت الف نخلة ، ولم يعطوهم عشرة أمان تمراً <sup>(٢٠)</sup> .

● أما الأحمر والمحمدية : فيبدو أنهما عملتان مرتبطتان ببعضهما كارتباط الدينار بالدرهم ، وأن المحمدية جزء من الأحمر ، لأنها يأتیان متلازمين في التسعير ، والأحمر أكثر قيمة من المحمدية ، مما نستنتج منه أن الأحمر مأخوذ اسمه من لونه ، وهو الذهب . إذ طالما سمعنا جذوراً لدى كبار السنّ بتسميتهم الذهب : الأحمر أو الأصفر ، وتسميتهم السلاح كالسيف بالأخضر . ولدى كثير من العامة ذكر لذلك . وفي الأشعار أيضاً .

يقول ابن بشر [١٢١٠ - ١٢٩٠ هـ] ، في سوابقه : ففي عام ١٠٩٩ هـ ، كثرت الكمأة والعشب والجراد ، ورخص الطعام رخصاً عظيماً ، وبلغ التمر عشرين وزنة بالمحمدية ، والبر خمسة أصع بالمحمدية ، وذلك في ناحية سدير ، أما العارض فبيع التمر في الدرعية ألف بأحر (٢١) .

وقد آرخ تلك السنة وأسعارها بعضهم فقال :

بمحمد الله والشرك نعج      لسحب تثج وأرض تمج  
وتمر ثلاثة أصواعه      بدفع المخلق فيها تزج  
وبرّ فحرف بوسقينه      وقاريخه كسناد يشج

ثم قال ابن بشر : الحرف نوع من الدراهم يتعاملون بها في زمانهم ، والوسق قال المنقور ستون صاعاً بصاع العارض (٢٢) .

ومن هذا نتوقع تزامن هذه العملات الأربع : الأحمر والمحمدية ، والمخلق والحرف . . . وأن بعضها مرتبط ببعض ، وقد يكون الحرف أكبرها لأن الوسقين وهما ١٢٠ صاعاً بحرف . أو يفضله الأحمر لأنه ذهبي لأن الألف وزنة من التمر بأحر .

والمحمدية تفضل المخلق . . . ولو تهيأ الحصول على شيء من هذه العملات لأمكن تقدير ثمنها .

- وفي سنة ١١٠٠ هـ ، قال ابن بشر في سوابقه : وفي تمام المائة بعد الألف : أتى الخواج الثلاثة ، ونزلوا بعنيزة في ناحية القصيم وغلا الطعام (٢٣) ، مما ينبئ على أن عنيزة كانت مركزاً تجارياً مهماً وأنها ملتقى قوافل الحجاج ، ولهذا دوره من الناحية الاقتصادية في المنطقة كلها .

- والمحلق التي مر بنا ذكر لها في بعض الأسعار، عملة كانت معروفة في الحجاز، قال لي من رأيها إنها تشبه القرش مستديرة ومشقوقة في وسطها، وهي بمثابة الدرهم بالنسبة للدینار، ويعادها المتحدث عنها بنصف الريال السعودي الفضة . . . وقد قرن ذلك بالمثل العامي: يا من أدخلني بمحلق يخرجني بائنين . . . ولما كان لكل مثل قصة، فقد سأله عن قصة هذا المثل فأخبرني أن مستبضعاً من أهالي شقراء ذهب مع قافلة «الحذرة» إلى مكة للتجارة وقد استبضعه شخص سمناً لبيعه في مكة، ويشترى بقيمته نوعاً من البضائع حددها له صاحب السمن، والربح بينهما: من هذا المال، ومن الآخر الجهد . . . ولما وصل مكة باع سمنه على سمان كالعادة، ووعد بالقيمة بعد أيام لكن السمان اختفى ولما سأل عنه قيل إنه في السجن بسبب قضية، فطال انتظاره، وقاربت القافلة على الخروج إلى نجد، ولم يخرج هذا من السجن فقرّر الاتصال به بأي ثمن، ووجد الحيلة مع السقاء الذي يموّن السجن بالماء، فقال له: أدخلك السجن بمحلق فتلتقي بصاحبك وتتفق معه فوافق ولم يفكر في العاقبة، ولما التقى بصاحبه وعده خيراً بأن يعطيه حالماً يخرج من السجن وإن كان سيسافر فليوكل وكيلاً عنه ليعطيه الحق . . . فوافق مرغماً . . . وعندما اتجه للباب ليخرج منعه السجان ظاناً أنه من نزلاء السجن، وانتظر حتى جاء وقت مجيء السقاء فقال له: مثلاً أدخلتني أخرجني. فقال: ولكن بمحلقين هذه المرة . . . فوافق وقال ذلك المثل: يا من أدخلني بمحلق يخرجني بائنين .

● أما الفاخري فيقول: في عام ١٢٧هـ، فيها بيع الطّي بأحرين<sup>(٢٤)</sup>، والطلي هو ذكر الضأن .

● وفي عام ١٣٣هـ يقول أيضاً: وفيها بيع التمر على مائة وعشرين وزنة



بالأحمر، - الوزنة كيلو ونصف تقريباً - والحب على خمسة وأربعين صاعاً  
بالأحمر<sup>(٢٥)</sup>.

● وابن ربيعة الموسجي [ . . . - ١١٥٨هـ ] يقول قي تاريخه عن عام  
١١٣٩هـ: ورخص فيها الزاد والتمر وصار عشرين وزنة، والعيش ستة أصع  
بالمحمدية، وهي رجمان سحي<sup>(٢٦)</sup>. وقد علقَ المحقق الدكتور الشبل على  
المحمدية بأنها: نوع من العملة ينسب إلى السلطان العثماني محمد بن إبراهيم  
الذي تولى السلطة عام ١٠٥٨هـ، و خلع عام ١٠٩٩هـ<sup>(٢٧)</sup>.

● والمطبّق عملة كان عبد الله بن محمد بن طوق بن معمر قد اعتمدها في  
العارض، حيث سمى أهل العارض عبد الله هذا بالمطبّق لأن معاملتهم  
بالمطابق، ضمن أحداث عام ١٠٩٦هـ<sup>(٢٨)</sup>، وقد علق المحقق الدكتور عبد  
العزیز الخريطير بأن المطبق: دراهم معروفة كما قال ابن بشر<sup>(٢٩)</sup>.

● أما عن المشخص، فقد أشار إليه كل من:

- الفاخري [ ١١٨٦ - ١٢٧٧هـ ] في أخبار عام ١١٢٧هـ، بقوله: وفيها:  
بيع صاع السمن بمشخص والطلّي بأحمرين<sup>(٣٠)</sup> ويرى الدكتور الشبل محقق هذا  
الكتاب أن المشخص نوع من العملة أحدث وأثمن من الأحمر .

● والمنقور [ ١٠٦٧ - ١١٢٥هـ ] في حوادث عام ١١١٣هـ، بقوله: وفيها  
غلاء عظيم حتى أنهم أكلوا الميتة، وسوي التيس خمسة مشاخص<sup>(٣١)</sup>.

ونماذج ذلك كثير، وما ذكرناه ما هو إلا من باب التقريب، لكن ما يجب  
التسليم به أن هذه العملات لم تكن مضروبة محلياً. وإنما هي عملات متداولة  
في بلدان مجاورة، دعت الحاجة إلى التعامل معها وهي فضية وذهبية ونحاسية  
ونيكليّة.



أما الأسماء فهي اصطلاحات محلية، تختلف به عما هو معهود في المكان الذي ضربت فيه، أو في البلدان التي تتعامل بها.

ومن باب المقاربة. فإنه وإلى عهد قريب، وفي بداية عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، وقبل أن يضرب عملة رسمية للدولة، كان يتم تداول عملات عديدة في أجزاء البلاد، وتعرف بأسماء محلية متعددة.

### ومن ذلك :

● الليرة: الذهبية العثمانية كانت تعرف باسم عِصْمَلِيّ. وهناك جنيه يعرف باسم أبو بنت وهو إنجليزي أو أوروبي.

● الباوند الذهبي الإنجليزي: لاختلاف سعره كان الأجود منهما يعرف باسم جورج، والأقل يعرف باسم: الأعور. ولعل هذا الأخير هو جنيه ذهبي لحكومة الهند الشرقية التابعة لبريطانيا.

● الريال العثماني الفضيّ: كان يعرف باسم المجيدي، ووحدته النحاسية تعرف باسم البيشلي وهاتان العملتان ضربهما السلطان عبد المجيد وتحمّلان اسمه.

● عملة فضية بلجيكية تحمل صورة الملكة تريزيا: كانت تعرف في الحجاز ونجد واليمن باسم: الريال الفرنسي..

وقد عودل بالريال السعودي الأول الذي ضربه الملك عبد العزيز عام ١٣٤٣ هـ. وهذا الأخير كان بعض العامة لا يعرفونه إلا بالكبير أيضا لأنه في حجم الريال الفرنسي، وكان وزنه أثقل من الريال الفضي المعتاد.

● الروبية الهندية لعموم حكومة الهند الشرقية قبل الاستقلال عن بريطانيا،

كانت سائدة في الخليج والأحساء ووسط نجد، وكانت تعرف باسمها مخففة :  
رَبَّة . ووحدتها النحاسية تعرف بالبيزة وجمعها بيزات والأقل يعرف بالآنة .

لكن الذي تعارف عليه بعض الناس في نجد أن البيزتين : يطلق عليهما  
اسم : تفلسية ، ولست أدري ماذا تعنيه إلا إذا كانت من الإفلاس لضعف  
القيمة .

وأن الأربع بيزات تسمى ربع ، وقد عودل الربع هذا بالقرش السعودي بعد  
ضربه ، فكان الريال السعودي يساوي عشرين ربعا أي ثمانين بيزة .

وفي أيام الحرب العالمية الثانية عندما اشتد الطلب على النحاس ، بدأت  
البيزات النحاسية تختفي تدريجياً حتى أصبحت أثراً بعد عين .

● وفي الرياض كانت تعرف الجديدة . وهي عملة نيكلية عثمانية ، فاستمر  
الناس في إطلاقها بعد اختفائها على القرش السعودي ، وصار العامة فترة من  
الزمن لا يعرفون القرش إلا بالجديدة حتى تمكن الاسم من ألسنتهم .

● وفي الأحساء كانت الطواله . والبارة وهما من النيكل أيضاً . . وقد رأيت  
قطعا من البارة هذه فهي مستديرة تشبه الهللة رخيصة القيمة بيضاء اللون لها  
وحدات ٥ بارات ، ١٠ بارات .

● كما كان من اصطلاح الناس في المزايدات ، والبيع والشراء مسمى : القرش  
وتنطق بين القاف والسين والجيم . وتعني في مفهومهم ثلث ريال . . .  
ولا يوجد مقابل له عملة بذاتها .

ولما كان العرب يقولون في أمثلتهم : لا مشاحة في الاصطلاح . . فإن مثل  
هذه المسميات قد تكون محلية ، وقد تختلف من مكان إلى مكان . . . كما يلمس  
ذلك من يتعامل مع العامة والقرويين في كل بلد عربي أيضاً . .

### أهم مصادر البحث

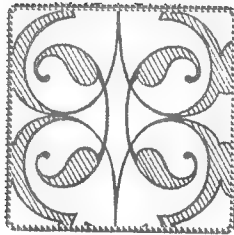
- ١ الأخبار النجدية تأليف محمد بن عمر الفاخري : دراسة وتحقيق د . عبد الله الشبل . منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض برقم ١٠
- ٢ تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد تأليف : إبراهيم بن صالح بن عيسى . منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض الطبعة بعناية الشيخ حمد الجاسر .
- ٣ تاريخ ابن ربيعة العوسجي تأليف : محمد بن ربيعة العوسجي الدوسري - دراسة وتحقيق د . عبد الله الشبل : طبع النادي الأدبي بالرياض عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ٤ تاريخ المنقور تأليف : أحمد بن محمد المنقور ، تحقيق ونشر الدكتور عبد العزيز الخويطر - الطبعة الأولى عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- ٥ مخطوطة تحفة المشتاق في أخبار الحجاز ونجد والعراق : تأليف عبد الله ابن محمد البسام .
- ٦ سفر ناصر : رحلة ناصر خسرو نقلها إلى العربية ، د . يحيى الخشاب - نشر دار الكتاب الجديد بيروت لبنان ، الطبعة الثانية عام ١٩٧٠م .
- ٧ عنوان المجد في تاريخ نجد ، تأليف : عثمان بن بشر ، الطبعة الرابعة . مطبوعات دار الملك عبد العزيز . الرياض عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٨ مدينة حريملاء ، تأليف صالح بن ناصر الطعيس ، الجزء الأول عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

## الهوامش

- (١) سفر ناصر ١٣٨ - ١٣٩ .
- (٢) انظر مخطوطة تحفة المشتاق ورقة ١٢ .
- (٣) نفس المصدر والورقة .
- (٤) نفس المصدر ورقة ١٤ .
- (٥) نفس المصدر ورقة ١٥ .
- (٦) نفس المصدر ورقة ١٦ .
- (٧) نفس المصدر ورقة ١٦ .
- (٨) نفس المصدر ورقة ١٧ .
- (٩) عنوان المجلد ٢ : ٣٣٧ .
- (١٠) الأخبار النجدية ص ١٠٠ .
- (١١) عنوان المجلد ٢ : ٣٣٩ .
- (١٢) انظر الأخبار النجدية ص ٩٥ . والمحمدية والجديدة نوع من العملات .
- (١٣) انظر كتابه تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، طبع بإشراف الشيخ حمد الجاسر ص ٣٥ .
- (١٤) مدينة حريملاء ١ : ١٨ - ١٩ .
- (١٥) عنوان المجلد ٢ : ٣٢٠ - ٣٢١ .
- (١٦) عنوان المجلد ٢ : ٢٠٦ .
- (١٧) انظر سفر ناصر ص ١٣٩ .
- (١٨) نفس المصدر ص ١٣٨ - ١٣٩ .
- (١٩) نفس المصدر ص ١٤٠ .
- (٢٠) نفس المصدر ص ١٤٠ .
- (٢١) انظر عنوان المجلد ٢ : ٣٤٢ ، وانظر تاريخ المنقور ص ٦٤ . حيث قال ووصل الحب أربعة عندنا والتمر عشرين وفي العارض ألف بأجر



- (٢٢) نفس المصدر ٢ : ٣٤٣ وانظر تاريخ الفاخري الأخبار النجدية : ٨٢
- (٢٣) عنوان المجد ٢ : ٣٤٣ .
- (٢٤) الأخبار النجدية ٩٦ .
- (٢٥) نفس المصدر ٩٧ .
- (٢٦) تاريخ ابن ربيعة ٩٠
- (٢٧) نفس المصدر هامش ص ٩٠ .
- (٢٨) تاريخ المنقور ص ٦١ .
- (٢٩) حاشية ص ٦١ من نفس المصدر .
- (٣٠) الأخبار النجدية ص ٩٦ . وانظر حاشية المحقق .
- (٣١) تاريخ المنقور ص ٧٦ .



# نحو أطلس

## لغوي سعودي

د. عبد العزيز بن إبراهيم السويل

تتمتع دراسة جغرافية اللهجات أو ما يعرف بعلم اللغة الجغرافي بتاريخ طويل جداً في كل من أوروبا وأمريكا . وقد ذاع صيت بعض الأطلس اللغوية ذيوماً يؤهلها لأن تكون نماذج تختدى في مجالها . وأشهر تلك الأطلس كل من الأطلس الفرنسي والسويسري . ويتبع هذين النموذجين أطلس اللهجات في كل من ألمانيا وإنجلترا واسكتلندا وبولندا وغيرها .

ولا مندوحة من الإشارة هنا إلى أن العمل في الأطلس اللغوية أو اللهجية عمل متصل لا ينتهي ولا أدل على ذلك مما عبر به المستشرقان الألمانيان ثويدش





وينشقيت (انظر دراسات في اللهجات العربية ١٩٨١م ص ١٤٩) حيث يقولان «إن العمل في أطلس اللهجات الألمانية لم ينته بعد، ذلك العمل الذي بدأ قبل مائة عام. بل حدث أكثر من هذا أن فكر بعض الناس، بل بدءوا فعلاً في إعداد أطلس جديد تراعى فيه مقتضيات ومتطلبات الأحوال والظروف الجديدة».

غير أن اللهجات العربية لم تحظ بحظ وافر في مجال الدراسات اللغوية الحديثة، وظلت تتغير من نمط إلى آخر بلا رصد أو دراسة، وأتاح ذلك الجو للمستشرقين القيام بمثل هذه الأبحاث والدراسات في العالم العربي. فقد قام الألماني جوتهلّف برجشتراسر بإعداد أطلس اللهجات في سوريا وفلسطين، وتولى الفرنسي كانتينو دراسة اللهجة في منطقة جبال حوران وتدمر في سوريا، وغيرهما كثيرون (انظر المعثوق ١٩٨٦م، وخاصة المقدمة ص ٩، وما بعدها).

ولعل في تأخر دراسة لهجات الجزيرة خيراً، فلم يفتح الباب للأجانب للقيام بذلك بدلاً ممن يتحتم عليه ذلك، وأولئك هم أبناء هذه الأرض ممن يعتزون بتراثها، ويقدرّون موروثها الحضاري. وقد عاد بعض هؤلاء من رحلة الدراسة في الغرب مزودين بزاد البحث الحديث من أساليب استقراء ومناهج بحث وتحليل، ويستند هؤلاء — إلى ذلك — على كنز بحثي جم وتقليد لغوي خالد تمثّل في دراسة النحويين المسلمين العرب من أجدادنا، ممن وهبوا أنفسهم للدرس النحوي، ووقفوا جهدهم عليه متبعين أساليب ومناهج غاية في الدقة والحصافة لم ينته إليها الغرب إلا مؤخراً. وهذان العنصران، التقليد البحثي العريق، والمنهج اللغوي الحديث يمتزجان ليُولِّداً — بمشيئة الله — نتاجاً علمياً ثراً يحفظ للأجيال القادمة مآثر أجدادهم، ومفاخر أمتهم بأسلوب علمي رصين لا مجال للحسد والتخمين فيه.

إن التفكير الجدي والمخلص في إعداد أطلس لهجي متكامل لهذه البلاد

مهمة وطنية تتطلب الاقتناع والجد والإخلاص وبذل الوقت والجهد والمال، على أن يتم ذلك في صروح علمية، وبأساليب أكاديمية مقننة ولسنا نعدم ذلك والله الحمد. إن إعداد أطلس لهجي لبلد باتساع بلادنا تضم بين جوانحها هذا الكم الكبير من السكان الذين رغم عيشهم في هذا البلد الآمن، وتَقِيَّتْهم ظلاله الوارفة، يتمايزون اجتماعياً وثقافياً تمايزاً قلما تجود به الظروف إلا في البلاد الكبرى، ليس بالسهولة التي يتصورها العامة، ولا أشك أن إهمال هذا الزخم الحضاري مضيعة حضارية يجب ألا نسمح بها، وهدر علمي يقع على عاتقنا تشرجه في معامل جامعاتنا ودرسه أسوة بأجدادنا واقتداء بهم.

ولا بد أن يسبق ذلك مسح لهجي متكامل، ويتطلب هذا هو الآخر جهداً علمياً وبحثياً هائلاً، ويتمثل هذا الجهد في مظهرين بحثيين مهمين.

أولاً: البحث الميداني، وما يتطلبه ذلك من إعداد وتنفيذ قد يمتد إلى سنوات عديدة، إذا ما توافر له التوجيه العلمي والتخطيط السليم، مدعوماً بالقدرات البشرية والمادية اللازمة.

ثانياً: تحليل النتائج وتقديم التقارير النهائية عنها، ليتم رسم ذلك على شكل خرائط لهجية تكوّن الأطلس المنشود.

وسنفضل فيما يلي هذين المظهرين:

●● أما من حيث المظهر الأول أي البحث الميداني، فيشتمل على عدد من العناصر الهامة، منها ما يلي:

- ١ - تحديد المناطق الجغرافية السكانية التي تكون منطقة الدراسة وهي هنا المملكة العربية السعودية.
- ٢ - تحديد أسلوب البحث أو المنهج العلمي الذي يزمع الباحث استخدامه.

٣- اختيار أفراد العينة التي يرى الباحث أنها تمثل سكان المناطق خير تمثيل وتعريف هذه العينة تعريفاً دقيقاً يميزها عن غيرها من الفئات السكانية لتحديد الجنس والسن والمستويات الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية . . . إلخ .

٤- تصميم استبيان لغوي متكامل يمكن من رصد أكبر قدر ممكن من المعلومات اللغوية .

٥- تعيين وسيلة الجمع كأن يكفي الباحث بكتابة المعلومات صوتياً<sup>(١)</sup>، أو وصفها بلغة عادية، أو يقوم بتسجيلها على أشرطة مغنطة تكون فيما بعد ما يعرف بالأرشيف الصوتي، الذي يمثل مرجعاً دائماً يمكن لكل من يريد الاطلاع عليه في المستقبل أن يفعل ذلك بلا عناء<sup>(٢)</sup>.

ويمكننا تطبيق هذه العناصر على الأطلس اللهجي السعودي على النحو التالي :

١- يمكن تحديد المناطق الجغرافية السكانية تبعاً لتقسيمها الإداري ؛ أي أن تعتبر كل منطقة إدارية منطقة لهجية متميزة (بوصفها مجموعة كبرى) ومع ما في ذلك من تجاوز علمي فإنه يفي بالغرض كخطوة أولى نحو تحقيق التحديد النهائي، ولنأخذ مثلاً لذلك منطقة كم منطقة القصيم . يمكن اعتبار هذه المنطقة الإدارية (إمارة القصيم) منطقة لهجية متميزة . والواقع أن التباين اللهجي ضمن هذه المنطقة محدود ولكن لا مندوحة للباحث من تحديد مناطق هذا التباين ضمن إطار منطقة البحث الكبرى (القصيم) ويكون ذلك بتخصيص دراسات مستقلة للتجمعات السكانية الثلاثة الكبرى في المنطقة وهي بريدة وعنيزة والرس ثم يمكن النظر إلى

التجمعات القروية والهجر وتجمعات الواحات الزراعية على أنها نماذج لهجية تابعة للثلاثة الكبرى ، وهكذا يمكن إلحاق المذنب وما يليه من الجنوب حتى السر بلهجة عنيزة ويمكن إلحاق قرى الرس (عطا وعطي والشنانة وغيرها) بلهجة الرس ويمكن إلحاق قرى الجنوب مما يلي بريدة بلهجة الأخيرة مع ما بين بعضها من اختلاف وتبقى بعض التجمعات مما لا يكاد الباحث يجزم بتبعيته لغيره كلهجة عيون الجواء أو لهجة البدائع أو لهجة (أو لهجات) قرى البكيرية والخبراء ورياض الخبراء وأهلالية وغيرها . ويلزم إرجاء البت في ذلك إلى الانتهاء من إجراء المسح الميداني .

وهكذا الأمر بالنسبة لغير هذه المنطقة حتى يتم حصر كل مناطق البحث وتحديد تقسيمها الجغرافي وقد يتطلب الأمر مناقشة أهل الجغرافيا والعالمين بأصولها وفروعها وخاصة من يهتم منهم بجغرافية المملكة الطبيعية والسكانية وفي العلماء بجامعاتنا الخير الكثير.

٢ - إن من أهم القرارات التي يتحتم على الباحث البت فيها هو الأسلوب الذي سيتبناه في بحثه . ويميّز علماء اللهجات بين أسلوبين من أساليب جمع المعلومات وهما (انظر فرانسيس ٨٣م) :

أ - المسح المباشر ، ويكون ذلك بأن يقوم الباحث نفسه بالنزول إلى الميدان ، ومباشرة العمل ، وأن يجري المقابلات مع أفراد العينة بنفسه . ولهذا الأسلوب مميزات متعددة لن نسهب في ذكرها هنا ولكن لا بأس من المرور عليها . وأهم هذه المميزات أن هذا الأسلوب يمكّن الباحث من السيطرة المباشرة على مجريات الأمور ، ومن ذلك مثلاً ، التأكد من صلاحية الفرد

الممثل للعينة ، ومدى تمثيله للهجة موضوع الدرس ، ومنها إتاحة الفرصة للباحث للتأكد من تغطية اللهجة المطلوبة فقط واستبعاد ما لا فائدة من دراسته ، بل ربما سبب التشويش وشوّه الدراسة ، ومن المميزات المهمة لهذا الأسلوب أن الباحث الذي يقوم بالمسح فيه هو العالم اللغوي الذي يصمّم الاستبيان ، ويحدّد المناطق مما يعني تناسقاً في العمل وسيطرة تامة على كل مراحل المشروع ، الأمر الذي يصعب التحكم فيه لو قام بالبحث أفراد آخرون حتى ولو عملوا بإشراف مباشر ، وتوجيه دائم من اللغوي المشرف .

وأخيراً يمتاز هذا الأسلوب في كونه يحول دون الكثير من سلبيات الوسطاء كالوهن والتكاسل والجهل وعدم الحماس ، وغير ذلك ، ويضمن أكبر قدر من الدراية إذ إنّ من يقوم به يكون محترفاً مؤمناً بما يقوم به صابراً على بلائه متقبلاً برحابة صدر كل ما يمكن أن ينجم عنه من إحراج وضيق . ولكن على الرغم من كل ما تقدم من محاسن يبقى هذا الأسلوب حلماً صعب التحقيق ، وخاصة إذا كانت منطقة الدراسة واسعة فسيحة كما هي الحال هنا . أما إذا كان التباين على ما هو عليه في المملكة فالأمر يصبح مستحيلاً لا قبل لفرد من البشر عليه . إن اللغوي مهما أوتي من حماس وسعة صدر وتفان يبقى إنساناً محدود الطاقة والجهد والعلم ، ويتحتم عليه الاستعانة بغيره من الزملاء والطلاب والمعارف وغيرهم ، وهذا ما يعرف بالأسلوب غير المباشر وسنلمح إليه فيما يلي .

ب - المسح غير المباشر ، ويكون ذلك بأن يعمد اللغوي إلى تكليف عدد من

الأفراد، بعد إعدادهم وشحذ همهم واجتذاب حماسهم للمشروع، بالقيام بالعمل بدلاً منه. وهذا الأسلوب كما لسابقه مميزات عديدة جعلت منه منافساً حقيقياً للأسلوب المباشر. ولعل أهم محاسن هذا الأسلوب واقعته، وإمكان تحقيق العمل بموجبه. فهو يقوم على مبدأ التعاون، وإتاحة الفرصة لجماعة من الناس للقيام بالمسح بدلاً من لفرد محدود الموارد. كما أن هذا الأسلوب يمكن من جمع كم هائل من المعلومات اللغوية في مدد تبرز ما يصرف في سابقه بأضعاف، وعلى مساحات تفوق الأسلوب المباشر مرات عديدة أيضاً. ولا شك أن في ذلك ميزة هامة تجعل منه أسلوباً يجتذب اللغويين عن يقومون بمسح اللهجات بقصد إعداد أطالس لهجية. ويمتاز هذا الأسلوب أخيراً، بأنه يمكن اللغوي من تعيين مساعدين (باحثين ميدانيين) من أهالي النواحي والمدن والقرى، للقيام بتغطية أماكن انتابهم مما يتيح فرصة ذهبية للتغلغل في المجتمعات وخاصة القروية المغلقة التي قد يصعب أو يستحيل الدخول فيها من قبل الأجانب.

٣- العنصر الثالث الذي يتحتم على اللغوي الالتفات إليه قبل البدء بالمسح هو تحديد أفراد العينة، ويتم ذلك بأن يحدد الباحث نوع اللهجة التي يرمي إلى دراستها، فإن كان يرمي إلى دراسة التباين اللهجي المبني على أسس جغرافية فقط، فإنه بذلك يبحث عن يمثل لهجة إقليم أو تجمع سكاني بعينه، ولكن الأمر ليس بهذه السهولة. فكلنا نعلم أن لهجة كل طبقة اجتماعية تتميز عن لهجة غيرها في نفس التجمع اللغوي، بل إن لهجات الأفراد تتباين تبعاً لأسماهم فنجد لهجة للشيوخ ولهجة للشباب،

ثم إن لهجات الأفراد تتباين تبعاً لجنسهم، ولذلك فنحن غالباً ما نسمع عن لهجة الرجال ونميزها بشفافية وثقة عن لهجة النساء، بل إن بعض الناس يضحكون أو ينتقدون من يتكلم بلهجة «الحریم» من الرجال، ويصمون به بالتخنث والشك في رجولته. وهكذا فالاهتمام بهذا الأمر يبدأ عند اللغوي بأن يحدد العينة المطلوبة، ويُعرفها تعريفاً يخصصها وينفي ما عداها من كل النواحي ذات العلاقة بالأمر.

٤ - ويأتي بعد ذلك تصميم الاستبيان اللغوي، والهدف من الاستبيان اللغوي هو حفز أفراد العينة للتلفظ بجمل وعبارات وكلمات تكوّن لهجتهم، وتمكّن الباحث وغيره من دراستها وتحليلها فيما بعد. ويتم تكوين هذا الاستبيان تبعاً للمظهر أو المظاهر اللغوية المطلوب درساها. ويمكن تقسيمه إلى أجزاء، يخصص كل منها لدراسة مظهر لهجي معين. فيخصص جزء لدراسة التراكيب اللغوية مثلاً، ويكون ذلك عادة بطلب رواية قصة، أو حكاية، أو طرفة، أو مثل سائر، فيتكلم الفرد بطبيعية، وبلا تعسف، ويرصد قوله ويسجله ثم يقطع فيما بعد ويدرس ويحلل. ويخصص جزء آخر للمفردات الشائعة في منطقة الدراسة، ويكون ذلك بإلقاء عدد من الأسئلة على الفرد، لحفزه للتلفظ بالمسميات والصفات والمفردات العامة المستخدمة في لهجته للدلالة على أشياء معينة، ويتم فيما بعد جمع هذه الكلمات وفرزها وتحديد سماتها ومقارنتها بغيرها. ويخصص جزء ثالث لأصوات اللهجة المدروسة، ويكون ذلك بتحديد المهم من هذه الأصوات، وحفز الفرد على استخدامها في بيانات صوتية متعددة تمكن الباحثين من حصر استخداماتها، وتعدد صورها، واستنباط القواعد المحددة لتلك الاستخدامات والصور.

ويتكون الاستفتاء من أسئلة عن نواح حياتية متعددة مستنبطة من حياة

أفراد الجماعة التي تستخدم اللهجة موضوع الدرس ، ويتم التركيز على ما يُميّز تلك الجماعة بالذات وقد لاحظ بعض من قاموا بأعمال المسح أن ذلك يُشعر الأفراد بالفخر والاعتزاز ببيئاتهم ، والزهو بمأثورهم مما يساعد في التغلغل إلى داخل نفوسهم ، ويسهل الوصول إلى ما في عقولهم بطبيعية وبلا حياء أو تردد .

٥ - ثم تأتي بعد ذلك وسيلة الجمع التي ينتهجها الباحث في التسجيل ، فقد يكتفي بعض اللغويين بكتابة ما يقوله الفرد كتابة صوتية ، ويكون ذلك في الغالب خاضعاً لظروف أخرى خارجة عن جهد الباحث ، وذلك بأن يسمي سماع لفظه ما فيكتبها خطأ على غير المقصود ، وحيث إن كل كلمة تقال تذهب في الهواء ولا يمكن استرجاعها فإن ذلك الرصد قد يكون البداية لتحليل خاطئ لتراكيب وألفاظ اللهجة ، كما أن مهارة الباحث في الكتابة الصوتية أو جهله بها يلعب دوراً في تسجيل اللهجة تسجيلاً دقيقاً يُمكن من درسها وتحليلها على الوجه المطلوب . وقد كان أسلوب الكتابة الصوتية متبعاً في معظم حالات المسح اللغوي القديمة ؛ وذلك لكونه الأسلوب الوحيد المتوافر وقتئذٍ ، أما في أيامنا هذه فقد لجأ الباحثون إلى أساليب التسجيل الإلكتروني على أشرطة مسجلة ، وهذه تتيح فرصة تكرار المسجل مرات عديدة حتى يصل الباحث إلى بغيته . وقد تطورت أساليب التسجيل مؤخراً تطوراً مكّن العلماء من إعداد نسخ تكاد تفوق اللفظ الإنساني ، بل إن هناك أجهزة تبقي الصوت وتركز على المطلوب تركيزاً يجعل من الصعاب السابقة تاريخاً قديماً وبدائياً<sup>(٣)</sup> . كما أن وجود الأشرطة المسجلة يمكّن من إقامة ما يطلق عليه علماء المأثور الشعبي



«بالأرشيف الصوتي» أو الشفهي<sup>(٤)</sup>، وهذا أشبه ما يكون بمكتبة تمكن عدداً كبيراً من المهتمين من الاطلاع عليها، والادلاء بها يرون حيالها وفي ذلك تطور كبير لم يكن ممكناً من قبل.

أسهنا فيما تقدم من الحديث عن المظهر البحثي الأول فيما يتعلق بالعمل على إيجاد أطلس لهجي للمملكة العربية السعودية، ونظرنا إلى ما يجب على من يقوم بهذا العمل من إعداد، وركزنا على المظهر البحثي الأول وهو البحث الميداني لرصد وتسجيل لهجات المناطق المختلفة، وسنركز في هذه العجالة على المظهر الثاني وهو تحليل نتائج المعلومات المجموعة وترجمة تلك النتائج إلى خرائط على الورق، تسهل للدارسين تكوين فكرة عن الوضع اللهجي بنظرة واحدة.

نحن إذاً أمام خطوتين رئيسيتين، وهما تحليل النتائج وتمثيلها في خرائط وسنحاول ذلك كما يلي:

### أولاً: تحليل النتائج

يمكن البدء بهذه المرحلة قبل انتهاء المرحلة السابقة، أي مرحلة الجمع، وإن كان الأفضل الانتظار حتى الانتهاء من جمع المعلومات. ويشارك في هذه العملية أفراد باحثون آخرون ولا يكونون بالضرورة نفس الباحثين الميدانيين الذين قاموا بجمع المعلومات. فبينما لا تتطلب عملية الجمع إلا قدرأ يسيراً من التدريب، ويقوم بها الطلبة والأهالي والمعارف الشخصية للباحث الرئيسي، تعتبر عملية التحليل عملية فنية علمية تخصصية، لا يمكن أن يقوم بها إلا لغويون محترفون، ولهم باع طويل في

التحليل اللغوي، ونظريات علم اللغة واللهجات الحديثة. ولتحليل نتائج البحوث الميدانية في علم اللهجات مظهران مهمان وهما الاستقراء والمقارنة.

### (١) الاستقراء

ويقصد بالاستقراء أن تستنبط المعلومات المسجلة من مصادرها الأساسية، أي بطاقات التسجيل أو الأشرطة المحفوظة، بحسب الأسلوب الذي تم به الجمع، ويصار إلى جمع وفهرسة هذه المعلومات بحسب انتهائهما. ولنضرب مثلاً على ذلك بأن نبدأ بتحليل اللهجة المدروسة من حيث المفردات. يقوم الباحث باستقراء المفردات الواردة في إجابات الأفراد الذين تم اللقاء معهم، وذلك بحصر إفاداتهم عن المسميات والأوصاف والأدوات والآلات المستخدمة في منطقة لهجتهم، ثم تفهرس هذه المجاميع بناء على الجزء الكلامي الذي تتبعه، فيُصار إلى حصر الأسماء والصفات والظروف والأفعال والحروف وغير ذلك، حتى يتكون لدى الباحث قوائم تمثل نماذج لأجزاء الكلام في اللهجة، وتسجل كل هذه المعلومات على بطاقات منفردة مرتبة بحسب الألفبائية ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة، وترتب البطاقات في حاويات خاصة كما ترتب مدخل المعجم، أو كما ترتب بطاقات الكتب في المكتبات العامة. وتكرر هذه العملية لكل مظهر لهجي يرى الباحث إدراجه في البحث كالأصوات والتراكيب والدلالات والمقاطع والجمل والعبارات وغيرها، وتكون الحصيلة النهائية كماً ضخماً من المعلومات المفهرسة والمرتبة ترتيباً سهلاً يجعل منها مادة في متناول الباحث لما يلي ذلك من خطوات.

وقد يكتفي بعض الباحثين بذلك فينتج ما يعرف في علم اللهجات بالدراسة الوصفية، ويكون ذلك بأن يقدم الدارس وصفاً دقيقاً هو عبارة عن سرد لهذه المعلومات أملاً في أن يتم عمل دراسات وصفية مماثلة لعدد من اللهجات، يتم بعدها الانتقال إلى المرحلة الثانية من مراحل التحليل اللغوي وهي دراسات المقارنة. أما من يتوق إلى التوصل إلى أطلس لهجي متكامل، ولا يكتفي بدراسات وصفية متفرقة فلا بد له من أن يعتمد إلى المرحلة الثانية حتى يتمكن من تكوين صورة جماعية ويركب منها خارطة أو خرائط لهجية مفصلة.

## (٢) المقارنة

ويقصد بالمقارنة أن يعقد الباحث مقارنات بين النتائج التي توصل إليها خلال عملية الاستقراء، ويتم ذلك بسرد أوجه التشابه والاختلاف بين السمات الخاصة بكل مظهر لهجي جرت دراسته لكل الأنماط اللهجية الداخلية في منطقة البحث. وتمثل القوائم الناتجة عن ذلك أوجه التطابق أو التباعد بين اللهجات. فالأنماط التي تشترك بكل السمات لكل المظاهر اللهجية تكون لهجة واحدة. بينما تتحدد شقة التباعد بين اللهجات بحسب عدد أوجه الاختلاف، إما بتعدد السمات المختلفة أو بحجم ذلك الاختلاف، ولا يمكن إجراء عملية المقارنة إلا بالاحتساب لها أصلاً عند تصميم الاستبيان اللغوي. إذ على الباحث أن يحرص غاية الحرص في الحصول على معلومات يمكن أن تتيح عملية المقارنة. فلو اختلفت الأسئلة بشكل يجعل الإجابات مختلفة إلى حد

يصعب معه إجراء المقارنة ، لاستحالت مقابلة المظاهر اللهجية في نمط ما بما يقابلها في الأنماط الأخرى . وعلى ذلك فالباحث اللغوي الحاذق يجعل عملية المقارنة نصب عينه عند تصميم الاستبيان ، وإن كان ذلك يتم في مرحلة متقدمة من البحث كما أسلفنا .

بهذه يكون قد تكون أمام الباحث صورتان ، الأولى : وصف مفصل لكل نمط لهجي تم مسحه ، والثانية : ما يتميز به كل نمط لهجي عن غيره ، ولم يبق إلا ترجمة ذلك على خرائط جغرافية مفصلة .

### ثانياً : تكوين الأطلس اللهجي

بعد أن يتوافر للباحث اللغوي وصف مفصل لكل نمط لهجي ، يمكن الشروع بترجمة ذلك في خرائط جغرافية ويمكن أن يتم ذلك على مرحلتين ، الأولى : تصنيف دقيق للسمات المميزة لكل نمط لهجي وتخصيص رمز لكل منها لتمثيلها على الخارطة ، والثانية : العناية بتحديد مناطق الحدود اللهجية بين نمط وآخر ، أو ما يعرف في مجال الدراسات اللهجية بالأيسوكلوس (Isogloss)<sup>(٥)</sup> وسنفصل ذلك بعد قليل .

وقبل الخوض في تفاصيل كل من هاتين المرحلتين ، أرى أن أنبه أن على اللغوي (عالم اللهجات) أن ينسق مع جغرافي يتقن رسم الخرائط ، ويُفَضِّل من له إلمام بمنطقة البحث اللغوي أو متخصص بها . والتنسيق مع الجغرافي لا ينتهي برسم الخرائط وتحديد معالم المنطقة جغرافياً . بل له أهمية خاصة تبلور في العمل جنباً إلى جنب مع اللغوي عند تفريغ المعلومات اللغوية على الخرائط « الخام » ؛ أي الخالية من أية معلومات .

والسبب طبعاً هو جهل اللغوي بهذه العملية المتخصصة بالمقارنة بعالم الجغرافيا الذي لا بد وأن يكون على اطلاع على الأساليب المتبعة في تفرغ المعلومات على الخرائط، إذ لا فرق بين المعلومات اللغوية وغيرها من المعلومات الجغرافية الأخرى كالزراعية والاجتماعية والعرقية والاقتصادية وغيرها مما يمكن تمثيله بخرائط جغرافية .

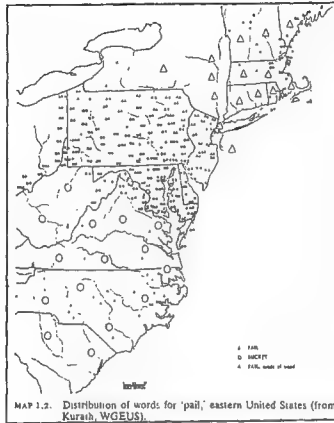
ومن الواضح هنا أننا أمام نوعين من الخرائط اللهجية، مما يدعو إلى إتمام العمل على المرحلتين السابق ذكرهما، النوع الأول : هو الخرائط الخاصة بالتوزيع الجغرافي لنمط لهجي معين . وهذا النوع يحتوي على السمات المميزة لكل نمط لهجي على حدة . فإذا كان الهدف هو توضيح التوزيع الجغرافي لظاهرة الكسكسة في لهجات الجزيرة العربية مثلاً، فإن الخارطة تخصص لهذا الغرض فقط . ولهذا أهمية خاصة إذ إن تخصيص خارطة مستقلة لظاهرة واحدة مما يوضح التوزيع الجغرافي لهذه الظاهرة بالذات ويركز عليه . كما أن من شأن ذلك أن يساعد على فهم هذه الظاهرة بالذات بمعزل عن غيرها من الظواهر . وهذا النوع يأتي في الغالب قبل غيره . . ولعل في ذلك إشارة من علماء اللهجات إلى أهميته من جهة وصعوبة التوصل إلى توزيع صحيح وحقيقي على أساسه من جهة أخرى .

وتخصيص خارطة مستقلة لكل مظهر لهجي أو سمة لهجية مميزة لنمط لهجي ما يعني تخصيص عدد من الخرائط يعادل عدد السمات أو المظاهر اللهجية المميزة لذلك النمط . ويمكن أن يكون ذلك عدداً كبيراً من الخرائط مما قد يستوجب تخصيص فصل كامل بل ربما تطلب الأمر

تخصيص مجلد خاص لكل نمط لهجي لتمثيل كل سماته المميزة له عن سائر الأنماط الأخرى . وسيلاحظ اللغوي في المحصلة النهائية للتمثيل الجغرافي أن كل السمات المميزة لنمط لهجي معين تتركز في جهة معينة من الخارطة هي بالطبع الجهة التي يحتلها متكلمو ذلك النمط بعينه . ولكن أحد المظاهر قد يمتد إلى مساحات أخرى غير منطقة هذا النمط ، وذلك عندما يكون ذلك المظهر مشتركاً لأكثر من نمط لهجي . إذ إن هذا النوع من الخرائط مخصص للسمات وليس للأنماط اللهجية نفسها . والمفترض أن يستتج اللغوي انتفاء ما ينتمي منها لنمط لهجي ما بعد تمثيلها على الخارطة . واتفاق أكثر من سمة أو مظهر على الظهور بشكل متكرر في نفس المكان يعني أنها كلها تميز ذلك النمط اللهجي بالذات . كما أن امتداد بعضها إلى غير ذلك المكان يعني اشتراك أنماط لهجية أخرى بها مع ذلك النمط . وتمثل الخارطة رقم (١) هذا النوع ، وهي توضح التوزيع الجغرافي للمفردات المستخدمة للدلالة على إناء نقل الماء "Pail" ويمكن ترجمتها بـ (سطل) . وتغطي هذه الخارطة الولايات الشرقية من أمريكا (مأخوذة عن كتاب كوراث «جغرافية المفردات في شرقي الولايات المتحدة» وهي هنا نقلاً عن فرانسيس ١٩٨٣ م .

أما النوع الثاني من الخرائط اللغوية (اللهجية) فيخصص لتمثيل الأنماط اللهجية التي تغطي تلك البقعة . فإذا أردنا أن نوضح التوزيع الجغرافي اللهجات المملكة العربية السعودية مثلاً فإن الخارطة تكون وعاء لسمات تلك اللهجات جميعها في آن واحد . ولا يقل هذا النوع من الخرائط اللغوية أهمية عن سابقه .

### خارطه رقم (١)



توزيع المفردات الدالة على (سطل) في شرقي الولايات المتحدة  
(كوراٲ جغرافية المفردات في شرق الولايات المتحدة)

وأهم ما فيه أنه يعطي فكرة شاملة عن الوضع اللهجي في منطقة الدراسة بنظرة واحدة. وهو في العادة يأتي بعد النوع الأول في الترتيب. ولذلك أهمية خاصة. إذ إن القارئ يحظى بنظرة شاملة بعد أن يستوعب الخرائط المفصلة المستقلة. ولكن أهميته الحقيقية تأتي في كونه المصدر الوحيد المضمون لإجراء المقارنة بين كل الأنماط اللهجية المنتشرة في منطقة البحث. ويكون مقياس الرسم في هذا النوع من الخرائط كبيراً نظراً لكثرة التفاصيل التي تحتاج إلى مساحات يمكن تمثيلها على

على الخارطة بلا ضيق . وقد يلجأ بعض اللغويين إلى تقسيم منطقة البحث الكبرى إلى مناطق أصغر ليتمكنوا من ذلك . فيخصص مثلاً خرائط للمناطق الإدارية كنجدة والحجاز والمنطقة الشرقية والجنوبية (عسير) والشالية . . . وهكذا . ولكن لا بد من جمع ذلك كله في خارطة واحدة كبيرة وهو ما يمكن أن يطلق عليه «الجغرافيا اللغوية» لمنطقة الدراسة .

وهكذا نرى أن هذا النوع من الخرائط مخصص للأنماط اللهجية وليس للسيمات اللغوية التي تميزها وذلك بخلاف النوع السابق .

ويَرْبِطُ بهذا النوع من الخرائط عنصر مهم جداً في دراسة جغرافيا اللهجات . وذلك هو منطقة الحدود الفاصلة بين الأنماط اللهجية المختلفة . فاللغة — كغيرها من الأنشطة الإنسانية — ليست لها حدود واضحة ودقيقة ، كما هو الحال في الحدود السياسية بين الدول المتجاورة ، بل قد تمتد المنطقة الحدودية بين نمطين لهجيين على منطقة من الأرض قد تفوق مساحة أحد النمطين أو كلا منهما . إذ لا يمكن أن يتصور المرء نفسه وقد تخطى حداً وهمياً يتوقف الناس عنده عن الكلام بلهجة ما ليدها وباستخدام لهجة أخرى . والذي يحدث في الواقع أن التحول يتم بتدرج بطيء لا يكاد يلحظه المرء . فتبدأ سمات نمط لهجي بالتلاشي تدريجياً حتى تكاد تختفي تماماً . وتبدأ في نفس الوقت تتضح سمات النمط اللهجي المجاور حتى تستقل تماماً مبنية عن هوية ذلك النمط بالذات . وينشأ عن هذا التدرج (التلاشي ثم الوضوح) نمط لهجي ثالث هو منطقة الحدود أو الايسوكلوس (Isogloss) وتكون سمات هذا النمط

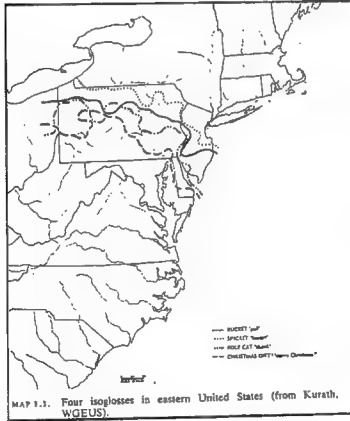


هجيناً من سمات النمطين ويكون ذلك على وجهين، إما بشيوع سمات مشتركة من النمطين الرئيسين. فإذا كانت منطقة الحدود اللهجية بين نمط كسكسة (قلب الكاف إلى صوت مزدوج من التاء والسين كما في لهجة نجد) ونمط كشكشة (قلب الكاف إلى صوت مزدوج من التاء والسين كما في لهجات الخليج والعراق) فإن النمط الحدودي (الثالث) يحتوي على المظهرين أي الكسكسة والكشكشة جنباً إلى جنب، فنجد بعض الناس «يكسسون» وبعضهم «يكششون» أو نجد أن نفس الأفراد يستخدمون كلتا الظاهرتين في كلامهم بلا تمييز. والوجه الثاني لشيوع سمات النمطين اللهجيين المتجاورين في منطقة الحدود هو نشوء ظاهرة ثالثة تكون وسطاً بين الظاهرتين الشائعتين في النمطين اللهجيين الرئيسين. ومثال ذلك ما لاحظته في لهجة «الزلفي» فيما يتعلق بتركيب حرف الجر مع الضمير (به) وتنطق بكسر الباء وتسكين الهاء المهملة، وهذا وسط بين لهجات جنوب نجد كللهجة سدير حيث يشيع التركيب (فيه) وبين لهجات شمال نجد كللهجة القصيم حيث يشيع التركيب (بُه) وتنطق بضم الباء وإهمال الهاء الساكنة. وينطبق ذلك على التركيب من حرف الجر واسم الإشارة فيقولون في الزلفي (بذا) بكسر خفيف مبتور بعد صوت الذال، ومن الواضح أن هذا وسط بين (فيذا) كما هي في سدير و(بذا) بفتح كامل بعد الذال كما في القصيم.

وترسم منطقة الحدود اللهجية عادة على شكل خطوط تشمل حدود انتشار الظواهر اللغوية الشائعة في كل من النمطين المتجاورين ويتم

تركيب عدد من الخطوط تمثل عدد الظواهر ذات العلاقة حتى يتم تكوين «حزمة» (bundle) من الخطوط توضح حدود كل الظواهر اللهجية الشائعة في النمطين وتمثل الخارطة رقم (٢) هذا النوع، وهي توضح أربع مناطق لهجية في شرقي الولايات المتحدة الأمريكية (مأخوذة عن كتاب كوراث «جغرافية المفردات في شرقي الولايات المتحدة» وهي نقلاً عن فرانسيس ١٩٨٣)

### خارطة رقم (٢)



أربعة حدود لهجية في شرقي الولايات المتحدة  
(كوراث «جغرافية المفردات في شرقي الولايات المتحدة»)

وبعد فهذا اقتراح مختصر لأطلس لهجي سعودي وقد يتساءل القارئ الكريم عن جدوى كل هذا العناء ، ولن أسهب في هذا بل سأحاول تقديم أطر للإجابة على شكل نقاط مختصرة :

### أولاً:

لا شك بالعلاقة الوطيدة بين لهجات العربية الفصحى القديمة ولهجاتها المعاصرة . والكشف عن اللهجات المعاصرة وربطها بمواقع جغرافية قد يساعد على معرفة علاقتها باللهجات القديمة التي كان يستخدمها أناس يقطنون نفس المواقع . وقد تكون هذه هي الحلقة المفقودة في سبيل إعادة بناء (Reconstructing) تلك اللهجات ولهجات المملكة العربية السعودية خاصة والجزيرة العربية بشكل عام هي المرشح الأجدر ، والذي يعول عليه في هذا القصد <sup>(٦)</sup>.

### ثانياً:

تهتم الدول المتحضرة بتحديد ما يسمى «بالسياسة اللغوية» وتهدف هذه الدول من ذلك إلى وضع خطط حكومية للتدريب على اللغة واستخدامها . فلا سبيل للإبداع إذا افتقر الإنسان إلى وسيلة الاتصال الضرورية وهي اللغة . والكل يعلم أن اللغة المتعلمة لا تنافس اللغة المكتسبة طبعياً في القدرة على الاتصال . وهكذا فإن المخططين اللغويين بالقدرات اللهجية للمجتمع تمكنهم من وضع الخطط لتعليم اللغة القومية وهي الفصحى . ومن أهم الأمور التي يجب أن تشغل بال أولئك

المخططين هي مسألة الازدواج اللغوي أو وجود مستويين من اللغة وهما العامي والفصحى ومناقشة إمكانية تقريب كل منهما للآخر وخاصة رفع العامي إلى مستوى الفصحى ولن يتسنى ذلك بدون فهمه ووضوحه في أذهانهم، وأظن من يدرس العامي بعمق كافٍ سيفاجأ بقربه الشديد أصلاً للفصحى وأن الأمر لا يتطلب أكثر من نفخ غبار اللحن عنه<sup>(٧)</sup>.

ثالثاً: إن للتراث الشعبي أهمية خاصة عند كل أمم الأرض. ولا يجوز بأي شكل من الأشكال إهمال جزء من حضارتنا، ومرحلة مهمة من تاريخ بلادنا. وهي في الواقع أشد تلك المراحل تعرضاً لخطر الاندثار والزوال التام. فالجهل الذي ساد فيها وفقدان الكتابة والفقر والعوز اللذان كانا صبغتهما الرئيسية كلها أمور تساعد على ذلك. ولا يمكن أن نحفظ هذا التراث بلا حفظ اللغة في مجتمعه. الوقت إذاً يسير سريعاً وإن لم نتدارك ما في ذاكرة كبار السن بيننا قد نعدم الوسيلة إلى الأبد<sup>(٨)</sup>.

رابعاً:

إن لم ننبر لدرس تراثنا بأنفسنا فسيقوم عليه أقوام آخرون ممن اعتادوا على أن يتخذوا من العالم النامي ميادين لأبحاثهم ومعامل لتجارهم باسم علم الإنسان ودراسة الفلكلور وغير ذلك. وهم غالباً ما يشوهون ما يجدون إما بجهل أو بسوء نية. أو بتطبيق نظريات إلحادية منافية لديننا وأعرافنا وتقاليدينا. وهي وإن لم تكن كذلك في مجتمعاتهم فهي على الأقل أحياناً ليست الإطار الفكري المناسب لإدراك حضارتنا وفهم تراثنا.

خامساً :

تُعَدُّ اللغة من أهم المؤشرات التي تستخدم لفهم الشخصية الفردية والتركيب الاجتماعي التي تعتمد عليها بوصفها وسيلة للاتصال الشفهي . ونحن نعني هنا اللغة الشفهية التي يتكلمها الأفراد بسليقة وطبيعية . ولا غرو فهي حقا مفتاح تلك الشخصية ، وربما كانت المفتاح الوحيد لها ولا سبيل للتخطيط المدروس والمبرمج وخاصة في النواحي التعليمية بلا تغفل في أعماق شخصية الفرد ، ناهيك عن التركيبة الاجتماعية للجماعة . إذاً فوجود مرجع لهجي مفصل للهجات مناطق البلاد يسهل على المختصين من مصممي خطط التنمية المختلفة عملهم ويزودهم بالخلفية الاجتماعية المطلوبة للوصول إلى أفضل المقترحات في هذا الشأن<sup>(٩)</sup>.

سادساً :

لعل القارئ يلمس طرافة البحث اللغوي وخاصة في مجال اللهجات ولقد كانت لي تجارب في الميدان مع أناس كبار في السن تعقد الفرحة ألسنتهم عندما يجدون أحداً من الجيل الجديد يبدي اهتماماً بلهجاتهم وموروثهم الحضاري من ألعاب شعبية وحكم وأمثال وأقوال وغيرها . ولنا في علماء اللغة المسلمين أسوة في حماسهم للدراسات الشعبية واحتفائهم بها ، ولعل نظرة إلى كتب الجاحظ مثلا تغري بالولوج إلى هذا الميدان واقتفاء أثره .

## الهوامش

- (١) لا بد أن يسبق ذلك الاتفاق على ألفبائية صوتية عربية. انظر في ذلك المحاولة التي نشرتها عام ٨٦م «السويل ، ١٩٨٦م».
- (٢) لتفصيل ذلك انظر بحث السويل «لهجات وسط الجزيرة العربية ؛ النظرية والمنهج : دراسة حالة» مجلة المأثورات الشعبية، السنة الأولى ، العدد الثالث يوليو ١٩٨٦م.
- (٣) انظر Francis (1983)
- (٤) انظر الصويان (١٩٨٥م).
- (٥) انظر Francis 1985 وغيره كثير من الكتب والأبحاث التي تعنى بعلم اللهجات.
- (٦) يشيع في أدبيات اللغويات العربية كثير من الأمثلة التي تثبت هذه العلاقة بها لا يدع مجالاً للشك . انظر مثلاً أبحاث الدكتور رمضان عبد التواب ومنها عبد التواب (١٩٨١) وغيرها.
- (٧) انظر مثلاً بحث المستشرقة الأمريكية مس آن رويال (١٩٨١م).
- (٨) انظر بحث الدكتور سعد الصويان (١٩٨٥م).
- (٩) انظر في ذلك كتاب "Introduction to Linguistic" لمؤلفه Crane وآخرين (١٩٨٣) وكذلك بحث الدكتور أحمد سيد محمد (١٩٨١م).

## المراجع العربية

- ١ ثويدش مانفريد وبيتر بينشتيت (١٩٨١م) «الأطلس اللغوي المصري وملاحظات حول لهجات مصر» في كتاب دراسات في اللهجات العربية ، كلية الآداب بسوهاج ص ص ١٤٩ - ٢١٧ .
- ٢ رويال ، مس آن (١٩٨١م) «علم اللغة والسياسة اللغوية في مصر» في كتاب دراسات في اللهجات العربية ، كلية الآداب بسوهاج ص ص ١٨٥ - ٢٤٠ .
- ٣ السويل ، عبدالعزيز (١٩٨٦م) «نحو ألفبائية صوتية عربية موحدة اقترح لعلماء

- الصوتيات العرب» مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود المجلد الثالث عشر،  
العدد الأول ص ص ٢٢٧ - ٢٦٥ .
- السويل، عبدالعزيز (١٩٨٦) «لهجات وسط الجزيرة العربية، النظرية والمنهج:  
دراسة حالة» مجلة المأثورات الشعبية السنة الأولى العدد الثالث . الدوحة . قطر
- ٤ الصويان، سعد (١٩٨٥ م) «جمع المأثورات الشفهية» مركز التراث الشعبي لدول  
الخليج العربية، الدوحة، قطر .
- ٥ عبد التواب، رمضان (١٩٨١ م) «عن امتداد اللهجات العربية القديمة في بعض  
اللهجات المعاصرة» في كتاب دراسات اللهجات العربية، كلية الآداب بسوهاج  
ص ص ١٧ - ٤٠ .
- ٦ محمد، أحمد سيد (١٩٨١ م) «اللهجة العامة ودورها في الكشف عن الشخصية من  
خلال الأمثال الشعبية» في كتاب دراسات في اللهجة العربية، كلية الآداب  
بسوهاج ص ص ٨٤ - ١٠٨ .
- ٧ المعتوق، شريفة (١٩٨٦ م) «لهجة العجمان في الكويت، دراسة لغوية» مركز  
التراث الشعبي لدول الخليج العربية، الدوحة، قطر .

### المراجع الأجنبية

- 1 - Crane, B. et al (1981) "An Introduction to Linguistics" Little, Brown and Co. Boston.
- 2 - Francis, W. (1983) "Dialectology: An Introduction" Longman London.
- 3 - Kurath, H. (1949) "A Word Geography of the Eastern United States" Ann Arbor; University of Michigan Press.

# تنبيهات على بعض سنوات

الوفيات في كتاب

الحافظ ابن حجر العسقلاني

«تقريب التهذيب»

د. شاكر ذيب فياض

فيعتبر كتاب تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - من أهم كتب الرجال وأكثرها فائدة ونفعا، وذلك تبع لجلالة قدر مؤلفه، وسعة علمه، وعلو منزلته، ورسوخ قدمه في علوم الحديث جميعا، ومنها علم الرجال والجرح والتعديل. وتبع أيضا لكونه مختصرا غير مطول، مما يوفر على الباحثين عناء الترجيح بين أقوال العلماء في الرواة، وهو أمر لا يكاد يتقنه إلا الخاصة.





وكان من اهتمامات الحافظ في هذا الكتاب ، ذكر طبقات الرواة :

استغناء عن ذكر الشيوخ والتلاميذ . إذ الطبقة عنده تعرف بعصر الراوي وتقوم مقام ذكر شيوخه والرواة عنه <sup>(١)</sup> ، واستغناء عن ذكر لفظ المائة أو المائتين حين يبين سنوات الوفيات . قال الحافظ <sup>(٢)</sup> : (وذكرت وفاة من عرفت سنة وفاته منهم ، فإن كان من الأولى والثانية فهم قبل المائة ، وإن كان من الثالثة إلى آخر الثامنة فهم بعد المائة ، وإن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات فهم بعد المائتين . ومن ندر عن ذلك بيته) .

وهذا يعني أن الحافظ - رحمه الله - يكتفي بذكر العدد الأحادي والعشرين في سنة الوفاة إلى جانب ذكر طبقة الراوي ليدلّل إن كانت سنة الوفاة قبل المائة ، أو بعدها أو بعد المائتين .

يقول في ترجمة أسامة بن زيد بن حارثة <sup>(٣)</sup> :

صحابي مشهور مات سنة أربع وخمسين .

ويقول في ترجمة الأسود بن يزيد بن قيس النخعي <sup>(٤)</sup> :

من الثانية ، مات سنة أربع أو خمس وسبعين .

ويقول في ترجمة أبان بن صالح بن عمير <sup>(٥)</sup> :

من الخامسة ، مات سنة بضع عشرة وهو ابن خمس وخمسين .

ويقول في ترجمة أبان بن تغلب الكوفي <sup>(٦)</sup> :

من السابعة ، مات سنة أربعين .

ويقول في ترجمة أحمد بن إبراهيم بن خالد <sup>(٧)</sup> :

من العاشرة ، مات سنة ست وثلاثين .

ويقول في ترجمة أحمد بن إبراهيم بن فيل<sup>(٨)</sup>:

من الثانية عشرة، مات سنة أربع وثمانين.

ففي هذه الأمثلة جميعا لا يذكر لفظ المائة أو المائتين مكتفيا بدلالة الطبقة عليها.

وهكذا يفعل في عامة تراجم الكتاب التي يذكر فيها سنوات الوفيات: من كان من الصحابة (وطبقتهم هي الطبقة الأولى) أو من الطبقة الثانية فهم دون المائة ومن كان من الثالثة إلى آخر الثامنة فهم من بعد المائة، ولا يذكر الحافظ - غالبا - لفظ المائة في سنوات وفياتهم. ومن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات فهم بعد المائتين ولا يذكر الحافظ - في الغالب أيضا - لفظ المائتين.

وقول الحافظ (ومن ندر عن ذلك بينته) يُشعر بوجود رواة تحالف طبقاتهم وسنوات وفياتهم منهجه الذي سار عليه وقاعدته التي ذكرها. ولذا شرط على نفسه أن يبينهم ويبنه عليهم.

وقد كان بيانه - رحمه الله - بصور متنوعة:

١ - منها التصريح بذكر لفظ المائة أو المائتين. كسأن يكون الرجل من الطبقة الأولى، أو الثانية وتأخرت وفاته إلى ما بعد المائة كما في ترجمة الصحابي عامر بن واثلة، رضي الله عنه - حيث قال الحافظ<sup>(٩)</sup>: (مات سنة عشر ومائة، وهو آخر من مات من الصحابة).

وكما في ترجمة يزيد بن عبد الله بن الشخير<sup>(١٠)</sup> حيث قال الحافظ: (من الثانية، مات سنة إحدى عشرة ومائة)

ففي هاتين الحالتين لا يكفي ذكر الطبقة للدلالة على سنة الوفاة بدقة لذا يبين الحافظ - كما شرط - ويصرح بذكر المائة.

ومثل ذلك أن يكون الراوي من الطبقة السابعة ، أو الثامنة ويتوفى بعد المائتين كما في ترجمة معمر بن المثنى<sup>(١١)</sup>، حيث قال الحافظ : (من السابعة ، مات سنة ثمان ومائتين) .

وهنا بين الحافظ أيضا سنة الوفاة بذكر المائتين لأن الطبقة لم تدل عليها . وقد تتقدم سنة وفاة الراوي مع كونه من طبقة متأخرة مثل أن يكون الراوي من الطبقة الثالثة أو الرابعة أو الخامسة وتكون سنة وفاته دون المائة أو يكون الراوي من الطبقة التاسعة أو العاشرة وتكون سنة وفاته دون المائتين فلا يتحقق ما ذكره الحافظ من منهجه أن من كان من التاسعة إلى آخر الطبقات فهم بعد المائتين وحينئذ قد يوقع ذلك في اللبس والإشكال لذا قال الحافظ : ومن ندر عن ذلك بيته .

مثال ذلك قوله في ترجمة سعيد بن مرجانة<sup>(١٢)</sup> : (مات قبل المائة بثلاث سنين ، من الثالثة) :

وقوله في ترجمة سعيد بن خيثم<sup>(١٣)</sup> : (من التاسعة ، مات سنة ثمانين ومائة) . وقوله في ترجمة معن بن عيسى : (من كبار العاشرة ، مات ثمان وتسعين ومائة) . فلو قال في ترجمة سعيد بن مرجانة مات سنة سبع وتسعين ، من الثالثة لتبادر للذهن أن ذلك بعد المائة لما تقدم من قوله (وإن كان من الثالثة إلى آخر الثامنة فهم بعد المائة) . لذا كان لا بد من البيان كما شرط بقوله (ومن ندر عن ذلك بيته) فينبه بذكر الوفاة قبل المائة .

وكذلك فعل في ترجمة سعيد بن خيثم (من التاسعة) ومعن بن عيسى (من العاشرة) . فلو أنه لم يصرح بذلك المائة في سنتي وفاتيها لتبادر إلى الذهن أنها توفيا بعد المائتين لما تقدم من قوله (ومن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات فهم بعد المائتين) . لذا كان بيانه بالتصريح أن الوفاة قبل المائتين .

٢- ومنها أن يصرح الحافظ أن سنة الوفاة بعد الثلاثمائة ، لعدم دلالة الطبقة عليها ، لما تقدم من قوله : ( وإن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات فهم بعد المائتين ) .

ففي ترجمة عباس بن الفضل بن زكريا الهروي<sup>(١٤)</sup> يذكر الحافظ أنه من الثانية عشرة بل من التي بعدها وأنه مات سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة .

وفي ترجمة علي بن حسين بن حرب<sup>(١٥)</sup> يقول (من الثانية عشرة ، مات سنة تسع عشرة وثلاثمائة) . فلو ترك الحافظ ذكر الثلاثمائة في الترجمتين المذكورتين لتبادر إلى الذهن أن سنتي وفاتيها بعد المائتين لا بعد الثلاثمائة لما تقدم من قوله (وإن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات فهم بعد المائتين) . لذا بين الحافظ ذلك بتصريحه أن الوفاة بعد ثلاثمائة والتزم بشرطه (ومن ندر عن ذلك بينته) .

٣- ومن صور البيان عند الحافظ أن يذكر أكثر من قول في سنة وفاة الراوي ، ويكون في أحدها - وإن كان مرجوحا - الدلالة الواضحة على تحديد سنة الوفاة بدقة .

ففي ترجمة ابن المليح بن أسامة بن عمير يقول الحافظ<sup>(١٦)</sup> : (من الثالثة مات سنة ثمان وتسعين وقيل ثمان ومائة ، وقيل بعد ذلك) . فذكر القول الثاني في سنة الوفاة - وإن كان بصيغة التعريض - وجه من وجوه البيان عند الحافظ يرحمه الله .

٤ - وقد يكون بيان الحافظ لمن يندر عن قاعدته - بذكر حدث تاريخي معروف يوضح سنة الوفاة بدقة إن كانت قبل أو بعد المائة أو المائتين .

كما في ترجمة عبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق<sup>(١٧)</sup> حيث يقول الحافظ : (من الثالثة قتل بالحرّة سنة ثلاث وستين) .

وكما في ترجمة عقبة بن وساج الأزدي<sup>(١٨)</sup> حيث يقول الحافظ : (من الثالثة ، قتل بعد الثمانين بالزاوية أو بالجهاجم) .

أو كما في ترجمة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان<sup>(١٩)</sup> حيث يقول الحافظ : (ولي  
الخلافة سنة ستين ومات سنة أربع ولم يكمل الأربعين من الثالثة) .  
فالخلة أو الزاوية أو الجاهم أو خلافة يزيد وهو أموي (ومعروف أن الدولة  
الأموية لم تمتد إلى سنة ستين ومائة) أحداث وقعت دون المائة يعرفها كثير من  
الناس .

فلو أن الحافظ رحمه الله لم يذكر الخلة أو الزاوية أو الجاهم أو كون يزيد من  
خلفاء بني أمية لتبادر إلى الذهن أن سنوات من ذكروا جميعا كانت بعد المائة  
لأنهم جميعا من الطبقة الثالثة وقد ذكر الحافظ أن من كان من الثالثة إلى آخر  
الثامنة فهم بعد المائة . لذا التزم الحافظ بشرطه وبين أن سنوات وفيات هؤلاء  
دون المائة وذلك بذكر حدث تاريخ مشهور أنه دون المائة .

وبمثل ما تقدم بين الحافظ عددا كبيرا ممن ندرنا عن قاعدته ولم تنطبق  
عليهم . غير أن هناك عددا من الرواة فات الحافظ بيانهم فلم يتعرض لتحديد  
سنوات وفياتهم بأي من الصور المتقدمة ولم ينبه عليهم ، ولا بد أن يكون له  
عذره يرحمه الله .

وعدم بيان هؤلاء قد يوقع بعض طلبة العلم أو المتسرعين من الباحثين في  
الخطأ والزلل ، لذا حرصت على جمع هؤلاء الرواة في هذا البحث مع بيان سنوات  
وفياتهم دون اختصار ، رغبة في خدمة هذا الكتاب الجليل .

ولست بهذا أدعي فهمي لم يدركه الحافظ - يرحمه الله - أو معرفة يعجز عنها ،  
معاذ الله أن يخطر هذا على البال فإن للحافظ منزلة - في هذا الفن - لم يصل إليها  
بعد أحد ممن جاء بعده . كما لا أدعي أنه معصوم - يرحمه الله - من الخطأ والزلل  
والنسيان ، ومن يشتغل بالكثير ويتقنه فلا بد أن يفوته النزر اليسير ، والله الموفق  
والهادي إلى سواء السبيل .

وقبل سرد أسماء هؤلاء والاستدلال على سنوات وفياتهم الصحيحة أود بيان أربعة أمور اتبعتها في هذا البحث هي :

أولاً: أن الحافظ قد يذكر أكثر من سنة في وفاة الراوي . وليس غرضي التحقيق في صحتها أو ترجيح سنة على أخرى . وإنما غرضي بيان ما فات الحافظ من ذكر لفظ «المائة» أو «المائتين» .

ثانياً: وقد يذكر الحافظ سنة واحدة في وفاة الراوي ، ويذكر غيره سنوات أخرى . فأحرص في هذه الحالة على ذكر المصدر الذي اعتمده . وأعرض عن ذكر الأقوال الأخرى في سنة الوفاة .

ثالثاً: تذكر أغلب المراجع سنوات الوفيات بلا اختصار . ومنهجي في هذا البحث أن أذكر بعض هذه المراجع لا أستقصي رغبة عن الإطالة . وأرجو أن يفني ما أذكره بالمقصود .

رابعاً: إن عدداً غير قليل ذكرت سنوات وفياتهم دون المائة وهم من الطبقة الثالثة أو الرابعة أو الخامسة ، والتصرف العادي أن تذكر السنوات دون اختصار لكن ذكر الطبقة مشعر - للوهلة الأولى المتسعة - أن ذلك بعد المائة . لذا رأيت أن أذكرهم في هذا البحث وأن أذكر سنوات وفياتهم في المصادر الأخرى خالية من ذكر المائة وعندني أن هذا من البيان المطلوب . والله أعلم .

خامساً: تقدم في البند رقم (٤) من صور بيان الحافظ لمن ندرؤا عن قاعدته أنه يذكر معلومات تاريخية معروفة ليدل إن كانت سنة وفاة الراوي دون المائة أو بعدها ، ولكن لما كان احتمال عدم الانتباه لهذه المعلومات التاريخية وعدم معرفتها من قبل بعض طلبة العلم فقد عمدت إلى ذكرهم ضمن هذا البحث .

سادساً: سأبين - إن شاء الله - في التراجم الخمسة الأولى فقط من الرواة

المقصودين بالبحث كيف فات الحافظ بيانهم وكيف أنه - رحمه الله - نسي شرطه الذي ألزم نفسه به ، وما يمكن أن يترتب عليه من اللبس والإشكال . وأرجو أن يقاس باقي التراجم عليها ، فإن حالاتهم متشابهة ، والأمر لا يحتاج إلى التكرار والإطالة .

سابعاً : اختصرت أسماء بعض المراجع على النحو التالي :

التذكرة	أريد به	تذكرة الحافظ
التقريب	أريد به	تقريب التهذيب
التهذيب	أريد به	تهذيب تهذيب الكمال
الخلاصة	أريد به	خلاصة تذهيب تهذيب الكمال

هذا وقد سميت تنبيهات على بعض سنوات الوفيات في كتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني «تقريب التهذيب» .

وبعد فأرجو أن أكون قد وفقت فيما أردت ، وأن يكون ذلك في سبيل الله .  
والحمد لله رب العالمين .

والرواة المقصودون في هذا البحث هم :

١ - إبراهيم بن يزيد بن شريك التميمي : من الخامسة مات سنة اثنتين وتسعين . وله أربعون سنة . (التقريب ٩٥) .

لم يبين الحافظ سنة وفاته إن كانت قبل المائة أو بعدها . ولما كان المترجم له من الطبقة الخامسة فالمتبادر إلى الذهن أنه بعد المائة لما تقدم من قول الحافظ (وإن كان من الثالثة إلى آخر الثامنة فهم بعد المائة) .  
والصحيح أن وفاته كانت دون المائة وقد فات الحافظ بيانه ، ففي

التهذيب ١/١٧٦ والثقات ٤/٧، والخلاصة ٢٠، والتذكرة ١/٣ (مات سنة ٩٢).

٢- إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي: من الخامسة مات سنة ست وتسعين، وهو ابن خمسين أو نحوها. (التقريب ٩٥).

وهذا أيضا لم يبينه الحافظ كالذي قبله. فهو من الطبقة الخامسة الذين ذكر الحافظ أن سنوات وفياتهم بعد المائة فالمتبادر إلى الذهن مرة أخرى أن سنة وفاة إبراهيم النخعي بعد المائة لكونه من الخامسة، وليس كذلك إذ الصحيح أن وفاته كانت دون المائة. ولم يبين ذلك الحافظ. ففي التهذيب ١/١٧٨، والخلاصة ٢٠ (قال أبو نعيم مات سنة ٩٦). وفي التذكرة ١/٧٣ (مات سنة ٩٥) وقال ابن حبان بفي الثقات ٤/٨ (مات سنة ٩٥ أو ٩٦).

٣- أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد: من الثالثة مات سنة سبع وثمانين (التقريب ١١٤).

لم يبين الحافظ أن وفاة أمية كانت دون المائة وظاهر كلامه مشعر بأنها بعد المائة - لكونه من الطبقة الثالثة وهي طبقة يتوفى من كان منها - إلا من ندر - بعد المائة - كما تقدم في قول الحافظ. وأمية هذا قد ندر عن قاعدة الحافظ ومع ذلك لم يبينه. وفي التهذيب ١/٣٧٢ (قال المدائني مات سنة ٨٧). وفي الثقات ٤/٤٠ (مات في طاعون الفتيات سنة ٨٦). وفي الخلاصة ٣٤ (مات سنة ٨٤ أو ٨٧).

٤- أوس بن عبد الله الربيعي: من الثالثة مات سنة ثلاث وثمانين. (التقريب ١١٦).



والكلام على أوس كالكلام على أمية فكونه من الثالثة مشعر أن وفاته بعد المائة . ولكن أوسا هذا قد ندر عن قاعدة الحافظ ، ومع ذلك لم يبينه . ففي التهذيب ١ / ٣٨٤ والثقات ٤ / ٤٢ والخلاصة ٣٥ أنه قتل في الجهاجم سنة ٨٣ . وليس في الخلاصة ذكر الجهاجم .

٥ - بشر بن السري : من التاسعة مات سنة خمس ، أو ست وتسعين وله ثلاث وستون (التقريب ١٢٣) .

وهذا أيضا لم يبين الحافظ سنة وفاته بدقة . وظهرها أنه توفي سنة خمس وتسعين ومائتين أو ست وتسعين ومائتين لكونه من الطبقة التاسعة لما مضى من قول الحافظ (وإن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات فهم بعد المائتين) . لكن بشرا هذا قد ندر عن هذه القاعدة وكانت وفاته سنة خمس وتسعين ومائة ، ولم يبين ذلك الحافظ . والذي في التاريخ الصغير ٢١٢ ، وثقات ابن حبان ٨ / ١٣٩ ، والخلاصة ٤٠ (مات سنة خمس وتسعين ومائة) .

٦ - تميم بن طرفة الطائي : من الثالثة مات سنة خمس وتسعين (التقريب ١٣٠) . في التهذيب ١ / ٥١٣ (قال ابن أبي عاصم مات سنة ٩٥) . وفي الخلاصة ٤٧ (مات سنة ٩٥) وفي الثقات ٤ / ٨٥ (مات سنة ٧٣ أو ٨٤) .

٧ - جعفر بن عمرو بن أمية الضمري : من الثالثة مات سنة خمس أو ست وتسعين (التقريب ١٤٠) . في التهذيب ٢ / ١٠٠ والخلاصة ٥٤ (قال خليفة : مات سنة ٩٥ أو ٩٦) . وانظر قول خليفة في تاريخه ٤١٢ / ١ .

- ٨- الحارث بن عطية البصري : من التاسعة مات سنة تسع وتسعين .  
(التقريب ١٤٧). في التهذيب ١٥١ / ٢ (قال ابن سعد: توفي سنة ١٩٩) وهو كذلك في الطبقات الكبرى (٧/ ٤٩٠).
- ٩- الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب : من الرابعة مات سنة سبع وتسعين .  
(التقريب ١٥٩).
- في التهذيب ٢٦٣ / ٢ والخلاصة ٦٥ (توفي سنة ٩٧).
- ١٠- حكيم بن جابر بن طارق الأحمسي : من الثالثة مات سنة اثنتين وثلاثين وقيل سنة خمس وتسعين . (التقريب ١٧٦).
- في التهذيب ٤٤٤ / ٢ (قال ابن حبان: مات في آخر إمارة الحجاج . . . وأرخه ابن زبر سنة ٨٢ وأرخه أبو يعقوب القراب سنة ٩٥) وقول ابن حبان مذكور في الثقات ٤ / ١٦٠ . وفي الخلاصة ٧٧ (توفي سنة اثنتين وثلاثين أو خمس وتسعين).
- قلت : انتهت إمارة الحجاج سنة ٩٥ كما في تاريخ خليفة ١ / ٤١٠ .
- ١١- خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي : من الثالثة مات سنة تسعين (التقريب ١٩١).
- في التهذيب ١٢٨ / ٣ ، والخلاصة ٨٨ (مات سنة تسعين).
- ١٢- خبيب بن عبد الله بن الزبير بن العوام : من الثالثة مات سنة ثلاث وتسعين (التقريب ١٩٢).
- في التهذيب ١٣٥ / ٣ والثقات ٤ / ٢١١ والبداية والنهاية ٩ / ٨٧ (مات سنة ٩٣).

١٣ - خيشمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة : من الثالثة مات بعد سنة ثمانين .  
(التقريب ١٩٧).

في التهذيب ١٧٩/٣ ، وتاريخ خليفة ٤٠١/١ (مات بعد سنة ثمانين) . وفي التهذيب أيضا وفي الخلاصة ٩٢ (مات سنة ثمانين) .

١٤ - زرارة بن أوفى العامري : من الثالثة ، مات سنة ثلاث وتسعين .  
(التقريب ٢١٥) . في التهذيب ٣٢٢/٣ والخلاصة ١٠٣ (قال ابن سعد : توفي سنة ٩٣)

قلت : الذي في طبقات ابن سعد ١٥٠/٧ (مات زرارة سنة ثلاث وسبعين في خلافة الوليد بن عبد الملك) . وأرى أن ذكر السبعين خطأ صوابه «تسعون» كما في التهذيب والخلاصة ، لأن خلافة الوليد كانت من سنة ٨٦ إلى سنة ٩٦ كما في تاريخ خليفة ٣٩٦/١ - ٤١٣ . وفي الثقات ٢٦٦/٤ (مات في ولاية عبد الملك بن مروان في أول قدوم الحجاج العراق قبل ابن سيرين . وقيل مات سنة ٩٣)  
قلت : كانت ولاية عبد الملك من سنة ٦٥ إلى سنة ٨٦ كما في تاريخ خليفة ٣٢٩/١ ، ٣٨١ .

١٥ - زياد بن ربيعة بن نعيم الحضرمي : من الثالثة مات سنة خمس وتسعين . (التقريب ٢١٩) . في التهذيب ٣٦٠/٣ (مات سنة ٩٥) .

١٦ - سعيد بن جبير الأسدي : من الثالثة قتل سنة خمس وتسعين .  
(التقريب ٢٣٤) .

في التهذيب ١٣/٤ ، والثقات ٢٧٥/٤ والخلاصة ١١٦ (قتله الحجاج سنة ٩٥) .



- ١٧- سعيد بن فيروز أبو البختري: من الثالثة مات سنة ثلاث وثمانين .  
(التقريب ٢٤٠). في التهذيب ٧٣/٤ والثقات ٢٨٦/٤ والخلاصة  
١٢٠ أنه مات في الجماجم سنة ٨٣.
- ١٨- سفيان بن حبيب البصري: من التاسعة مات سنة اثنتين وقيل ست  
وثمانين وله ثمان وخمسون سنة . (التقريب ٢٤٤).  
في التهذيب ١٠٧/٤ ، الخلاصة ١٢٣ ، والتاريخ الصغير ١٩٩ أنه  
مات سنة اثنتين وثمانين ومائة (وذكره البخاري فيمن مات من بين  
الثمانين إلى تسعين ومائة وقال (حدثني نصر بن علي قال : أظن مات  
سفيان بن حبيب سنة ثنتين وثمانين).  
وزاد في التهذيب (قال أبو بكر بن أبي عاصم : مات سنة ست  
وثمانين . وقال ابن حبان مات أول سنة ثلاث وثمانين ومائة) وقول ابن  
حبان في الثقات ٤٠٥/٦.
- ١٩- سلمة بن الفضل الأبرش: من التاسعة مات بعد التسعين وقد جاز  
المائة . (التقريب ٢٤٨).  
في التهذيب ١٥٤/٤ (قال البخاري : مات بعد التسعين ومائة .  
قرأت بخط الذهبي :  
مات سنة ٩١ وكأنه أخذه من قول البخاري). يعني سنة ١٩١ . وهو  
في العبر ٢٣٨/١ . وقول البخاري موجود في التاريخ الصغير ٢١٠  
ومثله في الثقات ٢٨٧/٨.
- ٢٠- سلامة بن روح بن خالد: من التاسعة مات سنة سبع أو ثمان  
وتسعين . (التقريب ٢٦١).

في التهذيب ٢٩٠/٤، والخلاصة ١٣٦ (مات سنة سبع وتسعين ومائة).

٢١- سليم بن أسود بن حنظلة أبو الشعثاء المحاربي: من كبار الثالثة مات في زمن الحجاج. وأرخه ابن قانع سنة ثلاث وثمانين. (التقريب ٢٤٩).

ذكر في التهذيب ١٦٥/٤ عن خليفة أنه مات سنة ٨٢ وعن ابن قانع سنة ٨٥. وقول خليفة ثابت في تاريخه ٣٧٣/١ ومثله قول الذهبي في العبر ٧٠/١.

٢٢- سليمان بن قيس الشكري: من الثالثة. مات قديماً قبل الثمانين. (التقريب ٢٥٣) في التهذيب ٢١٥/٤ والثقات ٣٠٩/٤ والخلاصة ١٣٠ أنه مات في فتنة ابن الزبير.

قلت: مات ابن الزبير سنة ٧٣ كما في تاريخ خليفة ٣٤٢/١، والتقريب ٣٠٣.

٢٣- شعيب بن إسحق بن عبد الرحمن الأموي: من كبار التاسعة مات سنة تسع وثمانين. (التقريب ٢٦٦). في التهذيب ٣٤٨/٤ والثقات ٤٣٩/٦ والخلاصة ١٤١ أنه مات سنة ١٨٩.

٢٤- طارق بن عمرو المكي الأموي أمير المدينة لعبد الملك: من الثالثة مات في حدود الثمانين. (التقريب ٢٨١).

لم أجد من ذكر سنة وفاته لكن في التهذيب ٧٠/٥ أنه سمع جابر بن عبد الله وأنه كان والياً لعبد الملك على المدينة سنة ٧٢ ثم عزله سنة ٧٣ وولى الحجاج بن يوسف.

٢٥- طريف بن مجالد الهجيمي أبو تميمه : من الثالثة مات سنة سبع وتسعين أو قبلها أو بعدها . (التقريب ٢٨٢) .

نقل في التهذيب ١٣/٥ عن الواقدي أنه مات سنة ٩٧ وعن ابن أبي عاصم أنه مات سنة ٩٩ . وفي الثقات ٣٩٦/٤ والخلاصة ١٥١ (مات سنة ٩٥) .

٢٦- طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري ابن أخي عبد الرحمن : من الثالثة مات سنة سبع وتسعين وهو ابن اثنتين وسبعين (التقريب ٢٨٢) .

وفي التهذيب ١٩/٥ والخلاصة ١٥٢ عن ابن سعد قال : مات سنة ٩٧ . وانظر قوله في الطبقات الكبرى ١٦١/٥ . وبمثل قول ابن سعد قال ابن حبان في الثقات ٣٩٢/٤ .

٢٧- طلق بن حبيب العنزي : من الثالثة مات بعد التسعين (التقريب ٢٨٣) .

نقل في التهذيب ٣١/٥ عن الطبراني في الأوسط أنه مات ما بين التسعين والمائة . وفي الخلاصة ١٥٣ (قتله الحجاج هو وسعيد بن جبير) . وقد مضى في ترجمة حكيم بن جابر أن الحجاج توفي سنة ٩٥ .

٢٨- عاصم بن ضمرة السلولي : من الثالثة مات سنة أربع وسبعين (التقريب ٢٨٥) . في التهذيب ٤٥/٥ والخلاصة ١٤٥ نقلا عن خليفة أن عاصم مات سنة ١٧٤ . وزاد في التهذيب (في ولاية بشر بن مروان) .

قلت : ذكر المائة فيهما بعد سنة ٧٤ خطأ قطعاً لأمر:  
أحدها : أن في تاريخ خليفة ٣٥٠/١ - وهو مصدرهما - أن عاصم مات سنة ٧٥ .

وثانيها: النظر في سنوات وفيات شيوخه وتلاميذه وتغليب أن سنة وفاته كانت وسطا بينها، فمن شيوخه - كما في التهذيب علي بن أبي طالب رضي الله عنه - قتل سنة ٤٠ كما هو مشهور، ومن تلاميذه - كما في التهذيب أيضا: حبيب بن أبي ثابت (مات سنة ١١٩) والحكم بن عتيبة (مات سنة ١١٣) وأبو إسحق السيعي (مات سنة ١٢٩).  
 (انظر سنوات وفياتهم في التقريب ١٥٠، ١٧٥، ٤٢٣ على التوالي).  
 وثالثها: أن ولاية بشر بن مروان - وفيها مات عاصم - كانت ما بين سنة ٧٤ وأول سنة ٧٥ كما في تاريخ خليفة ١/ ٣٤٩.

٢٩- عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل: من الثالثة مات سنة تسع وتسعين. (التقريب ٣٠٩).

في التهذيب ٥/ ٢٨٤ والخلاصة ١٧٢ أن السموم قتله سنة ٩٩.  
 ٣٠- عبد الله بن عمر بن غانم: من التاسعة مات سنة تسعين. (التقريب ٣١٥).

في التهذيب ٥/ ٣٣٢ والخلاصة ١٧٦ (مات سنة ١٩٠).  
 ٣١- عبد الله بن عمرو بن عثمان الأموي: من الثالثة مات سنة ست وتسعين (التقريب ٣١٥).

في التهذيب ٥/ ٣٣٩ والخلاصة ١٧٦ (مات سنة ٩٦ بمصر).  
 ٣٢- عبد الله بن غالب الحداني: من الثالثة قتل مع ابن الأشعث سنة ثلاث وثمانين. (التقريب ٣١٧).

في التهذيب ٥/ ٣٥٤ والتاريخ الكبير ٥/ ١٦٦ (قتل بالجماحم سنة ثلاث وثمانين).

٣٣- عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري: من الثالثة مات سنة خمس وتسعين. (التقريب ٣١٨).

قبال ابن حبان في الثقات ٢٠/٥: (مات سنة ٩٥)، وكذا في الخلاصة ١٧٨ نقلا عن ابن حبان. لكن لما نقل في التهذيب ٣٦٠/٥ سنة الوفاة عن ابن حبان قال سنة ٩٩. وأياها كان فهو دون المائة.

٣٤- عبد الله بن كثير الدمشقي: من التاسعة مات سنة ست وتسعين. (التقريب ٣١٨).

في التهذيب ٣٦٩/٥ والخلاصة ١٧٨ (مات سنة ١٩٦).

٣٥- عبد الله بن كليب بن كيسان المرادي: من التاسعة مات سنة ثلاث وتسعين. (التقريب ٣١٩).

في التهذيب ٣٧٠/٥ والثقات ٥٧/٧ (مات سنة ١٩٣).

٣٦- عبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق: من الثالثة قتل بالحرّة سنة ثلاث وستين.

(التقريب ٣٢٠).

في التهذيب ٧/٦. (قتل بالحرّة في ذي الحجة سنة ٦٣) وفي الخلاصة ١٨٠ (قال مصعب: قتل يوم الحرّة).

قلت: كانت الحرّة سنة ٦٣ كما في تاريخ خليفة ٢٨٩/١.

٣٧- عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب: من الرابعة مات سنة تسع وتسعين. (التقريب ٣٢١).

في التهذيب ١٦/٦ عن الهيثم بن عدي وخليفة بن خياط أنه مات سنة ٩٩. (انظر تاريخ خليفة ٤٣٣/١). وذكر أيضاً عن غيرهما أنه مات سنة ٩٨. وفيها أرخ وفاته صاحب الخلاصة ١٨٠.



٣٨- عبد الله بن محيريز الجمحي : من الثالثة مات سنة تسع وتسعين .  
(التقريب ٣٢٢). في التهذيب ٦/ ٢٣ والتذكرة ١/ ٦٨ والعبر في خبر  
من غير ١/ ٨٨ أنه توفي سنة ٩٩ . وفي الخلاصة ١٨١ أنه مات في  
خلافة عمر بن عبد العزيز (هي من سنة ٩٩ إلى سنة ١٠١ كما في  
تاريخ خليفة ١/ ٤٢٧ ، ٢/ ٤٦١).

٣٩- عبد الله بن مسافع : من الرابعة مات سنة تسع وتسعين . (التقريب  
٣٢٢).

في التهذيب ٦/ ٢٦ (مات مرابطاً مع سليمان بن عبد الملك ومات  
سليمان بعده بيسير سنة ٩٩ بالشام) وفي الخلاصة ١٨١ (مات مرابطاً  
بدابق سنة ٩٨).

٤٠- عبد الله بن المسيب بن أبي السائب : من الثالثة مات سنة بضع  
وستين . (التقريب ٣٢٣).

يلاحظ أن الحافظ هنا لم يحدد بالضبط سنة وفاته ، لكن واضح أنه  
قدره تبعاً لما نقله في التهذيب ٦/ ٣٣ عن ابن حبان أنه مات في أيام  
ابن الزبير . وفيه أيضاً نقلاً عن الزبير بن بكار أن عمار بن ياسر حمله  
على ظهره . وأيام خلافة ابن الزبير كانت ما بين سنة ٦٤ وسنة ٧٣ كما  
ذكره خليفة بن خياط في تاريخه ١/ ٣٢٣ ، ٣٤٣ . وفي ثقات ابن  
حبان ٥/ ٤٩ أن عبد الله بن المسيب روى عن عمر وأن أبي مليكة  
(توفي سنة ١١٧ كما في التقريب ٣١٢) روى عنه . وبذا يظهر قدمه  
وأنه مات دون المائة قطعاً .

٤١- عبد الله بن مطرف بن عبد الله بن الشخير : من الثالثة مات سنة سبع  
وثمانين . (التقريب ٣٢٣).

في الخلاصة ١٨٢ (قيل : مات سنة ٨٧) . ولم أجد من ذكر سنة وفاته هكذا غيره . لكن في التهذيب ٣٥ / ٦ والتاريخ الكبير ٣ / ١ / ١٩٦ والثقات ٦ / ٥ أن عبد الله مات قبل أبيه مطرف ، وكان موت مطرف سنة ٩٥ كما في التهذيب ١٧٤ / ١٠ والتذكرة ٦٥ / ١ والخلاصة ٣٢٤ .

٤٢ - عبد الله بن معقل بن مقرن المزني : من كبار الثالثة مات سنة ثمان وثمانين . (التقريب ٣٢٤) .

ذكر في التهذيب ٤٠ / ٦ نقلا عن ابن حبان أنه توفي سنة بضع وثمانين ، وعن البخاري أنه مات ٨٨ . (وانظر الثقات ٣٥ / ٥ والتاريخ الكبير ٣ / ١ / ١٩٥) .

٤٣ - عبد الله بن نمير الهمداني : من كبار التاسعة مات سنة تسع وتسعين . (التقريب ٣٢٧) .

في التهذيب ٥٨ / ٦ والثقات ٦١ / ٧ والتذكرة ٣٢٧ / ١ والخلاصة ١٨٤ (مات سنة ١٩٩) .

٤٤ - عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي : من التاسعة مات سنة سبع وتسعين . (التقريب ٣٢٨) .

في التهذيب ٧٣ / ٦ والتذكرة ٣٠٦ / ١ (مات سنة ١٩٧) . لكن في الخلاصة ١٨٥ (مات سنة ١٩٩) .

٤٥ - عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد النخعي : من الثالثة مات سنة تسع وتسعين . (التقريب ٣٣٦) .

في التهذيب ١٤٠ / ٦ نقل عن خليفة بن خياط أن عبد الرحمن مات

قبل المائة في آخر خلافة سليمان . ونقل عن ابن حبان أنه مات سنة ١٩٩ . وهذا الأخير خطأ . ففي الثقات ٧٨ / ٥ مات سنة ٩٩ في ولاية خالد بن عبد الله . (كانت ولاية خالد بن عبد الله مابين سنة ٨٩ وسنة ٩٩ كما في تاريخ خليفة بن خياط ١ / ٤٠٠ ، ٤٢٨ . وفي الخلاصة ١٩٠ (مات سنة ٩٨) .

٤٦ - عبد الرحمن بن جبير المصري : من الثالثة مات سنة سبع وتسعين . (التقريب ٣٣٨) .

في التهذيب ٦ / ١٥٥ ذكر أنه توفي سنة ٩ أو ٩٨ . وفي الخلاصة نقل عن ابن يونس أنه مات سنة ٩٧ .

٤٧ - عبد الرحمن بن حجيرة : من الثالثة مات سنة ثلاث وثمانين . (التقريب ٣٣٨)

في التهذيب ٦ / ١٦٠ والخلاصة ١٩١ (قال ابن يونس : مات سنة ٨٣) وزاد في التهذيب (وقال العجلي مات سنة ٨٠) .

٤٨ - عبد الرحمن بن عبد الله بن عبيد : من التاسعة مات سنة سبع وتسعين . (التقريب ٣٤٤) .

في التهذيب ٦ / ٢٠٩ والخلاصة ١٩٤ (مات سنة ١٩٧) .

٤٩ - عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص العمري : من التاسعة مات سنة ست وثمانين (التقريب ٣٤٤) .

في التهذيب ٦ / ٢١٤ (قال البخاري : مات سنة ١٨٦) . والذي في التاريخ الكبير ٣ / ١ / ٣١٦ (مات سنة ست وثمانين) وقال محققه (أي بعد المائة) .

قلت : وهو الصحيح ويؤيده النظر في سنوات وفيات شيوخه وتلاميذه : فمن شيوخه كما في التهذيب أبوه عبد الله بن عمر العمري (توفي سنة ١٧١) وعمه عبيد الله بن عمر (توفي سنة بضع وأربعين ومائة) وهشام بن عروة (توفي سنة ١٤٥) (انظر التقريب على التولي ٣١٤ ، ٣٧٤ ، ٥٧٣ . ومن تلاميذه - كما في التهذيب أيضا - الحسن بن عرفة (توفي سنة ٢٥٧ وسريج بن يونس (سنة ٢٣٥) ومحمد بن مقاتل المروزي (توفي سنة ٦-٢) . (انظر التقريب ١٦٢ ، ٢٢٩ ، ٥٠٨ على التولي) .

٥٠ - عبد الرحمن بن عبد الحميد المهري : من التاسعة مات سنة اثنتين وتسعين . (التقريب ٣٤٥) .

في التهذيب ٦/ ٢١٩ والخلاصة ١٩٥ (مات سنة ١٩٢) .

٥١ - عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد بن حيان : من كبار التاسعة مات سنة إحدى وثمانين . (التقريب ٣٤٥) .

في التهذيب ٦/ ٢٢١ والطبقات الكبرى ٦/ ٣٩٠ (مات سنة ١٨١) .

٥٢ - عبد الرحمن بن عثمان بن أمية الثقفي : من التاسعة مات سنة خمس وتسعين . (التقريب ٣٤٦) . في التهذيب ٦/ ٢٢٧ والتاريخ الصغير ٢١٢ ، والتاريخ الكبير ٥/ ٣٣١ أنه مات سنة خمس وتسعين ومائة .

قلت : ذكره البخاري في التاريخ الصغير فيمن مات من بين مائة وتسعين إلى مائتين ثم قال مات سنة خمس وتسعين .

٥٣ - عبد الرحمن بن غزوان الضبي : من التاسعة مات سنة سبع وثمانين . (التقريب ٣٤٨) . في التهذيب ٦/ ٢٤٨ (مات سنة ١٨٧) . وهو

- الذي اختصره الحافظ في التقريب. لكن في الثقات ٣٧٥ / ٨ والتذكرة ٣٤٠ / ١ والخلاصة ١٩٧ (توفي سنة ٢٠٧).
- ٥٤ - عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقي: من كبار العاشرة مات سنة إحدى وتسعين (التقريب ٣٤٨).
- في التهذيب ٢٥٣ / ٦ والتذكرة ٣٥٦ / ١ والخلاصة ١٩٧ (مات سنة ١٩١).
- ٥٥ - عبد الرحمن بن قيس بن محمد بن الأشعث الكندي: من السادسة قتل بعد التسعين (التقريب ٣٤٨).
- في التهذيب ٢٥٦ / ٦ والبداية والنهاية ٥٤ / ٩ (قيل إن الحجاج قتله بعد سنة تسعين)، وفي الخلاصة ١٩٨ (قيل قتله الحجاج).
- ٥٦ - عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاري: من التاسعة مات سنة خمس وتسعين. (التقريب ٣٤٩).
- في التهذيب ٢٦٥ / ٦ والتاريخ الكبير ٣ / ١ / ٣٤٧ والتذكرة ٣١٣ / ١ (مات سنة ١٩٥).
- ٥٧ - عبد الرحمن بن المسور بن مخزومة: من الثالثة مات سنة تسعين. (التقريب ٣٥٠).
- في التهذيب ٢٦٩ / ٦ والثقات ١٠١ / ٥ والخلاصة ١٩٨ (مات سنة تسعين).
- ٥٨ - عبيد الرحمن بن معاوية بن حديج: من الثالثة مات سنة خمس وتسعين. (التقريب ٣٥٠).
- في التهذيب ٢٧٢ / ٦ والخلاصة ١٩٨ (توفي سنة ٩٥).

٥٩- عبد الرحمن بن مغراء الدوسي : من كبار التاسعة مات سنة بضع وتسعين . (التقريب ٣٥٠).

قلت : لم أجد من ذكر سنة وفاته - فيما بحثت - ويظهر أن المراد سنة بضع وتسعين ومائة لا مائتين لأمر :

منها : النظر في سنوات وفيات شيوخه وتلاميذه والتوسط في ذلك . فمن شيوخه في التهذيب ٦ / ٢٧٤ سليمان بن مهران الأعمش (توفي سنة ١٤٧ ويحيى بن سعيد الأنصاري (توفي سنة ١٤٤) (انظر ترجمتهما في التقريب ٢٥٤ ، ٢٩١) . ومن تلاميذه (كما في التهذيب أيضا) إبراهيم بن موسى الفراء (توفي سنة ٢٢٠) وحسين بن منصور ابن جعفر (توفي سنة ٢٣٨) (انظر ترجمتهما في التقريب ٩٤ ، ١٦٨) . ومنها : أن الحافظ نفسه في التهذيب حكى عن وكيع وإبي خالد الأحمر وهو سليمان بن حيان أنها قالوا في عبد الرحمن هذا : (طلب الحديث قبلنا وبعدنا) وأنها كانا يثنيان عليه . فهذا يدل على أنه من أقرانها . (توفي أبو خالد الأحمر سنة ١٩٠ كما في التقريب ٢٥٠ . وتوفي وكيع سنة ١٩٦ كما سيأتي في ترجمة رقم ١٢٥ من هذا البحث) .

ومنها : أن لأبي زرعة الرازي (توفي سنة ٢٦٤) وعثمان بن أبي شيبة (توفي سنة ٢٣٩) وعلى بن المديني (توفي سنة ٢٣٤) (انظر التقريب ٣٧٣ ، ٣٨٦ ، ٤٠٣ على التوالي) - أن هؤلاء كلاما فيه . وبه يثبت أنه كان موجودا قبلهم .

٦٠- عبد الرحمن بن مهدي : من التاسعة مات سنة ثمان وتسعين . (التقريب ٣٥١).

في التهذيب ٢٨١/٦ والثقات ٣٧٣/٨ والتذكرة ٣٣١/١ والخلاصة ١٩٩ (مات سنة ١٩٨).

٦١- عبد الرحمن بن يزيد بن قيس النخعي : من كبار الثالثة مات سنة ثلاث وثمانين . (التقريب ٣٥٣).

في التهذيب ٢٩٩/٦ (مات في الجماجم سنة ثلاث وثمانين) وذكر خليفة بن خياط في كتاب الطبقات ١٤٨ أنه مات قبل الجماجم .

٦٢- عبد السلام بن شعيب البصري : من التاسعة مات سنة أربع وثمانين . (التقريب ٣٥٥).

في التهذيب ٣١٩/٦ والثقات ١٢٨/٧ (مات سنة ١٨٤).

٦٣- عبد العزيز بن مروان بن الحكم : من الرابعة مات بعد الثمانين . (التقريب ٣٥٩).

في التهذيب ٣٥٦/٦ والخلاصة ٢٠٤ (مات سنة ست وثمانين) وزاد في التهذيب أقوالاً أخرى .

٦٤- عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي : ملك ثلاث عشرة سنة استقلالا وقبلها منازعا لابن الزبير تسع سنين : من الرابعة مات سنة ست وثمانين . (التقريب ٣٦٥).

في التهذيب ٤٢٣/٦ والخلاصة ٢٠٨ وتاريخ خليفة ٣٨١/١ (مات سنة ست وثمانين) .

٦٥- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : من الثالثة مات سنة أربع وتسعين وقيل سنة ثمان . (التقريب ٣٧٢).

في التهذيب ٢٤/٧ والخلاصة ٢١٣ أقوال في سنة وفاته : قيل توفي سنة ٩٤ وقيل سنة ٩٥ وقيل سنة ٩٨ وقيل سنة ٩٩ . وفي الثقات ٦٣/٥ (مات سنة ٩٨).

٦٦ - عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعي : من كبار التاسعة مات سنة اثنتين وثمانين . (التقريب ٣٧٣).

في التهذيب ٣٥ / ٧ والتذكرة ٣١٢ / ١ والخلاصة ٢١٣ (مات سنة ١٨٢).

٦٧ - عروة بن الزبير بن العوام : من الثالثة مات سنة أربع وتسعين ومولده في أوائل خلافة عثمان . (التقريب ٣٨٩).

في التهذيب ١٨٤ / ٧ والثقات ١٩٤ / ٥ والخلاصة ٢٢٤ أقرأ متعدة في سنة وفاته فقبل سنة ٩١ وقيل ٩٢ وقيل ١٠٠ وقيل ١٠١ وقيل غير ذلك . وفي التذكرة (مات سنة ٩٤).

٦٨ - عروة بن المغيرة بن شعبة : من الثالثة مات بعد التسعين . (التقريب ٣٩٠).

في التهذيب ١٨٩ / ٧ نقلا عن خليفة بن خياط في تاريخه أن الحجاج ولاه الكوفة سنة ٧٥ وأنه (أي خليفة) ذكره في تسمية عمال الوليد بن عبد الملك سنة ٩.

قلت : هكذا في التهذيب ، والذي في تاريخ خليفة ٤١٤ / ١ (سنة ٩٥) وفي الثقات ١٩٥ / ٥ أن عروة هذا كان عاملا لعملي على الكوفة .

٦٩ - عقبة بن صهبان الأزدي : من الثالثة مات بعد السبعين . (التقريب ٣٩٥).

في التهذيب ٢٤٢ / ٧ والثقات ٢٢٥ / ٥ ، والخلاصة ٢٢٧ أنه مات في أول ولاية الحجاج على العراق .

قلت : في تاريخ خليفة ٣٤٧ / ١ أن قدوم الحجاج العراق كان سنة ٧٥.



- ٧٠- عقبة بن عبد الغافر الأزدي : من الرابعة قديم الموت مات سنة ثلاث وثمانين . (التقريب ٣٩٥).
- في التهذيب ٢٤٦/٧ والثقات ٢٢٤/٥ والخلاصة ٢٢٧ أنه قتل في الجماجم سنة ٨٣.
- ٧١- عقبة بن وساج الأزدي : من الثالثة قتل بعد الثمانين بالزاوية أو الجماجم . (التقريب ٣٩٥).
- في التهذيب ٢٥٢/٧ نقل عن خليفة أنه قتل بالزاوية سنة ٨٢ وعن ابن حبان أنه قتل في الجماجم سنة ٨٣. وانظر تاريخ خليفة ١/٣٦٤ والثقات ٢٢٦/٥ ففيهما ما حكاه الحافظ عنهما . وفي الخلاصة ٢٢٨ اكتفى بذكر قول خليفة.
- ٧٢- علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : من الثالثة مات سنة ثلاث وتسعين وقيل غير ذلك . (التقريب ٤٠٠).
- في التهذيب ٣٠٧/٧ والثقات ١٥٩/٥ والخلاصة ٢٣١ (مات سنة ٩٢) وفيها أقوال أخرى في سنة وفاته .
- ٧٣- علي بن ظبيان العبسي : من التاسعة مات سنة اثنتين وتسعين . (التقريب ٤٠٢). في التهذيب ٣٤٣/٧ والخلاصة ٢٣٣ (توفي سنة ١٧٢). وزاد في التهذيب أن هارون الرشيد ولده . (كانت إمارة هارون الرشيد من سنة ١٧٠ إلى سنة ١٩٣ كما في تاريخ خليفة ٢/٧٠٩ ، ٧٤٠). وفي تاريخ خليفة أيضا ٢/٧٣٩ أن علي بن ظبيان مات سنة ١٩٢.
- ٧٤- علي بن مجاهد بن مسلم القاضي : من التاسعة وليس في شيوخ أحمد أضعف منه . مات بعد الثمانين . (التقريب ٤٠٥).

في التهذيب ٧/ ٣٧٨ (قال أحمد بن حنبل إنه سمع منه سنة ٨٧ .  
وكأنه مات سنة بضع وثمانين أي ومائة). ثم إن وفاة الإمام أحمد كانت  
سنة ٢٤١ (التقريب ٨٤).

٧٥- علي بن نصر بن علي الجهضمي : من كبار التاسعة ، مات سنة سبع  
وثمانين . (التقريب ٤٠٦).

في التهذيب ٧/ ٣٩٠ والثقات ٨/ ٤٦٠ (مات سنة ١٨٧) وفي  
الخلاصة ٢٣٥ (مات سنة ١٨٩).

٧٦- عمر بن أيوب العبدي : من التاسعة مات سنة ثمان وثمانين . (التقريب  
٤١٠).

في التهذيب ٧/ ٤٢٩ والثقات ٨/ ٤٣٩ والخلاصة ٢٣٨ (مات سنة  
١٨٨).

٧٧- عمر بن هارون بن يزيد الثقفي : من كبار التاسعة مات سنة أربع  
وتسعين . (التقريب ٤١٧).

في التهذيب ٧/ ٥٠٤ والتذكرة ١/ ٣٤١ والخلاصة ٢٤٣ (مات  
سنة ١٩٤).

٧٨- عمرو بن سلمة بن الحرب الهمداني : من الثالثة مات سنة خمس  
وثمانين . (التقريب ٤٢٢).

في التهذيب ٨/ ٤٢ والثقات ٥/ ١٧٢ والخلاصة ٢٤٥ (مات  
سنة ٨٥).

٧٩- عمرو بن محمد العنقري : من التاسعة مات سنة تسع وتسعين .  
(التقريب ٤٢٦).

في التهذيب ٨/ ٩٩ والخلاصة ٢٤٩ (مات سنة ١٩٩).

٨٠- عمران بن حطان السدوسي : من الثالثة مات سنة أربع وثمانين .  
(التقريب ٤٢٩).

في التهذيب ١٢٨/٨ والخلاصة ٢٥١ (مات سنة ٨٤).

٨١- عوف بن مالك بن فضلة الجشمي : من الثالثة قتل في ولاية الحجاج  
على العراق . (التقريب ٤٣٣).

لم يحدد الحافظ هنا سنة وفاته لكن كونه من الثالثة مع عدم التنبيه على  
أنه دون المائة جعلني أذكره في هذا البحث . وقد نقل الحافظ في  
التهذيب ١٦٩/٨ عن ابن حبان (وهو في الثقات ٢٧٥/٥) أن  
الخوارج قتل عوفاً أيام الحجاج بن يوسف . وذكره البخاري في  
التاريخ الصغير ١٠١ فيمن مات ما بين سنة ٨٠ وسنة ٩٠ .

٨٢- فروة بن نوفل الأشجعي : من الثالثة قتل في خلافة معاوية . (التقريب  
٤٤٥).

لم يحدد الحافظ سنة وفاة فروة هذا وإنما ذكرته في هذا البحث لكونه من  
الثالثة ومات دون المائة ولم ينبه الحافظ عليه . وقد ذكر في التهذيب  
٢٦٦/٨ أنه كان خارجياً خرج على المغيرة بن شعبة في صدر خلافة  
معاوية ، فقتل سنة خمس وأربعين .

٨٣- الفضل بن موسى السيناني : من كبار التاسعة مات سنة اثنتين  
وتسعين . (التقريب ٤٤٧).

في التهذيب ٢٨٧/٧ عن ابن حبان أنه مات سنة إحدى أو اثنتين  
وتسعين ومائة . وهو كذلك في الثقات ٣١٩/٧ . وفي التذكرة  
٢٩٧/١ (مات سنة ١٩٢).

٨٤- قبيصة بن حريث الأنصاري: من الثالثة مات سنة سبع وستين .  
(التقريب ٤٥٣).

في التهذيب ٣٤٦/٨ والثقات ٣١٩/٥ (مات في طاعون الجارف سنة  
٦٧) وفي الخلاصة ٢٦٨ (مات سنة ٥٦).

٨٥- قسامة بن زهير المازني: من الثالثة مات بعد الثمانين . (التقريب  
٤٥٥).

في التهذيب ٣٧٨/٨ وتاريخ خليفة ٤٠١/١ (توفي بعد سنة ٨٠).  
٨٦- كريب بن أبي مسلم الهاشمي مولى ابن عباس: من الثالثة مات سنة  
ثمان وتسعين . (التقريب ٤٦١).

في التهذيب ٤٣٣/٨ والثقات ٣٣٩/٥ والخلاصة ٢٧٥ (مات سنة  
٩٨). وزاد في التهذيب (في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك).

٨٧- محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي: من التاسعة مات سنة اثنتين  
وثمانين . (التقريب ٤٦٥).

في التهذيب ١٢/٩ والثقات ٤٤٠/٧ والخلاصة ٢٧٦ (توفي سنة  
١٨٢).

٨٨- محمد بن إبراهيم بن أبي عدي: من التاسعة مات سنة أربع وتسعين .  
(التقريب ٤٦٥).

في التهذيب ١٣/٩ والثقات ٤٤٠/٧ والتذكرة ٣٢٤/١ والخلاصة  
٢٧٦ (مات سنة ١٩٤).

٨٩- محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة: من الثالثة مات بعد التسعين .  
(التقريب ٤٦٧).

في التهذيب ٣٥/٩ والطبقات الكبرى ٢٤٦/٥ والثقات ٣٥٣/٥ والخلاصة ٢٧٨ (توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك). وكانت خلافته ما بين سنة ٨٦، وسنة ٩٦ كما في تاريخ خليفة ٣٩٦/١، ٤١٣.

٩٠- محمد بن ثور الصنعاني: من التاسعة مات سنة تسعين تقريباً. (التقريب ٤٧١). في التهذيب ٨٧/٩ والثقات ٥٧/٩ والخلاصة ٢٨١ (مات سنة ١٩٠ أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل).

٩١- محمد بن جعفر الهذلي: من التاسعة مات سنة ثلاث أو أربع وتسعين. (التقريب ٤٧٢). في التهذيب ٩٨/٩ والخلاصة ٢٨٢ قولان في سنة وفاته: (قيل سنة ١٩٣ وقيل سنة ٩٤) والذي في الخلاصة في القول الثاني (سنة ٤) وهو ظاهر في أن المراد سنة ١٩٤ عطفاً على الرقم قبله. وفي الثقات ٥٠/٩ والتذكرة ٣٠١/١ (مات سنة ١٩٣).

٩٢- محمد بن حرب الخولاني: من التاسعة مات سنة أربع وتسعين. (التقريب ٤٧٣). في التهذيب ١٠٩/٩ والتذكرة ٣١٠/١ والخلاصة ٢٨٣ (مات سنة ١٩٤).

٩٣- محمد بن خازم أبو معاوية: من كبار التاسعة مات سنة خمس وتسعين. (التقريب ٤٧٥).

في التهذيب ١٣٩/٩ والثقات ٤٤١/٧ والتذكرة ٢٩٥/١ والخلاصة ٢٨٤ (مات سنة ١٩٥).

٩٤- محمد بن خالد بن محمد الوهبي: من التاسعة مات قبل سنة تسعين. (التقريب ٤٧٦).

في التهذيب ١٤٣/٩ والخلاصة ٢٨٥ (قال ابن حبان مات قبل التسعين ومائة). وهو في الثقات ٦٦/٩.

٩٥- محمد بن ربيعة الكلبي: من التاسعة مات بعد التسعين. (التقريب ٤٧٨).

لم أجد - فيما بحثت - من ذكر سنة وفاته، ويدل على أن ما ذكره الحافظ إنما هو تقدير منه ومراده بعد المائة تبعاً لسنوات وفيات شيوخه وتلاميذه: فمن ذكر في التهذيب (١٦٣/٩) من شيوخه سليمان بن مهران الأعمش (توفي سنة ١٤٧) وهشام بن عروة (توفي سنة ١٤٥) انظر: التقريب ٢٥٤، ٥٧٣. ومن تلاميذه أحمد بن حنبل (توفي سنة ٢٤١) ويحيى بن معين (توفي سنة ٢٣٣) انظر التقريب ٨٤، ٥٩٧.

٩٦- محمد بن سعد بن أبي وقاص: من الثالثة، قتله الحجاج بعد الثمانين. (التقريب ٤٨٠).

في التهذيب ١٨٣/٩ والثقات ٣٥٤/٥ أن الحجاج قتله. وحدد خليفة في تاريخه ٣٦٨/١ والذهبي في العبر ٧٠/١ أن ذلك كان سنة ٨٢.

٩٧- محمد بن سلمة بن عبد الله الباهلي: من التاسعة مات سنة إحدى وتسعين على الصحيح. (التقريب ٤٨١).

في التهذيب ١٩٤/٩ والخلاصة ٢٨٩ (مات في سنة ١٩١) وزاد في التهذيب (وقال ابن حبان: مات سنة إحدى أو اثنتين وتسعين ومائة). لكن الذي في الثقات ٤٠/٩ (مات سنة إحدى أو اثنتين وسبعين ومائة). وفي التذكرة ٣١٦/١ (توفي سنة ١٩٢).

٩٨- محمد بن سواء السدوسي: من التاسعة مات سنة بضع وثمانين. (التقريب ٤٨٢). في التهذيب ٢٠٨/٩ والثقات ٤٢/٩ والخلاصة

٢٩٠ (مات سنة ١٨٧) وزاد في التهذيب قولاً آخر في سنة وفاته هو سنة ١٨٩.

٩٩- محمد بن فضيل بن غزوان: من التاسعة مات سنة خمس وتسعين. (التقريب ٥٠٢).

في التذكرة ١/٣١٥ والخلاصة ٣٠٤ (مات سنة ١٩٥). وفي التهذيب ٩/٤٠٦ (قال البخاري وغير واحد مات سنة ٢٩٥) وهو خطأ قطعاً لأن البخاري مات سنة ٢٥٦. ولأنه في التابريخ الكبير ١/١ - ٢٠٧/١ - ٢٠٨ كما في التذكرة والخلاصة.

١٠٠- محمد بن فليح بن سليمان الأسلمي: من التاسعة مات سنة سبع وتسعين. (التقريب ٥٠٢).

في التهذيب ٩/٤٠٧ والثقات ٧/٤٤٠ والعبر في خبر من غير ١/٢٥٣ (مات سنة ١٩٧).

١٠١- محمد بن يزيد الكلاعي: من كبار التاسعة مات سنة تسعين أو قبلها أو بعدها. (التقريب ٥١٤).

ذكر في التهذيب ٩/٥٢٨ عدة أقوال في سنة وفاته: ذكر سنة ١٨٨، وسنة ١٨٩، وسنة ١٩٠، وسنة ١٩٢. حكاه عن ابن حبان وابن سعد وأسلم الرزاز. (وانظر الثقات ٧/٤٤٢، ٩/٤٧، وتاريخ واسط ١٥٧، والطبقات الكبرى ٧/٣١٤. وفي الخلاصة ٣١١ - ٣١٢ (مات سنة ١٨٨).

١٠٢- مالك بن الحارث السلمي: من الرابعة مات سنة أربع وتسعين. (التقريب ٥١٦).

في التهذيب ١٠ / ١٣ والخلاصة ٣١٣ (مات سنة ٩٤) وفي الثقات ٥ / ٣٨٤ (مات في آخر ولاية الحجاج سنة ٩٥).

١٠٣ - مالك بن الحارث الهمداني: من الثالثة مات سنة خمس وتسعين.  
(التقريب ٥١٦)

في التهذيب ١٠ / ١٣ (قال ابن حبان: مات في آخر ولاية الحجاج سنة ٩٥).

قلت: ذكره ابن حبان في الثقات ٧ / ٤٦٠ لكن لم يتعرض لذكر وفاته.  
وله ترجمة في التاريخ الكبير ٤ / ١ / ٣٠٧ فيها أنه سمع من ابن عباس.

١٠٤ - ماهان الحنفي: من الثالثة قتله الحجاج سنة ثلاث وثمانين. (التقريب ٥١٨).

في التهذيب ١٠ / ٢٦ والخلاصة ٣٣٨ (قتل سنة ٨٣، قتله الحجاج).

١٠٥ - مبشرين عبد الله بن رزين السلمي: من كبار التاسعة مات سنة تسع وثمانين. (التقريب ٥١٩).

في التهذيب ١٠ / ٣٢ والثقات ٩ / ١٩٣ والخلاصة ٣١٥ (مات سنة ١٨٩).

١٠٦ - مخلد بن الحسين المهلبى نزيل المصيبة: من كبار التاسعة مات سنة إحدى وتسعين. (التقريب ٥٢٣).

قال في التهذيب ١٠ / ٧٣ (قال ابن عاصم: مات سنة ٩١ وهو قول البخاري. وقال ابن سعد سنة إحدى وكذا أرخه ابن حبان).  
قلت الذي في الطبقات الكبرى ٧ / ٤٨٩ والثقات ٩ / ١٨٥ (مات



سنة ١٩١) والذي في التاريخ الكبير للبخاري ٤/ ١/ ٤٣٧ (مات  
سنة ١٩٦). ولعل ما في التاريخ الكبير أولى مما في التهذيب نقلا عن  
البخاري بدليل أنه جعل قول البخاري وابن أبي عاصم مغايرا لقول  
ابن سعد وابن حبان.

١٠٧ - محمد بن يزيد القرشي: من كبار التاسعة مات سنة ثلاث وتسعين .  
(التقريب ٥٢٤).

في التهذيب ١٠/ ٧٧ والثقات ٩/ ١٨٦ والخلاصة ٣١٨ (مات سنة  
١٩٣).

١٠٨ - مرشد بن عبد الله اليزني: من الثالثة مات سنة تسعين. (التقريب  
٥٢٤).

في التهذيب ١٠/ ٨٢ والخلاصة ٣١٨ (مات سنة ٩٠).

١٠٩ - مسكين بن بكير الحراني: من التاسعة مات سنة ثمان وتسعين.  
(التقريب ٥٢٩).

في التهذيب ١٠/ ١٢١ والثقات ٩/ ١٩٤ والخلاصة ٣٢٠ (مات سنة  
١٩٨).

١١٠ - مسلم بن أبي بكره بن الحارث الثقفي: من الثالثة مات في حدود سنة  
تسعين. (التقريب ٥٢٩).

في التهذيب ١٠/ ١٢٣ (قال خليفة: مات بعد سنة ٨٠ وقبل سنة  
٩٠) وهو كذا في تاريخ خليفة ١/ ٤٠١.

١١١ - معاذ بن معاذ بن نصر العنبري: من كبار التاسعة مات سنة ست  
وتسعين. (التقريب ٥٣٦).

في التهذيب ١٠/ ١٩٥ ، والتذكرة ١/ ٣٢٥ والخلاصة ٣٢٥ (مات سنة ١٩٦) وفي الثقات ٧/ ٤٨٢ (مات سنة خمس أو ست وتسعين ومائة).

١١٢ - المعافى بن عمران الأزدي : من كبار التاسعة مات سنة خمس وثمانين وقيل سنة ست . (التقريب ٥٣٧).

في التهذيب ١٠/ ٢٠٠ (قال ابن عمار : مات سنة ١٨٥ وقال الهيثم ابن خارجة مات سنة ست). وفي الثقات ٧/ ٥٢٩ (مات سنة ١٨٥).

١١٣ - معبد بن خالد الجهني القدري : من الثالثة قتل سنة ثمانين . (التقريب ٥٣٩). في التهذيب ١٠/ ٢٢٦ (قال خليفة : مات بعد سنة ٨٠ وقبل سنة ٩٠ . وأرخ سعيد بن عفير قتله في سنة ٨٠) وانظر تاريخ خليفة ١/ ٤٠١ . وفي تاريخ ابن كثير البداية والنهاية ٩/ ٣٤ أن قتله كان سنة ٨٠ أيضا .

١١٤ - معتمر بن سليمان التيمي : من كبار التاسعة مات سنة سبع وثمانين . (التقريب ٥٣٩). في التهذيب ١٠/ ٢٢٧ والثقات ٧/ ٥٢١ والتذكرة ١/ ٢٦٧ والخلاصة ٣٤١ (مات سنة ١٨٧).

١١٥ - معمر بن سليمان النخعي : من التاسعة مات سنة إحدى وتسعين . (التقريب ٥٤١). في التهذيب ١٠/ ٢٥٠ ، والثقات ٩/ ١٩٢ والخلاصة ٣٢٩ (مات سنة ١٩١).

١١٦ - ميمون بن أبي شبيب الربيعي : من الثالثة مات سنة ثلاث وثمانين في وقعة الجملاجم . (التقريب ٥٥٦).

- في التهذيب ٣٨٩/١٠ والثقات ٤١٦/٥ أنه قتل في الجماجم سنة ٨٣. واكتفى الخرزجي في الخلاصة ٣٣٨ بأن ذكر قتله في الجماجم.
- ١١٧ - ناعم بن أجيل الهمداني: من الثالثة مات سنة ثمانين. (التقريب ٥٥٧).
- في التهذيب ٤٠٤/١٠ والخلاصة ٣٤٨ (توفي سنة ٨٠). ٨٤.
- ١١٨ - نافع بن جبير بن مطعم: من الثالثة مات سنة تسع وتسعين. (التقريب ٥٥٨).
- في التهذيب ٤٠٥/١٠ والخلاصة ٣٤٥ والبداية والنهاية ١٨٦/٩ (مات سنة ٩٩).
- ١١٩ - النعمان بن عبد السلام بن حبيب التيمي: من التاسعة مات سنة ثلاث وثمانين. (التقريب ٥٦٤).
- في التهذيب ٤٥٤/١٠ والخلاصة ٣٤٥ (توفي سنة ١٨٣) وزاد في التهذيب (وقيل سنة ١٧٣).
- ١٢٠ - نوفل بن مساحق بن عبد الله القرشي: من الثالثة مات بعد السبعين (التقريب ٥٦٧).
- نقل في التهذيب ٤٩١/١٠ قول البخاري وأبي حاتم وابن حبان إن نوفلا مات في أول خلافة عبد الملك بن مروان. وأن ابن حبان حدد ذلك في سنة ٧٤. وهو كذا في الثقات ٤٧٨/٥. وانظر التاريخ الكبير ١٠٨/٢/٤ والجرح والتعديل ٤٨٨/١/٤.
- ١٢١ - هشام بن يوسف الصنعاني: من التاسعة مات سنة سبع وتسعين. (التقريب ٥٧٣).

في التهذيب ٥٧/١١ والتذكرة ٣٤٦/١ والخلاصة ٣٥٢ (مات سنة ١٩٧).

١٢٢- هقل بن زياد السكسكي : من التاسعة مات سنة تسع وسبعين أو بعدها . (التقريب ٥٧٤).

في التهذيب ٦٥/١١ والتذكرة ٢٨٤/١ والخلاصة ٣٥٥ (مات سنة ١٧٩).

١٢٣- هني بن نويرة الضبي : من الثالثة قتل قبل الثمانين . (التقريب ٥٧٥).

لم يذكر في التهذيب ٧٣/١١ سنة وفاته لكن ذكر أن شبيب بن يزيد الخارجي قتله . وشبيب قتل سنة ٧٧ كما في تاريخ خليفة ٣٥٥/١ والبداية والنهاية ١٩/٩ .

١٢٤- الهيثم بن الأسود المذحجي : من الثالثة مات بعد الثمانين . (التقريب ٥٧٧).

قال في التهذيب ٨٩/١١ (أدرك عليا وروى عن معاوية وعبد الله بن عمرو، ونقل عن البخاري في الأوسط أنه مات ما بين الثمانين إلى التسعين).

١٢٥- وكيع بن الجراح الرؤاسي : من كبار التاسعة مات في آخر ست وأول سنة سبع وتسعين وله سبعون سنة . (التقريب ٥٨١).

ذكر في التهذيب ١٣٠/١١ أن وكيعا ولد سنة ١١٧ أو ١١٨ وأقوالا أخرى قريبة . ثم قال : (قال خليفة وغيره مات سنة ست وتسعين) . وهو يدل على أن مراده بعد المائة لما ذكر من سنة ولادته وعمره . وفي

- الخلاصة ٣٥٦ ونقلا عن خليفة (مات سنة ست وتسعين ومائة).
- قلت : لكن الذي في تاريخ خليفة ٧٥٧/٢ أنه مات سنة ١٩٧ . وفي التذكرة ٣٠٩/١ (توفي سنة ١٩٧) وقال ابن حبان في الثقات ٥٦٢/٧ (مات سنة ست أو سبع وتسعين ومائة).
- ١٢٦- يحيى بن أبي زكريا الغساني : من التاسعة مات سنة تسعين . (التقريب ٥٩٠).
- في التهذيب ٢١١/١١ (قال محمد بن وزير الواسطي (مات سنة ١٩٠). وفي التهذيب أيضا والخلاصة ٣٦٣ قول آخر في سنة وفاته ، فيها أنه مات سنة ١٨٨ .
- ١٢٧- يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الأموي : من كبار التاسعة مات سنة أربع وتسعين وله ثمانون سنة . (التقرير ٥٩٠).
- في التهذيب ٦١٤/١١ والثقات ٥٩٩/٧ والتذكرة ٣٢٦/١ والخلاصة ٣٦٣ (مات سنة ١٩٤).
- ١٢٨- يحيى بن سعيد بن العاص الأموي : من الثالثة مات في حدود الثمانين . (التقريب ٥٩١).
- لم أجد من ذكر سنة وفاته - فيما بحثت - ويظهر لي أن ما ذكره الحافظ إنما هو تقدير منه . فإنه ذكر في ترجمته في التهذيب ٢١٥/١١ أن له رواية عن أبيه وعثمان بن عفان وعائشة ومعاوية . وأنه كان مع ابن الزبير ثم أمّنه عبد الملك بن مروان بعد أن قتل ابن الزبير . وكل ذلك يبين أن ذكر الثمانين إنما هو قبل المائة .
- ١٢٩- يحيى بن سعيد بن فروخ القطان : من كبار التاسعة مات سنة ثمان وتسعين . (التقرير ٥٩١).

في التهذيب ٢١٩/١١ والثقات ٦١١/٧ والتذكرة ٣٠٠/١  
والخلاصة ٣٦٤ (مات سنة ١٩٨).

١٣٠ - يحيى بن سلمة بن كهيل : من التاسعة مات سنة تسع وسبعين .  
(التقريب ١٩٨) . في التهذيب ٢٢٥/١١ والثقات ٥٩٥/٧ (مات  
سنة ١٧٩) .

١٣١ - يحيى بن سليم الطائفي : من التاسعة مات سنة ثلاث وتسعين أو  
بعدها . (التقريب ٥٩١) .

في التهذيب ٢٢٦/١١ (قال ابن حبان : مات سنة ٣ أو ١٩٤ ، وقال  
البخاري : مات سنة ٩٥) أي قبل المائتين كما في التاريخ الصغير  
٢١٢ .

ولم أجد ما حكاه الحافظ عن ابن حبان في الثقات ٦١٥/٧ لكن فيه  
(مات بمكة في آخر ولاية هارون) .

قلت : توفي هارون الرشيد سنة ١٩٣ كما في تاريخ خليفة ٧٤٠/٢ .

١٣٢ - يحيى بن عباد الضبعي : من التاسعة مات سنة ثمان وتسعين .  
(التقريب ٥٩٢) .

في التهذيب ٢٣٦/١١ والثقات ٢٥٦/٩ (مات سنة ١٩٨) .

١٣٣ - يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنية : من كبار التاسعة مات سنة  
بضع وثمانين . (التقريب ٥٩٣) .

في التهذيب ٢٥٢/١١ (قال الواقدي : مات سنة ٦ أو ١٨٧ . وقال  
مطين : سنة ٨٨) . وفي الثقات ٦١٤/٧ (مات سنة ١٨٧) .

١٣٤ - يحيى بن بيان المعجلي : من كبار التاسعة مات سنة تسع وثمانين .  
(التقريب ٥٩٨) .

- في التهذيب ٣٠٧/١١ والثقات ٢٥٥/٩ والتذكرة ٢٨٦/١ والخلاصة ٣٦٩ (مات سنة ١٨٩).
- ١٣٥ - يزيد بن السمط الصنعاني: من كبار التاسعة، مات بعد الستين. (التقريب ٦٠١). قال في التهذيب ٣٣٤/١١ (مات في حدود ١٦٠).
- ١٣٦ - يزيد بن معاوية بن أبي سفيان: ولي الخلافة سنة ستين ومات سنة أربع ولم يكمل الأربعين. ليس بأهل أن يروى عنه. من الثالثة. (التقريب ٦٠٥). في التهذيب ٣٦٠/١١ وتاريخ خليفة ٣١٨/١ والعبر في خير من غير ٥١/١ (مات سنة ٦٤).
- ١٣٧ - يونس بن بكير بن واصل الشيباني: من التاسعة مات سنة تسع وتسعين. (التقريب ٦١٣).
- في التهذيب ٤٣٥/١١ والتذكرة ٣٢٧/١ والخلاصة ٣٧٩ (مات سنة ١٩٩).
- ١٣٨ - يونس بن جبير الباهلي: من الثالثة مات بعد التسعين وأوصى أن يصلي عليه أنس بن مالك. (التقريب ٦١٣).
- في التهذيب ٤٣٦/١١ والثقات ٥٥٤/٥ (مات بعد ٩٠).
- ١٣٩ - أبو أيوب المراغي الأزدي: من الثالثة مات بعد الثمانين. (التقريب ٦٢٠).
- في التهذيب ١٦/١٢ (قال أبو حاتم يريد ابن حبان): مات في ولاية الحجاج.
- وقال خليفة: مات بعد الثمانين. وكذا في الثقات ٥٢٩/٥ وتاريخ خليفة ٤٠١/١.

- ١٤٠ - أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي: من الثالثة مات سنة أربع وتسعين وقيل غير ذلك. (التقريب ٦٢٣).
- في التهذيب ٣١/١٢ والثقات ٥/٥٦٠ (مات سنة ٤ أو ٩٥). وفي التذكرة ١/٦٤ والخلاصة ٣٨٢ (مات سنة ٩٤).
- ١٤١ - أبو العالية البراء البصري: من الرابعة مات سنة تسعين. (التقريب ٦٥٣).
- في التهذيب ١٢/١٤٣ والثقات ٤/٢٥٨ والخلاصة ٣٩٠ (مات في شوال سنة ٩٠).
- ١٤٢ - أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود: من كبار الثالثة مات بعد سنة ثمانين. (التقريب ٦٥٦).
- في التهذيب ٥/٧٥ وتاريخ خليفة ١/٣٦٦ أن أبا عبيدة افتقد ليلة دجيل وكانت سنة ٨٢). وفي الخلاصة ١٥٦ مثل ذلك غير أنه قال (سنة ٨١).
- ١٤٣ - أبو النجيب العامري: من الرابعة مات سنة ثمان وثمانين. (التقريب ٦٧٨).
- في التهذيب ١٢/٢٥٤ والخلاصة ٣٩٧ (توفي سنة ٨٨).
- ١٤٤ - أم الدرداء الصغرى زوج أبي الدرداء واسمها هجيمة: من الثالثة ماتت سنة إحدى وثمانين. (التقريب ٧٥٦).
- في التهذيب ١٢/٤٦٦ - ٤٦٧ والتذكرة ١/٥٤ (حجت في سنة ٨١). وزاد في التهذيب ومثله في الثقات ٥/٥١٧ (ماتت بعد سنة ٨١) وفي الخلاصة ٤٢٩ (بقيت إلى بعد الثمانين).



### ثبت المصادر

- ١- البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن كثير. دار الفكر / بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
- ٢- تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق سهيل زكار. مطابع وزارة الثقافة والسياحة/ سوريا.
- ٣- التاريخ الصغير لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. المكتبة الأثرية / باكستان.
- ٤- التاريخ الكبير لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية / الهند ١٣٦٣ هـ.
- ٥- تاريخ واسط لأسلم بن سهل الرزاز الواسطي. تحقيق كوركيس عواد. مطبعة المعارف بغداد ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.
- ٦- تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي. تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي. دار إحياء التراث العربي / بيروت.
- ٧- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني. دار نشر الكتب الإسلامية / باكستان. الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م.
- ٨- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية. الهند ١٣٢٥ هـ.
- ٩- الثقات لابن حبان. مطبعة دائرة المعارف النظامية / الهند. الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م.
- ١٠- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية / الهند ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م.

١١ - خلاصة تذهيب تذهيب الكمال للخزرجي . المطبعة الخيرية بالقاهرة

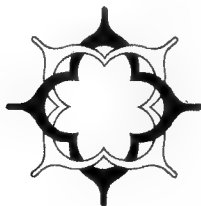
١٣٢٢هـ .

١٢ - الطبقات الكبرى لابن سعد . دار بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

١٣ - العبر في خبر من غير لشمس الدين الذهبي . دار الكتب العلمية / بيروت .

### الهوامش

- |                         |                    |
|-------------------------|--------------------|
| (١) تقريب التهذيب ٧٣ .  | (١١) التقريب ٥٤١ . |
| (٢) تقريب التهذيب ٧٥ .  | (١٢) التقريب ٢٤٠ . |
| (٣) تقريب التهذيب ٩٨ .  | (١٣) التقريب ٢٣٥ . |
| (٤) تقريب التهذيب ١١١ . | (١٤) التقريب ٢٩٤ . |
| (٥) تقريب التهذيب ٨٧ .  | (١٥) التقريب ٦٧٥ . |
| (٦) تقريب التهذيب ٨٧ .  | (١٦) التقريب ٣٩٥ . |
| (٧) تقريب التهذيب ٧٧ .  | (١٧) التقريب ٤٠٠ . |
| (٨) تقريب التهذيب ٧٧ .  | (١٨) التقريب ٣٢٠ . |
| (٩) التقريب ٢٨٨ .       | (١٩) التقريب ٦٠٥ . |
| (١٠) التقريب ٦٠٦ .      |                    |



# الترك في الشعر العربي

حتى نهاية القرن

## السابع الهجري

د. مسعد بن سويلم الشامان

الشعر هو ديوان العرب ، جمع وحوى  
معارفهم وعاداتهم وأيامهم . وحفظ لنا صوراً من  
علاقتهم بما جاورهم من الأمم والأجناس . وكان  
الأتراك من الأقوام التي تداخلت مع العرب  
بعلاقات وثيقة . وسجلت كتب التاريخ تفاصيل  
تلك العلاقات وأطوارها . ولكن الشعر أبقى لنا  
الانطباع العربي نحو الترك ، وأشار إلى صفاتهم  
التي رسخت في أذهان الناس عنهم ، كما سجل  
لنا طرفاً من أثرهم في حياة المجتمع وفي الحياة  
السياسية . ونريد هنا أن نتتبع بعض ملامح  
صورة الترك التي رسمها الشعراء العرب ، وما



سجلوه عن علاقة الترك بالعرب منذ الجاهلية  
وحتى بداية عصر المماليك الأتراك الذين سادوا فيما  
تلا من عصور .

### العلاقات الأولى:

تحدثنا كتب التاريخ عن وجود علاقة بين عرب الجزيرة وبين الأتراك في بلاد  
آذربيجان وما وراء النهرين . وكانت نشأة تلك العلاقة نتيجة للصراع القائم  
آنذاك بين الفرس والترك ، والذي كان العرب يتدخلون فيه أحيانا لنجدة  
الفرس .

فمن دلائل نجدة العرب للفرس ضد الترك ما ورد من ذكر لقيام ملك اليمن  
الرائس الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بغزو بلاد الترك في آذربيجان في مائة  
ألف وخمسين من فرسانه بتحريض من كسرى الفرس المهزوم من الترك ، فقال  
الرائس في شعر نسب إليه :

أنا الملك المُقَدَّم حين أمضي      جلبت الخيلَ من أوطانِ سام  
لأعزُّو أعبدًا جهلوا مكاني      من أبنا يافثٍ وقبيلِ حام <sup>(١)</sup>  
والترك من أبناء يافث كما كانت تقول العرب <sup>(٢)</sup> ، ونظم نشوان بن سعيد  
الحميري (المتوفى عام ٥٧٣هـ) هذه الواقعة فيما بعد ضمن قصيدته المشهورة  
حيث قال :

والثُّركُ كانَتْ قد أدلَّتْ فارسا      لم يُسْتَرَوْا من شرِّهم بنو جاح  
فشكَّوا إليه ، فزارهم بمقانبٍ      فيها صُراخٌ يتتبعُ صرَّاحِ  
تركوا سبايا الثُّركِ فيما بينهم      للبيع تُعرض في يدِ الصِّياحِ <sup>(٣)</sup>

وبعد هذا الانتصار العظيم للملك الرائش، نجد الملك اليمني الرائد، أحد ملوك التبابعة، يغزو بلاد الترك عقب استيلائهم على بابل، فيوقع بهم الهزيمة ويردهم على أعقابهم، ثم ينطلق من بلاد الترك صوب الصين فيستبيحها ويقتل ملكها (يَعْبُرُ)، وقد أنشد شعراً قال فيه:

أَنَا بُعْتُ الْأَمْلَاقِ مِنْ نَسْلِ حَمِيرٍ      مَلَكْنَا عِبَادَ اللَّهِ فِي الزَّمَنِ الْخَالِي  
مَلَكْنَاهُمْ قَهْرًا وَسَارَتْ جِيوشُنَا      إِلَى الْهِنْدِ وَالْأَتْرَاقِ تَرْدَى بِأَبْطَالِ  
وَتَلَكْ شُرُوقُ الْأَرْضِ مِنْهَا وَطَأَتْهَا      إِلَى الصِّينِ وَالْأَتْرَاقِ حَالًا عَلَى حَالِ

ونظم نشوان الحميري أيضاً هذه الحادثة فقال:

وَالرَّائِدُ الْمَلِكُ الْمُتَوَجُّعُ بُعِيَ      مَلِكٌ يَرُوضُ الْأَرْضَ كَالْمَسَاحِ  
فَتَحَّ الْمَدَائِنُ فِي الْمَشَارِقِ وَانْتَحَى      لِلصِّينِ فِي بَرِّيَّةٍ وَبَرَّاحِ  
فَأَذَاقَ يَعْْبُرُ حَتْفَةً فَدَحَى بِهِ      فِي قَعْرِ لَحْدٍ لِلْمَنِيَّةِ دَاحِي  
وَالْتَرَكُ قَبْلَ الصِّينِ كَانَ لَهُمْ بِهِ      يَوْمَ شَتِيمِ السَّوْجِ وَالْأَكْلَاحِ (٤)

ويصادفنا شاهد آخر على النجدات العربية لكسرى الفرس من غارات الترك في عصر ما قبل الإسلام، فهذا حسان بن حنظلة بن حية الطائي يحمل كسرى أبرويز على فرسه (الضبيب)، حين انهزم كسرى من بهرام جوبين والذي كان فيما يبدو قد استعان بالترك يوم النهروان. فقال حسان بن حنظلة:

تَلَايَيْتُ كَسْرَى أَنْ يُضَامَ وَلَمْ أَكُنْ      لِأَتْرَكِهِ فِي الْخَيْلِ يَعْثُرُ رَاجِلًا  
بَذَلْتُ لَهُ ظَهَرَ الضَّبِيبِ وَقَدْ بَدَتْ      مَسْؤَمَةٌ مِنْ خَيْلٍ تَرُكُ وَكَابِلًا (٥)

ولعل الشعراء الذين أقاموا في الحيرة أو كانوا يترددون عليها، يعرفون الترك، ويميزونهم عن بقية أجناس الأعاجم الأخرى. ويمكن اعتبار ذكر الترك في شعر عدي بن زيد العبادي (قتل في حدود عام ٦٠٠ م) أقدم إشارة إليهم في الشعر العربي، فقد قال يذكر المنون وصروفها:

فبتُّ أُعْدي كم أسافت وغيّرت      وقبوع المنون من مسودٍ وسائدٍ  
صرعن قباذاً ربَّ فارس كلِّها      وحشَّتْ بأيديها بوارقَ أمّ سد  
وجئن بترك من قرار بلادهم      يسير بجمع كالذبّ المتساند<sup>(٦)</sup>  
فالترك من الكثرة حيث شبهوا بالجراد.

ويأتي النابغة الذبياني (المتوفى في حدود عام ٦٠٢ م) بإشارة إلى الترك، ويذكر أنهم كانوا من بين الأقوام التي تنتظر رجوع الملك الغساني النعمان بن الحارث، فقال في رثائه:

فَعُوداً لهُ غَسَانٌ يَرْجُونَ أَوْبَهُ      وَتُرْكٌ وَرَهْطُ الْأَهْجَيْنِ وَكَابِلُ<sup>(٧)</sup>  
ويذكر الأعشى (المتوفى عام ٥٥ هـ) الترك، ومن نسائهم من يرقصن في مجالس الشراب، فقال:

ولقد شربْتُ الخمرَ نَزَرَ      كُفْرٌ حَوْلَنَا تُرْكٌ وَكَابِلُ<sup>(٨)</sup>  
وبعد الإسلام، وبعد امتداد حركة الفتوح الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية لتشمل بلاد الترك، ازدادت صلة العرب بالترك، ووقعت بينهم مواجهات عنيفة في القتال. وقد حفل شعر الفتوح بذكرهم وبجلدهم وصلابتهم في الحرب، وامتدح الشعراء فرسان العرب ومقاتليهم الذين صمدوا أمام شراسة الأتراك العتاة، فهذا ربيعة بن عامر التيمي (المتوفى بعد عام ٢٢ هـ)

لما كان في جند الأحنف بن قيس الذي فتح خراسان عام ١٨ هـ ، يقول في شعرٍ  
نسب له :

وَبَلَّخَ وَيَسَابُورَ قَدْ شَقِيَتْ بِنَا      وَطُوسَ وَمَرُوقَ أَزْرَتَا الْقَبَائِلَا  
.....

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَنَا مَعَا      غَدَاةَ أَزْرَتَا الْخَيْلِ تُرْكَا وَكَابِلَا <sup>(٩)</sup>  
وقال شاعر آخر شهد وقائع فتح جوزجان عنوة عام ٣٣ هـ :

سَقَى مَرْزَنَ السَّحَابِ إِذَا اسْتَقْلَتْ      مَصَارِعَ فِتْنَةٍ بِالْجُوزْجَانِ  
.....

لَقَوْا التُّرْكَ الْعَتَاةَ بِأَرْضِ خُوطٍ      عَلَى خَيْلٍ أُعِدَّتْ لِلرَّهْمَانِ <sup>(١٠)</sup>

وقال كعب بن معاذ الأشقري (المتوفى ٩٥ هـ) وقد شهد حروب المسلمين  
وفتحهم في خراسان سنة ٩٣ هـ :

هَلْ تَذْكُرُونَ لِبَالِي التُّرْكَ تَقْتُلُهُمْ      مَا دُونَ كَارَةِ وَالْفَحْفَاجِ مُلْتَحِفٌ  
لَمْ يَسْرُكْبُوا الْخَيْلَ إِلَّا بَعْدَ مَا كَبُرُوا      فَهُمْ يُقَالُ عَلَى أَكْنَافِهَا غُنْفٌ <sup>(١١)</sup>

ويصف نهار بن تَوْسَعَةَ التميمي (المتوفى بعد عام ١١٢ هـ) عنف القائد  
المسلم قتيبة بن مسلم ضد الترك بقوله :

وَمَا كَانَ مِثْلُ كُنَّا وَلَا كَانَ قَبْلَنَا      وَلَا هُوَ فِيمَا بَعَدَنَا كَابِنِ مُسْلِمٍ  
أَعَمَّ لِأَهْلِ التُّرْكَ قَتْلًا بِسَيْفِهِ      وَأَكْثَرَفِينَا مَقْسِيًا بَعْدَ مَقْسِمِ <sup>(١٢)</sup>

وأشار بعض الشعراء إلى كثرة عدد جند الترك ، وهذا ما جعل قلوب العرب  
تصاب بالخوف والوجل ، وذلك ما حدث في وقعة (يوم الشَّعْب) التي دارت بين  
المسلمين يقودهم الجنيد وبين الترك بقيادة خاقانهم عام ١١٢ هـ ، فقال ابن  
السَّجَف مخاطباً الخليفة هشام بن عبد الملك :

اذْكُرْ يَمَاسَى بِأَرْضِ التُّرْكِ ضَافِعَةً      هَزَلَى كَانَتْهُمْ فِي الْحَايِطِ الْحَجَلُ  
وَارْحَمْ، وَإِلَّا فَهَبْهَا أَمَةً دَمِرَتْ      لَا أَنْفُسٌ يَبْقَى فِيهَا وَلَا ثَقُلَ

لَا قَوْأَ كَتَائِبَ مِنْ خَاقَانَ مُعْلِمَةً      عَنْهُمْ يَضِيقُ فِضَاءَ السَّهْلِ وَالْجِبَلُ  
لَمَّا رَأَوْهُمْ قَلِيلًا لَا صَرِيحَ لُحْمٍ      مَدُّوا بِأَيْدِيهِمْ لُحْمًا وَابْتَهَلُوا<sup>(١٣)</sup>

وَيَصِفُ الشَّرْعِيُّ الطَائِي نَفْسَ الْوَقْعَةِ ، وَكَانَ مِنْ شُهُودِهَا ، فِي قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ مِنْهَا :

تَذَكَّرْتُ هِنْدًا فِي بِلَادِ غَرِيبَةٍ      فَيَا لَكَ شَوْقًا، هَلْ لِسَمْلِكَ تَجَمُّعُ  
تَذَكَّرْتُهَا وَالشَّائِشَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا      وَشِعْبُ عِصَامٍ وَالْمَنَابِيَا تَطْلُعُ  
بِلَادَ بِهَا خَاقَانَ جَمٌّ زُحُوفُهُ      وَتَبْلُغُ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مُنْقَعُ  
إِذَا دَبَّ خَاقَانَ وَسَارَتْ جُنُودُهُ      أَتَشْكُ الْمَنَابِيَا عِنْدَ ذَلِكَ شَرْعًا<sup>(١٤)</sup>

وَأَكْثَرُ شِعْرَاءِ الْفَتْوحِ الْإِسْلَامِيَةِ فِي آسِيَا ذَكَرَ مَوَاطِنَهُمْ وَالْحَنِينَ إِلَيْهَا ، مِثْلَمَا قَالَ ثَابِتُ بْنُ كَعْبٍ الْأَزْدِيُّ الْمَعْرُوفُ بِثَابِتِ قُطْنَةَ الَّذِي اسْتَشْهَدَ فِي الْحَرْبِ ضِدَّ التُّرْكِ عَامَ ١١٠ هـ :

دِبَارُ لَيْلَى قِفَارٌ لَا أُنَيْسَ بِهَا      دُونَ الْحَجَّوِينَ وَأَيْسَ الْحَجْنِ مِنْ دَارِي  
بُدِّلْتُ مِنْهَا وَقَدْ شَطَّ الْمَرَاثُ بِهَا      وَادِي الْمَخَافَةِ لَا يَسْرِي بِهَا السَّارِي  
نُقَارِغُ التُّرْكِ مَا تَنْفَكُ نَائِحَةً      مِنْهَا وَمِنْهُمْ عَلَى ذِي نَجْدَةٍ شَارٍ<sup>(١٥)</sup>

وَكَانَتْ الْحَرْبُ سَجَالًا بَيْنَ الْعَرَبِ وَالتُّرْكِ طَوَالَ الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ ، فَهَذَا عَمِيدُ اللَّهِ ابْنُ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ (الْمُتَوَفَّى عَامَ ٧٥ هـ) يَذْكُرُ خُرُوجَ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِالْعِرَاقِ ، وَكَيْفَ أَنَّ فَرَسَانَهُ قَدْ أُنْزِلُوا بِنَاتِ التُّرْكِ سَبَايَا مِنْ حَصُونِهِمْ فِي زَرْجِجٍ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ ، فَصَرْنَ يَأْتِينَ طَائِفَةً بَعْدَ أُخْرَى :



جَلَبَ الْحَيْلَ مِنْ تِهَامَةٍ حَتَّى  
أَنْزَلُوا مِنْ حُصُونِهِنَّ بَنَاتِ التُّرُكِ يَأْتِينَ بِمَدِّ عَرَجٍ بِعَرَجٍ<sup>(١٦)</sup>

ويشير جرير بن عطية (المتوفى عام ١١٤هـ) إلى هذا الصراع في مدحه لعبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك الذي كان قد غزا بلاد الترك :

فِيَوْمٍ حَوَّطَ الْمُسْلِمِينَ جِيَادُهُ      وَيَوْمَ عَطَاءَ مَا تَغْشَى نَسْوَافِلُهُ  
وَلِلتُّرُكِ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَقِيعَةٌ      وَلِلرُّومِ يَوْمَ مَا تَتَمُّ حَوَامِلُهُ<sup>(١٧)</sup>

ووجد الشعراء في ثبات قومهم أمام بأس الترك مدعاة للفخر، وخاصة الشعراء من بني تميم، مثلما قال الوليد بن حنيفة المعروف بأبي حُرَائَةَ التميمي «المتوفى عام ٨٣هـ) يفخر بعقبة بن زهير يوم منازلته الأتراك، وقد ناجزهم على كثرة عددهم فلم يجبن ولم يعجز عن الإقدام :

مَنْ كَانَ أَحْجَمَ أَوْ خَامَثَ حَقِيقَتُهُ      عِنْدَ الْخِفَاطِ فَلَكُمْ يُقْدِمُ عَلَى الْقَحَمِ  
فَعُقْبَةُ بْنُ زُهَيْرٍ يَوْمَ نَازِلَتُهُ      جَمْعٌ مِنَ التُّرُكِ لَمْ يُجْجِرْهُمْ وَلَمْ يَحْمِ  
وَهُمْ مَثَوْنُ الْوُفَا وَهُوَ فِي تَقْصِيرٍ      شَمُّ الْعَرَانِيِّنَ ضَرَّائِينَ لِلْبُهِمِ<sup>(١٨)</sup>

وللشاعر ثابت قُطْنَةُ شعر افتخر فيه بنفسه وبقومه أمام كياة الترك العتاة فقال :

فَكَذَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ مَنِ تَمِيمٍ      غَدَاةَ الرُّوعِ فِي صَنْكِ الْمَقَامِ  
فَلَوْلَا اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ      وَضَرَبِي قَوْسَ الْمَلِكِ الْهَامِ  
إِذَا لَسَعَتْ نِسَاءُ بَنِي دِثَارٍ      أَمَامَ التُّرُكِ بَادِيَةَ الْخِذَا<sup>(١٩)</sup>

وقال يهجو القائد الفاتح قتيبة بن مسلم الباهلي وقومه ويعيرهم بزيمة انهزموها على يد الترك :

توافث تميم في الطعان وعزّدت      بهيلة لما عاتيت مغشراً غلبنا  
كثافة كثافة يرمب الناس حدهم      إذا ما مشوا في الحرب تحسبهم نكباً (٢٠)

وفي هذه الفترة بدأت تظهر إشارات من الشعراء لبعض صفات وعادات الترك والتي أدركها العرب بالمخالطة للترك وبمعاشرتهم . من ذلك أنهم يسكنون في قباب سود، وقد تراءت لهم عند فتح المدائن (٢١). ولما رآها مالك بن الربيع (المتوفى عام ٥٧هـ) وهو في خراسان تذكر مضارب أهله في نجد، فأثارت فيه الحنين للأهل والوطن فقال :

تذكرني قباب التزك أهلي      ومبذاهم إذا نزلوا سنا

وشبه مسكين الدارمي (المتوفى في حدود عام ٨٩هـ) قدور قومه في كبر حجمها وسوادها بقباب الترك :

كان قدور قومي كل يوم      قباب بالتركيب ملبسة الحلال  
كان المؤقديون لها جمال      طلاها الزفت والقطران طال

وقد لاحظ الشعراء ضخامة جثة الرجل التركي وكثافة شعره، كما قال حميد بن ثور الهلالي (المتوفى في زمن خلافة عثمان رضي الله عنه) يصف وطباً عظيماً صنع من جلد الشاة،

وقد مليء باللبن حتى استدار، فكان أشبه ما يكون برجل تركي عظيم الجثة وقد رقد (٢٣):

فجاءت بيدي أوتين أغبر شأنه      وعمّر حتى قيل هل هو خالذ  
وغرّره حتى استدار كأنه      على القرو علفوف من التزك راقد (٢٤)

ومن أخلاقهم وطباعهم التي لمسها العرب شدة العداوة، كما عبر عن ذلك  
عمّلس بن عقيل بن عُقْلَةَ المريّ (توفي في بداية القرن الثاني الهجري) بقوله:  
تَبَدَّلْتُ مِنْهُ بَعْدَ مَا شَابَ مَقَرِّي عِدَاوَةً تُرْكِيَّ وَبَغْضَ أَبِيسَ حَسِلِ (٢٥)  
ومنها عدم الوفاء بالعهود ونقضها، كما في قول بنصر بن سيار (المتوفى عام  
١٣١هـ):

وَلَتُرِكَ أَوْفَى مَن نَزَارَ بِعَهْدِهَا فَلَا يَأْمَنَنَّ الْغَدْرَ يَوْمًا عَهْدُهَا (٢٦)

ففي رأيه أن الترك المشهورة بالغدر ونقض العهود صارت أوفى من نزار. وأكد  
هذه الصفة عند الترك - وقد عَلِمْتُ من نقض الترك للمعاهدات في الحرب - قول  
يزيد بن الطثريّة (المتوفى عام ١٢٧هـ) في امرأة كان يتحدث إليها ويُعجب بها:  
فَيَوْمًا تَرَاهَا بِالْمُهْودِ وَفِيَّ وَيَوْمًا عَلَى دِينَ ابْنِ خَاقَانَ دِينُهَا (٢٧)

ومن خلال الحرب أيضاً لمس العرب في الترك صفة دقة الرمي في حالة الإقبال  
أو الإدبار، وهذه مهارة وقدرة لا يملكها كل رام. وبهذه الصفة افتخر يزيد بن  
الوليد بن عبد الملك، والذي كانت إحدى جدات أمه ابنة لخاقان  
الترك (٢٨) فقال:

فَإِنْ كُنْتُ أَرْمِي مُقْبِلًا نَمَّ مُدْبِرًا وَأَطْلَعُ مِنْ طَوْدٍ زَلِيحٍ عَلَى مُهْرٍ  
فَخَاقَانَ جَدِّي فَاصِرٍ فِي ذَاكَ وَادْكُرِي أَخَابِيرَهُ فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ الْوَعْرِ (٢٩)

وكانوا يلعبون بالكرات، وسجلها الشاعر جرير وهو يرد على الفرزدق ويهجو  
الزبرقان فقال:

وَقَدْ دَمِيتُ مَوَاقِعَ رُكْبَتَيْهَا مِنْ التَّرَاكِ مِيزَانِ الصَّلَاةِ  
تَبِيتُ اللَّيْلَ تُسَلِّقُ إِسْكَاتَهَا كِدَابِ التُّرْكِ تَلْعَبُ بِالْكَرَاتِ

## العلاقات السياسية:

وعندما انقضى عصر بني أمية وتلاه عصر بني العباس ، زادت الصلات بين العرب والترك ، وأصبحت العلاقات أكثر قرباً وتوثقاً . وانتهت تقريباً بالفتوحات في بلاد الترك ، وجلبوا إلى بغداد ، حاضرة الخلافة العباسية ، ليعملوا في خدمة الأمراء والقادة وفي الجيش .

فأصبح لهم نفوذ قوي في بغداد ، ونراهم يشتركون في أحداث فتنة الأمين والمأمون عام ١٩٧ هـ ، وقد أشار إلى دورهم فيها أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخزيمي (المتوفى عام ٢١٤ هـ) في قصيدته الطويلة التي وصف فيها ما حل ببغداد من خراب ودمار ، فقال :

بَلْ هَلْ رَأَيْتَ الشُّيُوفَ مُضَلَّتَةً      أَشْهَرَهَا فِي الْأَسْوَاقِ شَاهِرُهَا  
وَالْخَيْلَ تَسْتَنْ فِي أَرْقَتِهَا      بِالْتُرْكِ مَسْنُونَةً خَنَاجِرُهَا <sup>(٣١)</sup>

وكان الخليفة المعتصم بالله (تولى ما بين عام ٢١٨ هـ و عام ٢٢٧ هـ) - الذي كانت أمه تركية تسمى ماردة <sup>(٣٢)</sup> - أول من اتخذ من الترك جنداً له ، ليتخلص بهم من سيطرة العنصر العربي والفارسي على أمور الدولة . وأنشأ لهم مدينة سامراء (أو سر من رأى) . واعتز المعتصم بحماية الترك ، ويدل على ذلك بيتان نسباً له :

قَرَّبَ النِّحَامَ وَاعْجَلَ بِأَغْلَامِ      وَاطْرَحَ السَّيْرَجَ عَلَيْهِ وَاللِّجَامِ  
أَعْلِمِ الْأَنْرَاكَ أَنِّي خَائِضٌ      لُجَّةَ الْمَوْتِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامِ <sup>(٣٣)</sup>

وعبر عن ذلك علي بن الجهم (المتوفى عام ٢٤٩ هـ) في قصيدة مدح بها المعتصم حيث قال :

وَرَأَيْتُ تَقُولُ بِشَعْبِ رَضْنَوِي      إِمَامًا، خَابَ ذَلِكَ مِنْ إِمَامِ  
إِمَامِي مَنْ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا      مِنَ الْأَنْرَاكِ مُشْرَعَةُ السَّهَامِ  
إِذَا غَضِبُوا لِدِينِ اللَّهِ أَرْضَوْا      مَضَارِبَ كُلِّ هِنْدِيٍّ حُسَامِ <sup>(٣٤)</sup>

وبهذا بدأ عصر السيطرة التركية على أمور الدولة ، س وبرزت أسبأ قواد الترك من أشال أشناس ، ووصيف ، وبغا ، وابن طولون ، وبأغر ، وتوزون وغيرهم كثير ، واستطاعوا في نهاية الأمر أن يكونوا هم الحكام الفعلين للدولة الإسلامية وتغلبوا على الخلفاء وخلعوا وقتلوا من لا يعمل حسب رغباتهم وكان ما أقدم عليه المعتصم مثار سخط العرب ، فقال دِغْبِل بن علي الخزاعي (المتوفى عام ٢٤٦هـ) يهجو المعتصم :

لقد ضاع أمرُ الناسِ إذ ساسَ ملُكُهم (وصيفٌ) و أشناسٌ) وقد عَظُمَ الكَرْبُ  
وهُمُكُ تَرْكِيٌّ عليه مَهَانَسَةٌ فَأَنْتَ لَهُ أُمٌّ وَأَنْتَ لَهُ أَبٌ (٣٥)

وقال صاحب الزنج علي بن محمد الذي ظهر في فرات البصرة عام ٢٥٥هـ يخاطب بني العباس ، ويعاتبهم على ما قاموا به من تقديمهم الترك على العرب :

بني عُمنا إِنَّا وَأَنْتُمْ أَنَامِلُ تَضَمَّنْهُمَا مِنْ رَاحَتَيْهَا عُقُودُهَا  
بني عُمنا وَلَيْتُمْ التُّركُ أَمَرْنَا وَنَحْنُ قَدِيماً أَضْلُهَا وَعَمُودُهَا  
فَمَا بِأَلْ عُجْمِ التُّركِ تُقْسِمُ فَيُتَنَّا وَنَحْنُ لَدَيْهَا فِي الْبِلَادِ شُهُودُهَا (٣٦)

والمعتصم باتخاذ الترك حماة وسنداً له كان يظن أنهم سوف يمنعون ويمنعون أبناءه من بعده من الفتن والنواب ، ولكنهم كانوا هم أصل الفتن والنواب من بعد وفاته .

فطغى قواد الأتراك لما وجدوا في الخلفاء ضعفاً ، واستفردوا بالحكم ، وكان المتوكل على الله ابن المعتصم من زوجته التركية (شجاع) أول ضحايا الترك ، فهجموا عليه مع وزيره الفتح بن خاقان وقتله باغر التركي عام ٢٤٧هـ ، وفي

ذلك يقول يزيد بن محمد المهلبى (المتوفى عام ٢٥٩هـ وهو يرثيه ، ويعرض سياسة الخلفاء العباسيين في تقديمهم للترك على العرب الأحرار الذين يملكون القدرة على حمايتهم لو بذلوا عطاياهم ونعمهم لهم :

جاءوا عظيمًا لَدُنِّيَا يَسْعَدُونَ بِهَا فَقَدْ شَقُوا بِالَّذِي جَاءُوا وَمَا سَعِدُوا

لَمَّا اعْتَقَدْتُمْ أَنَسَاءً لَا حُلُومَ لَهُمْ صَغْتُمْ وَصَيَّعْتُمْ مَنْ كَانَ يُنْقَضُ وَلَوْ جَعَلْتُمْ عَلَى الْأَحْرَارِ نِعْمَتَكُمْ حَتَّكُمْ السَّادَةُ الْمَذْكُورَةُ الْحُشْدُ (٣٧)

ومقال علي بن الجهم - الذي أيد المعتصم من قبل في هذا الأمر - مشيراً إلى هذا الصنف من العبيد :

فَبَايَحُنُودٌ صَيَّعَتْهَا مُلُوكُهَا وَيَا لِمُلُوكٍ أَسْلَمَتْهَا جُنُودُهَا (٣٨)  
فَلَا طَالِبَ لِلثَّارِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ وَلَا دَافِعَ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ يَرِيدُهَا  
عَبِيدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلْنَاهُ وَأَعْظَمُ آفَاتِ الْمُلُوكِ عِبِيدُهَا

نعم فلا طالب للثأر ، ولا يمكن للتالي أن يدفعهم عن نفسه ، فبعد مؤامرة قتل المتوكل قُتِحَ الباب على مصراعيه للعبث التركي بمصير الخلفاء والفتن والشغب ، فعندما قتل بُغَا التركي بَاغِرَ التركي وهاجت الأتراك على المستعين بالله في عام ٢٥١هـ وخافهم وانحدر من سرَّ من رأى إلى بغداد قال أحد بن الحارث الخزاز (المتوفى عام ٢٥٧هـ) :

لَمَّيْري لَنْ قَتَلُوا بَاغِرًا لَقَدْ هَاجَ بَاغِرُ حَرْبًا طَحُونًا  
وَفَرَّ الْخَلِيفَةُ وَالْقَائِدَا بِنَ اللَّيْسُ لِي يَلْتَمِسُونَ السَّفِينَا  
وَحَلَّ يَبْغَدَادَ قَبْلَ الشُّرُوقِ فَحَلَّ بِهِمْ مِنْهُ مَا يَكْرَهُونَا  
فَلَيْتَ السَّفِينَةَ لَمْ تَأْتِنَا وَغَرَّهَا اللَّهُ وَالرَّاكِبِينَ (٣٩)

وبعد هذا الرعب الذي عاش فيه المستعين خلعه عام ٢٥٢هـ، في ذلك يقول واحد من الشعراء :

خُلِعَ الْخَلِيفَةُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ      وَسُيْقِلَ التَّالِي لَهْ أَوْ يُجْلَعُ  
وَيُرْوَلْ مُلْكُ بَنِي أَبِيهِ وَلَا يَرَى      أَحَدٌ تَمَلَّكَ مِنْهُمْ يَسْتَفْتَحُ  
ثُمَّ قَتَلُوا الْمُسْتَعِينَ ، فقال شاعر يظن أنه البحرى :

لِللَّهِ دُرٌّ عِصَابِيَّةٌ تَرْكُسِيَّةٌ      رَكُّوا نَوَائِبَ ذَهْرِهِمْ بِالسَّيْفِ  
فَتَلَسَّوْا الْخَلِيفَةَ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ      وَكَتَبُوا بِجَمِيعِ النَّاسِ ثَوْبَ الْخَوْفِ  
وَطَعَنُوا فَأَصْبَحَ مُلْكُنَا مُتَقَسِّمًا      وَإِسَامُنَا فِيهِ شَيْبَةُ الضَّبِيقِ (٤١)

وقال شاعر آخر:

أَطَافَتْ بِنَا الْأَثْرَاكُ حَوْلًا مُجَرَّمَا      وَمَا يَزَحْزَحَتْ فِي جُحْرَهَا أُمَّ عَامِرٍ  
أَنَامَتْ عَلَى ذُلٍّ وَمَهَانَةٍ      فَلَمَّا بَكَتْ أَبْذَتْ لَوْثُومَ غَادِرٍ  
لَمْ تَرَ حَقَّ الْمُسْتَعِينَ فَأَصْبَحَتْ      تُعِينُ عَلَيْهِ حَادِثَاتِ الْمَقَادِيرِ (٤٢)

ونعرض المعتز بالله لمؤامرات الترك بعد أن أغدق عليهم وأمرهم ، ويشير البحرى إلى مؤامرة بُغَا الصغير للوثوب على المعتز وطمعه في الحكم ، وذلك بقوله :

طَلَبَ الْبِغَامَةَ وَالْقَضِيْبَ وَأَيْسَنَ لَمْ      تَبْلُغْ حَقَاقَةَ ذَلِكَ الْحَسْبِجَامِ؟  
أَنُرَاهُ وَهُمْ أَنَّهُ أَهْلٌ لَهَا      سَقَاهَا تَعْدِي هَذِهِ الْأَوْهَامِ  
قَدْ رَأَى تَرْيِيقَ الْمَوَالِي بَعْدَمَا      جُمِعُوا عَلَى مَلِكِكَ أَغْرُهُمَامِ  
مُتَعَزِّزٍ بِاللَّهِ ، أَصْبَحَ نِعْمَةً      اللَّهُ سَابِقَةٌ عَلَى الْإِسْلَامِ  
.....  
مَا غَرَّكُمْ مِنْهُ وَقَدْ جَرَّبْتُمْ      سَطَوَاتِهِ فِي سَالِفِ الْأَعْوَامِ

إلى أن يقول في قضائه على بُعَا:

فالبؤم عَادَتِ الخِلافةُ عِرْهَا      وأضواء وجنة الملك بعد ظلام  
أضحى بُعَاءً وأقربُوه وحزْبُهُ      وكانتهم حُلُمٌ من الأحلام  
طأحوا فما بَكَتِ العيونُ عَلَيْهِم      يَدُومُوعِهَا، ومَضَوْا بغَيْرِ سَلام  
ولكن المعتز بالله لم يسلم منهم وكان مصيره مثل مصير والده المتوكل، فقد خلع ثم قتل وفي ذلك قال بعض الشعراء:

عَيْنٍ لَا تَنْجَلِي بِسْفَحِ الدُّمُوعِ	واندي خيرَ فـاجعٍ مـفجُوعِ
بَكَرَ الثُّرُكُ نَاقِمِينَ عَالِيَهُ	خَالِيَهُ، أَنْدِيهِ مِنْ غُلُوعِ
أَضْبَحَ الثُّرُكُ مَالَكِي الْأَمْرِ وَالْعَا	لَمْ يَمَّا بَيْنَ سَامِعٍ وَمُطْبِعِ
وَنَرَى اللَّهَ فِيهِمْ مَالِكَ الْأَمْرِ	سِيخُزِيهِمْ بِقَبْلِ ذَرِيْعِ <sup>(٤٤)</sup>

وقال شاعر آخر يتوعددهم وينذرهم جزاء ما اقترفوا في حق المعتز:

أَيُّهَا الثُّرُكُ سَوْفَ تَلْقَوْنَ لِلدَّهْرِ      مُيُوفًا لَا تَسْتَبِيلَ الْجَرِيحَا  
فَاسْتَعْدُوا لِلسَّيْفِ عَاقِبَةَ الْأَمْرِ      فَقَدْ جِئْتُمْ فَقَالًا قَبِيحَا<sup>(٤٥)</sup>

وكان هذا حصاد سنياسة المعتصم، ولخص هذا الأمر الشاعر الأندلسي لسان الدين بن الخطيب (المتوفى عام ٧٧٦هـ) بعد عدة قرون في وصفه للمعتصم في البيت التالي:

وهو الذي تَأَلَّفَ الْأَثَرَ كَمَا      فَصَّبُوا لِقَوْمِهِ الْأَنْثَرَ كَمَا<sup>(٤٦)</sup>



وكان أبو الطيب المتنبي (المتوفى عام ٣٥٤هـ) مدركاً لحقيقة هؤلاء القوم، فقال وهو يعزي سيف الدولة الحمداني عن عبده التركي يهاك وينبهه إلى كفاية العرب لكل أمر فهم خير من الترك:

إِنَّ الَّذِي أُمْسَتْ نِزَارٌ عَيْبُهُ غَنِيٌّ عَنِ اسْتِعْبَادِهِ لَغَرِيبٍ<sup>(٤٧)</sup>  
ورسم لنا صورة لبلاد الإسلام التي طاف بها من العراق والشام ومصر وفارس، فوجد العرب تحكمهم الترك الذين لا يملكون مقومات الحكم من الأدب والحسب والوفاء بالعهد، فقال:

وإِنَّا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ وَمَا تَفْلَحُ عُزْبٌ مُلُوكُهَا عَجَمٌ  
لَا أَذَبَ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ وَلَا عُهْدٌ هُمْ وَلَا ذِمَّةٌ  
يَكُلُّ أَرْضٍ وَطِثْهَا أُمٌّ تَرْعَى بَعِيدَ كَأْتَا غَنَمٍ<sup>(٤٨)</sup>  
وقال أبو طايب المأموني (المتوفى عام ٣٨٣هـ) في مدح أحد الوزراء ببخارى:

سَأَلْتُ اللَّهَ مَبْتَهَلًا مُنَاكَ فَأَضَعَفَ مَا سَأَلْتُ وَقَالَ : هَاكَ  
وَرَدَّ عَلَيَّ يَدَيْكَ الْمُلُوكَ لَأَا غَدَا بِالْتُرْكِ يُنْتَهَكَ انْتِهَاكَ<sup>(٤٩)</sup>  
وعندما أسس الملك الصالح نجم الدين أيوب جيشه من المماليك الأتراك واستكثر منهم في منتصف القرن السابع الهجري قال شاعر يتألم لذلك:

الصَّالِحُ الْمُتَرْضَى أَيُّوبُ أَكْثَرَ مِنْ تُرْكٍ بِذَوْلَتِهِ يَا شَرَّ مَجْلُوبٍ  
قَدْ أَخَذَ اللَّهُ أَيُّوبًا بِفَعْلَتِهِ فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فِي ضُرٍّ أَيُّوبٍ<sup>(٥٠)</sup>

وبالرغم من ذلك، فإن القادة الأتراك كانوا سنداً للخلفاء طالما اتفقت المصالح، فأظهروا الولاء والنصح والنصرة. فلو تصفحنا ديوان الشاعر البحراني (المتوفى عام ٢٨٤هـ) - الذي كان شاهداً على أحداث عصره، وحضر وقعة قتل

المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان - نجد صورة أخرى للترك أو (الموالي كما كان يسميهم)، فهم حماة الخليفة ويده في البطش بخصوص وهم ناصحوه والأمناء على العهد. ومما يستغرب له أن البحري لم يذكرهم ولم يوضح دورهم في مقتل المتوكل. وهذا جزء من الصورة التي رسمها البحري للترك، فيقول في مدح الفتح ابن خاقان وهو تركي الأصل:

غَدَا وَهُوَ طَوْدٌ لِلْخِلَافَةِ مَائِلٌ      وَحَدَّ حُسَامٌ لِلْخِلَافَةِ مِقْصَبٌ  
إِنْ الْعَرَبُ انْقَادَتْ إِلَيْكَ قُلُوبُهَا      فَقَدْ جِئْتَ أَحْسَانًا إِلَى كُلِّ مَعْرَبٍ  
شَكَرْتُكَ عَنْ قَوِيٍّ وَقَوْمِكَ، إِنَّنِي      لِسَائِهَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ<sup>(٥١)</sup>

وقال أيضاً يمدحه:

أَيُّنُ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي سَرِّ أَمْرِهِمْ      وَعَدُّهُمْ لِلْخَالِيعِ الْمُتَمَعِّ  
قَمَّا هُوَ بِالسَّهْلِ الشَّكِيمَةِ دَوْنَهُمْ      وَلَا فِيهِمْ بِالْمُذْهِبِ الْمُتَضَعِّ<sup>(٥٢)</sup>

وقال:

يَصُونُ بَنُو الْعَبَّاسِ سَطْوَةَ بَأْسِهِ      لَشَغْنٍ عِيْدِي يَتَعَاذُ أَوْ حَادِثٍ يَعْنُو  
يَبِيْتُ لَهُمْ حَيْثُ الْأَمَانَةُ وَالتَّقَى      وَيَعْدُو لَهُمْ حَيْثُ الْكِفَايَةُ وَالنَّصْرُ<sup>(٥٣)</sup>

وقال في نصرتهم للمعز وفي الإشادة بفضل الموالي الثلاثة بغاً وسيّاً الشرايين وشيخهم (وصيف):

أَمَّا الْمَوَالِي فَجَنَدُ اللَّهِ حَمَلُهُمْ      أَنْ يَنْصُرُوكَ فَقَدْ قَامُوا بِمَا احْتَمَلُوا  
بِقَاوِهِمْ عِصْمَةُ الدُّنْيَا، وَعِزُّهُمْ      سِترٌ عَلَى بَيْضَةِ الْإِسْلَامِ مُنْسَدِلٌ

قَدْ جَاهِدُوا عَنْكَ بِالْأَمْوَالِ وَافِرَةً      وَبِالنَّفُوسِ وَنَارِ الْحَرْبِ تَشْتَعِلُ  
يُوتِرُونَ تَبَاعَ الْكَسْرِ إِنْ رَكِبُوا      وَيَصْدُقُونَ دِرَاكَ الطَّعْنِ إِنْ نَزَلُوا

.....  
مَا يَمِثُلُ شَيْخِهِمْ حَزْمًا وَتَجَرِبَةً      وَلَا كَبَأً أَيْسَ فَتَاهُمْ حِينَ يَغْتَمِلُ  
ثَلَاثَةَ جَلَّةٍ إِنْ سُورُوا نَصَحُوا      أَوْ اسْتُعِينُوا كَفَرُوا أَوْ سُلْطُوا عَادَلُوا  
فَاسْلَمَ لَهُمْ مَا دَعَتْ ضُبْحًا مُطَوَّقَةً      وَلَيْسَلَمُوا لَكَ مَا حَنَّتْ ضُحَى إِبِلٍ (٥٤)

وفي القواد الأتراك الثلاثة أيضاً يقول البحري :

أَوَلَّتْكَ آراءُ المَوَالِي نُصْرَةً      بِسُيُوفِهِمِ وَالْمُلُكُ جِدُّ مَمَرِّ  
مِنْ نَاصِرٍ بِحُسَامِيهِ، وَغَدَلٍ      عَنْكَ الْعَدُوُّ بِرَأْيِهِ الْمُسْتَوْرِ  
كُلِّ رِضَى، وَارَى ثَلَاثَتَهُمْ كَفَرُوا      فَتَرَّ الْمُمَانِعِ وَافْتِاحِ الْمُغْلَقِ  
لَهُمْ احتِيَاظُ الْمُعْتَنَى وَمَقَاوِمُ السَّكَانِي وَرُفْقَةُ النَّصِيحِ الْمُشْفِقِ (٥٥)

بل نجده يمدح القائد صالح بن وصيف الذي كانت له يد في قتل المعتز وإهانة أمه قبيحة، فقال :

نَصِيحٌ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيْفُهُ      وَمَا مُضْمِرٌ غِشَا كَأَخَرِ نَاصِحِ  
تَوَيْدٌ وَكُنْيَتُهُ المَوَالِي وَيَعْتَزِي      إِلَى مَذْهَبٍ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ وَاضِحِ (٥٦)

وأشار إلى مساندة الأتراك للخليفة المهدي بالله بقوله :

كَتَابَتْ نَصْرُ اللَّهِ أَمْضَى سِلَاحُهَا      وَعَسَاجِلُ تَقْوَى اللَّهِ أَكْبَرُ رَادِهَا  
عَلِيْهِنَّ مِنْ شُورِ المَوَالِي فَوَارِسُ      عِدَادِ حَصَى الْبَطْحَاءِ دُونَ عِدَادِهَا (٥٧)

وقال يمدح القائد التركي اسحاق بن كُنداجيق الذي قلده المعتمد السيفين  
وتوجه عام ٢٦٩هـ:

وَأَرْوَمِيَّةٌ فِي الْمُلْكِ خَافَانِيَّةٌ تَعْتَمُّ أَفْسَانًا وَتَكْرُمُ غُنْصَرًا (٥٨)

وقال فيه أيضاً:

قَادَ أَبَاؤُهُ الْجِيَادَ مُلُوكًا قَبْلَ قَوْدِ الْحِيَادِ مِنْ ذِي رَعَيْنِ (٥٩)

وإذا تركنا البحري الذي أسرف في مديح الأتراك، نجد شعراء آخرين مدحوا  
القواد الأتراك، يدفعهم إلى ذلك ما يرونه من حمايتهم للخلافة الإسلامية، كما  
فعل الشاعر والأمير العربي ابن حيُّوس (المتوفى عام ٤٧٣هـ) بمدحه القائد  
التركي أنوشتكين الدزبري والي دمشق فقال:

فَلْتَعْمَلْ أَرْضُ التُّرْكِ أَنْ تُرَابَهَا مَا حَارَ أَصْلًا فَرَمُهُ لَا يُنْجِبُ (٦٠)

وقال في مدحه أيضاً:

مَا لِعِمْرِي الْأَتْرَاكِ لَا اجْتَنَّةُ الدَّهْرُ وَلَا مَالٌ دَوْحُهُ لَا نَقِصَافِ  
فَأَرَامُهُمْ قَوَادِمًا فِي جَنَاحِ الْعَمْرِ وَالنَّاسُ دُونَهُمْ كَالْحَوَافِ  
مَعَشَرٌ يُنْسَبُ الْفَخَارُ إِلَيْهِمْ فَتَكَاتَ لِكُلِّ صَنِيعٍ نَوَافِ (٦١)

وقال الشاعر الأرجاني (المتوفى عام ٥٤٤هـ) يمدح الخليفة المستظهر بالله (ما  
بين عامي ٤٦٧ - ٤٨٧) ويشير إلى نصره الجيوش التركية له:

وَاللَّيْلُ كَالرَّايَةِ السَّوْدَاءِ قَدَمُهَا لِلصُّبْحِ خَيْلٌ تَرَى مُبَيَّضَةَ الْغُرُرِ  
يَحْكُمِي لَوَاءَ بَنِي الْعَبَّاسِ يَوْمَ وَغَى إِذَا بَدَأَ وَجِيوشُ التُّرْكِ فِي الْأَثَرِ

لا حائذَ عَنْهُمَا يَنْجُو عَلَى بُعْدٍ    أَنْ يُذْرِكَاهُ ، وَلَا يَأْوِي إِلَى وَزَرٍ  
هُمَا اللَّذَانِ إِذَا مَا لَا عَلَى أُنْمٍ    لَمْ يُبْقِ مَرُّهُمَا شَيْئاً وَلَمْ يَذَرِ (٦٢)  
وكثر الثناء على الأتراك وقيادتهم للجيوش في زمن الحروب الصليبية،  
ودفاعهم عن حوزة الإسلام، فهذا ابن الخطاط (المتوفى عام ٥١٧ هـ) يمدح  
الأمير مجد الدين عضب الدولة أبق أمير دمشق ويحضه على الجهاد ضد  
الصليبيين و يذكره بما قدمه السلطان السلجوقي ألب أرسلان، فقال :

فَإِنْ أَلْبَ رَسُلَانٍ فِي مِثْلِهَا    مَضَى وَهُوَ أَمَضَى مِنَ السَّيْفِ حَدًّا  
فَأُضِيحَ أَبْقَى مِنَ الْفَرْقَدِ —    مِنْ ذِكْرًا وَأَسْنَى مِنَ الشَّمْسِ تَجْدًا  
وَلَعَلَّكُمْ أَنْ تُعِيدُوا مِنَ الْ —    مَآثِرَ وَالْمَجْدِ مَا كَانَ أَبْدًا  
وهذا ابنه قانصا فيكمم    مقام المُفَاخِرِ جَدًّا وَجَدًّا  
إلى أن يقول :

بَقِيْتُمْ وَلَا زَلْتُمْ فِي الْلِقَاءِ    بُدُورًا تَوَافِقُ فِي الْأَفْقِ سَعْنَدًا  
وَلَا بَرَحَ الْعِزِّ لِلْمُسْلِمِ —    مِنْ مَنْ بَحْرِكُمْ أَبَدًا مُسْتَمَدًا  
فَلَسْنَا نَرَى بَعْدَ طُولِ الْبَقَا    أَكْرَمَ مِنْكُمْ عَلَى اللَّهِ وَفْلَدًا  
وقد قيل في الترك إنَّ الذي    يُتَارِكُهُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ جَدًّا (٦٣)

وقال ابن سناء الملك (المتوفى عام ٦٠٨ هـ) يمدح صلاح الدين الأيوبي ودولته  
التي جمعت شمل المسلمين وصموده في وجه الصليبيين :

بدولة الترك عزت ملّة العرب    وبابن أثوب ذلك شيعّة الصُّلبِ (٦٤)  
وقال شهاب الدين محمود (المتوفى عام ٧٢٥ هـ) في انتصار السلطان المملوكي  
الأشرف خليل بن قلاوون على الصليبيين في معركة عكا سنة ٦٩٢ هـ :

الحمد لله زالت دولة الصُّلبِ    وعزَّ بالترك دين المصطفى العربي

وفي زمن الغزو المغولي أيضاً تصدى سلاطين الممالك لهم واستطاعوا أن يدحروهم ويكسروا شوكتهم ، وأن ينقذوا ديار المسلمين من شرهم ، ولهذا كثر مدح هؤلاء الممالك الأتراك لما قاموا به من حماية للإسلام ، ففي انتصار السلطان قلاوون على التتار سنة ٦٨٠هـ في محصن يقول الشاعر محمد بن سراج المنبجي البزاز (المتوفى عام ٧٢٣هـ) :

وَعَزَّوْتَ تَرْكَهُمْ بِتَرْكِ مِثْلِهَا      فَتَقَطَّعَتْ مَا بَيْنَهَا الْأَرْحَامُ <sup>(٦٦)</sup>  
 وقال عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة (المتوفى عام ٦٦٥هـ) في انتصار سيف الدين قطز المملوكي على التتار في موقعة عين جالوت عام ٦٥٨هـ :

غَلَبَ التَّتَارُ عَلَى الْبِلَادِ ، فَجَاءَهُمْ      مِنْ مِصْرَ تَرْكٌ كَيْ يَجُودَ بِنَفْسِهِ  
 بِالشَّامِ أَهْلَهُمْ ، وَتَدَّ شَمْلُهُمْ      وَلِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ مِنْ جَنْبِهِ <sup>(٦٧)</sup>

### الشعوبية:

لما أطلت الشعوبية بوجهها القبيح في العصر العباسي واستفحل أمرها لم نجد للترك دوراً فيها . ولم نجد لهم شاعراً يذود عنهم ويمجدهم ، فهم ليسوا طرفاً في القضية التي دارت بين العرب والفرس . إلا أنه قد ترد أحياناً إشارات إلى وجود شيء من افتخار الترك بأنفسهم بشكل خفي ، كما في تلك المفاخرة التي جرت في مجلس القتيبي صاحب بيت حكمة المأمون ورواها علي بن زريق (المتوفى عام ٤٢٠هـ) ، وقد جرت بين عربي وفارسي وتركبي ورومي ، فافتخر المتمي للترك بقوله :

الْتَرُكُ لَمْ يَمْلِكُوا فِي دَارِ مُلْكِهِمْ      وَالْفُرُسُ قَدْ مُلِكُوا وَالرُّومُ وَالْعَرَبُ  
 هَذَا لَعَمْرُكَ فَضَّلَ لَيْسَ يَنْحَدُهُ      إِلَّا حَسُودٌ عَيْنِدُ مَا لَهُ أَدَبُ <sup>(٦٨)</sup>

وقال شاعر من العجم هو أبو عبد الله البنداري الديلمي (من شعراء القرن الخامس الهجري)، يرد على من عاب عليه أن أخواله من الترك :

أُخْوَالِي التُّرْكُ لَا أَبْغِي بِهِمْ بَدَلًا      وَلَيْسَ رَأْيِي الرُّضَىٰ مِنِّي بِمَغْبُونٍ <sup>(٦٨)</sup>  
وقال شاعر آخر هو أبو الحسين الطُّوْلُقي (من أهل القرن الخامس الهجري) يدافع عن الأتراك :

أَلَا بِأَعَائِبِ الْأَتْرَاكِ مَهْلًا      فَلَيْسَ إِلَيَّ مَعَانِيهِمْ سُلُوكُ  
.....  
فَحَرُّهُمْ عَلَى الْأَحْزَارِ مَلْسُوكُ      وَعَبْدُهُمْ لِلْكَرِيمِ مَلْسُوكُ  
كَفَى الْأَتْرَاكِ أَنَّ النَّاسَ طُرًّا      رَعَايَاهُمْ وَأَنْتَهُمْ مُلْسُوكُ <sup>(٧٠)</sup>

ولا نكاد نعثر على أمثلة أخرى لافتخار الترك بأنفسهم وأمجادهم كما فعل الفرس، بل نجد أن الترك اختاروا الانحياز إلى الجانب العربي، والتقرب إلى أصحاب الخلافة وافتخروا بأنهم موالى العرب <sup>(٧١)</sup>. وفي سبيل التقرب من العرب زعموا أنهم من نسل رجل من مَذْحِج كان قد هبط إلى بلاد الترك فأنسل نسلًا كثيرًا <sup>(٧٢)</sup>. وقابل الشعراء العرب هذا الادعاء بالاستهجان والعجب، فقال شاعر يستنكر ادعاءات غير العرب في قصيدة منها :

مَتَى شَاءَ مِنْكُمْ مُقْرِجٌ كَانَ جَدُّهُ      عُمَارَةُ عَبَسَ خُـ ..... تِلْكَ الْعَمَائِرِ  
فَقَدْ صِرْتُ لَا أَذْرِي وَإِنْ كُنْتُ نَاسِيَا      لَعَلَّ نَجَارًا مِنْ هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ  
وَعَلَّ رِجَالَ التُّرْكِ مِنْ آلِ مَذْحِجٍ      وَعَلَّ نَمِيمًا عُصْبَةً مِنْ يُتَابِيرِ <sup>(٧٣)</sup>  
وفي رواية لله أوردتها الجاحظ يقول :

زَعَمْتُمْ أَنَّ التُّرْكَ أَبْنَاءُ مَذْحِجٍ      وَيُنْكَمُ قُرْبَى وَيُـ ..... الْبَرَابِيرِ

وردَّ شاعر آخر على زعم الأتراك أنهم من مذحج بقوله :

مَتَى كَانَتِ الْأَتْرَاكُ أَبْنَاءَ مَذْحِجٍ      الْآنَ فِي الدُّنْيَا عَجِيبًا لِمَنْ عَجِبٌ<sup>(٧٥)</sup>  
وكانت العرب تعلم أن الترك من أبناء يافث بن نوح<sup>(٧٦)</sup> ، كما ورد في شعر  
الملك الرائش الذي مر ذكره في أول المقال ، وفي قول الأبيوردی (المتوفى عام  
٥٠٧هـ) :

عَلَيْهَا كَمَاةُ التُّرْكِ مِنْ فَسْرٍ يَافِثٍ      كَثِيرٌ بِمُسْنَتِنِ النَّايَا نَزُوفًا<sup>(٧٧)</sup>  
وقول الزمخشري (المتوفى عام ٥٣٨هـ) :  
وَيَارُبُّ يَوْمَ أَهْدَيْتَ لِي وَصِيفَةً      مِنَ الْبَائِثِيَّاتِ الْمِلَاحِ لَعُوبٌ<sup>(٧٨)</sup>

### الصراع العسكري:

كان العصر الأموي عصر الفتوح في بلاد الترك ، وفي العصر العباسي توقفت  
تقريباً هذه الفتوح ، وأصبحت معظم بلاد الترك تحت ظل الخلافة العباسية ،  
ولهذا لا نكاد نعثر على شعر يذكر القتال ضد الترك إلاّ النزر اليسير كما في قول  
مسلم بن الوليد صريع الغواني (المتوفى عام ٢٠٨هـ) يمدح المأمون :

وَرَكَّتْ عَلَى (خَاقَانَ) خَيْلُكَ بَعْدَمَا      كَرِهَ الطَّعْمَانُ وَقَدْ أَطْلَنَ عِيرَاكَ  
حَتَّى وَرَدَنَ وَرَاءَ (شَاشٍ) بِمَنْزِلٍ      تَرَكَّثَ بِهِ نَفْلًا لَهْ الْأَتْرَاكَا<sup>(٧٩)</sup>

إلا أن هناك صفحة أخرى من الصراع العسكري قد فتحت بين العرب والترك  
في داخل بلاد الإسلام ، وتمثلت هذه في الفتن والخروج على الخليفة والثورات في  
كل عصر . كما تمثلت في هجوم التتار أو المغول وهم جنس من الترك لم يدخلوا  
الإسلام . فمن مظاهر الصراع الداخلي قول السري الرفاء (المتوفى بعد عام  
٣٦٠هـ) في مدح سيف الدولة الحمداني :



فَقَدْ نَسَارَكْنَهُ التُّرْكُ لَمَّا تَأَمَّلْتُ      سَطَاهُ وَلَوْ لَأَتْنَهُ لَأَقْتُ مُبِيرَهَا  
أَرَاهُمْ أَسَدَ الْعَرَبِينَ خَوَادِرًا      تُرَدُّ فِي غَابِ الرَّمَاكِ زَيْرَهَا<sup>(٨٠)</sup>

وقال عبدان الأصفهاني المعروف بالخوزي (من القرن الرابع الهجري) يصف  
فتنة الترك :

نَرَكْنَا لَخَوِيفَ الْخَيْلِ وَالتُّرْكِ دُورَنَا      فَلِلَّهِ صَرَفَ الدَّهْرِ كَيْفَ تَرَدَّدَا  
دَهَالِيَرُنَا ضَاقَتْ لِيَخَوْفِ نَزْوِهِمْ      كَأَنَّا يَهُودٌ نَدْخُلُ الْبَابَ سُجَّدًا<sup>(٨١)</sup>

والشاعر ابن حيّوس (المتوفى عام ٤٧٣هـ) الذي طالما تغنى بمدح قواد الترك  
تذكر عرويته في غمرة ذلك الصراع ، فقال يمدح أحد أمراء العرب وهو مسلم  
ابن قريش العقيلي صاحب الموصل لما استولى على حلب :

فِي يَوْمٍ قَارٍ زَايِنَةٌ لَكَ فَهَمَّتْ      مِنْ قَادَةِ الْأَتْرَاكِ مَنْ لَمْ يَفْهَمْ  
.....  
فِي عُصْبَةٍ كَمِثْيَةٍ تَرَكَوْا الْقَنَا      مُتَعَوِّضِينَ بِكُلِّ أَيْضٍ غُلَمٍ  
.....  
مِنْ مُرْهَفَاتٍ لَمْ تَرَ لْ أَيْمَانِكُمْ      أَنْصَعَارَتَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَيْنُومٍ  
مَا عَابَتْهَا التُّرْكُ تَعَحُّكُمُ فِي الطُّلُ      حَتَّى طَائَشَاتِ الْأَمْهَمِ<sup>(٨٢)</sup>

وقال يمدح أحد أمراء المرداسيين من بني كلاب بحلب :

وَكَانَتْ التُّرْكُ بِالْأَعْرَابِ جَاهِلَةً      حَتَّى أَتَحَّتْ لَهَا أَنْ تَعْرِفَ الْعَرَبَا  
لَا قُوَّهُمْ بِرِمَاكِ طَالَمَا انْحَطَمَتْ      وَاسْتَخْلَفَتْ فِي الْعِدَى الْهَنْدِيَّةَ الْقُضْبَا

وللشاعر الحسين بن جعفر الضرير البندنجي الهمداني (من أهل القرن  
الخامس الهجري) مدح في سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد ويذكر فيها

فعله يوم آمد في الوقعة بين مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل وفخر الدولة بن جهير يقول فيها :

كَيْتُومٌ عَقِيلٌ وَالرَّمَاخُ شَوَاجِرُ      وَيِيضُ الظُّبَى يَزْدِي الْكَمَاءُ ضَرَابُهَا  
عَدَاةٌ غَدَّتْ لِلتُّرْكِ فِي الْحَيِّ وَقَعَةٌ      أَبَاحَتْ حَمَى دَارِ عَزِيْزٍ جَنَابُهَا  
فَأَقْسِمُ لَوْلَا نَخْصُوهُ مَكْزِيْدِيَّةٌ      لَبَاتَتْ عَلَى حُكْمِ السَّيِّءِ كِفَابُهَا  
ولكن سيف الدولة ابن بَهَائِهَا      حَمَى عِرْضَهَا وَالتَّرْكُ تَحْرُقُ نَابُهَا (٨٤)  
وقال في مدح ألب قرأ البكجي أمير التركمان :

وَأَخْتَارَكَ اللَّهُ لِلْأَصْرَابِ مَثَلُ عَصَا      مُوسَى لِبِقْلَقِهِمْ ضَرْباً عَلَى الْهَادِي  
لَمَا عَبَرْتَ إِلَى غَرْبِي دَجْسَلَةَ فِي      جَيْشِ مَسْنِ التُّرْكِ سَيْرًا غَيْرَ إِرْوَادِ (٨٥)  
ولكن أعظم الخطوب التي حلت بالبلاد الإسلامية كان الغزو المغولي، وسجل الشعر العربي ما حل بديار المسلمين من خراب ودمار على يد الجيش التتري (٨٦). ونشير هنا باختصار إلى ظلم ووحشية هذا الصنف من الترك، ومقاومة العربي له : فقال علي بن المقرب العيوني (المتوفى عام ٦٢٩ هـ) يمدح صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ الذي تجهز لقتال التتار والصليبيين :

فَقَادَ إِلَى الْإِفْرَنْجِ جَيْشًا زُهًا      عَدِيدُ الْحَصَا ذَا أَرْزَلٍ وَزَمَازِمِ  
وَجَيْشًا بُوَارِي الشَّمْسِ رِيْعَانُ نَفْعِهِ      إِلَى التُّرْكِ إِذْ جَسَاءُ وَهْنُكَ الْمَحَارِمِ  
إِذَا التَّتَرُ الْبَاغُونَ ذَا قَوْلٍ لِقَاءَهُ      تَمَنُّوْا بِأَنْ كَانُوا دَمًا فِي الْمَسَائِمِ  
سَتَبَقَى بِهِ الْإِفْرَنْجُ وَالتُّرْكُ مَا بَقِيَ      كَأَنْ حَسَائِيهَا ظَهَرُوا الشَّيَاهِمِ (٨٧)

وعندما استعد الخليفة العباسي المستعصم بالله للقاء التتار الذين توجهوا صوب بغداد مدحه الناصر بن المعظم (المتوفى عام ٦٥٥ هـ) بقوله :

لَقِيَتْ مُلُوكُ التُّرْكِ إِذْ جَاءَ جَمْعُهَا      تَجَالِدُ دِينَ اللَّهِ بِالْكَبْرِ وَالْكَفْرِ

وقد نهب هؤلاء الترك الجدد القرى وتركوها أثراً بعد عين، فقال يحيى بن يوسف الصرصري الذي استشهد عند دخول التتار إلى بغداد عام ٦٥٦هـ:

تَحَقَّتْ طُغَاةُ التُّرْكِ أَطْرَافَ الْقُرَى      فَالْمَالُ نَهَبٌ وَالْمَنْزِلُ بُلْقَعُ<sup>(٨٩)</sup>

وسبوا نساء المسلمين وهتكوا المحارم، كما قال تقي الدين إسماعيل بن إبراهيم التنوخي (المتوفى عام ٦٧٢هـ) وهو يبكي بغداد وما حل بها على يد التتر الأتراك:

وَكَمْ حَرِيمٍ سَبَّهَ التُّرْكُ غَاصِبَةً      وَكَأَنَّ مِنْ دُونِ ذَلِكَ السَّيْرُ أَسْنَانُ<sup>(٩٠)</sup>

### صفات الترك:

لقد اتسعت مجالات الاختلاط بالترك في العصر العباسي بصورة أوسع مما كانت عليه في العصر الأموي، فكان ذلك أدعى لأن تزداد معرفة العرب بأخلاق الترك وطباعهم وصفاتهم. فمن أبرز ما اتصفوا به الشجاعة والشراسة في القتال، ودقة الرمي، والمهارة في نصب الأوهاق وكل ما يتصل بالحرب والجنديّة. ففي نصب الأوهاق يُشَبَّه علي بن الجهم ملاحي السفينة وهم في وضع الانحناء ليشدوا حبالها التي التفت حول أوساطهم بالأسرى الذين وقعوا في وهق للترك ويحاولون الهرب وقد ألفت حولهم الأناشيط، فقال:

وجمع ابن الرومي (المتوفى عام ٢٨٣هـ) كل صفات الترك الحربية في قصيدة له مليئة بالصورة الحية: فهم الأسود وجوهاً ولكنهم أدهى، لهم سهام هي (بنات المنايا) لا تخطيء من صويت نحوه، متعطشون للدم، يسددون الضربات في حالة الإقبال والإدبار، أشداء في النزال والطعان وفي الكرّ، لهم شهامة الليث، والغنيمة في ترك ملاقاتهم، وشهد لهم عدوهم قبل صديقهم. ولنقرأ الآن هذه

القصيدة الرائعة لابن الرومي والتي حشد فيها صوراً بلاغية شتى :

ولكنّهم أذهبي دَهَاءً وأُنْكَرُ  
والحَاطِظُهُمُ الحَاطِظُهَا حِينَ تَنْظُرُ  
هُمْ مَنْظَرٌ مِنْهَا مَهِيْبٌ وَخَيْرُ  
بَنَاتِ الْمَنَايَا وَالْجَنِّي الْمَذْنُورُ  
بِتَسْمِيَةِ الْقِسْرَانِ فِيهَا يُفَسِّرُ  
خَفَافًا مَعَ الْأَحْجَالِ تَغْلُو وَتَقْصُرُ  
مَوَاقِفُهَا فِيهَا يَشَاءُونَ يُقَدِّرُ  
يَكَادُ لَأَبَابِ الْمَوْتِ مِنْهُنَّ يَقْطُرُ  
لَهَا مَكْرُودٌ مِنْ غَيْرِ مَا تَأْتَاهُ تَصْنُدُرُ  
حَقِيقَتُهُ لَمْ يَخْرُ مِنْهُ الْمَذْمُورُ  
بِلَيْكَ بَحْدٌ مِثْلُهُ حِينَ يَذْبُورُ  
تَلْقَاكَ مِنْهَا جَنَائِبُ تَسْمَعُ  
رَهَقَتْ جِهَامُ الْمَوْتِ أَوْ تَأْخُرُ  
يُذْمَرُ فِيهَا سَادِرًا مَا يُذْمَرُ  
تَكُونُ لَهُ إِجْلَاءٌ ثُمَّ يَغْكُرُ  
شَهِيدِي رَسُولِ اللَّهِ وَالْحَقُّ يَنْهَرُ  
وَهَلْ نَظَاهِمُ جَاهِلٍ أَوْ مَغْمَرُ  
تُخَبِّرُكَ أَنْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ خُبْرُ ٩٢

تَرَى شَبَةَ الْأَسَادِ فِيهِمْ مَبِينًا  
وُجُوهُهُمْ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَجُوهُهَا  
هُمْ هِيَ، لَوْلَا إِيْزَابُهُمْ وَخُلُوعُهُمْ  
لَهُمْ عُدَّةٌ تَكْفِيهِمْ كُلَّ عُدَّةٍ  
هِيَ الْقُوَّةُ الْحَقُّ الْمُسَاءَةُ قُوَّةُ  
يُزْلُونَ عَنْ أَجْبَادِ كُلِّ حَنِيَّةٍ  
نَوَاهَا نَوَاهِمُ فِي الرَّمَايَا كَانَهَا  
لَهَا أَلْسُنٌ مَا تَسْتَفِيضُ لَهَا مَاءُهَا  
ظِلَاءٌ إِلَى وَرْدِ الدَّمَاءِ نَوَاهِلُ  
يُولِي الْمَوْلَى مِنْهُمْ وَهُوَ مَانِعُ  
يَلِيكَ بِحَدِّ شَانِكَ وَهُوَ مُقْبِلُ  
هُوَ النَّارُ مِنْ أَيْ النَّوَاحِي غَشِيَتْهَا أَوْ  
الرَّمَحُ ذُو النَّصْلَيْنِ كَيْفَ رَهَقَتْهُ  
تَكُونُ لَهُ إِجْفَالَةٌ ثُمَّ كَرَّةُ  
كَذَلِكَ تَلْقَى اللَّيْثَ فَضْلَ شَهَامَةٍ تَرَكَهُمْ مَا  
تَكَرَّكَوكَ غَنِيْمَةً  
فَلِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ جَاهِلًا أَوْ مُغْمَرًا  
فَسَائِلُ بِهِمْ أَعْدَاءَهُمْ أَوْ دِيَارَهُ

وابن الرومي أيضاً شبه تأثير عيون النساء الجميلة على الرجال ، بالنبال التي لا

تصمد لها كتابتُ الترك العظيمة التي يقودها الخاقان ، فقال :

وَمِنْ عَجَائِبِ مَا يُمْنَى الرَّجَالُ بِهِ  
مُسْتَضْعِفَاتٌ لَهُ مِنْهُنَّ أَقْرَانُ  
مُنَاضِلَاتٌ يَنْبَلُ لَا تَقُومُ لَكُ  
كَتَائِبُ التَّرْكِ يُزْجِيهِنَّ خَاقَانُ (٩٣)

وسهام الترك ، ونبال الترك يضرب بها المثل (٩٤) ، فهي (بنات المنايا) كما قال  
ابن الرومي ، وشبه بها أبو العلاء المعري (المتوفى عام ٤٤٩ هـ) انطلاق الخيل في

سرعة فائقة فقال :

فَوَجِدَنْ أَمْضَى مِنْ سِهَامِ التُّرْكِ بَلْ أَمْضَى وَأَنْفَذَ مِنْ حِرَابِ الدَّيْلَمِ<sup>(٩٥)</sup>  
ولا تصمد أمامها رماح العرب على شهرتها، كما في قول الأبيوردي (المتوفى عام ٥٠٧هـ) :

وَمَنْ إِنْ يَسْتَوِي مِنَ الْعُرْبِ رَامِحٌ عَلَى بَلَدٍ فِيهِ مِنَ التُّرْكِ نَابِلٌ<sup>(٩٦)</sup>  
وفيهم قال الشاعر التركي الأصل علم الدين أيدمر المحيوي (المتوفى بعد منتصف القرن السابع الهجري) حين أشاد بجيش الملك الصالح نجم الدين أيوب، والذي كان كله من الترك المماليك، وخاض به الحرب ضد الصليبيين :

مِنَ الْكُفَّةِ الَّتِي تُطَوِّى ضُلُوعُهُمْ عَلَى الْعَزِيمَةِ وَالْإِقْدَامِ، لَا الْفُتْلِ  
مِنْ كُلِّ أَمْضَى مِنَ الْهِنْدِيِّ فِي يَدِهِ عَزْمًا وَأَنْفَذَ إِقْدَامًا مِنَ الْأَسْلِ  
لَيْتَ مِنَ الْقَوْمِ، مَا (خَفَانٌ) مَوْطِنُهُ رَامٍ مِنَ التُّرْكِ لَا يُعْرَى إِلَى (تُعَلِ)  
يَكُونُ أَتَيْتَ يَوْمَ الرُّوحِ مِنْ جَبَلِ رَاسٍ وَأَجْوَلُ فِي الصَّفَيْنِ مِنْ مَثَلِ  
هَمَّ عَيْدُكَ مِنْ قَوْمِي، وَمَنْ جَمَعَتْ دَعْوَى وَلَا تَكُ تَحْتَ الْحَادِثِ الْجَسَلِ  
بَعُدْتُ عَنْهُمْ، فَلَمْ أَشْهَدْ تَفَاهِلَهُمْ فَجِئْتُ بِالْقَوْلِ، إِذْ جَاءُوكَ بِالْعَمَلِ<sup>(٩٧)</sup>

وعن شجاعتهم تحدث كثير من الشعراء، فقال ابن حيوس :

وَالْتُرْكُ بِمَنْزِلِ النَّاسِ إِلَّا أَنَّهُمْ أَقْوَى وَأَضْلَبُ فِي الْكَرِيمَةِ مَكْبَرًا<sup>(٩٨)</sup>  
والترك هو بنو الحرب ولا طاقة لأحد بحريهم، وهم ملازمون لظهور خيولهم، كما وصفهم جبرائيل بن ناصر المثنى السلمي (المتوفى عام ٧٣٣هـ) بقوله :

وَمَنْ يُطِيقُ التُّرْكَ فِي الْحَرْبِ إِنَّهُمْ بَنُوها وَكُلُّ النَّاسِ زُورٌ وَبَاطِلٌ  
حُمَاةُ كُفَّةٍ كَالضَّرَاغِمِ، خَبِلْتُمْ مَعَاقِلُهُمْ، وَخَبِلَ نَعْمُ الْمَعَاقِلِ<sup>(٩٩)</sup>  
وقال شاعر آخر (من أهل القرن الخامس الهجري) يصف معركة للترك ضد

الروم :

وجاء كالريح يَنْفِي الرَّمْلَ عَاصِفُهَا      فاجتاحَ جيشاً يُوازِي النَّمْلَ في العَدَدِ  
أَتْرَاكُهُ بَسِيفُ الهِنْدِ مَا تَرَكَتْ      للرومِ إِذْ رَامَهَا رَأْساً عَلَى جَسَدِ<sup>(١٠٠)</sup>

وامتدح شهاب الدين محمود (المتوفى عام ٧٢٥هـ) بسالة جيوش الترك في صد  
الصليبيين، فقال :

جَيْشٌ مِنَ التُّرْكِ تَزَكُ الْحَرْبِ عِنْدَهُمْ      عَازٍ، وَرَاحَتُهُمْ صَمَرُ مِنَ الوَصْبِ  
تَسْمُوها، فَلَمْ يَتْرُكْ بُكَاثُهُمْ      فِي ذَلِكَ الْأَنْقِ بَرْجاً غَيْرَ مُنْقَلَبِ<sup>(١٠١)</sup>

وقال أيضاً فيهم :

لِبُيُوتٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ أَجَامُهَا الْقَنَا      لَهَا كُلُّ يَوْمٍ ذُرَى ظَمَرٍ ظُفُرُ  
فَلَا الرِّيحُ تَسْرِي يَبْحَثُهُمْ لاشْتَبَاكِهَا      عَلَيْهِمْ وَلَا يَنْهَلُ مِنْ فَوْقِهِمْ قَطْرُ  
يَرَى الْمَوْتَ مَعْقُوداً يَهْدُبُ نِيَالِهِمْ      إِذَا مَا رَمَاهَا الْقَوْسُ وَالنَّظَرُ الشَّرَرُ<sup>(١٠٢)</sup>

وقال في شجاعتهم الأبيوردي :

عَلَيْهَا كِمَاةُ التُّرْكِ مِنْ فَرْعٍ يَفَاتُ      كَثِيرٌ بِمُسْتَنِّ الْمَنَسَايَا نَزُولُهَا  
هُمْ الْأَسَدُ بَأْساً فِي اللَّقَاءِ وَأَوْجُهُا      إِذَا غَضِبُوا وَالسَّمْهَرِيَّةُ غِيلُهَا<sup>(١٠٣)</sup>

وإلى جانب الشجاعة الحربية والبأس في القتال، حاز الترك صفة الحسن  
والجمال، فقال في ذلك إبراهيم بن عثمان الكلبي الغزي (المتوفى عام ٥٢٤هـ) :

فِي فِتْيَةٍ مِنْ مُلُوكِ التُّرْكِ مَا تَرَكَتْ      لِلرَّعْدِ كَرَاثَتُهُمْ صَوْتُهَا وَلَا صَيْتَا  
قَوْمٌ إِذَا قَوْلِيلُوا كَانُوا مَلَانِكَةً      حُسْنًا وَإِنْ قَوْلِيلُوا كَانُوا عَفَارِيثًا<sup>(١٠٤)</sup>

وأشار ابن سبّط التعاودزي (المتوفى عام ٥٨٣هـ) إلى شجاعتهم وحسنهم  
بقوله :

وَأَسْوَدُ مِنْ غِلْمَةِ التُّرْكِ لَا تَأُ      لَفَ إِلَّا غِيلَ الْقَنَا الْمَشْجُورِ  
يُنْجِلُونَ الْبُدُورَ حُسْنًا وَإِنْ خَا      ضَوْأُ وَغَى وَتَاخَلُّوا الْقَنَا بِالْخُصُورِ

من لُيُوثِ النَّسْرَى إِذَا دَارَتْ الْحَرْبُ      وفي السِّلْمِ مِنْ طِبَاءِ الْحُدُودِ (١٠٥)  
وقال ابن النبيه المصري (المتوفى عام ٦١٩هـ) في ذات المعنى :

إِيَّاكَ وَالْأَنْرَاكِ إِنْ لَيْتَعْصِيهِمْ      أَشْخَاصَ غُرْلَانٍ وَفِعْلَ أُسُودِ (١٠٦)  
وقال فتیان الشاغوري (المتوفى عام ٦١٥هـ) أيضًا :

كَأَنَّ كَهْمَةَ التُّرْكِ عِنْدَ زِيَالِهِمْ      مَلَائِكَةً بِالشُّهْبِ تَرْمِي الْأَبَالِيْسَا (١٠٧)

ومن صفاتهم الجسدية بياض البشرة التي تشبه ضياء الصبح كما قال ابن هانئ الأندلسي المتوفى عام ٣٦٢هـ وهو يصف ضياء الفجر فجعله كأنه خاقان الترك وجعل الليل كأنه النجاشي :

كَأَنَّ عَمُودَ الْفَجْرِ خَاقَانٌ عَسْكَرٍ      مِنَ التُّرْكِ نَادَى بِالنَّجَاشِيِّ فَاسْتَخَفَى (١٠٨)  
وشبه أبو العلاء المعري بياض الترك بجبال طيء ، وشبه السودان بحجارة الحرة فقال :

أَتُنْتَنَا مِنَ الْأَنْرَاكِ أَغْلَامٌ طِيَّيٍّ      تَقُودُ مِـــــــنَ السُّودَانِ حَرَّةً رَاجِلَ (١٠٩)  
وكانوا يعتادون إطالة شواربهم ، فقد شبه أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (المتوفى عام ٣٥٦هـ) الهرَّ في طول شاربه برجل تركي ، فقال يذكر تخلص الهرِّ له من همَّ الفئران :

زَالِ هَمِّي مِنْهُمْ أَزْرُقُ تَرْكِي السِّبَالِيْنَ أَنْمَرُ الْجَلْبَابِ (١١٠)  
ومن طباعهم وخالهم غير الحميدة عدم الوفاء ، وهي صفة سبق أن عرفت في العصر الأموي ، ولها صدى في العصر العباسي ، فقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (المتوفى ٤٦٦هـ) :

إِنْ كَانَتْ التُّرْكُ فِيهِمْ غَيْرَ وَافِيَةٍ      فَمَا تَزِيدُ عَلَيَّ غَدْرِ الْأَعَارِبِ (١١١)

ووصف ابن حيّوس أحد ممدوحيه بأنه يشبه الترك في الإقدام، أما في الوفاء فهو من العرب :

وَيُشْبِهُ التُّرْكَ إِقْدَامًا وَتَحْمِيَّةً      فَإِنْ دَعَاهُ وَفَاءٌ عَاوَدَ الْعَرَبَا (١١٢)  
ومن خصالهم غير الحميدة النهب والسرقة، كما وصفهم بذلك إبراهيم الكلبي الغزي بقوله :

مَدَّتْ إِلَى النَّهْبِ أَيْدِيَهُمْ وَأَعْيَتْهُمْ      فَرَاكَهُمْ قَلَقُ الْأَحْدَاقِ تَنْبِيْهَا  
يَدَارِ قَارُونَ لَوْ مَرُّوا عَلَى عَجَلٍ      لَبَاتَ فِيهَا قَافَةٌ لَا يَمْلِكُ الْقَوْنَا (١١٣)  
ومن هنا فقد تميزوا بخصال حميدة وأخرى غير حميدة، فوصفهم البلخي (من شعراء القرن الخامس الهجري) بأنهم هم مُرُّ الزمان وهم حلاة :

عَلَيْكَ التَّرُّكُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ      فَهُمْ زَيْنُ الْمَخَاضِرِ وَالْمَوَامِي  
وَهُمْ مُرُّ الزَّمَانِ وَهُمْ حَلَاةٌ      وَقَدْ حَمِدَ الْمَرَارَةَ فِي الْمُدَامِ  
بِأَوْسَاطِ الْفَلَاءِ لَهُمْ يُبْثَوْتُ      تُحْصِنُهَا بِأَطْرَافِ الشَّهَامِ (١١٤)  
وإلى جانب بيوتهم التي تقام بأوساط الفلاة كانت لهم ملاعب يلعبون بها، جاء ذكرها في بيت للشاعر أحمد الحضرمي (من شعراء القرن الرابع الهجري) حيث يقول في وصف الفرس :

شَنَجَ النَّسَا زَجَلٍ كَأَنَّ مَرَاتَهُ      زُحْلُوْقُ لَغَبٍ أَوْ سَرَارَةُ مَسْدَاكَ  
يَنْقُضُ كَالنَّجْمِ أَنْبَرَى لِلزَّجَمِ أَوْ      كَالشَّهْمِ طَاحَ بِمَلْعَبِ الْأَتْرَاكِ (١١٥)  
وفي وقت الغضب والثورة يتكلمون بألفاظ غير مفهومة، فقال في ذلك أبو بكر بن أحمد ابن حمدان المعروف بالخباز البلدي (من أهل القرن الرابع الهجري) وهو يصف الساقية أو دولاب الماء :

نُجُومُ مَاءٍ يُدِيرُهَا فَلَكٌ      يَكْثُرُ مِنْهُ تَعَجُّبُ الْعَجَبِ  
مُرْمَزِمٌ مَا يَبِينُ مَنْطِقُهُ      كَقَائِدِ التَّرُّكِ غَدْوَةُ الشَّعْبِ (١١٦)



ولقد وجد الشعراء إعراضاً وانصرافاً من الترك عن الشعر، فلم يَقَرَّبُوا الشعراء من مجالسهم كما كان يفعل حكام العرب، ولهذا قال المهذب بن أسعد المعروف بابن الدهان الموصل (المتوفى عام ٥٨١ هـ):

أَمَدَحُ التُّرْكَ أَبْغِي الْفَضْلَ عَنْهُمْ وَالشَّعْرُ مَا زَالَ عِنْدَ التُّرْكِ مَتْرُوكًا<sup>(١١٧)</sup>  
وعرض بهم أبو الطيب المتنبّي في قصيدته التي عزي فيها سيف الدولة عن مملوكه التركي (بيك)

فقال:

لَبَقِيَ بِيَاكَ فِي حَشَايَ صَبَابَةً إِلَى كُلِّ تُرْكِي التَّجَارِ جَلِيلٍ  
وَمَا كُلُّ وَجْهِ أَيْضَ بِمَبَارَكٍ وَلَا كُلُّ جَفْنٍ صَبِيٍّ بِنَجِيبٍ<sup>(١١٨)</sup>  
وقال ابن النّبيّه المصري (المتوفى عام ٦١٩ هـ) في الشكوى منهم:

صَنَفْتُ مِنَ التُّرْكِ وَالْحُدَامِ قَدْ بَلَغَا بِأَفْجَحِ الْفِعْلِ فِينَا غَايَةَ الْأَمَلِ<sup>(١١٩)</sup>

### التغزل بنساء الترك وعلمانهم:

لما كثر الأتراك ببغداد كانت نساؤهم يعملن في بيوت كبار القوم مربيات وخادومات، وبعضهن كن جاريات؛ ولقد وصل بعض هؤلاء الجوارى إلى قصور الخلفاء وأصبحن أمهات لبعضهم مثل المعتصم والمتوكل. ونتيجة لكثرة نساء الترك بدأ الشعراء يطرون جمالهن ويذكرون محاسنهن. إلا أن هذا كان في عصر متأخر نسبياً. وأصبحنا نسمع عن انصراف بعض الشعراء عن الجمال العربي وعن ليلٍ وشعدي إلى الجمال التركي الوافد. فمن ذلك قول أبي القاسم محمود الزمخشري «المتوفى عام ٥٣٨ هـ» الذي يدعو إلى الالتفات إلى جمال التركيات:

الْأَقْلُ لَشُعْدَى مَا لَنَا فِيكَ مِنْ وَطَرٍ      وَمَا تُطَيِّبُنَا التُّجْلُ مِنْ أَعْيُنِ الْبَعَرِ  
فَإِنَّ الْعَيُونَ الضَّيِيقَاتِ وَأَهْلَهَا      بِهِمْ عَلِقَتْ مِنَّا الضَّيَائِرُ وَالْفِكَرُ  
إِذَا نَظَرُوا لَمْ تُبْدِ إِلَّا أَحْوَادُهَا      وَإِنْ ضَحِكُوا ضَمُّوا الْجُفُونَ عَلَى الْحَوَرِ  
وَأَنَّ وَجْهَ الشَّرِّكَ وَاللَّهُ جَارُهَا      بَدُّوْا إِلَى أَثْمَانِهَا تُضَرِّفُ الْيَدَرُ  
وَفِي صُورِ التُّرْكِ الْعَجَائِبِ فَلَتَكُنْ      عُيُونُكُمْ صُورًا إِلَى هَذِهِ الصُّورِ (١٢٠)

وقال أيضاً :

فَإِنَّا اقْتَصَرْنَا بِالْبَدِينِ تَضَائِقَتْ      عُيُونُهُم وَاللَّهُ يَجْزِي مَنْ اقْتَصَرَ  
مَلِيحٌ وَلَكِنْ عِنْدَهُ جَفْوَةٌ      وَلَمْ أَرَ فِي الدُّنْيَا صَفَاءً يَلَا كَدَرَ (١٢١)

فأصبح العيون الضيقة مقياساً للجمال بدلاً من عيون المها الواسعة التي طالما تغني بها العرب . وهذا شاعر آخر يترك البوادي وأهلها إلى الحضر والترك ، فيقول ابن الدهان الموصلي «المتوفى عام ٥٨١هـ) :

قَالُوا تَرَكْتُ الْبَوَادِي قُلْتُ : حُبُّهُمْ      مُحَرَّمٌ حَظَرَتْهُ التُّرُكُ وَالْحَضَرُ  
مَا مَنَزَلُ الْحَيِّ مِنْ قَلْبِي بِمَنَزِلَةٍ      وَلَا لَأَثَارِ ظَعْنٍ عِنْدَهُ أَثَرُ (١٢٢)

وعلى نفس المنوال يقول علاء الدين بن ملك الجويني (المتوفى عام ٦٨١هـ) متغزلاً بفتاة تركية :

أَبَادِيَّةُ الْأَعْرَابِ عَنِّي فَإِنِّي      بِحَاضِرَةِ الْأَتْرَاكِ نَبْطُتْ عَلَاتِي  
وَأَهْلُكِ يَا تُجْلُ الثُّمَيُونِ فَإِنِّي      بَلِيتَ بِهِدَا النَّاطِرِ الْمُتَضَاقِ (١٢٣)

وقال أحمد بن محمد بن أبي الوفاء المعروف بابن الخلاوي «المتوفى ٦٥٦هـ» في نفس المعنى معلناً تركه للغزل العربي :

مِنْ التُّرْكِ لَا يُضْبِئِهِ وَجْدٌ إِلَى الْحِمَى      وَلَا ذِكْرُ بَنَاتِ الْغُيُورِ تَنْسُوقُهُ  
وَلَا حَلٌّ فِي حَيِّ تَلَوُّحِ قِيَابُهِ      وَلَا سَارٌ فِي رَكْبٍ يُسَاقُ وَسُوقُهُ  
وَلَا بَاتٌ صَبَاً بِالْفُسْرِيقِ وَأَهْلِيهِ      وَلَكِنْ إِلَى خَاقَانَ يُعْزَى فَرِيقُهُ (١٢٤)

ومن سار على هذا النحو فتیان الشاغوري (المتوفى عام ٦١٥هـ) حيث يقول :  
 دَغْنِي مِنَ الرَّشَاءِ النَّحْدِي فَالرَّشَاءُ      التَّرْكِي أَوْقَعْتُ فِي أَشْرَاكِ حَيْبِهِ (١٢٥)  
 وكانت عيون التركيات الضيقة محور الإعجاب فأفاضوا في ذكرها ، فقال  
 منصور بن محمد الأزدي الهروي (المتوفى عام ٤٤٠هـ) يصف تركية ذات شعر  
 كالليل ووجه كالأصباح وعيون ضيقة بقوله :

خَسَفَ مِنَ التَّرْكِ مِثْلَ الْبَدْرِ طَلْعَتُهُ      يَجُوزُ ضِدْبَسْنِ مِنْ لَيْلٍ وَإِصْبَاحٍ  
 كَانَ عَيْنِيهِ وَالتَّقْيِيرُ كَحُلَّتْهَا مَا      آثَارُ ظَفَرٍ بَدَتْ فِي صَحْنِ ثِقَاحٍ (١٢٦)  
 وقال الزمخشري :

أعاجم أشباه الوحوش أوابد      إذا جرحوا و كانت جراحهم هذر  
 بنفسٍ قوي كخطه وهو فاتر      كذا اللخط ما أقوى يكون إذا فتر  
 تضايقت العينان منه وإنه      يوسع في القلب الجراح إذا نظر  
 ويقتل بالجنف الضعيف ولم أر      أهود يسري من ضعيف إذا قدر (١٢٧)  
 ويقول ابن سناء الملك (المتوفى عام ٦٠٨هـ) الذي يشبه عيون الترك بسيوف  
 الهند :

حَدَارِ سِوْفِ الْهِنْدِ مِنْ أَغْنِ التَّرْكِ      فَمَا شُهِرَتْ إِلَّا لِئَاذَنْ بِالْفَتَكِ (١٢٨)  
 وقال الشاعر ابن عنين (المتوفى عام ٦٣٠هـ) محذراً من التعلق بهوى  
 التركيات :

لَا تَعْرِضَنَّ لِضِيْقِ الْمُقَلِّ      فَتَيِّتَ مِنْ أَمْنٍ عَلَى وَجَلٍ  
 وَتَرُكْ طِبَاءَ التَّرْكِ سَانِحَةً      لَا تَعْرِضْ لِحَبَائِلِ الْأَجَلِ  
 بِيضَاءَ تَنْظُرُ مِنْ مُضَيِّقَةٍ      سَوْدَاءَ تَهْرَأُ مِنْ بَرِّي تُمَلِّ  
 وَبِلَيِّ مِنْ ضِيْقٍ مُقَلَّتِهَا      إِنْ خِيَفَ فَكُ الْأَعْيُنِ النَّحْلُ (١٢٩)

وما زالت العيون الضيقة موضع إعجاب الشعراء في أواخر العصر العباسي ،  
كما في قول مجد الدين ابن الظهير الأربلي «المتوفى عام ٦٧٧هـ) :

مِنَ التُّرْكِ ، لَا غَانِيَهُمْ يَبْلُغُ الْمُنَى      وَلَا هُوَ مَمْنُونٌ عَلَيْهِ فَيَمُنُّ  
غُيُونُهُمُ الْمَرْضَى وَمَرْضَى عَهْدِهِمْ      تُؤَكِّدُ أَسْبَابَ الْمَهْوَى وَتُؤَثِّقُ  
أَكْفُهُمْ تَرْمِي وَلَا دَمَ طَائِحٍ      وَالْحَاظُهُمْ تُصْمِي الْقُلُوبَ وَتَرْشُقُ (١٣٠)

وقال فتیان الشاغوري «المتوفى عام ٦١٥هـ) في عيون الترك :  
غُيُونُ التُّرْكِ أَنْفَدَ فِي الْوَعَى مِنْ      سَهَامِهِمْ إِذَا ارْتَفَعَ الْقَتَامُ (١٣١)

وقال جوبان القواس (المتوفى عام ٦٨٠هـ) :  
حَمَانَا التُّرْكُ وَانْتَهَكُوا حِمَانَا      وَلَنْ يَفِيَّ التَّوَاصِلُ بِالصُّدُودِ  
حَمُونَا بِالصُّوَارِمِ وَالْعَوَالِي      وَجَارُوا بِاللَّوَاظِظِ وَالْقُدُودِ (١٣٢)

وقال ابن النبيه المصري «المتوفى عام ٦١٩هـ) في حرة الخد وتقوس الحاجب :  
مِنَ التُّرْكِ فِي خَدَّيْهِ لِلْحُسْنِ جَنَّةٌ      بِمَالِكِهَا مَحْرُوسَةٌ لَا بَرِضْوَانِ  
زَمَانِي بِسَهْمِ اللَّحِظِ عَنْ قَوْسِ حَاجِبٍ      فَهَلْ حَاجِبٌ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ أَضْمَانِي (١٣٣)

وبدأت في العصر العباسي عادة سيئة لم تكن تعرفها العرب من قبل ، ألا وهي  
عادة التغزل بالذكر والغلمان المرد (١٣٤) . وقد جلب الفرس هذه المفسدة معهم  
إلى بلاد العرب . ومع تكاثر أعداد غلمان الترك الذين تميزوا بالحسن واللين  
والخلاعة ، ومع كثرة استخدامهم في البيوت انتشرت هذه العادة حتى بين كبار  
القوم ، ولم يترفع الشعراء عن الانغماس في التشبيب بالغلمان . وسوف نشير هنا  
على سبيل الاختصار إلى بعض النماذج من الشعر الذي قيل في غلمان الترك .  
فقد قال أبو البركات علي بن الحسين العلوي (من شعراء القرن الرابع) :

يا عُصْبَةَ الْأَتْرَاكِ أَوْلَادُكُمْ مِنْ يُوسُفَ الْحُسَيْنِ وَبَلْقَيْسِ  
أَلْحَاطُكُمْ تُحْيِي وَتُردِي الْوَرَى وَحُسْنُكُمْ فِتْنَةٌ إِبْلِيسِ (١٣٥)  
وقال أبو الحسن محمد بن عبد الله المخزومي السلامي (المتوفى عام ٣٩٣هـ)  
يشب بـغلام تركي :

عَلَّقْتُ مَقَرِسَ الضَّرَاغِمِ فَارِسَا رَحَبَ الْمَدَى وَالصَّذِرِ وَالْمَيْدَانِ  
قَمَرٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ تَشْهَدُ أَنَّهُ الْحَوْدُ الْحَصَانُ عَلَى أَقْبَ حِصَانِ  
الْبَدْرِ فِي ظِلِّ الْعَمَامَةِ وَالنَّسَقَا فِي سَرْجِهِ وَالْعُصْنُ فِي الْخَفَتَانِ  
أَلْفَتْ طَرَفَتَهُ وَغُرَّتَهُ وَمَا كَانَ الدُّجَى وَالصُّبْحُ بِيَاثِلِفَانِ  
وَرَمَى بِالْخُطْبَةِ الْقُلُوبَ وَسَهْمِهِ فَعَجِبْتُ كَيْفَ تَنْسَابَةُ السَّهْمَانِ (١٣٦)  
وَسَبَّ شَاعِرٍ آخَرُ هُوَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الضَّبْيَعِيُّ (من القرن الرابع)  
بـغلام تركي فقال :

أَضْيَعُكُمْ أَمْ غَزَالٌ ذَلِكَ أَمْ بَسْرٌ شَمْسٌ نَزَيْتُ بِزِيِّ التَّرَكِ أَمْ قَمَرٌ  
لَقَدْ تَحَيَّرَ وَضْفِي فِي حَقِيقَتِهِ كَمَا تَحَيَّرَ فِي أَجْفَانِهِ الْخَوَرُ (١٣٧)  
وقال أحد شعراء القرن الرابع الهجري أيضا في غلام تركي :

لَا سُمْرَةٌ ، لَا بَيَاضٌ فِيهِ ، لَا سِمَنْ لَاهُزَالٌ ، وَلَا طُؤُولٌ وَلَا قِصَرُ  
دُوقَامَةٍ قَامَ فِيهَا عُنْدُ عَاشِقِهَا وَصُورَةٌ فَكَبَحَتْ مَعَ حُسْنِهَا الصُّورُ (١٣٨)  
وقال أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بالمتيم الأفرقي (من شعراء القرن  
الرابع) :

قَلْبِي أُسِيرٌ فِي يَدَيِ مُقَلَّةٍ تَرْكِيَّةٍ ضَاقَ لَهَا صَدْرِي  
كَتَمْتُهَا مِنْ ضَيْقِهَا عُرْوَةً لَيْسَ لَهَا زُرٌّ سِوَى السَّحْرِ  
وَأُنْشِدُ أَيْضاً :

قَدْ أَكْثَرَ النَّاسَ فِي الصِّفَاتِ ، وَقَدْ      قَالُوا أَجْمِيعاً فِي الْأَعْيُنِ النَّجْلِ  
وَعَيْنُ مَوْلَايَ مِثْلُ مَوْعِدِهِ      صَبِيحَةٌ عَنْ مِرَاوِدِ الْكُحُلِ (١٣٩)

ولابن الخطيب (المتوفى عام ٥١٧ هـ) أبيات تغزل فيها بغيلام تركي منها:

سَلُّو سَيْفَ الْخَاطِطِ الْمُتَشَقِّقِ      أَعْنَدِ الْقُلُوبِ دَمَّ لِلْحَدَقِ  
نَحْلُ لَنَا صَارِمُ الْمُقْلَلِ      بِنَ مَاضِي الْمُوشَّحِ وَالْمُسْتَنْقِ  
مِنْ التُّرْكِ مَا سَهْمُهُ لَوْ رَمَى      بِأَقْتُلَ مِنْ لُحْظِهِ إِذْ رَمَى (١٤٠)

وقال المهذب بن أسعد الدهان الموصلِي (المتوفى عام ٥٨١ هـ) شعراً في نفس الغرض منه:

وَعَزَّالٌ لَهُ الْأَسْوَدُ الضَّوَّارِي فَرَائِسُ  
بَدْرٌ تَمَّ عَلَا عَلَى غُصْنٍ وَهُوَ مَائِسُ  
هُوَ فِي الْأَمْنِ جَنَّةٌ وَهُوَ فِي السَّرَّوَعِ فَارِسُ  
مَنْ بَنَى التُّرْكُ أَذْبَنَهُ وَرَبَّنَّهُ فَارِسُ  
وَعَلَى وَرْدٍ خَذَهُ مِنْ شَبَا اللَّحْضِ حَارِسُ (١٤١)

وكما مر في الأمثلة السابقة فقد أعجب الشعراء بالألحاظ الفتاكة والتي تشبه سهام الترك، وأيضاً كما في قول ابن عَنِين (المتوفى عام ٦٣٠ هـ):

مِنْ التُّرْكِ مَيَّاسُ الْقَسَومِ مَهْفَهْفُ      لَهُ الدُّرُّ نَغَرٌ وَالزُّمُرُ شَارِبُ  
بُفُوقَ سَهْمًا مِنْ تَكْجِيلٍ مُضَيِّقِي      لَهُ الْهَذْبُ رِبَشٌ وَالْقَسِيُّ الْحَوَاجِبُ (١٤٢)

ومما قاله ابن النبية المصري، الذي أكثر من هذا اللون من الغزل في شعره:

جَدَّ وَجَدِي بِحُبِّ لَاهٍ وَأَوْدَى      بِفُؤَادِي تَذْكَارَهُ وَهُوَ نَاسِ  
مَنْ بَنَى التُّرْكُ لَبَّ الْعُطْفِ قَاسِيِ الْقَلْبِ سَهْلُ الْخَدَّاعِ صَغْبُ الْمِرَاسِ

صَبِيُّ الْعَيْنِ وَهُوَ مِنْ صِفَةِ الْبُخْلِ فَإِنْ جَادَ كَانَ ضِدَّ الْقِيَاسِ  
فَهُوَ تَحْتَ السَّلَاحِ لَيْثٌ عَرِينٌ وَهُوَ فَوْقَ الْفَرَاشِ ظَبْيٌ كِنَاسٌ<sup>(١٤٣)</sup>

ونظم محمد بن يوسف التلعفري (المتوفى عام ٦٧٥هـ) في غلام تركي هذين  
البيتين:

كَلِفْتُ بِأَحْوَى مِنْ بَيْتِي التُّرْكَ أَحْوَرَ لَهُ غُضُنٌ قَدْ بِالذَّوَانِبِ مُوَرِّقٌ  
رَشِيْقُ التَّنْبِي وَالْعَاطِفِ الْعَسِ الْمَرَّاشِ يَضْمِي طَرْفَهُ حِينَ يَرْمُقُ<sup>(١٤٤)</sup>

وأسرف الشاعر فتیان الشاغوري في التغزل بالمرء من أبناء الأتراك فقال:

بَنُو التُّرْكِ لَوْ مَرَّتْ بِأَبْنَاءِ عُذْرَةٍ لَمَّا كَانَ فِيهَا بِالْكَوَاعِبِ مُفْرَقٌ؟  
وَلَا نَسَبُوا إِلَّا بِكُلِّ مُذَكَّرٍ بِهِ يُمْدَحُ الطَّرْفُ الْعَتِيقُ الْمُطَهَّمُ  
وَلَا ذَكَرُوا لَيْلَى وَلَا أُمَّ جُنْدُبٍ وَلَا يَتَمَتَّهُمْ أَمْ عَمِرُوا وَكَلَّمُ<sup>(١٤٥)</sup>

وقال أيضاً:

وَتُرْكِيٌّ كَأَنْ بِفِيهِ زَاحِئاً لَهَا مِنْ مِثْلِكَ نَكْهَتِ خِتَامُ  
سَبَانِي وَهُوَ مَمْلُوكٌ رَقِيقٌ وَكَمْ خَيْرٌ مَلِكُهُ غِلَامُ  
تَنَاسَى صُحْبِيَّيْ وَذِمَامَ عَهْدِي وَعِنْدَ التُّرْكِ لَا يُزْعَى ذِمَامُ  
بَضِيْقِي جَفُونِيهِ وَسَعَتْ عُنْدِي فَزَالَ الْمُؤَذَّرُ عَنِّي وَالْمَلَامُ<sup>(١٤٦)</sup>

وبعد أن استعرضنا جانباً من الشعر العربي الذي قيل في  
الترك، نصل إلى أن العلاقة بين العرب والترك قديمة، بدأت  
في عصر ما قبل الإسلام ثم توطدت وتنوعت بعد الفتح  
العربي الإسلامي لبلاد أواسط آسيا، وبعد استجلاب الترك  
إلى بلاد العرب. ثم استطاع الترك أن يسيطروا نفوذهم على  
الحكام بعد أن تقلدوا مناصب الجيش. وكانوا عوناً للحكام

وحماة لبيضة الإسلام من الغزو الصليبي والمغولي . وفي خلال  
تلك العصور تعرف العرب على طباع وأخلاق الترك  
وعاداتهم . وقد تسببوا في نشر أنواع من الفساد الأخلاقي ،  
وكان غلمانهم موضع فتنه للشعراء الذين أبدعوا في التغزل  
بهم . وكل هذا سجله وحفظه لنا الشعر العربي .



### الهوامش والتعليقات

- (١) نشوان بن سعيد الحميري - ملوك حمير وأقيال اليمن ، قصيدة نشوان بن سعيد الحميري وشرحها المسمى « خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار ملوك التبابعة - حققها وعلق عليها السيد علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي - (القاهرة ١٣٧٨ هـ) ، ص ٦٥ - ٦٧ - وانظر أيضا : محمد بن جرير الطبري - تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - (دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٠ م) مج ١ ، ص ٣٨٣ - ٣٨٤ .
- (٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - كتاب المعارف - تحقيق د . ثروت عكاشة - (القاهرة ١٩٦٩ م) ص ٢٦ .
- (٣) الحميري - ملوك حمير ، ص ٦١ . المقانب : جماعات الخيل تجتمع للغارة .
- (٤) الحميري - ملوك حمير - ص ١١٣ - ١١٤ ، وانظر الطبري - تاريخ الرسل والملوك - مج ١ ص ٥٦٦ - ٥٦٧ .
- (٥) ابن السائب الكلبي - أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها - تحقيق أحمد زكي - (القاهرة ١٩٤٦ م) ص ٩٥ .
- (٦) عدي بن زيد العبادي - ديوان عدي بن زيد العبادي - حققه وجمعه محمد جبار المعيند - (بغداد ١٩٦٥ م) ص ١٢٤ .



- (٧) النابغة الذبياني - ديوان النابغة الذبياني - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - (القاهرة ١٩٧٧م)، ص ١٢٢.
- (٨) ميمون بن قيس - ديوان الأعشى الكبير - تحقيق د. محمد محمد حسين - (القاهرة ١٩٥٠م)، ص ٣٤٧. «وتركض هنا معناها: تركض»
- (٩) ياقوت الحموي - معجم البلدان - (بيروت ١٩٥٦م)، مج ٢، ص ٣٥٢، «مادة: خراسان».
- (١٠) محمد بن عمر الواقدي - فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان - (مصر ١٣٠٩هـ)، ص ١٣٦. ونسبت الأبيات إلى كثير النهشلي في معجم البلدان لياقوت، مج ٢، ص ١٨٢، «مادة: جوزجان».
- (١١) الطبري - تاريخ الرسل والملوك - مج ٦، ص ٤٧١.
- (١٢) المصدر السابق، مج ٦، ص ٤٧٩.
- (١٣) المصدر نفسه، مج ٧، ص ٨١.
- (١٤) المصدر نفسه، مج ٧، ص ٨٥. «نيلان: اسم قائد تركي».
- (١٥) المصدر نفسه، مج ٧، ص ٥٦.
- (١٦) عبيد الله بن قيس الرقيات - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات - تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم - (بيروت ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م) ص ١٨١.
- (١٧) جرير بن عطية - ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب - تحقيق د. نعمان محمد أمين طه - (القاهرة ١٩٧١م) - مج ٢، ص ٧٠٢.
- (١٨) أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي - شرح ديوان الحماسة - نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون - (القاهرة ١٩٥٢م)، ص ٦٨٧ - ٦٨٨.
- (١٩) الطبري - تاريخ الرسل والملوك - مج ٦، ص ٦١١.
- (٢٠) أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني - الأغاني - تحقيق أحمد زكي صفوت - نشر دار الكتب المصرية - (القاهرة ١٩٥٨م)، مج ١٤، ص ٢٧٤. «بهيلة: تصغير ياهلة قوم قتيبة بن مسلم. غلب: جمع أغلب وهو الغليظ الرقة. نكسب: جمع نكباء وهي كل ريح من الرياح الأربع، انحرفت وقعت بين ريحين وهي تملك المال وتحبس القطر».

- (٢١) الطبري - تاريخ الرسل والملوك - مج ٤ ، ص ١٧ . «يقول الطبري : قال : دخلنا المدائن فأتيننا على قباب تركية مملوءة سلاسلًا مختمة بالرصاص» .
- (٢٢) ياقوت الحموي - معجم البلدان - مج ٣ ، ص ٢٦٠ ، مادة : سنام .
- (٢٣) المرزوقي - شرح ديوان الحماسة - ص ١٧٠٦ - ١٧٠٧ .
- (٢٤) حميد بن ثور الهلالي - ديوان حميد بن ثور الهلالي - نشر عبد العزيز الميمني - (القاهرة ١٩٥١م) - ص ٦٨ .
- (٢٥) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - مناقب الترك ، ضمن رسائل الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - (القاهرة ١٩٦٤م) ، ص ٧٦ .
- (٢٦) جابر الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - أساس البلاغة - (بيروت ١٩٦٥م) ، ص ٤٤١ «مادة : عهد»
- (٢٧) محمد بن سلام الجمحي - طبقات فحول الشعراء - شرح محمود محمد شاكر - (القاهرة ١٩٥٢م) ص ٥٨٩ .
- (٢٨) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن الأثير - الكامل في التاريخ - (بيروت ١٩٦٥م) - مج ٥ ، ص ٣١٠ .
- (٢٩) الجاحظ - مناقب الترك - ص ٨٣ .
- (٣٠) جرير - ديوان جرير - ص ٨٢٩ .
- (٣١) الطبري - تاريخ الرسل والملوك - مج ٨ ، ص ٤٥٢ .
- (٣٢) علي بن الحسين المسعودي - مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق محي الدين عبد الحميد - (القاهرة ١٩٦٤) مج ٤ ، ص ٤٦ .
- (٣٣) أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني - معجم الشعراء - تحقيق عبد الستار أحمد فراج - (القاهرة ١٩٦٠م) ص ٣٦٤ .
- (٣٤) علي بن الجهم - ديوان علي بن الجهم - تحقيق خليل مردم بك - (دمشق ، ١٩٤٩م) ، ص ١٢ .
- (٣٥) دعل بن علي الخزاعي - ديوان دعل بن علي الخزاعي - صنعة د . عبد الكريم الأشقر - (دمشق ١٩٦٤م) ، ص ٥٢ - ٥٣ .

- (٣٦) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني - زهر الآداب وثمر الألباب - تحقيق وشرح علي محمد البجاوي - (القاهرة ١٩٥٣ م) - مج ١، ص ٢٨٨.
- (٣٧) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد - الكامل في اللغة والأدب - تحقيق أحمد محمد شاكر - (القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م)، الجزء ٣، ص ١٢٥٨ - ١٢٥٩.
- (٣٨) علي بن الجهم - ديوانه، ص ٦١ - ٦٢.
- (٣٩) ياقوت الحموي - معجم الأدياء المسمى بإرشاد الأريب - نشره د. فريد رفاعي - (القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٦ م) - مج ٣، ص ٦ - ٧.
- (٤٠) ابن الأثير - الكامل في التاريخ - مج ٧، ص ١٦٨.
- (٤١) المسعودي، مروج الذهب، مج ٤، ص ١٦٩.
- (٤٢) المصدر نفسه، مج ٤، ص ١٦٤. «أم عامر: كنية الضبع».
- (٤٣) أبو عبادة الوليد بن عبيد البحر - ديوان البحر - تحقيق وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف (القاهرة ١٩٧٣ م) - مج ٣، ص ٢٠١٩ - ٢٠٢٢.
- العمامة والقضيبي: شعار خلفاء بني العباس.
- (٤٤) المسعودي - مروج الذهب - مج ٤، ص ١٧٨ - ١٧٩.
- (٤٥) المصدر نفسه، مج ٤، ص ١٧٩.
- (٤٦) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب - تحقيق إحسان عباس - (بيروت ١٩٦٨ م)، مج ٧، ص ١٠١.
- (٤٧) عبد الرحمن البرقوقي - شرح ديوان المتنبي - (القاهرة ١٩٣٠ م) - مج ١، ص ١٧٨.
- (٤٨) المصدر السابق، مج ٤، ص ١٧٩. «ويقصد بقوله ترعى بعد: عبيد الخلفاء من الأتراك الذين كانوا يؤمرون على الناس».
- (٤٩) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - (القاهرة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م) - مج ٤، ص ١٦٧.

- ٥٠) أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي - النجوم الزاهرة في ملوك مصر  
والقاهرة - (طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م) - مج ٦ ، ص  
٣١٩ .
- ٥١) البحري - ديوانه - مج ١ ، ص ١٩٢ - ١٩٤ . قومي : قوم الشاعر وهم العرب ،  
وقومك : قوم الفتح وهم الترك .
- ٥٢) المصدر السابق ، مج ٢ ، ص ١٢٤٠ .
- ٥٢) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ص ٨٤٥ .
- ٥٤) المصدر نفسه ، مج ٣ ، ص ١٧٢٦ - ١٧٢٧ . شيخهم : المقصود به (وصيف) .
- ٥٥) المصدر نفسه ، مج ٣ ، ص ١٤٨٢ . المقام : جمع المقام .
- ٥٦) المصدر نفسه ، مج ١ ، ص ٤٦٦ .
- ٥٧) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ص ٦٧٨ .
- ٥٨) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ص ٩٧٦ - ٩٧٧ .
- ٥٩) المصدر نفسه ، مج ٤ ، ص ٢٢٦١ . ذورعين : ملك من ملوك حمير .
- ٦٠) أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس - ديوان ابن حيوس - تحقيق خليل مردم  
بك ، (دمشق ١٩٥١ م) - مج ١ ، ص ٨١ .
- ٦١) المصدر السابق ، مج ٢ ، ص ٣٧٩ .
- ٦٢) أحمد بن محمد الأرجاني - ديوان الأرجاني - تحقيق د . محمد قاسم مصطفى - (بغداد  
١٩٧٩ م) - مج ٢ ، ص ٥٥٨ .
- ٦٣) أبو عبد الله أحمد بن الخطاط - ديوان ابن الخطاط - تحقيق خليل مردم بك - (دمشق  
١٩٥٨) - ص ١٨٧ .
- ٦٤) هبة الله القاضي السعيد بن سناء الملك - ديوان ابن سناء الملك - تحقيق محمد إبراهيم  
نصر - (القاهرة ١٩٦٩ م) - الجزء ٢ ، ص ١ .
- ٦٥) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات - تاريخ ابن الفرات - تحقيق د .

- قسطنطين زريق ود. نجلاء عز الدين - (منشورات الجامعة الأمريكية في بيروت ١٩٣٩م) - مج ٨، ص ١١٥.
- وانظر: مأمون فريز جرار - الغزو المغولي، أحداث وأشعار - (عمان ١٩٨٤م) - ص ١٣١-١٣٤.
- ٦٦ مأمون فريز جرار - الغزو المغولي، أحداث وأشعار - (عمان ١٩٨٤م) - ص ١٢٧. نقلاً عن «زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة - للأمير بيبس ركن الدين المنصوري الدوادار - ١٦٤/٩».
- ٦٧ أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - (دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) - مج ٧، ص ٨٢.
- ٦٨ تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي - طبقات الشافعية الكبرى - تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو - (القاهرة ١٩٦٤م) - مج ١، ص ٣١٢.
- ٦٩ أبو الحسن علي بن الحسن البخاري - دمية القصر وعصرة أهل العصر - تحقيق د. محمد التونجي - (دمشق ١٩٧١م) - مج ١، ص ٤٤٢.
- ٧٠ المصدر السابق، مج ١، ص ٢٣٦-٢٣٧. وهو شاعر من أهل المغرب.
- ٧١ الجاحظ - مناقب الترك - ص ١٢-١٤.
- ٧٢ الجاحظ، مناقب الترك - ص ٧٥.
- ٧٣ أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي - العقد الفريد - تحقيق أحمد أمين، إبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون - (القاهرة ١٩٤٩م) - مج ٦، ص ١٣٥. «ومذحج من يجابر بن مالك بن زيد بن كهلان من قحطان».
- ٧٤ الجاحظ، مناقب الترك، ص ٧٥.
- ٧٥ المصدر السابق، الصفحة نفسها.
- ٧٦ ابن قتيبة - كتاب المعارف، ص ٢٦.
- ٧٧ أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردي - ديوان الأبيوردي - تحقيق د. عمر الأسعد - (دمشق ١٩٧٤م) - مج ١، ص ٦٣٣.

- (٧٨) جابر الله أبو القاسم محمود بن عمر الزخشي - ديوان الزخشي - مخطوط بمكتبة السلطانية باستانبول - رقم ٣٣٠ .
- (٧٩) مسلم بن الوليد صريع الغواني - شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد - تحقيق د. سامي الدهان - (القاهرة ١٩٥٨م) ، ص ٣٣١ .
- (٨٠) السري الرفاء الكندي - ديوان السري الرفاء - تحقيق ودراسة د. حبيب حسين الحسيني - (بغداد ١٩٨١م) - مج ٢ ، ص ٢٤٨ . مَبْرُها : مُهْلِكُها .
- (٨١) الثعالبي - تيممة الدهر - مج ٣ ، ص ٣٠٢ .
- (٨٢) ابن حيوس - ديوانه - مج ٢ ، ص ٥٧٣ .
- (٨٣) المصدر السابق ، مج ١ ، ص ٥٢ .
- (٧٤) عماد الدين الكاتب الأصفهاني - خريدة القصر و جريدة العصر - قسم شعراء العراق - تحقيق محمد بهجة الأثري - (بغداد ١٩٧٣م) - الجزء الرابع - مج ١ ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .
- (٧٥) المصدر السابق ، مج ١ ، ص ١٤٢ . «الهادي : العنق ، أرواد : الرفق .»
- (٨٦) للتوسع في هذا الموضوع انظر : مأمون فريز جرار - أصداء الغزو المغولي في الشعر العربي - عمان ١٩٨٣م .
- (٨٧) جمال الدين علي بن المقرب العموني - ديوان ابن المقرب - تحقيق وشرح عبد الفتاح الحلو - (القاهرة ١٩٦٣م) ، ص ٥١٧ - ٥١٨ .
- (٨٨) مأمون جرار - الغزو المغولي أحداث وأشعار - ص ٢٧ نقلاً عن مخطوطة «زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة للأمير بيبرس ركن الدين المنصوري الدوادار ، مج ٩ ، ص ٣٧ - ٣٨ .
- (٨٩) محمد بن شاكرك الكتيبي - فوات الوفيات - تحقيق د. إحسان عباس - (بيروت ١٩٧٤م) - مج ٤ ، ص ٣٠٤ .
- (٩٠) أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي - شذرات الذهب في أخبار من ذهب - (القاهرة ١٣٥١هـ) - مج ٥ ، ص ٢٧٢ .
- (٩١) علي بن الجهم - ديوانه - ص ١١٦ .
- (٩٢) أبو الحسن علي بن العباس بن جريج بن الرومي ديوان ابن الرومي - تحقيق د.

- حسين نصار - (القاهرة ١٩٧٦ - ١٩٨١ م) - مج ٣ ص ٩٧٩ - ٩٨٠ .
- (٩٣) المصدر السابق، مج ٦، ص ٢٤٢٠ .
- (٩٤) أبو منصور عبد الملك الثعالبي - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - (القاهرة ١٩٦٥ م)، ص ٢٧٥، ص ٥٣٤، ص ٦٢٧ .
- (٩٥) أبو العلاء أحمد بن محمد المعري - شروح سقط الزند - (دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٤٥ م) السفر الثاني - القسم الأول، ص ٣٤٨ .
- (٩٦) الأبيوردي - ديوانه - ص ٣٧٦ .
- (٩٧) علم الدين أيدمر المحيوي - مختار ديوان علم الدين أيدمر المحيوي - (دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣١ م)، ص ٩ . «خفان: أجمة كثيرة الأسود بالكوفة . تُعلل: قبيلة عربية مشهورة بإصابة الرمي» .
- (٩٨) ابن حيوس - ديوانه - مج ١، ص ٢٦٨ .
- (٩٩) العماد الأصفهاني - خريدة القصر وجريدة المعصر - قسم شعراء مصر - تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس - (القاهرة ١٩٥٢ م) - مج ٢، ص ١٤٠ .
- (١٠٠) الباخريزي - دمية القصر - تحقيق د. محمد التونجي - مج ٢، ص ١٠٢٥ .
- (١٠١) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات - تاريخ ابن الفرات - مج ٨، ص ١١٦ .
- (١٠٢) محمد بن شاكر الكتبي - فوات الوفيات - مج ١، ص ٤١٥ .
- (١٠٣) الأبيوردي - ديوانه - ص ٦٣٣ .
- (١٠٤) العماد الأصفهاني - خريدة القصر - قسم شعراء الشام - تحقيق د. شكري فيصل - (دمشق ١٩٥٥ م) - مج ١، ص ٩، ص ٦٨٢ .
- (١٠٥) ابن سبط التعاويذي - ديوان ابن سبط التعاويذي - نشر د. س. مرجليوث - (مصر ١٩٠٣ م) - ص ١٦٥ .
- (١٠٦) ابن النبيه المصري - ديوان ابن النبيه المصري - تحقيق عمر محمد الأسعد : (بيروت ١٩٦٩ م) ص ٤٤٢ .
- (١٠٧) فتيان الشاغوري - ديوان فتيان الشاغوري - تحقيق أحمد الجندي - (دمشق ١٩٧٦ م)، ص ٢٢٤ .

١٠٨ ( ابن هانئ الأندلسي - ديوان ابن هانئ الأندلسي - (بيروت ١٩٦٤م) - ص ٢٠٩ .

١٠٩ ( أبو العلاء المعري - شروح سقط الزند - ص ١٠٧٨ .

١١٠ ( ياقوت الحموي - معجم الأدباء - مج ١٣ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

١١١ ( ابن شاعر الكتبي - فوات الوفيات - مج ٢ ، ص ٢٢١ .

١١٢ ( ابن حيوس - ديوانه - مج ١ ، ص ٢٤ .

١١٣ ( العماد الأصفهاني - خريدة القصر - قسم شعراء الشام - مج ١ ، ص ٩ .

١١٤ ( الباخري - دمية القصر - مج ١ ، ص ٢٣٧ . «المؤامي: جمع مائة وهي الفلاة» .

١١٥ ( أبو الحسن علي بن محمد العدوي الشمشاطي - الأنوار وعحسن الأشعار - تحقيق

السيد محمد يوسف - (الكويت ١٩٧٨م) - مج ١ ، ص ٣٣١ . «المداك: حجر

يسحق عليه الطيب» .

١١٦ ( المصدر السابق - مج ٢ ، ص ٧ . «الشَّعَب: تهييج الشر» .

١١٧ ( العماد الأصفهاني - خريدة القصر - شعراء الشام - مج ٢ ، ص ٢٨٤ .

١١٨ ( عبد الرحمن البرقوقي - شرح ديوان المتنبي - مج ١ ، ص ١٧٦ .

١١٩ ( ابن النبيه المصري - ديوانه - ص ٤٠٩ .

١٢٠ ( الزمخشري - ديوانه - مخطوط - الورقة ٩٤ ب .

١٢١ ( زين الدين عمر بن الوردي - تمة المختصر في أخبار البشر - إشراف وتحقيق أحمد

البدراوي - (بيروت ١٩٧٠م) - مج ٢ ، ص ٧٠ .

١٢٢ ( العماد الأصفهاني - خريدة القصر - شعراء الشام - مج ٢ ، ص ٢٨٧ .

١٢٣ ( ابن شاعر الكتبي - فوات الوفيات - مج ٢ ، ص ٤٥٣ .

١٢٤ ( ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة ، مج ٧ ، ص ٦٠ - ٦١ . «الفریق: اسم موضع

بتهمة» .

١٢٥ ( فتیان الشاغوري - ديوان - ص ٥٨٨ .

١٢٦ ( ياقوت الحموي - معجم الأدباء - مج ١٩ ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

١٢٧ ( الزمخشري - ديوانه - مخطوط ورقة ٩٤ ب .

١٢٨ ( ابن سناء الملك - ديوانه - ص ٤٢٥ .



(١٢٩) ابن عُنَيْن - ديوان ابن عُنَيْن - تحقيق خليل مردم بك - (دمشق ١٩٤٦م) - ص ٤٠ - ٤١ .

(١٣٠) ابن شاکر الکتبی - فوات الوفيات - مج ٣، ص ٣٠٦ .

(١٣١) فتیان الشاغوري - ديوانه - ص ٤١٥ .

(١٣٢) الکتبی - فوات الوفيات - مج ١، ص ٣٠٧ .

(١٣٣) ابن النبیة المصري - ديوانه - ص ١٧٤ .

(١٣٤) الثعالبي - ثار القلوب في المضارب والمنسوب - ص ٥٥٣ - ٥٥٤ . ينقل عن الجاحظ قوله «ولو كانت هذه الشهوة شائعة في الأعراب لتعشقوا الغلمان، ولو تعشقوهم لنسبوا بهم ولجاءهم فيه باب من النسب، ولتهاجوا به وتفاخروا، ولتافسوا في الغلمان . . . ولحدثت فيه أشعار وأخبار . والذي يدل على سلامتهم من ذلك عدم هذه المعاني» .

(١٣٥) الثعالبي - يتيمة الدهر - مج ٤، ص ٤٢١ .

(١٣٦) المصدر السابق، مج ٢، ص ٤٠٧ .

(١٣٧) المصدر السابق، مج ٣، ص ٤١٠ .

(١٣٨) المصدر السابق، مج ٤، ص ٨٠ .

(١٣٩) المصدر السابق، مج ٤، ص ١٥٨ .

(١٤٠) ابن الحفياط - ديوان ابن الحفياط - ص ٢٢١ .

(١٤١) ابن الدهان الموصلي - ديوان ابن الدهان - حققه وأعد تكملته عبدالله الجبوري - (بغداد ١٩٦٨م) - ص ١٤٥ .

(١٤٢) ابن عُنَيْن - ديوانه - ص ٣٤ - ٣٥ .

(١٤٣) ابن النبیة المصري - ديوانه - ص ٤٠٤ - ٤٠٥ .

(١٤٤) الکتبی - فوات الوفيات - مج ٤، ص ٦٦ .

(١٤٥) فتیان الشاغوري - ديوانه - ص ٤٠٥ .

(١٤٦) المصدر السابق، ص ٣٩٥ .

دراسات في الأدب السعودي:

# أثر الثقافة العربية الحديثة في تكوين المقالة الأدبية

للاستاذ محمد عبد الله العوين



ليس في وسع المدارس أن يحصي المؤثرات التي هيأت  
المقالة الأدبية لتصل إلى ما بلغت من تجويد وإتقان،  
ذلك أن التأثير لم يأت من ثقافة واحدة، أو مذهب  
أدبي واحد، بل إن الأدباء والمثقفين في الحجاز ونجد،  
والمنطقة الشرقية والجنوبية كانوا يتلقون تيارات ثقافية وأدبية  
متعددة، وبالأخص بعد الاستقرار الأمني والسياسي في  
السنوات التالية لعام ١٣٥١ هـ، إذ تتضح في طرائق التعبير،  
واختيار المفردة اللفظية، وسيطرة روح رومانسية حيناً،  
واتباعية حيناً آخر آثار مختلف المدارس العربية القديمة،  
والمهجرية، والمصرية، والعالمية أحياناً.

ولكن التأثير القوي البالغ قبل النهضة ، وبعد ابتدائها في  
بشائرهما الأولى هو ما كان من أثر الأديين ؛ المهجري ، والمصري  
حيث أسهما في صياغة المقالة الأدبية على النحو الموجود بين  
أيدينا إلى قرب نهاية القرن الرابع عشر .

ولم تستطع المقالة الأدبية ، وألوان الأدب الأخرى أن تتخلص من تأثيرها  
العنيف إلّا مع اتساع منافذ الثقافة ، وتعدد مشارب التعليم ، وكثرة الطبقات  
الدراسة للأدب على النمط الأكاديمي ، درسا يطلعها على أكثر التيارات الأدبية  
العربية والعالمية قوة وتأثيرا ، مما ساعد على إضعاف آثار المدرستين القديمتين ،  
وتهيئة الراهن لاستقبال المؤثرات التحديثية الجديدة في الأدب ، والثقافة بعامة ،  
ووضوح أثر الثقافة العالمية من الأدب الأصلي نفسه مباشرة أو عن سبيل  
الترجمات النشطة لروائع هذا الأدب ، وجيد دراساته .

أما في بداية النهضة فقد كان أثر القرآن الكريم واضحا في كتابة بعض  
الأدباء ، وبرز تأثير الأسلوب القرآني في صياغة الجملة ، واستعارة بعض  
المشاهد ، واقتباس بعض التعابير .

وأكثر الأدباء تأثرا بذلك أحمد السباعي ، في كتاباته الأولى حيث استمد شيئا  
كثيرا من صوره ، وأسلوبه من البيان القرآني أولا ومن الاتجاه المهجري وما يتصف  
به من نزوع إلى الحرية والصوفية ، والرغبة في التغيير .

في مقالته « هات رفشك »<sup>(١)</sup> يقتبس ألفاظا قرآنية كاملة ويصوغها أحيانا بما  
يلام نصّه :

« يا صاحبي هات رفشك واتبعني .

هاته وقم في أثري ولا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه أمراً . .

ألست من غراري أنت تعتلج في صدرك الآمال؟؟ .

ألست من أضراي تختمر في رأسك الأفكار؟؟ .

ألست شاباً مثلي تتمتع بدم قوي يجري في عروقك؟؟ .

ألست نشيطاً تستطيع أن تترك في الحياة أثراً؟؟ .

قل : إي . . وإذن أي أثر تركته في حياتك؟ وأي أمل مما يعتلج في صدرك،  
أو فكرة مما يختمر في رأسك حققت؟ أو أي خدمة أداها دمك القوي  
لبلادك؟؟ .

أتمتعض ثاني عطفك؟ هوّن عليك، إن أريدك إلا صريحاً، فقل : هل أنت  
تستحق الحياة؟

لا وربك، وإذن أنت مثلي وأنا مثلك فاتبعني!، اتبعني ورفشك. اتبعني  
إلى حيث ترقد الجثث الهامدة. هناك نواري جسمينا بين الحجون وكدا.  
فهاث رفشك .

هاته يا صاحبي

هاته واتبعني

أنتلكاً . ولم يا صاحبي؟

ألا أنك تحب الحياة؟

إن للحياة رجالتها، في كل يوم لهم أثر جديد فيها، لأنهم ملكوا فجاج  
الأرض، وذللوا متن البخار، وسيطروا على الهواء، وراوا والجبال في كنوزها  
فأسلمتهم مفاتيحها، والحديد فعكفوا على تسخيرها في مختلف شؤونهم .

وأنت ماذا فعلت؟ أوجمت .

لا يا صاحبي ، كن شجاعا ولو مرة واحدة وتعال فاعترف معي بتقصيرك ،  
وهلم بعد إلى رفشك وامش معي .  
هناك في ظل كدا نهذاً بين ركام أُمِّي رفاة سحيقا وصعيدا جرزا ، فهات  
رفشك .

هاته يا صاحبي ، هاته واتبعني .

لا ، لا تصعد زفرة فما أغتت الزفرات يوما ، هاك التاريخ فاستنطقه هل بلغ  
شعب بزفراته يوما في الحياة شوطا؟  
ألا إنها الحياة جهاد تتزاحم فيه المناكب والأقدام فلا تذهب نفسك حشرات  
على عيش لا تنعم فيه بهذا الزحام .

يا صاحبي بالأمس فرأته اسمي إلى جانب إسمك في سجل الصدقات ، فما  
هانت نفسي هونها عليّ يومئذ ، ولا صغرت عندي استصغارك آن اذ ذاك .  
أرجل أنا وأنت ؟ إذن أين هي مميزات الرجولة وأنفتها وإباؤها؟  
الحق - والحق أقول لك - إنني وإياك لا نستحق الحياة ، فهلم برفشك  
واتبعني .

اتبعني وتعال نحتفر لأنفسنا هناك في حضن الأبد ماوىً نهائيا . . . (٢) .  
فالكاتب قد استفاد من الآيات الكريمة :

﴿ قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ (٣)  
﴿ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ  
الْحَرِيقِ ﴾ (٤)

﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ (٥)

﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ ﴾ (٦)

﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ (٧)

على أن التأثير البين في المقالة يمكن إرجاعه إلى المؤثرين آنفي الذكر

### أولاً - أثر الأدب المهجري :

والسباعي في النص السابق لا يخلو من آثار جبران خليل جبران في نظريته اليائسة إلى الحياة، ورؤيته القانطة للأحياء، فجبران في مقالته «حفار القبور» يصور الموت على أنه أفضل من الحياة، والجن على أنهم أظهر من بني الإنسان، وأكثر حبا وصفاء، ويدعو إلى أن يتولى كل عاقل «رفشا» ويُدفن فيما يحفر بها الأحياء شكلاً للأموات معنى وجوهراً من بني الإنسان؛ فهم أموات منذ الولادة ولكنهم لم يجدوا من يدفنهم فظلوا منطرحين فوق الشرى ورائحة التنت تنبعث منهم<sup>(٨)</sup>. وكأنه يأخذ بوضعية محاوره القادم من عالم الغيب - كما يزعم - الذي علمه الحكمة، وألمه بما أبصره في حياة الناس من العدمية والعبث وردد مقولته: «علمهم حفر القبور، واعط كل واحد رفشا ثم دعهم وشأنهم»<sup>(٩)</sup>. لأن جبران الذي تأكد له يأسه من بني قومه المختلجين أمام العاصفة، الضعيفين عن السير معها يحفر القبور - من تلك الساعة وليحد للأموات، «غير أن الأموات كثيرون وأنا وحدي وليس من يسعفني»<sup>(١٠)</sup>.

وقد رأى السباعي خلاف ذلك، إذ التفت إلى قومه فأبصرهم لا يعرفون للحياة معنى، ولا يعتقدون في العمل قيمة، وناجى صاحبه بما يحس من مرّ الشكوى فوجده من صفته القاعد عن الحياة بمعناها الصحيح، فدعا إلى أن يدفنا نفسيهما، ويحفرا - ضمناً - لقومهما مثوam.

وقد اتضحت الآثار المهجريّة في هذا النصّ جليّة في استلهاهم الطليعة الحلول لمشكلات الواقع الأليم، ومناجاة الجمال، والكون، والنفس للإفضاء إليها بما تكنه الأرواح من آلام وتمن.

والسباعي يعترف بتأثره هذا صراحةً حيث يقول: «فتح عيني على الأدب جبران خليل جبران، كانت تعجبني فيه جرأته على الأفكار التقليدية، يواجه مساوئها في صراحة قليلة النظر وطريقته تمتاز بأسلوب قوي متم. كنت مأخوذاً به في فجر شبابي ولم أكن في هذا وحدي، فقد استطاع بسحره أن يترك أثراً واضحاً في أكثر أدبائنا الشيوخ.»<sup>(١١)</sup>.

وأجد شيئاً قريباً من ذلك في مقالة عبد الوهاب آشي «على ملعب الحوادث»<sup>(١٢)</sup> ففيها استجلاب لصور المهجريين، وحوارهم يتم عادة بين الجدول المناسب تحت ظلال كثيف من الأشجار، وخيال يزور، يتمثل في صورة حورية جميلة وادعة، أو شيخ حكيم، أو طيف من الجان يلقي بالحكم، ويعين على استخلاص النتائج في أحداث جسيمة تعصف ببلاد الكاتب، أو خطر داهم يفسد الحياة العامة للشعب.

ويصل الآشي إلى الختام نفسه الذي يصل إليه جبران في حوار مع الأطياف الزائرة في العابة، فزائرة الآشي، تلك الفتاة «كطلعة الشمس نورا وبهاء» تحتم حديثها الحزين عن اللغة العربية للشيخ العربي الكهل (وضيء المحيا مهيب الطلعة)، بعد أن لوت وجهها نحو الوادي الفتح: «وعليكم الخزي والعار أيها الأخلاف الأشرار».

وجبران في نجواه يقول:

«أنا أكرهكم يا بني أُمي لأنكم تكسرون المجد والعظمة أنا أحتقركم لأنكم تحتقرون نفوسكم» . (١٣)

وكان استلھام أدبائنا روح المهاجر ناجما عن رغبتهم في الانطلاق من قيود الأسر الإجتماعي، والإنفلات من ربة التخلّف العلمي والفكري، الذي رزحت البلاد تحتة قرونا طويلة .

والتقت الأفكار والأخيلة بين أدباء الحجاز وأدباء المهجر، على الرغم من اختلاف التكوين الذاتي لكل أديب في المهاجر، وفي الحجاز، وتكاد هذه النعمة اليائسة المحتجة تعمّر أكثرما أثر عن أدباء الحجاز قبل الخمسينيات الهجرية، وقبل أن يشتد التواصل الثقافي مع مصر، أو قبل أن تستطيع التأثير فيمن حولها، كما حدث فيما بعد .

وبنظرة فاحصة لما كتبه محمد عمر عرب<sup>(١٤)</sup>، ومحمد حسن كتيبي<sup>(١٥)</sup>، وعزيز ضياء<sup>(١٦)</sup>، تبين ملامح تأثير المدرسة المهجريّة في ضبايية الأسلوب، وانتقاء المفردة ذات المدلول الفلسفي - في بعض الأحيان - والميل إلى الكتابة الشاعرية المنشورة<sup>(١٧)</sup>، وغيمة من القنوط والنقمة على الواقع تتناثر في ثنايا العبارات الذاتية الشبيهة بالنجوى<sup>(١٨)</sup> .

ومن الطبيعي أن يحدث مثل هذا الإعجاب، متبوعا بمحاولة جادة في الاحتذاء والتقليد، ولا يعيب من سلك هذا النهج كونه لم يأت بجديد، إذ إنّ العناية بالتجديد لم تنضج بعد دعوتها إلّا مع اشتداد عود الأدباء الرواد، وتقوّي شكيمتهم، بحيث استطاعوا فيما بعد أن يظهروا شخصيتهم في نتاجهم، ويتكثّوا على الجديد المثري أيا كان .



وخير ما اتصفت به حركة البداية كونها لم تعد إلى استجداء نصوص العصور الهابطة فنياً، بل تجاوزتها إلى الأدب العربي القديم في عصوره الزاهية، وإلى محاكاة الأدب العصري الحيّ، وقد وضع أثر العودة إلى التراث في قوة الأسلوب، ونصاعة العبارة، وحسن الديباجة، وانتفاء الركاقة والضعف، وقوى ذلك ما يتدفق في أساليبهم بعد استلھامهم روائع الجديد مع استقرار الأحوال العامة في البلاد من رؤية ذاتية نحو الفكر، والمجتمع، والحياة. فأصطبغ أدبهم بما جاش في نفوسهم من طموحات إلى مجتمع متقدم، وما يرونه حقيقاً بالاتباع للنهوض إلى سلم الحضارة والرقى، وما اضطرب في حياتهم الأدبية من خلاف فكري، وخصام نقدي كان عنواناً لكل ذلك.

وإن المتابع لتطور النص المقالي، منذ بداياته الأولى في أم القرى إلى قمة نضجه في منتصف الخمسينيات وما بعدها لياخذ العجب كيف استطاعت فئة من الشبان أن تنفذ من نير الركود الاجتماعي، وتبحث لها عن نهج ثقافي جديد يختلف عن نمطية التفكير السائد، فامتدت أيديهم وأنظارهم إلى ما يتفق مع نزعتهم العنيفة في تكوين بيئة أدبية جديدة، ووجدوا كثيراً من ذلك في أدب المهجريين «فعشقوا أدبهم، والتمهوه، وقلما تجد شاباً متعلماً يومذاك إلا وقد تأثر بالثقافة المهاجرة، ولو إلى حدٍّ ما» (١٩).

وقد، اتضحت آثار السمات المهاجيرية في أدب السباعي «وبخاصة أول أمره، فقد كان يسير على خطى جبران ثم استقل بطريقة خاصة» (٢٠).

وآثر العواد أن يستقل بطريقة خاصة، مبتعداً عن المؤثرات كافة، إلا أنه لم يوفق إلى ذلك، ففي نثره سياء من الأدب المهاجري، يتضح ذلك في رفضه اتباع الثقافة التقليدية، وخروجه على كثير مما تواضع عليه المجتمع، ورغبته في تغيير

طرائق النظر إلى التراث ، وما يعده الناس من حوله آثاراً تستدعي الاحترام والقبول ، ويذكر الآشي في مقدمة خواطر مصرّحة أن العوّد يتحدّى «تجديد المهجرين السوريين - ومن على شاكلتهم من المصريين الذين ينادون بالتجديد في الأدب وأن هذه الخطوة وإن لم ترق لدى المحافظين الرجعيين ، غير أنها جارية على سنن حياتنا الحاضرة» (٢١).

وخير دليل على أثر أدب المهجر في نشر العوّد تشابه الروح الدافعة للكتابة ، والمثيرة للنقد في مقالته «البلاغة العربية» (٢٢) ومقالة جبران «لكم لبنانكم ولي لبناني» (٢٣) ، فكان العوّد يريد أن يقول «لكم لغتكم ولي لغتي» كما قال جبران (٢٤).

#### ثانياً - أثر الأدب المصري

هذا ميدان واسع ، ، فسيح الأرجاء ، يتعذر حصر أوجه صلته بالمقالة الأدبية في المملكة . وحسبي أن أشير إلى ما يدل على جوانب من تلك الصلة ، وذلك التلقي .

وتقدم أن أثر الأدب المهجري أسبق إلى أدب شبه الجزيرة العربية من سواه ، وأن الجيل الأول الذي بعث النهضة الأدبية لم تخل نصوص كتابه من سمات ذلك اللون من الأدب ، مع وجود صلات ثقافية بأقطار عربية أخرى ، لكنها لم ترق إلى أن تترك آثارها إلّا بعد أن كاد الوضع السياسي يقارب الاستقرار قبل منتصف القرن الرابع عشر الهجري ، وبالأخص الأدب المصري ، وما كان ينشره ويذيعه أعلام بارزون ، ومفكرون متميزون كونوا لهم طرائق خاصة في أسلوب الكتابة ، ومنهج التفكير ففي ذلك الوقت كانت الرسالة لصاحبها أحمد حسن الزيات ،

والسياسة الأسبوعية للدكتور محمد حسين هيكل، والهلل لجورجي زيدان، وغيرها من صحف ذلك العهد، وكان يكتب فيها عباس العقاد، وإبراهيم المازني، وطه حسين، ومصطفى الرافعي، وسيد قطب، والدكتور محمد مندور، وعلي عبد الرازق، وأحمد لطفي السيد، وتوفيق الحكيم، وغيرهم من أرباب القلم، وحاملي الفكر، وكانت أعداد من صحف مصر الأدبية وغير الأدبية تصل إلى الحجاز بالأخص، ويتناقلها محبو الاطلاع، وراغبو المعرفة<sup>(٢٥)</sup>، في وقت كانت البلاد خلوا من صحافة قوية ترعى الكلمة وتقيم شأن الأدب، وليس بين يدي الشدة إلا نزر من كتب متفرقة، بعضها تراثي، وبعضها الآخر حديث يتصل في أكثر الأحيان بما يكتبه اللبنانيون والسوريون، في بلادهم، أو في المهجر، مع تجشم عناء كبير يلحق بمن يبحث عن صحيفة أو مجلة تصدر في مصر إلا أن ذلك لم يحل دون نشوء طبقة ممتازة من القراء الحريصين على تلقف ما يكتبه أدباء مصر، وحين هدأت الأحوال السياسية، واشتدت صلة السعوديين بمصر ازداد أثر تلك الثقافة وضوحا في أدب الناشئة، واندفعا إلى تقليد البارزين من أولئك الأدباء، وحاولوا أن يتبعوا أسلوبهم في النقد، وعاداتهم في خصوصاتهم الأدبية، وأن يستشهدوا بأقوال بعضهم، وربما يلتقي أديب ناشئ من هنا بعلم من أعلام الفكر هناك، دلالة إعجاب وتقدير، ومحاولة احتذاء مقصودة أو غير مقصودة فيما بعد.

ولم يك هذا الإقبال النهم على الأدب المصري محل اتفاق، فقد انقسم الشبيبة إلى فئتين؛ واحدة لا ترى بأسا في قبول كل ما يأتي من أولئك الأدباء، غير سائلة عن تميز الشخصية في الجزيرة العربية بصفات خاصة بها، تنبثق من وحي الحياة الاجتماعية التي تعيشها، فاندججت في هذا المؤثر اندماجا كاملا، وعجزت أن

تخلص منه حينما أرادت ، والثانية أنكرت تلهف قراء البلاد على قبول الأدب المصري قبولاً مطلقاً ، واحتذاء أساليبه ، حتى صار الشعر والنثر لا يمثل شخصية كاتبه قدر ما يمثل السمات الأسلوبية المصرية لدى كثيرين من أدبائنا .

وفي مقدمة «وحي الصحراء» لحظ د . محمد حسين هيكمل أثر الثقافة المصرية ، وغيرها «ثم إنك ترى أساليب يحتذي فيها أصحابها بعض الكتاب المعروفين في مصر وغير مصر»<sup>(٢٦)</sup> ، ويذهب إلى أن اندفاع أدباء الجزيرة إلى الاقتباس من الآداب العربية مرده حرصهم على أن تبلغ بلادهم «ما بلغت غيرها في أقصر زمن» تستطيع فيه أن تدرك هذه الغاية<sup>(٢٧)</sup> .

ويقرر أحمد العربي أن الأثر المهجري كان سابقاً غيره «في أدبنا الحديث حتى عهد قريب ، أما الآن فقد بدأ يتحرر قليلاً من قيود التقليد ، وأخذ يشتد ساعده ، وإن كنا نجد لنفثات أقلام الأدباء المصريين أثراً متميزاً في السنوات الأخيرة»<sup>(٢٨)</sup> .

ومرّة إعجابهم بالأدب المصري كونه ثراً الثقافة ، يصدر من أصالة وطبع ، وكتّابه «أفذاذ استطاعوا أن ينهضوا بالنثر والشعر نهضة لم تشهدا العربية في ماضيهما في قرن واحد لا في القرون كلها»<sup>(٢٩)</sup> .

ثم إن آثار النهضة في مصر تصل إلى الحجاز في وقت يسير ، مما كان له صدى طيب في قراءة مطبوعاتها ، ومتابعي ثقافتها «فما يلقى في مصر وغير مصر من محاضرات وخطب نسمعه ونحن في مكة ، وما يكتب فيها يقرأ بعد ثلاثة أيام في مكة وهي المدة التي تصل فيها صحفنا إلى المدينة ، فكان مصر والحجاز وطن واحد من الناحية الجغرافية»<sup>(٣٠)</sup> .

ويكون العواد شغوفاً بتتبع أوجه التعليم، والحياة الاجتماعية في مصر، وداعياً إلى الإفادة منها، وحريصاً على أن تتمكن أول بعثة تتعلم في مصر - آنذاك - من «فهم الحياة العامة فتفحص تلك العقلية التي أمامها، وتقف على ما فيها من استعداد ونشاط، واتجاه، وتدرس ميول تلك النفسية وخبائيا أفكارها، وتحاول ما أمكنتها المحاولة التعرف الحقيقي إلى النفس المصرية العامة لدرك أسرارها واتجاهاتها نحو الفن والعلم والصناعة»<sup>(٣١)</sup>.

وأكد ألمس تأثير قراءة شبان الحجاز الأدب المصري في تقليد محمد سعيد عبد المقصود إبراهيم المازني في «صندوق الدنيا»، حين يضيق الوقت به، فلا يجد ما يكتبه لأن (المطبعة كجهم لا تشيع ولا تمل قولة «هات»)<sup>(٣٢)</sup>، وحينئذ لا يجد المازني مخرجاً من هذه الأزمة إلا في البحث عن موضوع، يقول: «.. وأروح أفكر في كلام أكتبه صباح غد وأشرب فلا أسهو، وأضحك فلا أراني أهو، ويضيق صدري فأتمرد وأخرج إلى الطرقات، أمتع العين بما فيها مما تعرضه الحياة، فإذا بي أقول لنفسي إن كنت وكيت مما تأخذه العين يصلح أن يكون موضوع مقال»<sup>(٣٣)</sup>.

ويقول محمد سعيد: «.. وصدقني أيها القارئ أني خفت من أن أضل في مغارة فقمت هارباً من جهلي المركب الذي لم يساعدني على أن أكتب في موضوع ما وألقيت القلم من يدي وتركت المكتبة.. وقمت هارباً إلى الشارع، علني أرى، أرى شيئاً يمكنني أن أكتب عنه، اخترقت الشارع العام من أوله إلى آخره وقد رأيت كثيراً ولكن لم أجد من نفسي دافعاً يدفعني للكتابة، وأخيراً وأولاً وقع نظري على غربال بيد أحد المارة فلم أشعر إلا ولساني يقول: غربال.. لا بأس أن تكتب عن الغربال..»<sup>(٣٤)</sup>.

والاحتمال وارد أن المغرل الجديد اطلع على كتاب «صندوق الدنيا»، إذ إن

مقالة محمد سعيد كتبت في عام ١٣٥٠ هـ ، حولي عام ١٩٣٠ م، والكتاب أخرج في طبعته الأولى عام ١٩٢٩ م، ومن الجائز أن يكون من باب توارد الخواطر.

ومن اليسير أن يجد المطلع على أدب فترة النهضة بعامة اقتباسا، أو مقولة، أو ترسم طريقة، مما يدل على المتابعة والقراءة والإقتداء، فهذا حسين سرحان يستشهد برأين عن الأدب الكاذب لسلامة موسى الذي يسميه (الأوباش).

ويقول سرحان: إنه لا يلتفت في الجريدة <sup>(٣٥)</sup> إلى هذا اللون من الأدب، ويلوم الجريدة على أن «حظ الأدب الصحيح فيها من أعقم الحظوظ، وكان صوته فيها ضئيلا خافتا بجانب ما يعلو فيها من أصوات المواضيع الأخرى» <sup>(٣٦)</sup>.

ويذكر حسين سرحان أنه قرأ للماضي كثيرا من نظمه ونثره وقصصه <sup>(٣٧)</sup>. أما العطار فلا يُخفي إعجابه بالعقاد، وحين قدم لزيارة المملكة مع وفد رسمي من قبل الملك فاروق لمقابلة الملك عبد العزيز هبّ أدباء الحجاز لاستقباله، والاحتفاء به، والتحدث إليه، يقول العطار «أما أنا فمن أشد الناس دراسة لأدب العقاد واطلاعا عليه، وإعجابا به وتقديرا له، بل هو عندي الكاتب الأول للعربية في عصرنا الحاضر، وبينني وبينه صلات ودية ترجع إلى تسع سنوات خلت <sup>(٣٨)</sup>، وهذا ما جعلني أعظم شوقا من غيري إلى لقائه وتحيته في بلادي» <sup>(٣٩)</sup>.

ولما زار محمد حسين هيكمل، وحسن البناء، وطه حسين الحجاز للحج أو

العمرة في الخمسينيات ، وفي أوقات متفاوتة التقى بهم طلائع الأدباء ، وتحدثوا إليهم ، وأقاموا لهم حفلات التكريم ، وأعجبوا ببيان هيكل ، وفصاحة البناء ، وطلاوة حديث طه (٤٠).

وقد وضع تأثر العطار بالعقاد في الشعر بخاصة من حيث نزوعه إلى التأمل الذاتي والفلسفي «وتكاد فيه عاطفة أو إحساسا عميقا إلا في النادر» (٤١)، وليس من تفسير لرغبة الشباب الناشئ في توثيق صلاته بهذا الأدب إلا إحساسه بضرورة البحث عن مسار جديد حي ينقل شعورهم بفيض الآمال الغامرة التي يحسون بها ، ويخرج عن سكون الأدب التقليدي المتهالك «فلقد كانت الحياة في مصر مثلاً أو سواها تياراً قوياً لا يسع بلداً كالحجاز غير أن يتأثر به ، وأن يتطلع إليه وإلى مسامرة الحياة في عهد ها الجديد» (٤٢).

ولا يرى أحدهم في الإشادة بما اقتبسه زملاؤه من طليعة الأدباء بأسا ، بل يعد ذلك مدعاة إلى الافتخار والاعتزاز ، إذ إن ذلك - حسب رأيه - سعي إلى الجدة والتوثب والحياة ، يدفق في هذا الأدب الناشئ ماء الحياة ، ويفتح له منافذ الضوء «وأغلب أدب الشباب هو الأدب العصري السائر مع نواميس الحياة العصرية في نشوئها وتطورها ، كما أن أدبهم هذا مقتبس من الأدب المصري الذي تفيض علينا نوره الصحف والمجلات ، وهذا تأثير عظيم في الحياة الأدبية - طبعاً - من حيث النبوغ والعبقرية والروعة البيانية» (٤٣).

وإذا قد عرضت آراء من أخلصوا في التقليد لهذا الأدب فإنه لا بد من الإشارة إلى نفر آخر لم يستحسن ذلك القبول المطلق ، ولم يستسغ أن تندثر شخصية الأديب هنا في خضم التيار القوي الوافد من مصر.

فحين زار السرحان المدينة كتب نقداً للأنصاري، وأخذ عليه التزامه نهج المدرسة المصرية في الكتابة «وأسلوب عبد القدوس نفسه كما يبدو لي يتأثر إلى حد كبير بالأسلوب المصري - ولكنه يلتزم السجع في الغالب، ويأنس برنين الألفاظ، وتعجبه الفصاحة، وقوة الأسر، ومتانة التركيب، قبل أن تعجبه جودة المعاني وبلاغتها وسمو الأفكار وجمالها» (٤٤).

رد عليه الأنصاري قائلاً إنه «سيحاول في دراساته هذه أن يتخلص من الأسلوب المصري المبثوث في جرائد مصر ومطبوعاتها، ويستقل بأسلوب شخصي رفيع يجمع بين الجزالة العربية القديمة والذوق العصري الحديث» (٤٥). ويعلق على ذلك السرحان «هذه محاولة طيبة نتمنى لها أن تنجح وإن كنت ضعيف الأمل في نجاحها، لأن الأسلوب المصري أو على الأصح الأساليب المصرية ارتسمت في الأذهان، وانطبعت في الأدمغة، وصارت طبيعة لازمة لا نستطيع مقاومتها، ولا التخلص منها مهما حاولنا» (٤٦).

ومن الحق أن نعرف بطغيان أثر الحياة المصرية على غير الأدب أيضاً، في الحجاز بالأخص، وأن ذلك ليس فيه من المغيب ما يلام المقلدون على انصياعهم إلى التأثير، لأن تلك سنة الحياة، أن يبحث الوليد عن طريقة للخطو، فيقلد من حوله إلى أن يستقيم له المشي، ويكون قادراً على الانطلاق والعدو، ولو لم يكن مثل هذا التأثير في الحياة بعامة لما تقدمت الشعوب ولما تناقلت المجتمعات معارفها، وطبائعها وما لديها من مكاسب وحسنات.

وإن يقط ذوي الهمم النابهة في الحجاز - باعتباره سابقاً غيره من الأقاليم إلى النهوض - جعلهم يتأملون سير الحياة العصرية - كما أوصى العقاد - فيسعون إلى نقل ما يقدرون عليه من الجيد الممدوح «ومن حسنات تأثرنا الفكري بمصر أن



حجازيا مخلصاً أقدم على تأسيس مدرسة للبنات في جدة . وإقدامه هذا يعد خطوة جريئة في سبيل التطور، وقد لقي عنتاً من المقاومة الفكرية في بادئ الأمر، ولكنه ضرب مثلاً حياً للناس بنات أسرته الكبيرة»<sup>(٤٧)</sup>.

بل إن بعضهم بلغ وعيه أن يرى أسلوب الحياة الأوروبية، وغيرها مثلاً يُحتذى، ويتجاوز حياة جيرانه من الشعوب العربية، ويرى أن أدب مصر عاق تقدم الحياة الاجتماعية في البلاد، فهو يشكو من انفصام العلاقة بين الأدب والمجتمع، ويشيد بالأدب الروسي لارتباطه بمجتمعه، ويعلل ارتباط الحجازيين بالأدب المصري (لأنه لا يجد في آثار أدبائه إلا همومهم الخاصة، فالشاعر يشكو غرامه، وبيت أحزانه الخاصة، والكاتب يدافع عن فكرة أدبية هاجمها كاتب آخر، وقد يحتدم الدفاع فيقلب هراء، والأساس في كل ما نمارسه من ضروب الأدب أدبي محض يتأثر بالأوهام الذهنية والخيالات، ولا يتأثر بالحقائق الراهنة، التي تدور عليها حياتنا العامة . . . ومن يتتبع ما ينشره معظم أدبائنا وكتابنا يهوله أنهم لا يحسون الحياة بأحداثها الزاخرة إلا كما يحسبها الأطفال، ولو ذهبنا نتلمس صورة حقيقة حياتنا الاجتماعية فيما يكتب أدباؤها وينظمون هالنا إفلاس هذه الحياة وإقتارها التام من دلائل الحياة، وأسباب الأمل، مع أن الواقع لا يؤيد ذلك . . لا بد أن يتغير منهج الكتابة . . . ويكفي أن الناس الآن يؤمنون بضرورة التعليم، ويرتاحون إلى النقد والنصح، ويكفي أنهم يصطنعون من وسائل الحضارة ما بدل نظرهم إلى الحياة»<sup>(٤٨)</sup>.

ومن أشد الناقمين على تقليد الأسلوب المصري، واقتفاء آثار الكتابة ومدارس الأدب في مصر عزيز ضياء، ولعله لم يرض قط عن مستوى الكتابة بعامة في الخمسينيات وما بعدها، ويرى أن كل ما ينشر في الصحف غثاء،

وإفساد للذوق، وأن «أدباء الحجاز وُفقوا كل التوفيق إلى إتقان الكتابة بأسلوب العقاد وطه حسين وهيكل والمازني».

«ولكنني أحب أن يفهموا أن الأسلوب ليس كل شيء، وأن الأدب ليس إتقان الكتابة والنظم، أحب أن يفهموا أن الأسلوب ليس سوى أداة نعبر بها عن أفكارنا، ونعرض بواسطتها عواطفنا وغاياتنا، وأتأنا حين نملك الأسلوب ولا نملك الأفكار والغايات نكون كالذي يعرف أنه إذا مشى على طريق ما سيصل إلى نقطة معينة، ولكنه كسيح أو مقعد، لا يستطيع أن يمد قدمه بخطوة واحدة في هذا الطريق» (٤٩).

وتحتفي صحف الحجاز بما ينشر هناك فتعيد نشر بعضه (٥٠)، وتبشر بما يصدر من كتب لأدباء مصر، فيزيد ضيق عزيز بارتياح أدباء إلى ذلك الأدب، واسترخائهم عن الإبداع الذي يمثل شخصياتهم، ويصور آمالهم... وليس كل هذا الذي يطالعك به أدباؤنا في كل أسبوع إلا محاكاة فاشلة لما نقرأ من أدب المصريين، وإنه ليس سوى محاكاة فاشلة، وأنت تستطيع أن تدرك درجة فشلها حين تستعرض أدب المصريين وتقارن به أدبنا الحجازي، وأنا أؤكد لك أنك سترى في الأدب المصري نزعات تميزه وتدّل على أنه يتمتع بروح قوي يهيمن عليه، ويقوده إلى مثل أعلى. ويمتدح الأدب المصري لأنه يؤدي رسالة، وأدبنا لا يستطيع أن يصل إلى تأدية هذه الرسالة (٥١).

ويسرف عزيز في إنكاره الأدب الحجازي فيشتط في نظره إلى ما تنشره الصحف، ويكتبه زملاؤه وأقرانه، فيتهكم ويسخر بما يعده الناس مثيراً الانتباه، وداعياً إلى الإعجاب: «هل كل ما يرتكز عليه الأدب هو هذا النوع

المضحك من المقالات التافهة التي تخمت بها جرائد مصر؟ وهل تنحصر مهمة الأديب الحجازي في ترديد صدى الأديب المصري؟ بل هل تنحصر في هذا المجال الضيق الموحد الذي يضحكننا ويضحك الناس علينا؟<sup>(٥١)</sup>.

والكاتب نفسه — الذي ينكر تقليد أدباء مصر — مغرم إلى حد كبير باحتذاء أسلوب طه حسين، واتباع نهجه في الكتابة، فشاع عنده ما شاع عند أستاذه، من التكرار والترداد، والعود على البدء، واستخدام الألفاظ السهلة الموحية، والنقد الساخر المر، والمواجهة الجريئة مع الظاهرات. ويمتد أثر أدب مصر في الأجيال الأخرى إلى قرب نهاية القرن الرابع عشر، حيث تطلع الأدباء إلى مصادر معرفية أخرى، بعد أن توسعوا في الدرس، وأتيحت لهم فرص الاختلاط الواسع، واقتناء الكتب الجديدة، والمجلات الصادرة من مختلف دول العالم. ويلمس الباحث إعجاب الأدباء السعوديين بمفكري مصر، حين يرحل أحد هؤلاء الأدباء أو المفكرين إلى العالم الآخر، فيسرع أدباؤنا إلى رثائهم، وذكر شائلتهم، ومحاسن آثارهم، ونبوغهم الفني<sup>(٥٢)</sup>.

وإن خير ما أختتم به هذا الحديث حول الأثر المصري ما قاله عبد الله بن خميس عن تأثره بالزيات: «... ولعلّ كثيراً من إخواني الذين سألوني عن أعظم كاتب عرفته، أو أكثر أستاذ تتلمذت عليه في ميدان القلم إنني لم أزد على أن قلت لهم إنه الزيات.

إن الصلة بيني وبين الأستاذ الزيات قديمة تنيف على خمسة عشر عاماً، وهي صلة قراءة لاصلة لقاء، وصداقة أدب لا صداقة أرب، لقد كانت رسالة الزيات هي هوايتي المفضلة، وصديقي من بين سائر الصحافة، وأستاذي الأول والأخير في تكوين قلبي العاجز<sup>(٥٣)</sup>.

### استقلالية المقالة الأدبية السعودية.

يطمح بعض الدارسين إلى أن يكون الأدب السعودي مستقلاً عن غيره من الآداب، وتزداد حميتهم لأدبهم فيغالبون في إظهار مبلغ تأثير الأدب لدينا بالآداب الأخرى.

ويرون في ذلك خطراً داهماً على شخصية الأدب السعودي وقضاء على خصائصه، وإضاعة لمعالمه الرئيسية، وينسون أن التأثير والتأثير سنة الحياة، بل هي علامة ممتازة من علامات الحياة القوية النشطة، التي يتبادل فيها الموهوبون نتاجاتهم، ويأخذ فيها الضعيف عن القوي، ليزداد منعة وخبرة، وعن هذا الطريق تكمل المعارف، وتستوي الشخصيات الأدبية والفكرية، ولو دار بخلد أحدنا أن أدباً متقدماً لدى شعب من الشعوب حصر في دائرة ضيقة، هي قبول أهله له، وحبسه عن الخروج إلى الآخرين، ومنع أدب الشعوب الأخرى من الدخول إليه، خشية التأثير، وفقدان السمات الشخصية، لضاع منه عنصر القوة، ونقصت لديه القدرة على الاكتمال لأنه فقد خير ما يعين على النضج، وأقدر ما يدفع الأدب إلى السمو، وهو الصلة والاتصال بالثقافات الأخرى؟.

إذاً، فلماذا يخشى عزيز ضياء، أو أحمد عبد الغفور عطار، أو عبد القدوس الأنصاري من سلطة الأدب المصري على أدبهم؟.

وهم أنفسهم لم يستطيعوا فكاًكا من سمات ذلك الأدب، ولم يقدرُوا على أن ينزعِلُوا عنه أو ينصرفُوا انصرافاً كلياً إلى غيره من الآداب. وهل كانوا يريدون من أدبنا أن يبقى حبيس تاريخه القصير الناشئ أو ماضيه المتهالك الضعيف؟.

وهل كان الأدباء السعوديون قادرين - من غير تأثيرهم بآداب أخرى - على أن يأتوا بأدب حي ناضج متدفق بأسباب الكمال والاستواء؟.

وأكد أذهب إلى أن الأدب السعودي قد أفاد من صلاته القوية بالأدب الأخرى سواء كان تراثاً، أم أدب مهجر، أم أدب مصرياً، أم أدباً عالمياً. وهو لم يستطع إلا أن يدور في فلك كل أدب تأثر به، فحينما طغت عليه السمات المهجرية وحينما المصرية، لأن الأدب الوليد لم يك مستطيعاً الوقوف على قدميه بعد، وهو في هذا ليس بدعاً، فغيره من الآداب الأخرى مرّ بالأطوار نفسها التي مرّ بها أدبنا. وإنما المستنكر أن تكون شخصية الأدب المؤثر مشبّطة الأدب المتأثر عن النهوض، وصارفة إياه عن تكوين معالنه الخاصة، عن طريق استفادته أشياء كثيرة، صوراً وأخيلة، ومعاني وألفاظاً، وأنماطاً تعبيرية، ومسالك حوار وإقناع

وهذا ما حصل للأدب السعودي، وفيها لمقالة الأدبية، بدأ من ضعف، فتقليد، ومبالغة في الاحتذاء، إلى أن أخذ يقترب من التكوين البنائي الخاص به في الستينيات الهجرية وما بعدها، مع استمرار أثر الأدب المصري في أسلوب الكتابة، وطريقة الأداء الفني للمقال، كابن خميس، وتأثره بالزيات، وعزيز ضياء وتأثره بطه حسين، والسرّحان وتأثره بالملازني، والقطار وتأثره بالعقاد. وهكذا.

«فالأدب السعودي قويّ التأثير بالأدب العربي الحديث، ولكن هذا التأثير لم يقف عند حد التقليد والمحاكاة، بل تعدّاه إلى آفاق رحبة جداً، حيث يستقيم الدرس، ويتم الفهم، وتسمو الغاية» (٥٥).

وأدباً وثقافة لم يقصروا أنفسهم على مدرسة بعينها، وإن كان للأدب المصري نفوذ على أدبهم، فثقافتهم «تشمل القديم والحديث في الآداب والعلوم والفنون، فعندنا من قرأ آداب الأقدمين، وقرأ آثار العقاد، وتوفيق الحكيم، والملازني، وطه

حسين ، وألم بمؤلفات جوته<sup>(٥٦)</sup> ، وهوجو<sup>(٥٧)</sup> ، وشلي<sup>(٥٨)</sup> ، ولامرتين<sup>(٥٩)</sup> ، وتلوسستوي<sup>(٦٠)</sup> ، وغير هؤلاء<sup>(٦١)</sup> . فكتب محمد حسن فقي عن رواية «روفاثيل» للامرتين<sup>(٦٢)</sup> ، وأشار العواد إلى أدباء غربيين يحسن الاقتداء بهم<sup>(٦٣)</sup> .

وترجم عزيز ضياء لأدباء عالميين ،<sup>(٦٤)</sup> دارسا ومعجبا ، وواقفا على معالم القوة ، ومواطن الجمال في أدبهم ، فكتب عن جين دي لافونتين<sup>(٦٥)</sup> ، ومولير<sup>(٦٦)</sup> ، وبرنارد شو ، وأميل زولا<sup>(٦٧)</sup> ، وغيرهم .

وترجم قصصا لسومرست موم<sup>(٦٨)</sup> ، ورابندرانات طاغور ، وغيرهما . ولعل الدعوة إلى التخلص من آثار المدرسة المصرية جاءت مبكرة ، وإحساس بعض الأدباء بأثرهم البالغ كان إحساسا مبالغاه فيه ، فهذا العطار يرى أن الأدب السعودي لا شخصية له «لأننا لا نجد فيه أثرا للبيئة ولا للتقاليد والعادات الحجازية ، ولا نجد له علامة فارقة تميزه عن الأدب في البلدان العربية ، وأساليب الأداء ذات مظهر يدل على أنه صورة للأسلوب المصري في الآداب ، وهذا طبيعي لأنه لم تكن لدينا القوة التي تمكننا من إيجاد أسلوب حجازي صحيح .

إن أدبنا ضعيف ، ولهذا استطاع الأدب المصري أن يطفئ عليه بأسلوبه وفكرته ومنهجه بل الصحيح أن أدبنا هو الأدب المصري لأننا غذيناه وارتضيناه واتخذناه أدبا لنا»<sup>(٧٠)</sup> .

ثم دعا أحمد محمد جمال «إلى الاستقلال التعبيري والاستقلال التفكيري ليكون للحجاز أدب ممتاز ، كما لمصر ولبنان والعراق آداب ممتازة ، ليكون لنا قصصنا المصبوغ بصبغة بيتتنا أحداثا وأفعالا ، وليكون لنا شعرنا المصور لحياتنا واقعا وخيالا»<sup>(٧١)</sup> .

ويسايره في هذا الرأي عبد القدوس الأنصاري حيث لا يؤمن بأن الأدب السعودي له شخصية مستقلة لأن الشخصية المستقلة «هي ذلك الطابع العام الذي يشمل الأدب في شتى ألوان إنتاجه كما نراه الآن متمثلاً في الأدب المصري، والأدب المهجري، واللذين أثبت الواقع أن لهما شخصيتين متمايزتين مستقلتين، وأعتقد أن أدبنا الآن يسير في فلك الأدب المصري» (٧٢).

والحق أن المقالة الأدبية مرّت بحالات النشأة والضعف، والبحث عن النماذج الممتازة تحتذيها، وتتملمس مواطن الإبداع في نتاج المبرزين العرب، ثم تضيف إلى حصيلتها ما يقيم لها شأنًا، ويرفع لها ذكراً (٧٣)، حتى غدت في الربع الأخير من القرن العشرين، وبالأخص قبل عهد المؤسسات لها سماتها الخاصة، وقضاياها الرفيعة، وجماها الفني. ذلك أن القائمين على هذه الصحف كانوا من أشد الناس إخلاصاً للثقافة، وأكثرهم حرصاً على التجويد في الأسلوب، وقد حظيت صحف ذلك العهد بمشاركة كثير من الأدباء الرواد، إشراف وإدارة حيناً، أو تحريراً وكتابةً في كثير من الأحيان.

وإذا بحثنا عن أسماء إدارية أو تحريرية في تلك الصحف فلنأب واجدون أكثرهم ممن يخدم الأدب وقضاياها، ونادر أن يدخل في نطاق التحرير والكتابة من ليس له صلة بالأدب، أو ليس ملماً بفن الكتابة والنقد والنقاش، إذ كان من اللازم أن يكون الكاتب مستعداً - في الأغلب - للمنازلة والدفاع، وإبانة الرأي والدخول في مساجلات كلامية أدبية مختلفة، حول تلك المفهومات التي كانت تستأثر بالقول آنذاك، وتجد الصحف في إثارتها متابعين وقرّاءً ونقاداً، فكانت تعتمد إلى أن تستجلب انتباه أديب أو ناقد ليرد على من يختلف معه في رأيه الفكري أو الأدبي حول مسائل شتى يحتفل الناس بمتابعتها ودرسها (٧٤).

فعلى سبيل المثال نجد في القمة من هؤلاء الأدباء المشاركين في الصحافة مشاركة ثرة مؤثرة، كما سلف العواد، وشحاته، والقطار وابن خميس، وابن ادريس، والجاسر، وعبد الله عريف، والسرطان، وقنديل، والآشي، والسباعي، والواردي، الجهيمان، والفقي، والأنصاري، والفلاي، وغيرهم، ومنهم من تولى أمور التحرير الصحفي، وآخرون أسهموا في الكتابة والنقد، والارتفاع بمستوى المشاركة الصحفية، من كونها مهنة أو ما أشبهها إلى جعلها رسالة فكرية وأدبية تحمل مضامين إصلاحية عميقة، تستمد وجهتها من اهتمام الأديب بالرفع من القضايا، والشريف من الأمانى الإنسانية والوطنية.

ثم أن الكثرة من هذه الصحف لها صلة وثيقة بما وصلت إليه المقالة الأدبية من سمو وتجويد، ونجد على رأس هذه الصحف التي تعنى بالأسلوب الأدبي، أو تحفل بما له مساس بالذوق الفني، أو النقد، أو مسائل الأدب بعامة، أم القرى، وصوت الحجاز، والمنهل، والبلاد السعودية، والمدينة المنورة. هذا في الفترة الأولى. أما في الفترة الثانية التي تلت عام ١٣٧٠هـ من الهجرة فقد شهدت تدفقا في الإصدار الصحفي غربيا، ولافتاً الانتباه إلى النسبة الجيدة المتنامية من الوعي الأدبي والثقافي، فبعد ذلك العام نجد من الصحف والمجلات التي صدرت ولها إسهام أدبي مجلة البهامة الشهرية (عام ١٣٧٤هـ)، وجريدة الخليج العربي الأسبوعية (١٣٧٥هـ)، والأضواء الأسبوعية (١٣٧٦هـ)، وجريدة حراء (١٣٧٦هـ) التي انضمت إلى الندوة إبان صدورهما عام (١٣٧٧هـ)، ثم في عام ١٣٧٩هـ صدرت مجلات وصحف عدة هي، الرائد، وقريش، ومجلة الجزيرة، وجريدة عكاظ.

وإذا تأملنا الصحف التي لا تعنى بأمور الأدب، أو لا توليه جلّ اهتمامها



وجدناها قليلةً موازنةً بما سبق تعداده من الإصدارات الصحفية الأدبية، فنجد مثلاً، القصيم (١٣٧٩هـ)، وجريدة اليمامة الأسبوعية (١٣٧٥هـ)، ومجلة راية الإسلام (١٣٧٩هـ)، والإشعاع (١٣٧٥هـ)، وأخبار الظهران (١٣٧٤هـ) وقافلة الزيت (١٣٧٣هـ). وهي في سياقها العام لا تتسم بالطابع الأدبي، ولكنها لا تخلو من مقالات أدبية يسيرة متفرقة، لا نستطيع من خلالها أن نصل إلى تصور واضح عن الحالة الأدبية في تلك الفترة.

وتميّز الأسلوب في صحف الأفراد بميله إلى اقتباس ما كان سائداً لدى أدباء النهضة في مصر ولبنان، فكانت السهولة والعذوبة، والاستفادة من التراث العربي، واحتذاء الجيد منه، واستظهار أساليب البيانين العرب المبرزين، وخفة اللفظة، وسلاستها، والبعد عن الوعورة والجفاف، وتجنب الحوشي والغريب، تلك سمات الأسلوب في المقالة الأدبية عند كتاب صحافة الأفراد، ويظهر هذه الميزات ما كان يدور في تلك الصحف من معارك نقدية، وخصومات، ومناقشات، وردود، بعضها له قيمة نقدية عالية، وبعضها الآخر يرد إلى عاطفة مؤقتة مبعثها الإثارة والغضب، وتبرئة الكاتب من اتهام أو نفي مقولة، أو إظهار لتأييد رأي أدبي أو فكري.

وفي هذا تأس بما كان يجري في الصحافة الأدبية العربية من معارك وخصومات.

ولعل كثرة هذه الصحف، وعنف النقد الدائر في بعضها، وفداحة أخطاء بعض الناقدين فيها، وما كان يقذف به بعض المحررين والكتاب أقرانهم وزملاءهم في الصحف الأخرى كل ذلك يمكن أن يكون سبباً في حل كثير منها، وحجبه، وإحداث نظام جديد يرفع الصحافة، وينظمها، ويعالج ما

قد يحدث فيها من انحراف؛ فصدر نظام المؤسسات الصحفية، عام ١٣٨٣ هـ، وانقضى بذلك عهد صحافة الأفراد، وانحسر بغيابه نشاط الأدب، وقوة للأسلوب، وحاسة مثيرة الإعجاب بما يسمو بالكلمة، ويرفعها إلى منزلتها الفنية والذوقية اللائقة بها.



### الهوامش

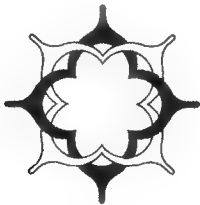
- (١) الرفش أداة لجرف التراب أو حفر الأرض.
- (٢) وحي الصحراء، ط ٢، ١٤٠٣ هـ. ص ٩٥.
- (٣) سورة الكهف، الآية ٧٠.
- (٤) سورة الحج، الآية ٩.
- (٥) سورة الكهف، الآية ٨.
- (٦) سورة فاطر، الآية ٨.
- (٧) سورة ص، الآية ٨٤.
- (٨) العواصف، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران العربية، دار صادر، بيروت (لم تذكر سنة الطباعة) ص ٣٦٧.
- (٩) المرجع السابق.
- (١٠) المرجع السابق.
- (١١) جريدة المدينة المنورة، عدد ٨٠٨ في ٢٨/٧/١٣٨٦ هـ، مقابلة أدبية مع السباعي. ص ١١. وانظر كتابه «أيامي» وهو سيرة ذاتية، منشورات تهامة، ط ١٤٠٢ هـ. ص ٩٦.
- (١٢) أدب الحجاز، ص ٩٩.
- (١٣) العواصف، (المجموعة الكاملة) ص ٣٩٠.
- (١٤) ولد في محرم ١٣١٨ هـ بمكة المكرمة، درس في مدرسة الفلاح بمكة، وتقلب في وظائف عدة، وتوفي عام ١٩٧٥ هـ. انظر مقالته: إيه من أسطورة الحب (أدب الحجاز ص ١٢٥)، وقصيدته: يا شرق، نظمها بجارة لميخائيل نعيمة في قصيدته يا نهر، أدب الحجاز ص ٤٠.
- (١٥) ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٢٩ هـ، تلقى معارفه بمدرسة الفلاح، وسافر إلى الهند سنة ١٣٤٨ هـ.

- في بعثة دراسية، وأتم دراسته سنة ١٣٥٢ هـ، حرر في صوت الحجاز، وتولى وظائف حكومية مختلفة، وعين وزيراً للمحج والأوقاف سنة ١٣٩٠ هـ.
- من آثاره: الأدب الفني، أشخاص في حياتي، دورنا في زحمة الأحداث، هذه حياتي، سياستنا وأهدافنا. انظر: الموسوعة الأدبية ج ٢ ص ٤٩، ومعجم المطبوعات ج ١ ص ٣٤٢. من مقالاته التي تأثر فيها بروح الأدب المهجري: «ساعات من الليل» وحي الصحراء ص ٤٥٤.
- (١٦) مقالة «فاجعة» وحي الصحراء ص ٣٣٠. وانظر مقالة «أغنية الليل» لجبران خليل جبران.
- في (البدايع والطرائف) ضمن المجموعة الكاملة، ص ٦٠٥.
- (١٧) يقول د. علي جواد الطاهر: «وصف نثر أحمد سباعي بالشاعرية» مجلة العرب، رمضان وشوال السنة الرابعة، ١٤٠٥ هـ - ج ٣ ص ١٨٤.
- (١٨) انظر: عبد الكريم الأشر، النثر المهجري، محاضرات ألقى على طلبية قسم الدراسات الأدبية واللغوية، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٦٠ م.
- (١٩) محمد سعيد عبد المقصود، مجلة المنهل، عدد ٢ محرم ١٣٥٨ هـ.
- (٢٠) عبد الله عبد الجبار، التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، ص ١٥٢.
- (٢١) مقدمة خواطر مصرحة، ص ٢٣.
- (٢٢) خواطر مصرحة، (أعمال العواد الكاملة) ج ١، ص ٤١.
- (٢٣) البدايع والطرائف (مجموعة أعمال جبران الكاملة) العربية، ص ٥٢٠.
- (٢٤) يقول «لكم منها القواميس والمعجمات والمطولات، ولي منها ما غربلته الأذن وحفظته الذاكرة من كلام مألوف مأنوس تتداوله ألسنة الناس في أفراحهم وأحزانهم، لكم من لغتكم البديع والبيان والمنطق، ولي من لغتي نظرة في عين المغلوب، ودعوة في جفن المشتاق، وإبتسامة على ثغر المؤمن، وإشارة في يد السموح الحكيم».
- انظر: كتاب «بلاغة القرن العشرين» ص ٥١.
- (٢٥) انظر: محمد نصيف، مقالة «بعض ذكرياتي من قبل ربع قرن، المنهل، شعبان ١٣٦٩ هـ، العدد الثامن، ص ٢٧٥.
- ولقام مع عبد القدوس الأنصاري يتحدث فيه عن بداية النهضة، المنهل، عدد ٤٣٠ مجلد ٤٦، السنة ٥١، محرم وصفر ١٤٠٥ هـ.
- (٢٦) وحي الصحراء ص ٢٢.
- (٢٧) المرجع السابق.
- (٢٨) المرجع السابق ص ١٢٨.
- (٢٩) مقالة: أدب صالح للتصدير، أحمد عبد الغفور عطار، المنهل، شعبان، ١٣٦٥ هـ، ص ٣٦٤، وكتابه «المقالات» ص ٢٠٧، مطبوعات شركة استارد للطباعة، ط ١، ١٣٦٦ هـ.

- (٣٠) المرجع السابق.
- (٣١) مقدمة كتاب (تاريخ الحجاز) تأليف حسين محمد نصيف.
- (٣٢) مقدمة كتاب (صندوق الدنيا)، دار الشروق، ط ١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- (٣٣) المرجع السابق ص ٨.
- (٣٤) مقالة: مغربل جديد، أم القرى، عدد ٣٧٧، في ٢٦/١٠/١٣٥٠هـ.
- (٣٥) يعني صوت الحجاز.
- (٣٦) مقالة: «صوت الحجاز بين عهدين»، العدد ١٥٥، في ٤/٢/١٣٥٤هـ ص ٤، بمناسبة مرور ثلاث سنوات على صدورها.
- (٣٧) مقالة (السخر عند المازني)، البلاد السعودية، عدد ٨٦٥، س ١٤، الأربعاء ١/١١/١٣٦٩هـ، ص ٤.
- (٣٨) كتب العطار هذه المقالة ونشرها في صوت الحجاز، عام ١٣٦٥هـ بعنوان «مع الأستاذ العقاد».
- (٣٩) المقالات، ص ١٩٩.
- (٤٠) مقالة: ساعة مع الدكتور طه حسين بك، أحمد عبد الغفور عطار، صوت الحجاز، عدد ٢٤٣، في ٢٠/١١/١٣٥٥هـ، ٢ فبراير ١٩٣٧م، وانظر: كتابه «المقالات»، ص ٢١٢.
- (٤١) عبد الله عبد الجبار، التيارات الأدبية الحديثة في قلب جزيرة العرب، ص ٢٩٢.
- (٤٢) مقالة: هل أفاد الأدب؟، المنهل عدد جمادى الأولى ١٣٦٧هـ، للعطار.
- (٤٣) عبد المجيد شبكشي، مقالة (أدب الشباب)، صوت الحجاز عدد ١٥١ في ٥/١/١٣٥٤هـ ١٩ أبريل ١٩٣٥م ص ٣. وانظر النفثات ص ٢٧.
- (٤٤) مقالة (مشاهدات في المدينة - الأدب في المدينة)، صوت الحجاز، عدد ٢٣٤ في ١٠/٩/١٣٥٥هـ. ص ١.
- (٤٥) المرجع السابق، الأعداد الثلاثة المتوالية ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧.
- (٤٦) المرجع السابق أيضا. الأعداد الأتفة.
- (٤٧) مقالة: تعليم البنات، وقعت المقالة برمز (ح)، صوت الحجاز، عدد ١٥٤، في ٢٦/١/١٣٥٤هـ. ص ١.
- (٤٨) مقالة: الأدب والحياة، وقعت برمز (...)، صوت الحجاز، عدد ١٥٦، في ١١/٢/١٣٥٤هـ. وأسلوب الكاتب قريب من مذهب همزة شحاتة في كتابة المقال، من حيث التركيز، ودقة التأمل، وقوة النقد والاقتصاد في العبارة.
- (٤٩) مقالة «غاية الأدب عندنا». صوت الحجاز، عدد ٢٤١ في ٦/١١/١٣٥٥هـ.
- (٥٠) كما فعلت صوت الحجاز، حين نشرت مقالة مأخوذة عن مجلة الهلال، عنوانها: (رسالة الأدب ليست بالشيء المبثمل في الأسواق) بقلم عبد العزيز البشري. انظر عدد ١٥٣ في ١٩/١/١٣٥٤هـ.
- (٥١) مقالة: غاية الأدب عندنا، عزيز ضياء، صوت الحجاز، عدد ٢٤٣، في ٢٠/١١/١٣٥٥هـ.

- الحلقة الثانية.
- (٥٢) مقالة الأدب في زاوية (حديث الأسبوع)، صوت الحجاز، عدد ١٥٧ في ١٨ / ٢ / ١٣٥٤ هـ، ص ٤.
- (٥٣) من المراثي: يأحمد شوقي بقصيدته (كوكب خالد مع الجوزاء)، صوت الحجاز، عدد ٣٠ في ١ / ٧ / ١٣٥١ هـ.
- عبد الوهاب الآشي (شوقي يرحل إلى عالم الفناء). في العدد نفسه.
- محمد حسن فقي (شوقي بك) وهي مقالة تشاؤمية رثائية تنبعث من نفسية الفقي القلقة، العدد نفسه من صوت الحجاز، ص ٣.
- عبد القدوس الأنصاري، يرثي محمد حسين هيكلم بمقالة (عَلَمٌ هوى)، المنهل جـ ٥، من السنة ٢١، جادى الأولى ١٣٧٦ هـ، ص ٢٧٥.
- عبد الرحمن السدحان يرثي الزينات (النجم السذي هوى)، القصيم عدد ٨٤، في ١٩ / ٢ / ١٣٨١ هـ، ص ٧.
- (٥٤) مقالة (مات الزينات)، رثاء لأحمد حسن الزينات، مجلة الجزيرة، عدد ٥، من السنة ٢، في ١٣٨١ هـ، ربيع أول، ص ٣٧.
- (٥٥) السيد تقي الدين، المنهل وأثرها في النهضة الأدبية، ج ١ ص ٢٥٥.
- (٥٦) جوتة، يوهان فولفجانج فون، (١٧٤٩ - ١٨٣٢ م)، شاعر وكاتب ومسرحي ألماني، من مؤلفاته رواية بعنوان «آلام قمر» و «ديوان الغرب والشرق». انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ج ١، ص ٦٥٨.
- (٥٧) شاعر وروائي وكاتب مسرحي فرنسي. من أهم قصائده «الشرقيات»، ومن أعظم رواياته «البؤساء» (١٨٠٢ - ١٨٨٥ م). المرجع السابق ج ٢ ص ١٩١٤.
- (٥٨) شاعر إنجليزي أرستقراطي المولد، كانت له أفكاره التحررية، من أهم أعماله: ترنيمة للمجبال الفكري، وأغنية للمريح الغريبة (١٧٩٢ - ١٨٢٢ م). انظر: دليل القارئ إلى الأدب العالمي ص ٢١١.
- (٥٩) شاعر فرنسي، عاش حياة مزدوجة كشاعر عاطفي، وكسياسي ورجل حكم، ومن أهم أعماله ديوانه «تأملات شعرية» و «تأملات جديدة» و «انسجام ديني وشعري». (١٧٧٠ - ١٨٦٩ م) المرجع السابق، ص ٢٦٧.
- (٦٠) روائي روسي، انخرط في الجيش عام ١٨٥١ م، من أهم أعماله «لوحات من سيباستوبول» و «طفولتي» و «الحرب والسلام». (١٨٢٨ - ١٩١٠ م) المرجع السابق ص ١١٧.
- (٦١) محمد عمر توفيق، صوت الحجاز عدد ٤٤٦، سنة ١٣٥٩ هـ.
- (٦٢) وحي الصحراء، ص ٤٣٥.
- (٦٣) مقالة (البلاغة العربية) أعمال العواد الكاملة - خواطر مصرحة، ص ٤١.

- (٦٤) انظر : جصور إلى القمة ، تهامة ، الكتاب العربي السعودي ، رقم ٥١ ، ط١ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م .
- (٦٥) شاعر فرنسي ، ألف كثيراً من الحكايات ، وكتب قصصاً وأحاديث ، ونظم أشعاراً عن بعض الأساطير اليونانية ، كما نظم مسرحيات فكاهية ، ومن أروع أعماله «الحكايات المنظومة» . (١٦٢١ - ١٦٩٥م) .
- انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، ص ١٥٤١ .
- (٦٦) أن باتيت بولكلين ، كاتب مسرحيات كوميدية فرنسي ، من أهم مسرحياته «الأرغن» و «طرطوف» و «النجيل» . (١٦٢٢ - ١٦٧٣م) .
- انظر : دليل القارئ إلى الأدب العالمي ، ص ٣٠٩ .
- (٦٦) روائي فرنسي ، بدأ بالكتابة في الصحف ، ثم أصبح المدافع الأول عن المذهب الطبيعي في الأدب ، ومن قصصه العديدة قصة أسرة «روجون مكارا» . (١٨٤٠ - ١٩٠٢م) . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، ص ٩٣٣ .
- (٦٨) روائي وكاتب مسرحي إنجليزي ، ولد في باريس عام ١٨٧٤م ، ومن أشهر رواياته «حدّ الموسى» و«شيز وبيرة» ، ومن أشهر مسرحياته «الدائرة» ، انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ص ١٧٨٨ .
- (٦٩) شاعر هندي ، ولد بكلكتا ، درس القانون بإنجلترا ، ومن أهم مؤلفاته «الحلال» ، و«البستاني» منح جائزة نوبل للأدب ١٩١٣م عن قصيدته «جيت نجالى» . (١٨٦١ - ١٩٤١م) .
- المرجع السابق ، ج٢ ، ص ١١٤٧ .
- (٦٩) مقالة «أدباؤنا المعاصرون» ، المنهل ، عدد ذي القعدة وذو الحجة ، ١٣٦٦هـ .
- (٧٠) مقالة «دعوة إلى التجديد الأدبي» ، المنهل ، محرم ١٣٦٩هـ .
- (٧١) المنهل ، عدد جمادى الأولى ١٣٧٧هـ .
- (٧٣) انظر مقالة «الأسلوب الأخضر محمد العمران ، المنهل ، عدد صفر ١٣٧٧هـ / سبتمبر ١٩٥٧م .
- (٧٤) وانظر بكري شيخ أمين الحركة الأدبية في المملكة ، ص ٥٢٩ .



# آراء ابن شهيد النقدية بين النظرية، والتطبيق

د. يوسف خيرو شنوان

مدخل :



كان النقد الأدبي في الأندلس في بداياته الأولى لا يعدو الأحكام العامة في تذوق الشعر، وبالتالي استحسانه أو رفضه، وتعيين مكانة الشاعر أو الأديب. لقد كان «في أولياته جزئيا ذوقيا يلتفت في الأغلب إلى النحو والصرف واللغة وطرق استعمال الكلمات»<sup>(١)</sup>، ثم تطورت الحركة النقدية في القرن الخامس الهجري في الأندلس إلى أن انتهت ذات سمات مميزة على يد ابن شهيد وابن حزم<sup>(٢)</sup>. ولقد كان لزوال مجد قرطبة أثر ملموس في الحركة النقدية، ذلك لأن الفتنة القرطبية أدت إلى تخلخل المقاييس واضطرابها في الحياة

الاجتماعية والأدبية معا، مما أدى في النهاية إلى ظهور شخصيات فكرية ونقدية عملت على توجيه الحركة الأدبية في الأندلس من خلال طرحها لوجهات نظر نقدية تتصل بالعملية الأدبية. ومن أبرز تلك الشخصيات: ابن شهيد وابن حزم. «ولقد مرالنقد قبلهما بحلقات المؤدبين»<sup>(٣)</sup>. إننا نجد بعض النظرات النقدية في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، والذي تحدث فيه عن البيان والبلاغة، وعما يعاب من الشعر، وعلى تحسين القبيح وتقصيح الحسن، وبحث فيه بعض آرائه الشخصية التي تتعلق بالشعر والشعراء والضرائر الشعرية وما غلط فيه بعض الشعراء<sup>(٤)</sup> وتشير الدراسات إلى أنه لم يكد يظهر بين ابن عبد ربه وابن شهيد ناقد أندلسي له أثر ندرسه، وأن النقد الأدبي عاد بعد الفتنة من جديد إلى «حلقات المؤدبين والمعلمين بوجهونه على طرز مستوحاة من معارفهم ومثلهم التي يملونها وإلى ندوات الأدباء ونزهاتهم... بأحكام سريعة آراء تذوقية»<sup>(٥)</sup>.

## ابن شهيد ناقدًا:

آثاره النقدية والموايل التي أثرت في ابن شهيد الناقد:

لم يصلنا إنتاج ابن شهيد النقدي والأدبي كاملا لتتمكن من رسم صورة متكاملة لابن شهيد الناقد، ولا نجد إلا ما سطره لنا ابن بسام من فصول نقلها من أدب ابن شهيد، وشذرات أخرى ماثورة في الجذوة للحميدي، أو المقتبس لابن حيان، أو النفع للمقري، وغيرها من المصادر الأندلسية التي تذكر أن له



كتابا اسمه حانوت عطار «ترجم فيه مستغلا قدراته النقدية لشعراء معاصرين . ولا تخلو نظيرته في هذا الكتاب من بصر نافذ بالشعر حسب مقاييسه النقدية»<sup>(٦)</sup>.

أما العوامل التي أثرت في ابن شهيد الناقد فإننا يمكن أن نوجزها بما يلي :

أ- عجب ابن شهيد بنفسه وبقدراته الأدبية :

عاش ابن شهيد مرحلة طفولته وبداية شبابه في أوج ازدهار الدولة العامرية ، وكانت أسرته على صلة وثيقة بالعامريين ، وقد سجل لنا بعض ذكرياته التي تصور لنا نشأته المترفة المنعمة ، ومنها نستخلص حبه للظهور ، واستشعاره للسيادة منذ سن مبكرة ، وإحساسه بالتميز والعجب<sup>(٧)</sup> . لقد تعلق ابن شهيد بمدينة قرطبة ، مسرح ذكريات طفولته وأول شبابه ، ورأى التحول الجذري في حياة هذه المدينة بعد الفتنة الكبرى ، فقد تحولت في أكثر أحيائها إلى دمار وخراب ، وهوى نجم العامريين مواليه ، ولم يكن ممكنا التوفيق بين الدوافع التي تحث ابن شهيد على التهافت في الترقى ، وبين الواقع الذي آل إليه ، فالصراع ناتج عن كبت هذا الدافع القوي ، وعن المسافة التي تفصل بين الطموح وبين الواقع ، لذلك نجد أن كثيرا من كتابات ابن شهيد ومن أشعاره مبنية على الحدة والاندفاع ، خصوصا في المواطن التي يعرض فيها لخصومه . وكانت محنة قرطبة من حوافز إبداع ابن شهيد ، بالإضافة إلى ما فطر عليه من حب للأدب ورغبة في تأليف الكلام ، وما اكتسبه من تعليم وإطلاع على الشعر القديم والمحدث ، وإدراك واع لتغير الأساليب الكتابية بتغير الأزمنة كل هذه الأسباب مجتمعة أتاحت لابن شهيد ان يصبح شاعرا مبدعا وناقدا متميزا يقول «والتمسنا الإبداع فأثبتنا كل معجب ، وأتينا على كل مطرب فما سقطنا على سوقه يهش إلينا ، ولا دفعنا إلى ملك يصبو بنا»<sup>(٨)</sup>.



ولكنه لم يجد من يقدر ذلك الإبداع وينصف ذلك التميز، فقد دهي بفساد الزمان - كما يقول - وفساد طباع الناس تبعاً لذلك، وقد وُلد ذلك في نفسه سوء ظن بالناس، ونظرة سوداوية للحياة. والفتنة في رأي ابن شهيد مسخ للأشياء، فقد رفعت وخفضت بدون معيار صحيح.

لقد وصل بعض أصحابه الذين كانوا دونه في عراقة النسب وفي التفنن في الأدب، إلى مناصب عليا، بينما لم يستطع ابن شهيد الوصول إلى ما كان يسعى إليه. ومن هذه الثنائية بين واقعهم لقد كان طبق ابن شهيد، الذي صار إليه وطموحه الذي لا يجد نتجت معاناته والتي كانت من دواعي شعره ونثره ونقده.

ب - كثرة خصوم ابن شهيد: لقد كان طبع ابن شهيد، بما فطر عليه من عجب وغرور، سببا في كثرة أعدائه وحساده، الذين كانوا يتتبعون سقطاته في شعره ونثره، ويحطون من قدر أدبه ومن قيمة شعره، يكيدون له ويترصدون به الدوائر. ومن أبرز خصومه الذين أورد ذكرهم في رسالة «التواضع والزواضع»<sup>(٩)</sup>. أبو القاسم الافليي، وأبو بكر، وأبو محمد، وابن الفرضي أحد المشتغلين بالكيمياء وغيرهم. وإزاء هذا الحشد من الخصوم والحساد كان من الطبيعي أن يقف ابن شهيد مدافعا عن شعره وكتابته، ومنتقضا من أشعار غيره وكتاباتهم، وهذا يحتم عليه أن يدلي بآرائه في المنظوم والمنثور، والبيان والبديع، والطبع والصنعة، والسرقة والأخذ، وما إلى ذلك من قضايا نقدية كانت معروفة وحية آنذاك، ولكثرة حساده ولما طبع عليه من حدة واندفاع نراه يخرج أحيانا «عن حدود الناقد النزيه إلى السخرية والذم وبخاصة إذا تذكرنا بأنه منقوص الحظ في عصره»<sup>(١٠)</sup>.

جـ أندلسية ابن شهيد : يرى بعض الدارسين أن ابن شهيد يسعى من وراء طرحه لأرائه النقدية «لخلق أدب أصيل يكون أندلسيا في روحه وليس في موطنه، مما قاده إلى نبذ الاتجاهات الأدبية القادمة من بغداد»<sup>(١١)</sup>.

ومن هنا فإنه يجب أن يكون للأندلس أدبها الخاص، الذي يناسب طبيعتها وروحها، ويرى الأستاذ يعقوب زكي أن ابن شهيد ما عنى نفسه بلقاء عمالقة الشعر والأدب في المشرق، غالبا إياهم تارة، ومستوليا على إعجابهم تارة أخرى، إلا ليين أن أدب الأندلسيين يضارع - أو على الأقل يمكن أن يضارع - أدب المشاركة. والحق أن الباحث قد بالغ فيما ذهب إليه، ذلك أن ابن شهيد إنما كان يهدف بالدرجة الأولى من مقابلته لتوابع كبار الشعراء والكتاب إلى غرض ذاتي، وهو أن يجاز شاعرا وخطيبا، وأن يفحم خصومه، ويثبت مقدرته الأدبية الفاتكة، وهو من خلال معارضاته ومحاكاته للنماذج المشرقية يدلل على تقديره لتلك النماذج وإعجابه بها، أضف إلى ذلك أننا لا نجد أندلسية ابن شهيد واضحة وضوحها عند صديقه ابن حزم الأندلسي. ولكن ابن شهيد في كل حال لم يكن يجد نفسه في مرتبة أدنى مقارنة بالمشاركة، فقد نفى زعم تابعه بديع الزمان أن الإبداع مقصور على المشاركة عندما قال «هذه نكتة بغدادية أني لك بها يا فتى المغرب؟»<sup>(١٢)</sup> وقد أثبت ابن شهيد بالدليل العملي تفوقه في وصف الماء على بديع الزمان. فإذا كان بديع الزمان قد قال في وصف الماء أنه «أزرق كعين السنور، صاف كقضيبي البلور، انتخب من الفرات، واستعمل بعد البيان، فجاء كلسان الشمعة، في صفاء الدمعة» فإن ابن شهيد قد وصفه بقوله: «انظر يا سيدي كأنه عصير صباح أو ذوب قمر ليح، له في إنائه انصباب الكوكب من سائه...»<sup>(١٣)</sup>.

والفرق واضح بين الوصفين ، فبينما يراعي بديع الزمان في وصفه المقاربة بين المشبه والمشبّه به من خلال وجه شبه حسي بين طرفي التشبيه فإن ابن شهيد يدرك بحسه الشعاري طبيعة الإبداع الأدبي الذي يتركز بالدرجة الأولى على طريقة تشكيل الصورة . وليس شرطاً أن يكون وجه الشبه حسيا ملموساً بل ربما كان نفسياً جمالياً . فابن شهيد يصّر على إقامة علاقات بين أطراف الصورة لا ندركها إلا بالتأمل الصحيح لهذه العلاقات فصوره تخيلية عقلية لا تدرك إلا بالخيال .

الماء في وصف ابن شهيد هو عصير صباح ، إنه وصف ينقلنا عبر خيال محلق إلى عوالم أخرى مذهشة . وهل الصباح شيء يمكن أن يعصر وما يتخلص منه هو الماء ؟ وهو ذوب قمر لياح . وهل القمر المكتمل يمكن أن يذاب وما ينتج عن ذلك هو الماء ؟ إن العمل الإبداعي هو الذي يمنحنا مثل هذه الدهشة التي نحسها ونحن نقرأ أوصاف ابن شهيد للماء . إن حياة الصورة الشعرية الكاملة - كما يقول جاستون باشلار «هي في إشراقها المبهّر وفي كونها متجاوزة لكل معطيات الإدراك»<sup>(١٤)</sup>.

وعى ابن شهيد بقضايا عصره النقدية وطريقته في عرض آرائه :

كان ابن شهيد على وعي تام ودقيق بأكثر القضايا النقدية التي كانت في عصره . وقد دفعته مشاركته في الحياة الأدبية في الأندلس شعراً ونثراً ونقداً إلى محاولة الإمام بكل تلك القضايا ، فأبو عامر - كما يقول بطرس البستاني - «من خيرة النقاد في العصر القديم ، وله نظرات جريئة يحمد عليها . . وفيها ما يوافق المذاهب الحديثة في زماننا كبخثه في الألفاظ»<sup>(١٥)</sup> . ويقول الدكتور محمد رضوان الداية «إن آراء ابن شهيد النقدية - معظمها إن لم نقل كلها - صادرة عن وعي ورأي تجريبي لا رأي نظري ، دارت ملاحظاته حول مشاكل كان له فيها ضلع ،

وناقش أموراً أخذها عليه غيره، أو عدها خصومه من معائب كلامه ونظامه، وسنجد في شتات آرائه ما يكون نظرة شاملة متكاملة»<sup>(١٦)</sup>.

أما ما ذهب إليه الدكتور حازم خضر، من أن أكثر آراء ابن شهيد النقدية لا تعدو أن تكون «آراء نظرية لا تستند إلى تحليل عملي من الشعر والنثر سوى بضعة أمثلة»<sup>(١٧)</sup> أظن أنه كان منصفاً في ذلك فأراء ابن شهيد تستند إلى مراقبة عملية الإبداع الشعري تطبيقاً على شعره ونثره أولاً، وإن جاء ذلك التحليل بطريق غير مباشر، كما سنوضح فيما بعد عند حديثنا عن النقد التطبيقي عنده. وليس نقده كما يقول حازم خضر أيضاً «مقلداً ومحاكياً للسابقين الذين يأخذون البيت الواحد أو الجزء اليسير من القصيدة ثم يحكمون للشاعر أو عليه من خلاله»<sup>(١٨)</sup> وإذا كان هذا الرأي يصدق على بعض آراء ابن شهيد في معرض حديثه عن المعنى الذي تعاوره بعض الشعراء. فإن في تعميمه مجافاة للحقيقة. فأبو عامر قد قام بدور فعال في نقل الحركة النقدية في الأندلس من حلقات المعلمين والمتأديين إلى مستوى التنظير والتطبيق الذي يتجاوز حدود الاهتمام باللغة والنحو والصرف والغريب والإشراك في معنى ليتناول عملية الإبداع، ودور الموهبة فيها، ومفهوم البيان، والتفصيل في ذلك تفضيلاً دقيقاً - سنعرض له تالياً، - ويحسن بنا ونحن نتحدث عن ابن شهيد الناقد أن نشير إلى مفهوم بعض المصطلحات التي يستخدمها أثناء عرضه لآرائه النقدية، ومن هذه المصطلحات البلاغة والنقد وصناعة الكلام، والبيان. \*

كان أبو عامر متميزاً حتى في طريقة عرضه لآرائه النقدية، والتي كان يتوقع أن يعرضها بطريقة واضحة ومحددة ولكنه لجأ إلى طرائق عدة منها:

أ - الآراء النقدية المباشرة والتي جاءت بصورة تقريرية في مثل قوله: «ومن

الواجب على الناقد أن يبحث عن الكلام، ويفتش عن شرف المعاني،  
وينظر مواقع البيان ويحتس من حلاوة اللفظ»<sup>(١٩)</sup>.  
وهذه الآراء تمثل جانب التنظير النقدي.

ب- الآراء غير المباشرة: كما في حوار لهتاب تابعة أبي تمام، يقول أبو عامر:  
«ما الذي أسكنك قعر هذه العين يا عتاب؟»  
قال: حيائي من الشعر وأنا لا أحسنه. فصحت: وبلي منه، كلام محدث  
ورب الكعبة»<sup>(٢٠)</sup>

وكأنه في هذا ينقد طريقة أبي تمام في شعره، ويوحى بأنه يبالغ في صناعته:  
وقد جاء بهذا الرأي بصورة تقريرية مباشرة في موضع آخر في معرض حديثه عن  
تغير الأساليب الشعرية بتغير الأزمنة. قال: «ثم جاء أبو تمام فأسرف في  
التجنيس، وخرج عن العادة، وطاب ذلك منه، وامثله الناس، فكل شعر لا  
يكون اليوم تجنيساً أو ما يشبهه تمجده الأذان، والتوسط في الأمور أعدل»<sup>(٢١)</sup>.

وقد جاء طرح ابن شهيد لأرائه النقدية غير المباشرة على ثلاث صور هي:  
١- الاختيار النقدي: ونعني بذلك أنه كان يصدر في اختياره للشعراء والكتاب  
الذين يحاورهم ويلقاهم عن رأي نقدي، وكان في ترتيبه لهم من حيث  
التقديم والتأخير يصدر عن رأي نقدي أيضاً. فهو يقدم امرأ القيس على  
شعراء العربية جميعاً، ويقدم الجاحظ على كتابها جميعاً.

٢- التقليد الواعي: يلاحظ أن ابن شهيد يقلد خصائص مميزة في كتابات  
الكتاب المشاهير، مثل الماثلة والمقابلة والازدواج عند الجاحظ،  
والاعرابية والفصاحة عند عبد الحميد، وسنعرض لهذا في موضع آخر من  
هذه الدراسة بشيء من التفصيل، وهذا التقليد الواعي يشير بشكل جلي إلى

أن تلك الخصائص التي ميزت كتابات الكتاب، قد جعلت من نتاجهم الأدبي نتاجاً متميزاً يستحق أن يحاكى ويقلد في العصور التالية. ولم يقف التقليد الواعي الصادر عن رأي نقدي عند حدود الكتاب فقط بل تعداه ابن شهيد إلى الشعراء، فقلد أباً نواس - على سبيل المثال في خمرياته، وما المعارضات التي نجدها في لقائه للشعر إلا ضرباً من ذلك التقليد الواعي.

٣ - النقد الساخر: وقد تبدى ذلك واضحاً في توظيف الحيوان توظيفاً نقدياً. كأنه وهو يصور الحمق الذي يبدو في تصرفات الحمر والبغال يشير إلى طبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين الأدباء في عصره بأسلوب يفيض سخرية وهزلاً. ويقول بعد أن يطلب إليه الكتاب المفاضلة بين شعر البغل والحمار «وقد كان أنف الناقة» (يعني خصمه أبا القاسم الأفليلي) أجدر أن يحكم في هذا الشعر»<sup>(٢٢)</sup>. لما في ذلك الشعر من سخف وركاكة، ولما تضمنه من ألفاظ غريبة. ويسخر ابن شهيد من شيوخ النحو واللغة والغريب حين يجعل من الإوزة الجميلة يجعل من الحمار والبغل شاعرين، وينطق الطير، ويحاور الجن، كل ذلك بأسلوب قصصي جميل ساخر ليث من خلاله ما يريد من آراء نقدية، وقد يعرض عن ذلك كله فيعمد إلى الوصف الحسي المباشر، موظفاً صوره الحسية الساخرة توظيفاً نقدياً رائعاً، مثل الذي نجده في وصف أبي القاسم الأفليلي. يقول أبو عامر في وصفه: «ليست مشيته مشية أديب، ولا جلسته جلسة عالم، ولا أنفه أنف كاتب، ولا نغمته نغمة شاعر»<sup>(٢٣)</sup>.

ويخيل إلي أن لجوء ابن شهيد إلى هذا الأسلوب في عرض بعض آرائه إنما كان بدافع من شخصية الكاتب الشاعر المتفاعلة مع شخصية الناقد في ذات ابن شهيد.

## ابن شهيد الشاعر الناقد

يتساءل بعض الدارسين المحدثين عن مصلحة النقد في أن يكون الناقد شاعرا مبدعا. وهل يمكن أن يكون الشاعر المبدع ناقدا مبدعا؟ باعتبار أن الشاعر هو الذي تتولد في إطار ذاته العملية الإبداعية، وأن الناقد هو الذي يرصد نتاج العملية الإبداعية ويحاول توجيهها. ويرى بعض الباحثين أن الشاعر في الغالب يملك أفقا نقديا ضيقا. «وما هو إلا ناقد يهتم بكاتب واحد ولا تعنيه الأعمال التي لم تكتب بعد... إن كل ما يقوله الشعراء هو اقراءوني: لا تقرأوا سواي»<sup>(٢٤)</sup>. ذلك لأن الشاعر العظيم تشغله العملية الإبداعية المتفاعلة في إطار ذاته عن كل شيء يحيط به. يقول أوسكار وايلد «إن الفنان العظيم أبعد عن أن يكون أفضل النقاد. لأن الفنان العظيم حقا لا يستطيع أن يحكم على أعمال الآخرين»<sup>(٢٥)</sup>. وهذا يشير بوضوح إلى أن «اتحاد الناقد والشاعر هو في الأغلب اتحاد قلق»<sup>(٢٦)</sup>.

ولكن القاريء لنشر ابن شهيد وشعره ونقده يجد أنه يملك أفقا نقديا رحبا وشاعرية فذة، ولقد كشفت أحكامه النقدية على أعمال الآخرين وإن اتسمت بطابع السخرية والهزل والبعد عن الموضوعية (أحيانا قليلة) - عن قدرة نقدية فائقة يتمتع بها ابن شهيد الشاعر، ولم نلاحظ أن هناك قلقا في ذات ابن شهيد التي اجتمعت فيها شخصية الأديب الشاعر الناقد بل على العكس فإن كل جانب من جوانب هذه الشخصية الواحدة يكمل الجوانب الأخرى. وعلى الرغم مما قدمت أنفا من آراء تتعلق بالشاعر الناقد (أو الناقد الشاعر) إلا أنني أرى أن الشاعر الناقد هو أقدر من الناقد المجرد لكونه أشد اتصالا وتفاعلا مع العملية



الإبداعية ، ولكونه يملك خيالا خلاقا قادرا على الجمع حتي بين المتناقضات<sup>(٢٧)</sup> . وقد يكون نقده أكثر دقة وصحة من الناقد غير الشاعر . ذلك لأن صفة الشاعرية التي يمتلكها الشاعر الناقد تفتح أمام ناظره أفقا آخر لا يمكن للناقد المجرّد أن يخلق فيه ، وتمنحه زاوية رؤية جديدة للأشياء والموضوعات لا يمكن للناقد الشاعر أن ينظر من خلالها . أضف إلى ذلك أننا نعرف من خلال تراثنا النقدي أن بعض الشعراء كانوا نقادًا . غير أن هذا لا يعني بالضرورة أنه ما لم يكن الناقد شاعرا فلن يكون ناقدا مبدعا . وقد عد ابن حزم ابن شهيد «حامل لواء الشعر والبلاغة ، لم يخلف لنفسه نظيرا في هذين العاملين جملة»<sup>(٢٨)</sup> . وفي الغرب نجد أن دانتوي وغوته وكولودج واليوت كلهم شعراء مبدعون ونقاد مبدعون أيضًا . فلم لا يكون ابن شهيد واحداً كهؤلاء ؟ .

## رأي ابن شهيد في البيان

يتبين رأي ابن شهيد في البيان من خلال الحوار الذي دار بينه وبين أبي القاسم الأفلحلي ، يرى أن البيان يكون تعلمًا عن طريق الشيوخ والأساتذة ، وأدوات البيان عنده اتقان مسائل النحو ومعرفه الغريب ، فالمؤدبون هم الذين علموه البيان . أما ابن شهيد فإنه يرى رأيا مغايرا ويرد قائلا : ليس هو من شأنهم ، إنما هو من تعليم الله تعالى حيث قال : «الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان»<sup>(٢٩)</sup> . وهذا يعني أن البيان عند ابن شهيد منحة من الله تعالى ، أو هو موهبة بالدرجة الأولى يؤتاها الإنسان من خلال استعدادات فطرية تخلق فيه ، من مثل رفاة الحس ، ورجاحة العقل ، وقوة الخيال . . ولكن ذلك لا يعني أن الإنسان يولد شاعرا عظيما أو أديبا بارعا بالفطرة فقط . بل لا بد من التعلم والجلوس إلى



الأساتيد، ولذلك يحدثنا ابن شهيد عن نفسه قائلاً: «كنت أيام كتاب الهجاء، أحن إلى الأدباء، وأصبوا إلى تأليف الكلام، فاتبعت الدواوين، وجلست إلى الأساتيد»<sup>(٣٠)</sup>، ولكننا نلاحظ من خلال رسالة التوايع والزوايع أن الموهبة هي الأساس في الإبداع وليس التعلم، فالموهبة مثل الأرض الطيبة الخصبة والتعلم هو تشذيب تلك الأرض والعناية بها، ويوضح ابن شهيد أن للموهبة المقام الأول في تعلم البيان متحدثاً عن نفسه: «فنبض لي عرق الفهم وبدر لي شريان العلم بمواد روحانية، وقليل الالتاح من النظر يزيدني، ويسير بالمطالعة من الكتب يفيدني، إذ صادف شَنَّ العلم طَبَقَهُ»<sup>(٣١)</sup>.

وليس البيان عند ابن شهيد تفسير الشعر وشرحه ومعرفة غريب ألفاظه، وهذا ما كان يفعله الافليلي في شرحه لديوان المتنبي، يقول ابن شهيد عن البيان: «ليس من شعر يفسر، ولا أرض تكسر، هيهات حتى يكون المسك من أنفاسك، والعنبر من أنفاسك، حتى يكون مساقك عذبا، وكلامك رطبا، ونفسك من نفسك، وقلبك من قلبك، وحتى تتناول الوضع فترفعه، والرفيع فتضعه، والقيح فتحسنه»<sup>(٣٢)</sup>، فالإنسان لا يكون أدبيا إلا إذا كان أدبه يصدر عن طبع مغروس في نفسه، وإذا كان يمتلك مقدرة على أن يبدع شعره ونثره، بحيث يدخل إلى القلوب بلا استئذان، وتصغى الأفتدة إليه قبل الأذان، لأن ما يصدر من القلب يدخل إلى القلب بلا عناء، والمبدع، عند ابن شهيد، هو الذي يملك القدرة الفنية على تحسين القبيح وتقبيح الحسن، ورفع الوضع، وخفض الرفيع، وكأن ابن شهيد هنا يستبعد الأخلاق والصدق في الفن كمقاييس للإبداع ويرى أن المقياس الحقيقي هو المقدرة على التصوير وعلى مدى جمال الأثر الفني.

## أدوات البيان

يرى ابن شهيد أن إصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب، واستيفاء مسائل النحو<sup>(٣٣)</sup>. وإذا لم يقم البيان على حفظ كثير الغريب ومسائل النحو فعلى أي شيء يقوم؟ يجيب ابن شهيد عن ذلك بقوله: «ومن الواجب على الناقد أن يبحث عن الكلام، ويفتش عن شرف المعنى، وينظر مواقع البيان، ويحترس من خدع اللفظ، ويدع تزويق التركيب، ويراطل بين أنحاء البديع . . . وإنما يستحق اسم الصناعة بتقحم بحور البيان، وتعتمد كرائم المعاني والكلام، وأن ينطق بالفصل، ويركب أثباح الجد، ويطلب النادرة السائرة وينظم من الحكمة ما يبقى بعد موته، ويذكر بعد فوته، ويتصرف تصرف الملح، ويتلون تلوّن أبي براقش<sup>(٣٤)</sup> ومع أن هذه الإجابة لا تشفي الغليل تماما، وكان بودنا أن تكون أكثر وضوحا، إلا أنها تضمنت غير قليل من الإجابة عن السؤال المطروح. ولعل في العتاب الذي يوجهه ابن شهيد إلى الجاحظ حين ذكر هذا الأخير صعوبة تعليم البيان ما يكمل الإجابة عن ذلك السؤال يقول أبو عامر: «لو كشف فيه» (يعني الجاحظ) عن وجه التعليم، وصور كيفية التدريج، لأرى كيف وضع الكلام، وتزيين البيان، وكيف التوصل إلى حسن الابتداء، وتوصيل الألفاظ بعد الانتهاء، وأبدى لهم عند تدبير المقاطع والمطالع، فإنها معادن الصناعة، ومواضع مفاتيح الطريقة، ولكنه استمسك بفائدته<sup>(٣٥)</sup> والذي نخلص إليه هنا أن المعنى الشريف، واللفظ المناسب له، والمعبر عنه تماما، والبيان الواضح والنادرة السائرة، والحكمة، وحسن الابتداء، وترابط التراكيب، وإتقان المقاطع مع المطالع كل ذلك من أسباب البيان عند أبي عامر.

## للبيان أوقات

نستنتج من الحوار الذي دار بين ابن شهيد وتابعته الجنبي زهير بن نمير رأيه في هذه المسألة. وقد أوهص أبو عامر للانتقال من عالم الواقع إلى عالم الجن في رسالة «التوايع والزوايع» بالحديث عن فقدته لمحجوب، كان قد نسيه فترة، فجلس ابن شهيد وحيدا في قريحته في نظم الشعر وأغلقت عليه مسالكه، وأحس، وهو في غمرة تأثره، بجني ينزل من السماء، ويقول له: أعجزاً يافتي الأنس؟ فيجيب ابن شهيد: لا وأبيك للكلام أحياناً<sup>(٣٦)</sup>. وهذا يعني أن هناك أوقاتا للإبداع بحسب طبيعة الإنسان ومزاجه، ونفسيته، والظروف والأحوال المحيطة به، فعملية الإبداع ترتبط بالتدفق العاطفي والشعوري وهذا لا يكون في كل وقت وحين، بل في أوقات معينة، حين تنضج الأفكار في ذهن المبدع، ثم يتمثلها فؤاده، فتصبح جزءاً من روحه، وتأتي بعد ذلك لحظة المخاض حيث يولد الفن. وهي عملية لا ترتبط بزمان أو مكان محددين، وإنما هي بوح الخاطر، وصدى الوجدان. وينبوع في المبدعين كما تقول اليزابيث درو: «يقع خارج ملكاتهم الواعية، فهو طاقة لا يملكون التحكم فيها، وهي تذه وتجيء»<sup>(٣٧)</sup>.

## الأثر الخلقي في البيان

والأدب عند أبي عامر «نتاج معقد: محتاج إلى أن يمتزج فيه تكوين جسم الأديب الخلقي مع تركيب ذهنه وعقله»<sup>(٣٨)</sup>. وهو بذلك لم يشأ ترك مسألة الطبع والملكة، كما أوردها النقاد السابقون له وإنما أراد أن يكسوها ثوباً جديداً بما فصل في أمرها من العلاقة بين النفس والجسم واستيلاء كل منهما على الآخر. وهذا يشير إلى إدراك أبي عامر «أن هناك فرقاً واضحاً بين صاحب الطبع وفاقده. فالأول يخرج الكلام في سهولة ويسر، وينساب منه انسياب الماء في مجراه

فيؤثر في النفوس ويسحرها . أما الثاني - فاقد الطبع - فلا يستطيع التأثير بل ربما عجز عن الإفصاح لفقدانه الطبع والميل<sup>(٣٩)</sup> . ويقول ابن شهيد مفصلاً أمر العلاقة بين الجسم والنفس ، وأثر ذلك كله في الطبع : «ومقدار طبع الإنسان إنما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه ، فمن كانت نفسه في أصل تركيبه مستولية على جسمه كان مطبوعاً روحانياً ، يطلع صور الكلام والمعاني في أجل هيئاتها ، وأرق لبساتها ، حسه ، كان ما يطلع من الصور ناقصاً عن الدرجة الأولى في الكمال والتمام»<sup>(٤٠)</sup> . وبما لا شك فيه أن للجسم تأثيراً في النفس والعكس صحيح . فالعلاقة بين الجسم والنفس علاقة تفاعلية . ويعود ابن شهيد مرة أخرى للحديث عن دور التكوين الجسدي في العملية الإبداعية عند حديثه عن المعلمين ، فيذكر لنا أن الأعضاء الجسدية هي آلات خادمة للفهم ، فإذا كانت مشوهة مثل فرطحة الرأس وتسفيطه ، وتواء القمحودة ، والتواء الشدق ، وانزواء أرنبة الأنف ، كل ذلك يجعل من الآلة الخادمة للفهم فاسدة ، وبالتالي فإن الفهم ذاته يفسد . وهل يصلح شيء من العقل أو الذوق بعد فساد الفهم ؟

ولقد عد بعض الباحثين «ذكر أبي عامر لأمر ذات صلة بالعلم ، والفلسفة ، وربط وظائف الأعضاء والملكة الأدبية من جهة ، وبين الصفات الظاهرة من جهة ، وأثر ذلك في نفسية الإنسان ، وتوجيه سلوكه ، فتحاً جديداً في دراسة النقد الأدبي»<sup>(٤١)</sup>

إن رأي ابن شهيد السابق على طرافته - يظل مشوباً بغير قليل من الغموض ، فهل التشوه الخلقي كقاعدة عامة يقف حائلاً دون الإبداع ؟ .

أظن أن ابن شهيد لا يقصد هذا ، وإلا فكيف يعد الجاحظ مبدعاً وهو جاحظ العينين ؟ بل كيف يعد نفسه مبدعاً وهو أصم ؟ . أنا أعتقد أن الدراسات الأدبية والنفسية يمكن أن تفسر لنا هذا مستقبلاً .

إن البيان عند أبي عامر هو خلاصة العلاقة بين الطبع والآلات الخادمة للفهم، والطبع عنده هو خلاصة التفاعل بين روح الأدب وجسده، والذي يقرأ آراء ابن قتيبة والجرجاني والجاحظ وأبي هلال العسكري في الطبع يجد بينها وبين آراء أبي عامر نسباً، غير أننا نقول: إن حديث أولئك الأعلام عن الطبع، جاء في أكثره، مجرد إشارات عابرة، لم تلمس جوهر الموضوع، ولم يكن فيها من التفاصيل والتفريعات ما نجده عند أبي عامر.

### تعلم البيان

لابنفي ابن شهيد دور التعلم في صقل المهوبة، ولكنه يؤكد على عدم جدواه بدونها، فعلى قدر حظ الإنسان من المهوبة تكون فرصته في إجادة البيان، فالأديبان يختلفان في حظهما من البيان لاختلاف المهوبة عندهما، والرجلان المتساويان في المهوبة (فرضاً)، يختلفان في حظهما من تعلم البيان باختلاف درجة تعليمهما، وابن شهيد يرى أن تعليم البيان وإن كان ممكناً إلا أنه صعب. ويستشهد على هذا الرأي بقول الجاحظ: «إنا إذا اكرتينا من يعلم صبياننا النحو والغريب قنع منا بعشرين درهماً في رأس كل شهر، ولو اكرتينا من يعلمهم البيان لما قنع منا بألف درهم»<sup>(٤٢)</sup>. وأبو عامر يوصي معلمي البيان أن يختاروا تلاميذهم من النجباء الأذكياء لأنهم أقدر على تعلم البيان من غيرهم، يقول ابن شهيد: «وقد كنا طعمنا من هذا الطعام (يعني البيان) بعض التلاميذ فاستطابه وعلم مقداره، ولكن البطالة على الفتیان غالبية والسامة عليهم مستولية، فمن بنى على تعليم هذا الشأن فلا يعلم إلا أهل النجابة والمثابرة على التعليم»<sup>(٤٣)</sup>. وبذلك تكون شروط البيان عند أبي عامر ثلاثة هي: المهوبة أولاً، والذكاء ثانياً، والمثابرة على التعليم ثالثاً.

### آثار البيان

يحدثنا ابن شهيد في مواضع متفرقة من كتاباته عن آثار البيان فالبیان أولاً هو الذي يؤلف «صوراً رائعة من الكلام تملأ القلوب وتشغف النفوس»<sup>(٤٤)</sup>. والبيان ثانياً سلاح تنتصر فيه على الخصوم وتقحمهم<sup>(٤٥)</sup> والبيان ثالثاً وسيلة من وسائل التكسب والعيش، فهو يعمل على تحريك البخلاء إلى البذل لأنه كما يقول ابن شهيد: «لا يضعضهم خبيث الكلام لقوة بنيانهم وثبات أركانهم»<sup>(٤٦)</sup>. والبيان أخيراً عند أبي عامر نوع من السحر، يعمد إليه لإلانة النفوس، وشق القلوب واستمالتها وملء الأسماع والأبصار.

### تغير الأساليب بتغير الأزمنة

يقول ابن شهيد «وكما أن لكل مقام مقالا فكذلك لكل عصر بيان، ولكل دهر كلام، ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة وضرب من البلاغة لا يوافقها غيره ولا تهش لسواه. وكما أن للدنيا دولا فكذلك للكلام نقل وتغاير في العادة. ألا ترى أن الزمان لما دار كيف أحال بعض الرسم الأول في هذا الفن إلى طريقة عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من أهل البيان؟ ثم دار الزمان دورانا، فكانت إحالة أخرى إلى طريقة إبراهيم بن العباس ومحمد بن الزيات وابني وهب وغيرهم. ثم دار الزمان. فكانت إحالة أخرى إلى طريقة البديع وشمس المعالي وأصحابها. وكذلك الشعراء انتقلوا عن العادة في الصنعة بانتقال الزمان، وطلب كل ذي عصر ما يجوز فيه وتهش له قلوب الناس. .»<sup>(٤٧)</sup> والحق أن ابن شهيد لم يبق شرحا لشارح ولا استيضاحا لمستوضح، ولا انتقادا يوجهه إلى نظريته منتقد، لما فيها من سهولة العرض ويسره وقوة الحجة وصدقها، وموافقتها للصواب.

ويذهب الأستاذ يعقوب زكي إلى أن «قضية الاختلاف بين العصور في نظرتها إلى الأدب . . . إنما ظهرت بوضوح أول مرة عند ابن شهيد»<sup>(٤٨)</sup>

وهذا صحيح إلى حد بعيد يدركه الدارس للحركة النقدية طوال القرون الأربعة الأولى للهجرة، فقد نوقشت هذه القضية أكثر من مرة غير أنه كان يكتفى عند نقاشها بالإشارة الموجزة، وباللمحة العابرة دون تصريح وتوضيح وتفصيل.

### أهل صناعة الكلام

أهل صناعة الكلام عند ابن شهيد أصناف ثلاثة، من كان واحدا منها فهو أديب، ومن لم يكن منها فلا حظ له من الأدب، وهذه الأصناف هي:

١ - من يختار المعاني، ويختار الألفاظ الجيدة، ويجيد الوصف والاستنباط، ولكنه يعجز عن تأليف الكلام تأليفا جيدا.

٢ - من يمتاز بقدرة عجيبة على اجتلاء المعاني والغوص على اللطيف المبتكر وإذا ازدهمت عليه من الكلام المطالب، أعمل لمحة البارق وفكرة القادح، فجاء ببهاء الغرض في ثوب حسن الماء جميل الرداء.

٣ - ومنهم من لا يجود دائما وفي كل حال، ولكن إذا جوبه وحرك استطاع أن يعمل الحيلة ويشارك في الصنعة<sup>(٤٩)</sup>.

### المعلمون

هاجم ابن شهيد المعلمين في عصره في أكثر من موقف، وعلى رأسهم خصمه أبو القاسم الافليلي، وذكر جملة من صفاتهم السيئة والتي يمكن أن نعد اصدادها صفات حسنة ينبغي أن يتمتع بها المعلم الجيد. يقول ابن شهيد:



«وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن أتى على أجزاء من النحو، وحفظ كلمات من اللغة يحنون على أكباد غليظة، وقلوب كقلوب البعران، ويرجعون إلى فطن حمئة، وأذهان صدئة، لا منفذ لها في شعاع الرقة، ولا مدب لها في أنوار البيان»<sup>(٤٩)</sup> ويقول «ومن تقصير عصابة المعلمين أنهم لا يقدمون أن يجعلوا ما يحملون من المعرفة تصنيفاً ولا تغزير مادتهم أن ينشئوها تأليفاً». وهم عنده يدركون بالطبيعة ويقصرون بالآلة<sup>(٥٠)</sup>.

ويذكرنا موقف ابن شهيد من المعلمين بموقف أبي العلاء المعري منهم «وننتاج ما توصل إليه الرجلان عدم جواز الإطمئنان لعمل المعلمين في الأدب والنقد لافتقارهم لعنصر حيوي هام في هذا المجال هو الموهبة الفطرية التي قعدت بهم عن سلامة التذوق»<sup>(٥١)</sup>. ويتبين لنا الانحناء والظلم الشديد الذي ألحقه ابن شهيد بالمعلمين الذين عايشهم في عصره، ولا يتصور أن يكونوا جميعاً ولا أكثرهم على الصفات التي ذكرها، وإنما يلاحظ أنه بدافع خصومته لهم يحاول أن يحط من قدرهم وينزلهم منزلة أدنى من التي يستحقون، فقد صورت المصادر أبا القاسم الأقليلي خصمه على أنه «قد بذأ أهل زمانه بقرطبة، في علم اللسان العربي، والضبط لغريب اللغة، في ألفاظ الأشعار الجاهلية والإسلامية والمشاركة في بعض معانيها»<sup>(٥٢)</sup>.

### الأخذ والاقتباس (السرفات)

يضع ابن شهيد قاعدة للأخذ والاقتباس يضمنها قوله: «إذا اعتمدت معنى سبقك إليه غيرك فأحسن تراكيبه، وأرق حاشيته فأضرب عنه جملة، وإن لم يكن بد ففي غير العروض التي تقدم إليها ذلك المحسن، لتنشط طبيعتك وتقوى متتك»<sup>(٥٣)</sup>. فابن شهيد يرى أن الشاعر إذا سبقه غيره إلى معنى، وأراد أخذه،

فلا بأس بذلك ولكن بشرط وجوب الزيادة في المعنى عند الشاعر اللاحق ، فمن الشعراء من يحسن الأخذ ولا يعاب بذلك . ومن ذلك المعنى الذي أخذه أبو نواس عن الأعشى معنى بيته المشهور:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء      وداوني بـالتـي كانت هي الداء  
فقد زاد عن الأعشى في «أن اللوم اغراء» «ودواني» وفي جعل الداء عموما دواء . ومن الشعراء من يأخذ المعنى وسيء مثل عمر بن أبي ربيعة الذي أخذ معنى بيته :

ونفضت عني النوم أقبلت مشية الـ      حباب وركني جانب بالقوم أزور  
عن امرئ القيس في قوله :  
سموت إليها بعدما نام أهلها      سمو حباب الماء حالا على حال  
يقول ابن شهيد معقبا على ذلك :

«ألا ترى عمر بن أبي ربيعة ، وهو من أطبع الناس ، حين رام الدنو منه والإلمام به ، كيف افتضح . . . إنه أساء قسمة البيت ، وأراد أن يلفظ التوصل ، فجاء مقبلا بركن كركنه أزور»<sup>(٥٥)</sup> . يقول الدكتور مصطفى السيوفي :

«ولقد قدر لابن شهيد أن يكون أكثر توفيقا في قضية تجديد المعاني من أبي العلاء المعري ، الذي لم يتعد أمرها عنده الإشارة العابرة ، في حين تمثل موقف ابن شهيد في التجديد والتوضيح بالشاهد والمثل ، وكأني به يوطر للملاحج التجديد الفني الذي ينبغي أن يشد تناسج أدباء القرن الخامس الهجري في الأندلس<sup>(٥٦)</sup> والذي أخطئه : أن ابن شهيد يميل في هذه القضية إلى التساهل إذا ما قيست شروطه في الأخذ بشروط النقاد السابقين عليه كالأمدي مثلا ، ورأي ابن شهيد هو أكثر اقتناعا ذلك أن المعاني ليست حكرا

على قوم دون قوم . وعلى زمان دون زمان فهي ليست ملكا للذي يسبق إليها ، إنما هي ملك عام لكل شاعر وأديب وكاتب : فإذا استعمل الشاعر معنى سبقه إليه غيره فزاد فيه جمالا على جماله السابق فتلك مزية تسجل له ، وإن استخدمه بالمستوى الذي استخدمه الشاعر السابق له فلا بأس بذلك ، وإن قصر فذلك عيب يلام عليه .

### اللفظ والمعنى

يقول ابن شهيد موضحا موقفه من قضية اللفظ والمعنى : «ومن الواجب على الناقد أن يبحث عن الكلام ، ويفتش عن شرف المعاني وينظر موقع البيان ، ويحترس من حلاوة اللفظ ، ويدع تزويق التركيب<sup>(٥٧)</sup> وهذا يعني أن أبا عامر يوجب الاهتمام بالمعنى واللفظ المناسب له ، المؤدي إليه على أحسن وجه ، فلا اهتمام باللفظ وتزويق التركيب على حساب المعنى ، ولا قيمة للمعنى إذا لم يقدم بالفاظ مختارة . فالبيان عنده هو صب المعنى الرفيع في قوالب لفظية مختارة يقول عن أحد أصحابه في قرطبة :

«ورأي أستمعل وحشي الكلام في مواضعه ، ولم يشعر بحسن الوضع ، فاستعمل شيئا منه وعرضه علي ، فقلت : استره»<sup>(٥٨)</sup> .

وقد حذر ابن شهيد من التزويق والبهرجة وخداع وقعه . وقال في نقده لأسلوب عبد الحميد الكاتب «أقعقة طلبت أم بيانا»<sup>(٥٩)</sup> وأراني أخالف الدكتور حازم خضر فيما ذهب إليه من أن اهتمام ابن شهيد بالتزويق اللفظي أكثر من اهتمامه بالمعنى<sup>(٦٠)</sup> ، بل لا يتساوى اهتمامه باللفظ باهتمامه بالمعنى ، ورأي ابن حيان في هذا أدق وأقرب إلى الصواب ، حيث يقول : «كان أبو عامر يبلغ المعنى ولا يطيل سفر الكلام»<sup>(٦١)</sup> .

### ● ظاهرة السجع في نثر ابن شهيد وصلتها بقضيتي الطبع والصناعة :

يجد الباحث في كتب النقد العربي القديم آراء عدة تدور حول البديع وحول السجع فيه كلون من ألوانه على وجه الخصوص ، والسجع ليس عيباً أو دلالة على النقص في حد ذاته ، إذ لو كان كذلك لما ورد في القرآن الكريم . والشواهد القرآنية على ذلك كثيرة جداً . والسجع قسمان : سجع متكلف ممحوج ، وسجع يطلبه المعنى ويستدعيه ، فالأول مكروه رديء ، لا قيمة له ، بل إنه يقلل حقا من قيمة الكلام ، ويفضي به إلى النقص والثقل على الأذن والنفس ، والثاني مطلوب مرغوب لا يتم المعنى إلا به ، إذا نقص المعنى ، ولقد كان لنقادنا القدماء من قوة البصيرة ، ونفاذ الحكم ، ودقة النظر ، ما يجعلهم يميزون بين ذينك النوعين من السجع فالجرجاني - مثلاً - في أسرار البلاغة يقول في مقدمة كتابه معلقاً على بعض النصوص التي استخدم فيها السجع : « فأنت لا تجد في جميع ما ذكرت لفظاً اجتلب من أجل السجع ، وترك له ما هو أحق بالمعنى منه ، وأبر به وأهدى إلى مذهبه . . حتى لو رام المتكلم تركهما (يعني السجع والتجنيس) إلى خلافهما مما لا تجنيس فيه ولا سجع ، لدخل من عقوق المعنى ، وإدخال الوحشة عليه ، في شبه بما ينسب إليه المتكلف للتجنيس المستكره والسجع النافر » (١٢).

فالسجع الحسن هو السجع الذي يستدعيه المعنى ويطلبه : أما السجع الذي يقصد به التزويق ، وإبداء قدرة الكاتب اللغوية ، ومعرفته بالغريب ، ونحو ذلك ، فهو السجع الذي يثقل على النفس ، ويقصر فيه الكاتب عن تأدية المعنى المطلوب . وقد قلد الكتاب الأندلسيون المشاركة في إسجاعهم ، وجروا على سنتهم ثم جاوزوهم إلى المبالغة في ذلك ، حتى إننا لا نكاد نجد كاتباً أندلسياً في القرن الخامس الهجري إلا وهو يسجع ، سوى في القليل النادر . يقول

د . إحسان عباس «وجرت جميع تلك الأشكال النثرية في أكثر الأحوال على نظام السجع وعلى التفنن في ضروبه . . . وكان قيام النثر السلطاني على السجع شر ما ابتلي به النثر الديواني الأندلسي في تقليد المشاركة»<sup>(٦٣)</sup>.

يلاحظ الدارس لكتابات ابن شهيد بروز خصيصة السجع في نثره، لكن أبا عامر استخدم السجع - كما سنرى - استخداماً مختلفاً عن معاصريه وكان السجع الذي ساد في عصره . . كما يقول سجعاً مجموعاً يدل على غباوة أهل زمانه، وقلة شأ وأقرانه في البيان . لذلك فهو يرفض ذلك اللون من ألوان السجع، ويعد كل من ابتلي به مصاباً بآفة من آفات البيان في عصره . ويتضح ذلك من خلال الحوار بين تابعة ابن شهيد وتابعة تقليده في المائلة والمقابلة والازدواج . وابن شهيد يعي فضل تلك الأساليب، لذلك يقول رداً على تابعة الجاحظ حين قال له : «إنك لخطيب، وحائك للكلام مجيد، ولولا أنك مغرئ فكلامك نظم نثر . قلت (ابن شهيد) ليس هذا - أعزك الله - مني جهلاً بأمر السجع، وما في المائلة والمقابلة من فضل، ولكنني عدمت ببلدي فرسان الكلام ودهيت بغباوة أهل الزمان»<sup>(٦٤)</sup>.

أما عبد الحميد الكاتب فقد اتهم ابن شهيد بالتكلف في استخدامه المائلة التي قلد فيها الجاحظ، ورد ابن شهيد على عبد الحميد متمثلاً بطريقة مصوراً بداوته بقوله : إني لأرى من دم اليربوع بكفيك، وألمح من كشى الضب على ما صنعك»<sup>(٦٥)</sup>.

وإذا كان ابن شهيد يستطيع أن يكتب بأسلوب المائلة والمقابلة والازدواج فلم يلجأ إلى السجع؟ يعتذر ابن شهيد في رسالة التوايع والزوايع عن إكثاره من السجع في كتاباته، ويزعم أن الذوق في عصره يميل إلى هذا الأسلوب في

الكتابة، فقد دهى بغاوة أهل الزمان وفساد أذواقهم. فكل كلام لا يكون سجعاً يرفضه أهل عصره. وعندما سأله الجاحظ عن كلام أهل الأندلس فيما بينهم، أجاب قائلاً «ليس لسيبويه فيه عمل، ولا للفراهيدي إليه طريق، ولا للبيان عليه سمة، إنما هو لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط. ولذلك فإن الجاحظ يدرك سر استخدام ابن شهيد للسجع ويوافقه على ذلك قائلاً: إنا لله، ذهبت العرب وكلامها. ارمهم يا هذا بسجع الكهان، فعسى أن ينفعك عندهم<sup>(٦٦)</sup>. وليس هذا السبب وحده كافياً ومقتعاً في تفسير شيوع السجع في كتابة ابن شهيد خصوصاً وقد عرفنا نفسية ابن شهيد التي تحب التميز في كل شيء، ولا تنصاع لأمر لمجرد رغبة الناس فيه، وميلهم إليه والحقيقة أن ابن شهيد يستخدم السجع استخداماً خاصاً متميزاً، لا يقصد فيه إلى التزييق اللفظي، وإنما هو سجع يستدعيه المعنى قبل كل شيء<sup>(٦٧)</sup> وهو سجع مطبوع. ولما كان المعنى هو الذي يستدعي الألفاظ في نثر ابن شهيد، فإن ورود السجع لن يكون بحال من الأحوال تكلفاً - وتصنعاً وتزييقاً على حساب المعنى. وابن شهيد يدرك ذلك ويقرر على لسان صاحبي الجاحظ وعبد الحميد، فهما يقولان له بعد أن قرأ عليهما من رسالته في الحلواء: «إن لسجعك موضعاً من القلب، ومكاناً من النفس، وقد أعرته من طبعك، وحلاوة لفظك، وملاحة سوقك ما أزال أفنه، ورفع غينه». والذي يقوله ابن شهيد عن سجعه صحيح ودقيق إلى حد بعيد، فسجعه قريب إلى القلوب والنفوس، لا يغرب فيه ابن شهيد ولا يطيل، وربما يتضح الأمر بمقارنة سجعه مثلاً بسجع بعض معاصريه، أو بسجع كتاب المقامات عندئذ سوف يتضح لنا أي السجعين متكلف، تبدو فيه الصنعة واضحة جليلة وأيها يحوي الألفاظ الوحشية الغريبة. وابن شهيد يلجأ في سجعه إلى استعمال الأحرف السهلة في

النطق، الخفيفة على السمع، مما يحسن الوقوف عنده. ومثال ذلك قوله: في رده على أبي القاسم الافليلي «وأنا لا أعرف على من قرأت. قال: أثلثي يقال هذا؟ فقلت فكان ماذا؟ قال: فطارحني كتاب الخليل: قلت هو عندي في زنبيل قال: فناظرني على كتاب سيبويه، قلت: خربت الهرة عندي عليه وعلى شرح ابن درستويه<sup>(١٨)</sup>. وابن شهيد في سجعه يلجأ إلى التنويع فلا يسير على وتيرة واحدة، ولا يلتزم في جميع فواصله بحرف واحد، وإنما يعتمد على الموازنة بين الجمل، وفي المثال الذي سقته آنفا ما يدل على ذلك.

### شاعرية ابن شهيد وأثرها في سجعه

لسنا نعني بالشاعرية هنا الاستمتاع بالصورة الشعرية الجميلة، والقدرة على تذوق مواطن الجمال فيها فحسب وإنما نعني، إضافة إلى ذلك القدرة على تكوين الصورة الشعرية ونظمها في وزن شعري ملائم لها. وابن شهيد يمتلك طبيعة شعرية خلقة، عبقرية الصورة والظلال والإيحاءات، وقد أشرنا إلى ذلك في حديثنا عن وصفه للماء، ولا نستطيع أن نفصل، بحال من الأحوال بين شخصية ابن شهيد ناقدا وشاعرا وكاتباً فهذه القدرات المتنوعة تتفاعل في إطار شخصية واحدة، ولهذا فإننا نجزم بأن شاعرية ابن شهيد قد أثرت كثيراً في فنه. ولما كان ابن شهيد في كتابته يكتب نثراً لا شعراً، فإننا نراه يلجأ إلى توفير الإيقاع الموسيقي عن طريق استخدام السجع بوصفها أداة توفر إيقاعاً شبيهاً بذلك الذي توفره الأوزان العروضية.

ويقول ابن شهيد: «ورفع له ثمر النشا غير مهضوم الحشا، فقال مهيم! من أين لكم جنني نخلة مريم؟ ما أنتم إلا السحار، وما جزاؤكم إلا السيف والنار»<sup>(١٩)</sup> وقد كان إحساس ابن شهيد بالتميز دافعاً له في استخدام البديع

والصنعة - وخصوصا السجع - كلون من ألوان البديع - في نثره معتبرا ذلك نوعا من الزينة المخصوصة لتحلية نثره ونظمه على السواء . وكان ابن شهيد يدرك أن الزينة تقتضي «في الأدب وفن القول ضربا من العلو والتجاوز يتخذه الوعي مؤسسا قيمة الزينة في شكل نسق من العلاقات المتبادلة بين الوعي الذي يضيفي القيمة ، والموضوع الذي يزين على هذا النحو أو ذاك»<sup>(٧٠)</sup> . وفي تصورنا أن ابن شهيد لم يلجأ إلى استخدام الزينة والبديع في نثره ليستر عورات أو حسنات في أدبه، بل نرى أن جمال الزينة عنده «ينشق من إثارة الحواس ، أو إشارة الخيال بواسطة اللون ، أو بالسرف والتنوع ورقة التفاصيل ونعومتها»<sup>(٧١)</sup> . ولقد حاول ابن شهيد من خلال رفضه للأسلوب الذي كانت تستخدم فيه الزينة - خصوصا السجع - في عصره أن يكسر قاعدة التقليد الآلي عن طريق إحداث «انقطاع مباغت لسلسلة التقليد الآلي»<sup>(٧٢)</sup> . ولكنه لم يستطع أن يفعل ذلك خارج إطاره الذاتي . أعني في مجتمع عصره الذي كان غارقا في التقليد .

### الأصوات وبناء الكلمات

لا يفرد ابن شهيد بابا خاصا يعالج فيه الأصوات وبناء الكلمات والتراكيب ، كما هو الحال عند بعض الدارسين القدماء من أمثال ابن جني ، ولكننا نجد إشارة ذكية من ابن شهيد تدل على قدر من المعرفة بالأصوات وتجانسها ، يقول ابن شهيد : «إن للحروف أنسابا وقربايات تبدو في الكلمات ، فإذا جاور النسب النسب ، ومازج القريب القريب طابت الألفة وحسنت الصحبة ، وإذا ركبت صور الكلام من تلك ، حسنت المناظر ، وطابت المخابر»<sup>(٧٣)</sup> .



## النقد التطبيقي عند ابن شهيد

ذكرنا فيما مضى من قول أن ابن شهيد تجاوز بآرائه النقدية حدود النظرية إلى التطبيق، ونستطيع القول إن النقد التطبيقي عند أبي عامر قد سار في خطوط خمسة رئيسة، كنت قد ألمت ببعضها وهي:

- ١ - التقليد الواعي .
  - ٢ - الاختيار والترتيب اللذان يصدر فيهما عن رأي نقدي .
  - ٣ - المفاضلة والموازنة والمعارضة .
  - ٤ - الأحكام العامة .
  - ٥ - الأمثلة التطبيقية .
- (١) التقليد الواعي :

أدرك ابن شهيد بحسبه النقدي الجيد الخصائص الفنية التي ميزت نثر الكتاب المشهورين، والخصائص الفنية التي امتاز بها شعر المبدعين من الشعراء، وهو بمحاولة تقليدهم يفتح أعيننا على أمرين هما :

أ - قدرته الأدبية والفنية التي تمكنه من محاكاة كبار كتاب النثر والمبدعين وفحول الشعراء .

ب - أن تلك الخصائص والميزات لنثر وشعر أولئك كانت سببا في تميز أدبهم، وبالتالي إقبال الناس عليه، وذيوعه بينهم وهذا يمثل حكما نقديا غير مباشر على أدبهم وشعرهم، وقد أشرت في موضع سابق من هذا البحث إلى تقليد ابن شهيد للجاحظ وعبد الحميد فأعنى القول في ذلك الموضع عن إعادته هنا . وقد لاحظ صاحب عبد الحميد الكاتب على ابن شهيد أنه يقلد كل شاعر يلقاه، وكل كاتب يجتمع إليه، ويتحدث إلى كل واحد منهم بلسانه .

## (٢) الاختيار والترتيب :

يصدر ابن شهيد في اختياره للشعراء والكتاب الذين يلقيهم ، وفي ترتيبهم عن رأي نقدي . فهو يدرك أن كثيرا من الكتاب والشعراء الذين لقيهم قد أدوا أدوارا تحويلية في الحركة الشعرية ، والكتابة الأدبية الثرية ، فمن الشعراء الذين لقيهم ابن شهيد ، مثلا ، وكانوا قد قاموا بمثل تلك الأدوار ، امرؤ القيس ، وأبو تمام ، ومن الكتاب ، الجاحظ وعبد الحميد . وبعض الكتاب والشعراء الذين كانوا قبلهم يمثلون مدارس واتجاهات أدبية كان لها دور فاعل في مسيرة الأدب . أو ليس تنسب مدرسة الطبع في الشعر إلى البحري ؟ أو ليس الهمذاني شيخا جليلا من شيوخ الصنعة ؟ وأبو عامر في ترتيبه لهم من حيث التقديم والتأخير يصدر عن رأي نقدي أيضا ، وإن كانت رسالة التوابع والزوابع لسوء الحظ - لم تصلنا كاملة لنتمكن من القطع في هذا الرأي . وابن شهيد يقدم امرأ القيس على شعراء العربية جميعا ، ويقدم الجاهليين على الإسلاميين والمحدثين ، وهو يقدم الجاحظ على كتاب العربية جميعا ، ويجعل من عبد الحميد الرجل الثاني بعد الجاحظ .

## (٣) المفاضلة والموازنة والمعارضة :

قال ابن شهيد : وحضرت أنا أيضا وزهير وجلسنا من مجالس الجن ، فتذاكرنا ما تعاورته الشعراء من معاني ، ومن زاد فأحسن الأخذ ، ومن قصر ، فأنشد قول الألفوة بعض من حضر :

وترى الطير على أنارنا رأي عيــــــــن ثقتة أن ستمار<sup>(٧٤)</sup>  
ثم نراه ينشد أبياتا ثلاثة للنابعة ، وبيتا لأبي نواس ، وآخر لصريع الغواني ، وآخر لأبي تمام ، وكل تلك الأبيات في معنى بيت الألفوة ونرى ابن شهيد بعد ذلك يصدر حكمه النقدي على أيهم كان أجود في التعبير عن المعنى ، وأدق من

الآخرين وكانت زيادته أحسن على لسان شمردل السحابي حيث يقول: «كلهم قصر عن النابغة لأنه زاد في المعنى ودل على أن الطير إنما أكلت أعداء الممدوح». ثم نراه ينشد بيتا للمتنبي ويقدمه على أبيات النابغة، وينشد بعد ذلك أبياتا لفاتك بن الصقعب ويقدمها على أبيات الشعراء جميعا بمن فيهم المتنبي، ذلك لأن فاتك بن الصقعب زاد في المعنى «وأحسن التركيب ودل بلفظة واحدة على ما دل عليه شعر النابغة وبيت المتنبي»<sup>(٧٥)</sup> وواضح مما سبق أن المفاضلة والموازنة التي أجراها أبو عامر بين الشعراء المذكورين مبررة ومعللة أي أنه يذكر سبب تفضيله لشعر شاعر دون غيره وابن شهيد في معارضاته الشعرية والنثرية يصدر عن رأي نقدي أيضا. فالقصائد التي يختارها لمعارضاته جيدة السبك، حسنة النظام، محكمة النسيج، أجاد فيها أصحابها أيما إجادة، بلغوا بها الأغراض التي يريدون. والنص النثري الذي يعارضه ابن شهيد هو نص معروف مشهور فلولوا أنها نصوص جيدة فنيا بمعياره، نثريا وشعريا، لما عني نفسه بمعارضتها، والمعارضة عند ابن شهيد من معايير الابداع، لذلك استنكر تقديم العامرين عبادة في الزمام على أبي المطرف بن أبي الفهم، قال: «وكان من أشعر من أنبتته الأندلس، ووطيء تراها بعد أبي المخشى أولا، وأحمد بن دراج آخرًا، وكان من أبصر الناس بمحاسن الشعر، وأشدّهم انتقادا له. فشعره بلطائف غرائبه وبدائع رقائقه يروق. وهو غزير المادة واسع الصدر، حتى لم يكذب يبقّى شعر جاهلي ولا إسلامي إلا عارضه وناقضه، وفي كل ذلك تراه مثل الجواد إذا استولى على الأمد لا يني ولا يقصر، وكانت مرتبته في الشعراء أيام بني أبي عامر دون مرتبة عبادة في الزمام فأعجب»<sup>(٧٦)</sup> وكان أبو عامر يحدّثنا عن نفسه في حديثه عن كثرة معارضات هذا الشاعر.

#### (٤) الأحكام العامة :

لو كان كتاب أبي عامر «حانوت عطار» بين أيدينا لتمكنا من معرفة آراء ابن شهيد في الكثير من الشعراء والأدباء المعاصرين له ويبدو لنا أن هذا الكتاب كان قبل ضياعه معروفا لدى الأدباء والنقاد، يدلنا على ذلك النقول التي تذكرها المصادر الأندلسية على لسان أبي عامر في تراجم الرجال، وقد أشرت قبل قليل إلى أحدها وفي تلك النقول أحكام نقدية تتعلق بشخص الشاعر وشعره. ويقول ابن شهيد عن شعر أبي المخشي «وأما أبو المخشي فإنه قديم الحوك والصنعة. . وهو من فحول الشعراء المتقدمين»<sup>(٧٧)</sup>

#### (٥) الأمثلة التطبيقية :

يلاحظ أن ابن شهيد يذكر كثيرا من الأمثلة التطبيقية على آرائه النقدية النظرية، لأنه - كما قلنا - يتجاوز بتلك الآراء حدود النظرية إلى التطبيق، فهو يذكر لنا مثالا على الكلام الذي يرعى تلاع الفصاحة ويستحتم بهاء العذوبة والبراعة، الشديدة الأسر، الجيد النظم، بقول المتنبي:

نزلنا على الأكوار نخشى كرامة      لمن بان عنه أو يلسم به ركبنا  
نذم السحب المفر في فعلها به      ونعرض عنها كلما طلعت عتبا<sup>(٨٧)</sup>  
ويضرب لنا مثلا بقول امرئ القيس:

تنوربها من أذرعات وأهلها      يثسرب أدنى دارها نظـر عـلـي  
على تركب الحسن من غير حسن<sup>(٧٩)</sup>

والأمثلة التطبيقية عند ابن شهيد كثيرة كثرة يصعب معها الإشارة إلى أكثرها، فضلا على الإحاطة بها جميعا، وقد وردت نماذج لا بأس بها من نقد ابن شهيد التطبيقي في ثنايا هذا البحث.



## المراجع والمصادر

- (١) ابن بسام الشنتريني، على (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٧ مجلدات، تحقيق د. احسان عباس، دار الثقافة بيروت ١٩٧٩م.
- (٢) ابن حزم، أبو محمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)، رسائل ابن حزم تحقيق د. احسان عباس، ط. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨١.
- (٣) ابن شهيد، أحمد بن عبد الملك (ت ٤٢٦هـ / ١٠٣٤م)، ديوان ابن شهيد، تحقيق يعقوب زكي، دار الكتاب العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
- (٤) ابن شهيد، أحمد بن عبد الملك، رسالة التوايع والزوايع، تحقيق بطرس البستاني، دار صادر، بيروت ١٩٨٠م.
- (٥) ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ / ١٩٣٩م)، المعقد الفريد، مجلدات، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م.
- (٦) باشلار، جاستون، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، دار الجاحظ وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٠م.
- (٧) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١هـ)، اسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨م.
- (٨) الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ / )، جنوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٦م.
- (٩) د. حضر، حازم، ابن شهيد الأندلسي - حياته وأدبه، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٩٨٤م.
- (١٠) د. الداية، محمد رضوان، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١م.
- (١١) دور، اليزابيث، الشعر كيف نفهمه وتتلوقه، ترجمة د. محمد إبراهيم الشوش، مكتبة منبنة، بيروت ١٩٦٠م.

- (١٢) السيوفي، مصطفى محمد، ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري، ط عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥ م.
- (١٣) د. عباس، احسان، تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة، ط ٦، دار الثقافة، بيروت ١٩٨١ م.
- (١٤) د. عباس، احسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر لاطوائف والمرابطين ط ٢، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٨ م.
- (١٥) ويليك، رينه، مفاهيم نقدية، ترجمة د. محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٧ م.

### الهوامش

- (١) د. محمد رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١ م، ص ٢٧٢. سيشار لهذا المرجع عند وروده فيما بعد هكذا: د. الداية، تاريخ النقد.
- (٢) د. الداية، تاريخ النقد، ص ٢٣٣.
- (٣) د. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ط ٦، دار الثقافة، بيروت ١٩٨١ م، ص ١٤١. سيشار لهذا المرجع عند وروده فيما بعد هكذا: د. عباس، سيادة قرطبة.
- (٤) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)، العقد الفريد، ٧م، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥ م، ج ٥. ص ٣٩٠-٣٩٥.
- (٥) الداية، تاريخ النقد، ص ٢٩٦.
- وقد بذل ابن شهيد مجهودا كبيرا محاولا انتزاعه من تلك البيئات، وتوجيهه في طور جديد من التنظير والتطبيق.
- (٦) د. عباس، سيادة قرطبة، ص ١٤١.
- (٧) علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ - ١١٤٧م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٧م تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٩ م ق ١ م، ص ١٩٥، سيشار إلى هذا المصدر، عند وروده فيما بعد هكذا ابن بسام، الذخيرة.
- (٨) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م، ص ٢١٣.

(٩) رسالة «التواضع والزواضع» من أطرف ما وصلنا من آثار ابن شهيد يرسل فيها مع تابعه الجنبي «زهير ابن نمير» إلى عالم الجن فيلقى كبار شعراء العربية، يحاورهم ويأخذل إجازة من كل من يلقاه منهم، ثم ينتقل إلى عالم الخطباء، وينتقد طرائقهم في الكتابة ويحاكيهم، ويختم رسائله بفصل يلقى فيه حيوان الجن، يرمز من خلال ذلك لخصومه ساخرًا منهم وعابثًا بهم.

(١٠) د. عباس، سيادة قرطبة، ص ١٤٥

(١١) أحمد بن عبد الملك بن شهيد (ت ٤٢٦هـ / ١٠٣٤م)، ديوان ابن شهيد، تحقيق يعقوب زكي - دار الكتاب العربي، القاهرة، ب ت، ص ٦٧. سيشار لهذا المصدر حين وروده فيها بعد هكذا: ابن شهيد، الديوان.

(١٢) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١ ص ٢٧٦.

(١٣) المصدر نفسه

(١٤) جاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، دار الجاحظ وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠، ص ٥ ص ٣٤.

(١٥) أحمد بن عبد الملك بن شهيد، رسالة التواضع والزواضع، تحقيق بطرس البستاني، دار صادر، بيروت ١٩٨٠م، ص ٦٢، سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: ابن شهيد، التواضع.

(١٦) د. البداية، تاريخ النقد، ص ٢٩٦.

(١٧) د. حازم خضر. ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٤م، ص ٢٦٩، سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: د. حازم خضر، ابن شهيد.

(١٨) د. حازم خضر، ابن شهيد، ص ٢٧٢.

(\*) «أما مصطلحات البلاغة والنقد فهما - كما نلاحظ - مصطلحان متقاربان عند ابن شهيد لهما نفس المدلول، فهو لا يكاد يميز بينهما وهو لا يختلف في ذلك عن كثير من نقادنا القدماء في عدم الفصل بينهما، والبلاغة عنده تعني الوضوح والسهولة والإيجاز، وهذا غير المعنى الاصطلاحي الذي تحدث عنه البلاغيون والذي يضم جملة من علوم المعاني والبديع والبيان. أما مصطلح صناعة الكلام فكأنه يقصد به صناعة الأدب شعراً ونثراً، وما يلزم الصناعة من أدوات فطرية مكتسبة، وأما البيان الذي يرادف عنده الإفصاح والوضوح فسفصل الحديث فيه في الفصل الذي نخصصه لهذا الموضوع».

(١٩) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١ ص ٣١٠-٣١١.

(٢٠) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١ ص ٢٥٣.

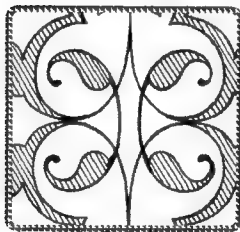
(٢١) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١ ص ٢٣٧-٢٣٨.

- (٢٢) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١ ص ٢٩٨.
- (٢٣) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١ ص ٢٤٢.
- (٢٤) رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، ترجمة محمد حصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٧ م، ص ٩٠٤، سيشار لهذا الكتاب عند وروده فيها بعد هكذا: رينيه ويليك، مفاهيم نقدية.
- (٢٥) رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، ص ٤١٠.
- (٢٦) رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، ص ٤٢٥.
- (٢٧) يقول كولودج في حديثه عن نوعية الخيال الشعري: إن في كل جزء من عملية الخلق هذا الاتحاد والوافق بين الأضداد في لقاء التشابه والتخالف، والعام والخاص، والفكرة والصورة، والفردى والجماعى «انظر: اليزابيث درو، الشعر كيف نفهمه وتذوقه، ترجمة محمد إبراهيم الشوش، مكتبة منيمية، بيروت ١٩٦٠ م، ص ٢٠. سيشار إلى هذا المصدر عند وروده هكذا: اليزابيث درو، الشعر كيف نفهمه.
- (٢٨) أبو محمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، رسائل ابن حزم تحقيق د. إحسان عباس، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨١ م، ج ٢، ص ٢٩٩. سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: ابن حزم، رسائله.
- (٢٩) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١ ص ٢٧٤.
- (٣٠) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٤٦.
- (٣١) المصدر السابق.
- (٣٢) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٧٥-٢٧٤.
- (٣٣) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٣١.
- (٣٤) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٣١٠-٣١١.
- (٣٥) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٣٣.
- (٣٦) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٤٧.
- (٣٧) اليزابيث درو، الشعر كيف نفهمه، ص ٢٢.
- (٣٨) د. مصطفى محمد السيوفي، ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري، ط عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥ م، ص ٨٩ سيشار إلى هذا الكتاب حين وروده فيها بعد هكذا: السيوفي ملامح التجديد.
- (٣٩) د. حازم خضر، ابن شهيد، ص ٢٧١-٢٧٣.
- (٤٠) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٣١.



- (٤١) د. حازم خضر، ابن شهيد، ص ٢٧٤.
- (٤٢) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٣٣.
- (٤٣) المصدر السابق.
- (٤٤) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٣٢.
- (٤٥) انظر على سبيل المثال محاولة ابن شهيد مع تابعه الإقليلي في مواضع عدة من رسالة التوابع والزوابع.
- (٤٦) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٣٥.
- (٤٧) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٣٧.
- (٤٨) ابن شهيد، الديوان، ص ٦٧.
- (٤٩) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٣٨-٢٣٩.
- (٥٠) المصدر السابق.
- (٥١) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٤٤.
- (٥٢) السيوفي، ملامح التجديد، ص ٦٤٣.
- (٥٣) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٨١.
- (٥٤) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٨٧.
- (٥٥) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٨٦.
- (٥٦) د. السيوفي، ملامح الجديد، ص ٦٤٤.
- (٥٧) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٣١٠.
- (٥٨) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٣٥.
- (٥٩) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٦٩.
- (٦٠) د. حازم خضر، ابن شهيد، ص ٢٨٠-٢٨١.
- (٦١) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ١٩٢.
- (٦٢) عبد القادر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١ هـ / أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨م، ص ١٠).
- (٦٣) د. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمراطين ط ٢ دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٢٨٠.
- (٦٤) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٦٨.
- (٦٥) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٦٩.
- (٦٦) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٦٩.

- (٦٧) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٩٣-٢٩٨ . .
- (٦٨) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٧٤ .
- (٦٩) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٧٠ .
- (٧٠) عاطف جودة نصر، البديع في تراثنا الشعري، دراسة تحليلية، مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤ م ص ٧٨، سيشار لهذا البحث عند وروده فيما بعد هكذا: عاطف جودة، البديع .
- (٧١) عاطف جودة، البديع، ص ٨٠-٨١ .
- (٧٢) عاطف جودة، البديع، ص ٧٩ .
- (٧٣) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٣٣-٢٣٤ .
- (٧٤) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٨٣ .
- (٧٥) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٨٣-٢٨٦ .
- (٧٦) أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (ت ٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٦ م، ص ٢٧٧ . سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الحميدي، جذوة المقتبس .
- (٧٧) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٤٠١-٤٠٢ .
- (٧٨) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٩٠ .
- (٧٩) ابن بسام، الذخيرة، ق ١ م ١، ص ٢٣٢ .





# المحجّاز بين اليمامة، والحجاز

تأليف : عبد الله بن محمد بن خميس.  
الطبعة الرابعة: ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م. (٤٤١ صفحة).

عرض : مصطفى أمين جاهين

هذا الكتاب الرائد القيم الذي نعرضه للقراء الأعزاء، عبارة عن دراسة جغرافية، وتاريخية بأسلوب علمي متأدب، يجمع بين الإقناع العقلي في جلاله، والإمتاع العاطفي في جماله، كما يجمع في طاقة رائعة بين الشعر العربي القصيح، والأدب الشعبي المليح، وقد التزم فيه مؤلفه شرطه، الذي ألزم به نفسه قائلاً:  
«شرطنا في كتابنا ألا نذكر إلا ما يمر به الطريق (طريق المحجاز)، أو يراه



سالكه يميناً وشمالاً فقط إلا ما دعا الاستطراد الضروري إليه .

وهو ينتظم مقدمة واثنين وعشرين فصلاً؛ يضاف إلى ذلك ردُّ من المؤلف على أكثر ما نشره الأستاذ «سعد الجنيدل» من مقالات بمجلة «العرب» في نقد هذا الكتاب ، وقد استغرق هذا الردُّ على ذلك النقد أربعاً وثلاثين صفحة ، ثم المصورات الجغرافية ، والمواضع ، والأعلام ، والقبائل ، وأخيراً الكتب والصحف .

وقد كتب المؤلف تعليقاً على النقد بقوله :

«مرحباً بالنقد يقوم ما اعوج ، ويذكر ما نسي ، وينبئ على ما أغفل ، ويتمم الفائدة للقراء ، ويرفع مستوى الإنتاج ، ويحمل المنتجين على الدقة والتثبت» .

وما أخلصه في قوله لناقده معترزاً بالكرامة العلمية للقارئ قبل سواه :

«أريد من أخي «سعد» أن يحترم القارئ ، ويقدر شعوره ، ودعك من احترام المجاز ، وصاحبه» .

وقوله في تقدير أخوي ، وسخرية لطيفة : «وأخونا «سعد» - وهو طلاع الشنايا - لم يذكر هذه الثنية (ثنية المتن) ، أو (ثنية عريض) . ويا لقوات الفرصة !!

وقوله له ، في غيرة على حرمة النقد الموضوعي المنصف :

«ولو أنصفت النقد يا أيها الناقد الفاضل ، لانكمشت صفحاتك السبع عشرة في صفحتين ، ولأرحت نفسك من عناء هذه السفرة المتعرجة النكدة ، على أن العبرة بالكيف لا بالكم ، وبما ينفع الناس لا بالجفاء» .

وما أشبهك يا سعد في نقدك هذا بسميك القديم «سعد»

«ذلك الذي أورد إبله - وهو ملفتٌ بشملته - والإبل يحتاج سقيها إلى مشمرٍ

عن ساعديه، ذي مرةٍ ودربةٍ وحصافةٍ، ولكن «سعداً» لم يكن كذلك، فقليل له :

أوردها «سعد»، و «سعد» مشتمل ما هكذا تورد ياسعد الإبل وليتك حينها فعلت يا سعد، لم تترك لقائل مقالاً من حيث الدقة والاستيعاب.

ثم دعونا الآن من نقد الأستاذ سعد بن عبد الله جنيدل، ورد الأستاذ صاحب «المجاز» عليه، وتعالوا بنا إلى كتاب «المجاز» متسائلين في موضوعية وهذوء عما له وما عليه، سائلين الله - عز وجل - أن يوفقنا إلى إصابة الحقيقة أو مقاربتها :

إن الذي جعل الحقيقة علقماً

لم يُخلِ من أهل الحقيقة جيلاً  
لا شكَّ في أن هذا الكتاب، يغني في موضوعه عن عشرات الكتب، ولا تغني عشرات الكتب عنه، وبقي أن نذكر من الأمثلة والشواهد ما يرجح صحة ما ذهبنا إليه، وبما يجلي عن أبرز معالم الشخصية لمؤلف هذا الكتاب :

### ١ - استقلال شخصيته ورأيه

ومن شواهد ذلك :

أ - قوله : والمعجب أن ابن بليهد ذكر «المروت» في أكثر من موضع بكتابه «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار»، ورأى أنه بعد نفوذ السر لا قبله . . والناس الآن يكادون يجمعون على مخالفته في رأيه هذا، فما هو يا ترى مصدر رأيه هذا؟ .

ب - وموازنته بين رأي ابن بليهد ورأي حمد الجاسر معتمداً في هذه الموازنة على القراءة والتجربة والاستقراء التام .

ج - مناقشته الموضوعية الهادئة لابن بليهد «رحمه الله» في شرح البيت الآتي لامرئ القيس :

وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا

بوادي الخُزامى أو على رأس أوعال

وكذلك البيت الآتي لعمر بن الأَهمم :

قفاً نَبَكٍ من ذكرى حبيبٍ وأطلال

بذي الرّضَم فالرّماتنين فأوعال

د - ترجيحه صحة الأدلة، التي ساقها بعض الباحثين المحققين، ذاهبين إلى أن «مدينة الطائف التي وقع عليها حصار النبي «عليه الصلاة والسلام» والتي سورتها ثقيف، وذبوا عنها، ما هي بالمدينة القائمة الآن، وما هذا بمكانها، بل هي ما بين (المثناة) غرباً، و(السلامة) شمالاً، و(شهار) جنوباً، و(حوّايا) شرقاً. وفي التعقيب على ذلك التحديد الجديد، قال المحقق الفاضل : «ولهم على ذلك أدلة أرجح صحتها».

٢ - دققه في بحثه وتحقيقه

ومن شواهدنا :

أ - تفرقته بين «جبل كميث» - وهو علامة بلدة (مرآة) مصداقاً للمثل الشعبي القائل :

«إِضْمَنْ لِي كَمِيثٌ، أَضْمَنْ لَكَ مَرَأَةً» - وبين «جبل كميث شقراء» أي هضبة الشقراء . .

وتفرقة كذلك بين «ماسل الهَضْب» ، و«ماسل الجمع» ، وتفرقة أيضًا بين «جُرَاد» (وهو جبل أحمر منفرد كأنه مخروط هرمي) ، و«جراد» الأخرى ، وهي رملة مما يلي «حَائِلٌ وَالْمَرَوْتُ» ، ومغابرتة بين «الحوَاب» العراقي الذي ورد في الحديث النبوي في قصة السيدة عائشة أم المؤمنين ، وبين الحوَاب الواقع في عالية نجد الجنوبية ، وذلك ما وهم فيه ابن بليهد رحمه الله كما حقق ذلك مؤلف «المجاز» .

ب - وترجيحه أن «وادي جهام» هو ما عرف قديمًا باسم «مهزول» ، وأن وادي مُحَسَّر لم يعرف بهذا الاسم ؛ لأن فَيْلَ أَبْرَهَةَ الحبشي قد حَسَرَ به - كما زعموا - لأن فَيْلَ أَبْرَهَةَ لم يدخل الحرم مطلقًا ، ومعلوم أن هذا الوادي داخل في حدود الحرم الشريف .

ج - ورده على من قالوا: إن جبل «ككب» هو الجبل المطل على «عرفات» من الناحية الشرقية ، بحيث يكون خلف مستقبل القبلة مباشرة . . . وهذا ليس بصحيح ؛ فالذي يلي عرفات من الجبال مباشرة هما جبلا (السعد) ، و(أبو خشبة) ، وإذا كنت في نَمِرَة ، رأيت شمَارِيخ «ككب» تُطْلُ عليك من خلف هذين الجبلين ، يخالف لونها وتكوينها .

د - وشدة حرصه على تحديد الأماكن التي دارت فيها بعض المعارك الحربية الإسلامية في عهد الخليفين الراشدين : أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب «رضي الله عنهما» .

هـ- وصله ما استطاع بين الاسم القديم ، والاسم الحديث لبعض الأماكن ، مع التعليل الذي يقره العقل السليم ، كما صنع في حديثه عن «وادي الثعل» الذي كان من أشهر مناهل العرب ، وأصبح يعرف اليوم باسم «شعيب النسيات» التي هي نوع من سيارات الحمل الكبيرة ، التي سبق أن خربت في هذا الوادي سنة ١٣٤٨ هـ ، فعرف بها .

و- موافقة ابن بليهد في قوله : إن بئر «وعلة» التابعة لهضبة الأطول ليست بوشل» كما ذكر الحمداني في «صفة جزيرة العرب» ، وإنما هي بئر رشاؤها عشرة أبواع تقريباً .

### ٣ - ومن شواهد إنصافه واعترافه بالفضل لصاحب الفضل:

أ- اعترافه لعلامة الجزيرة العربية الأستاذ حمد الجاسر بأسبقيته إلى تصحيح ما نقله ياقوت الحموي عن نصر ، وأبي بكر محمد بن موسى ، خاصاً بموضع «بُسيان» ، وفي هذا التصحيح قال ابن خميس ما نصه :

«وهذا تحديد دقيق ، وتصحيح لما وقع هنالك من تصحيف» .

ب- واعترافه بفضل تمهيد الطريق ، واختصاره بين مكة ، والطائف في ٨٩ كيلومتراً للمغفور له السيد / محمد بن لادن ، الذي مازكر هذا العمل يوماً إلا ويذكر اسمه بجانبه ، فله ما أعطى من نفسه ، وفكره ، ووقته في سبيل إنجاز هذا العمل .

### ٤ - ومن شواهد رهاقه إحساسه الشعري والفني والتاريخي :

أ- تحريه المواطن الأصلية لأعلام تاريخنا العربي والإسلامي في أثناء مروره بالمجاز



### بين اليمامة والحجاز:

فاليمامة مثلاً هي الموطن الأصلي للأعشى، وجريز، والفرزدق قديماً، ثم لمحمد ابن عبد الوهاب حديثاً، وبلدة «مراة» الأثرية هي الموطن الأول لامريء القيس التميمي، والهدف الأول لما قاله ذو الرمة الشاعر الأموي في الهجاء، والمحور لكثير من التراث والأدب الشعبي السعودي بشعره، وأمثاله ولهجاته.

ب - تنديده بعنجهية قائد الحملة العثمانية / إبراهيم «باشا» بن محمد علي «باشا»، وتمجيده لبطولة أهل نجد في دفاعهم عن بلدهم، وهذا يذكرنا بما قاله الشهيد / سيد قطب «طيب الله ثراه»، قبل ذلك بزمان طويل :

«إن تحطيم محمد علي باشا للحركة الوهابية في الجزيرة العربية، لم يكن عملاً عظيماً، وإنما هو في حقيقته كان جناية تاريخية على النهضة الإسلامية التي كان يمكن أن تبكر مئة عام عن موعدها، لو تركت هذه الحركة تمضي في طريقها، وتبلغ أهدافها في ذلك الحين».

ج - فيضان ذاكرته الحافظة، وموهبته الأدبية، بروائع الشعر والنثر والأدب الشعبي السعودي، في كثير من الأماكن التي مر بها، فأوحت إليه ما أوحت، ولا سيما :

هضبة جبلة، وجبل سحر، وبلدة عفيف، وجبال الأخرجين، وهضاب العسيبيات، وجبال الستار، ووادي الشبرم، والشُرمية، وهضبة أجلى بأعلى نجد، ووادي الجريب، أخصب أودية نجد، حيث تقع في أعلاه هضبات الذنائب مثنوى «عزيز العرب كليب وائل»، ودار خرقاء التي عناها ذو الرمة بيته المشهور:

تمام الحج أن تقف المطايا

على خرقاء واضعة النّمام

وجبال «الأطولة» التي قال شعراء العرب القدامى فيها ما قالوا، ولا سيما النابغة والحطيئة، والشّباخ، وجبل المردمة، والماء الذي حوله، وكان من مياه ربيعة، وجبال سَجَا وما قيل فيها من أدب فصيح، وأدب شعبي، ومنهلا «سُخَيْلَة»، و«الدَّعِيكَة».

٥ - ومن شواهد سلامة ذوقه الأدبي، وفقهه اللغوي:

أ - وصله الأدب بالبيئة والطبيعة، وصلاً يرتاح إليه الذوق الأدبي السليم.  
ب - وصله الأسماء الحديثة بأصولها العريقة قائلاً مثلاً:

إن الجبل المعروف اليوم باسم «سُناف»، عرف قديماً باسم «النّشاش»، وكانت فيه مقتلة بين بني عامر، وبين أهل اليمامة، مصداقاً لقول الشاعر القديم المُحَنِيفُ العَقِيلُ:

تركنا على النّشاش بكر بن وائل

وقد نهلت منه السيوف وغلّت

وقول الشاعر القديم الآخر:

وفي النّشاشٍ مقتلةٌ ستبقى

على النّشاشٍ ما بقي الليالي

والجبل المعروف اليوم باسم «أبو جرّاد» عرف في الأدب العربي القديم باسم «جراد»، والجبل المعروف اليوم باسم «ذُهَلان» هو ما عرف قديماً باسم «نُهَلان»، وإليه ينسب جبل الرّيان الذي تغنى به جرير بن عطية وغيره، وما

يعرف اليوم باسم «وادي جَهَام» عرفه القدماء باسم «مهزول». وما عرفوه قديماً باسم «العثاعث» يعرف اليوم باسم «الْحُنْفُسيَّات»، كما رجح الأستاذ المؤلف الذي لم يفته أن يحدد الجبال والأماكن التي لها صلتها العريقة الوثقى بترائنا العربي القديم، من طراز أسواق عكاظ، ومجنة وذو المجاز، وجبل شطب، وجبال رضوى...

ج - جمعه كثيراً، أو غالباً بين الشعر العربي الفصيح، وبين الأدب الشعبي السعودي في أثناء مروره ببعض أماكن «المجاز» من طراز جبل «ظلم» الذي ذكر لنا ما قاله فيه زهير بن أبي سلمى، والناطقة الجعدي قديماً، ثم ذكر لنا ما قالت فيه الشاعرة الشعبية السعودية «مويضى بنت ابن زعيفر»، والشاعر الشعبي السعودي «محسن الهزاني».

د - حسن اختياره لروائع الشعر العربي التي أوحته بعض الأماكن العربية، والإسلامية المشهودة، ولا سيما جبل كَبْكَب، وسوق ذي المجاز، ووادي نعمان، وجبل عرفات، وما يمت إليه في شريعة الإسلام، وفريضة الحج، بصلة قرابة أو نسب.

هـ - حرصه على التماس الأصل الأصيل، والتعليل الفقهي الجميل؛ لتسمية بعض الأعلام، أو الأشخاص، أو الأماكن، ومن ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - ما يأتي:

تعليل اسم «قصي بن كلاب» جد الرسول ﷺ، وتعليل اسم الآخر «مجمع» وتعليل اسم «حلف المطيين».

وتعليل اسم الأحلاف، ولعقة الدم، وتعليل اسم «مكة المكرمة، والحجاز».

وتعليل اسم «اليامة».

وتعليل اسم «المهلل» أخى كليب الذي كان يسمى «عدي بن ربيعة» .

وتعليل اسم «الطائف» المعروف قديمًا باسم «وَجْ» . وتعليل اسم «عرفات» . . واسم المزدلفة . . واسم منى . . وما إلى ذلك من تعليقات فقهية لغوية ، لم يألها المؤلف الأديب الفقيه جهدًا ، حريصًا دائمًا على أن يكون في تعليله علميًا ، وموضوعيًا ، ومن هنا سلمت تعليقاته غالبًا من شوائب تكلف المحصر ، أو جهد المقل ، أو اعتصار الغصان . . . . . ومما نحمده له هنا ، أنه في أثناء حديثه عن «نخب» بالطائف قال ما نصه :

«ويسمى وادي نخب «وادي النمل» ، ويذهب بعض الباحثين إلى أنه وادي النمل ، الذي ذكره الله في كتابه في قصة سليمان ، وليس هنا من الأدلة ما يدعم هذا القول» .

وفي أثناء حديثه عن مكة المكرمة ، قال أيضًا ما نصه :

«وفي تعليل تسميتها بمكة أقوال كثيرة ، لم يرجح قول منها ، ولا تخلو من تمحّل وتكلف ، وكذلك تسميتها ببكة ، وما لم يكن نصّ يصر إلى ، أو تعليل مقبول ظاهر ، فأولى بنا التوقف ، وإسناد الأمر إلى عالمه - وهو الله - هذا على أساس تعليل الأسماء وإرجاعها إلى مشتقاتها عند من يقول به ، أما إذا كان الأمر خلاف ذلك فلا مشاحة . . . . .»

٦ - ومن شواهد وطنيته وتحرره في سلفيته، الحريصة على  
الاتباع، النافرة من الابتداع:

أ - تشوقه إلى البيامة موطنه الأول ، بقصائد كثيرة ، حسبنا منها قصيدته التي قالها حينما كان تلميذًا يواصل دراسته بالطائف ، ومطلعها :

من لصبّ ضاعف النأى هيامه  
مُذنبٍ حنَّ إلى جِجَر اليمامة  
وقصيدته الأخرى في مناجاة جبلها الأشم طويق ومطلعا:  
يا جائئماً بالكبرياء تسرّ بلا  
هلاً ابتغيت مدى الزمان تحوُّلاً؟  
وقد هزت هذه القصيدة شاعرية الشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي،  
فعارضها بقصيدة يكفينا منها قوله في هذا الجبل الأشم:  
جبل على فودية طاهنت السهى

من جانبها فازدهى وتغرّلاً  
ب- حرصه على الإشادة ببسالة أبناء نجد في مواجهة الحملة العثمانية ضد  
الدعوة السلفية المشهورة.

ج- حرصه على تحديد كثير من الجبال، والأماكن التي شهدت أيام الفارس  
الأول للمملكة العربية السعودية، الإمام، السلطان، الملك عبد العزيز بن  
عبد الرحمن الفيصل آل سعود «طيب الله ثراه»، ولا سيما جبل ابن دخن.

د- تشبعه وتأثره بالقرآن الكريم في غير موضع من كتابه هذا، وبخاصة في  
معرض الإشادة بجبال الجزيرة العربية.

هـ- انتهازه فرصة الحديث مثلاً عن «سوق عكاظ» للمطالبة بتجديد ما كان لها  
من مجد غابر، وتراث مجيد قائلاً ما نصه:

هذه السوق جديرة بأن تحيا في مهد العرب، ومهوى أفئدتهم، ومنطلق  
فخرهم ومجدهم، وركيزة تاريخهم، جديرة أن نحياها على نحو يتواءم وما  
نضطلع به من مسئولية، وما نحن سائرون فغيه من منطلق تجاه أمتنا ووطننا  
وتاريخنا».

و- حديثه عن الطائف، وآثاره وقوله :

«وهناك مسجد عدّاس، وهناك مسجد الكوع الذي يقال : إنه ﷺ اتكأ هنالك بعد إعياء، فأثّر في الحجر الذي اتكأ عليه، وهنالك مسجد المحجوب الذي يقال : إنه أدقُّ مسجدٍ قبلته على الكعبة، ويحاك حوله شيء من الأقوال . . . وكلُّ هذه الآثار لا يعتمد تحديدها على يقين لا مرية فيه، ولا تنهض الروايات والقصص التي قيلت عنها إلى مستوى التحقيق والدقة، وإنما هي أقوال يعتريها ما يعتري كثيراً من الآثار الإسلامية من أحاديث الخرافة، ودجل المحترفين» .

وفي معرض حديثه عن جبل الرحمة يقول :

«وعلى رأس جبل الرحمة مسجد ومنبر بناه الوزير الأصفهانيّ، وسهّل الطريق إليه ليصلي هنالك، ويخطب الخطيب من على قمّته، وما فعل ذلك رسول الله ولا خلفاؤه من بعده، ولذلك أبطلت عادة الخطابة من ذلك المكان، وترك ما لم يفعله المشرّع، فما أحسن الاتباع، وترك الابتداع» .

ز- توهجه الروحي الصوفي بما ذكره من روائع الشاعر الصوفي المشهور عمر بن الفارض، ولا سيما داليته وهمزته المشهورتان، ثم بما ذكره من أشعار روحية فياضة في مكة والحجاز وغيرهما، وفي بعض المعالم الإسلامية الخالدة، ولا سيما جبل حراء، أو جبل النور.

٧- ومن شواهد تفتحه العقلي، ووعيه الحضاري والثقافي

أ- ترحيبه الحار بالنهضة العمرانية الحديثة التي نعمت بها مكة، وما تزال تنعم بها في العهد السعودي المجيد، بعد أن كانت قديماً، وفي عهدها الأول، الذي زارها فيه الخليل إبراهيم، والذبيح إسماعيل، لم تكن إلّا «واديّاً من

سلم ليس بها عمران ولا سكن»، ثم اتسع عمرانها قليلاً، غير أن هذا العمران قبل النهضة السعودية الحضرية العمرانية بها، لم يكن «يتجاوز المعلاة إلا من بعض بساتين ومتنزعات في أعلى الوادي وعلى حفافيه، أما الآن فقد غمر العمران المحصّب، وامتد إلى قرابة منى، وقامت هنالك الدارات الجميلة، والقصور الفخمة، والشوارع المنسقة، فالحمد لله على ما أنعم وحقق من دعوة إبراهيم، وبركة محمد، ما نعلم وما لا نعلم، ونسأله المزيد والإعانة على الشكر».

ب - ضيقه الشديد بالجمود والحمول، بعد الحركة والنشاط في العمل والانتاج، ولنقرأ إليه مثلاً في معرض الحديث عن قرية «ظلم» وجبلها الذي عرف بهذا الاسم أيضاً، وكيف كانت هذه القرية عامرة «بمعدنها الذهبي الشهير الذي كان معطاءً، وكانت به حركة دائبة، وعمل وإنتاج، ولكنه شحّ أخيراً، أو ضعفت همّة الشركة العاملة، دون أن تبلغ به نهاية البحث والاستنتاج».

ج - موضوعيته في الحديث عن الطائف قائلاً:

«لا نزعم للطائف منافسته، أو مضاهاته لمصائف العالم من حيث الخضرة، والنضرة، وتوفير وسائل الراحة، ولا نرشحه للرواد والقصّاد من خارج بلادنا قبل أن نبهته لذلك، وقبل أن نأمن منافسة «غامد»، و «زهران»، و«عسير»، و«سراة قحطان»، ولكن الطائف يدل بأقدميته، ويمتاز بتوسطه، ويشتهر بآثاره».

والآن وقد انتهيت من العرض الموجز لهذا الكتاب، أود له في طبعته الخامسة - بإذن الله تعالى - ما يأتي :

أولاً : إعادة رسم خرائطه ومصوراته الجغرافية، بطريقة من الطرق العلمية

الحديث التي أذكر منها :

أ- طريقة «ميكانور» ، وهذه طريقة سار عليها راسمو الخرائط الجغرافية منذ عام ١٥٦٩ حتى عام ١٧٧٢ م.

ب- ثم طريقة «لامبرت» وهذه طريقة ساروا عليها منذ عام ١٧٧٢ حتى عام ١٨٩٢ م

ج- ثم طريقة «هامر» وهذه طريقة ساروا عليها منذ عام ١٨٩٢ حتى عام ١٩١٠ م.

د- وأخيراً ساروا على طريقة «برمان» منذ عام ١٩١٠ م، حتى الآن . . .

وفي استطاعة القائمين على إعادة طبعه ، أن يستعينوا على رسم مصوراته الجغرافية بأيّ أستاذ متخصص في الخرائط الجغرافية في جامعة الملك سعود بالرياض ، أو جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، أو جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، أو المساحة العسكرية للقوات المسلحة السعودية مثلاً ، بهذه الطريقة العلمية الحديثة ، بدلاً من الطريقة السابقة التي رسمت ، ولن يشفع للأستاذ المؤلف قول راسم هذه الخرائط مانصه :

«قمت بها أستطيع من رسم بعض المخططات الجغرافية ، ولهذا فأخي ابن خميس المؤلف بريء من عهدة ما يقع فيها من أخطاء» .

ولماذا نعتذر عن الوقوع في الأخطاء ، مادامنا نستطيع تلافيها بالاستعانة بالمختصين ، وأهل الذكر ، تأديباً بقول الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ،

﴿وَلَا يَنْبِيئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ ، ﴿فَسْأَلِ بِهِ خَيْرًا﴾ ١١٩

ثانياً : أود في الطبعة القادمة لهذا الكتاب ، أن يُصَفَّ من جديد بحروف



وأبناط مختلفة، مع المراعاة التامة الكاملة، لعلامات الترقيم، في كل صفحة من صفحاته، مع الاستقصاء التام لهذه العلامات، التي تقوم للمؤلف مقام الحركات اليدوية، أو النبرات الصوتية، أو قسّمات الوجه للمتكلم، ولست أنكر أن بعض هذه العلامات قد رُوّعت في بعض الصفحات إلى حد ما، ولكنني أريد الاستقراء التام لهذه العلامات.

ثالثاً: أود أيضاً مزيداً من المراعاة التامة الكاملة لكافة القواعد اللغوية، والنحوية، والصرفية، متمنياً أن تخلو الطبعة القادمة من جميع الأخطاء التي أضيف إليها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

الخطا	الصواب	الصفحة	السطر
ما كتب	ما كتب	٦، ٥	١، ١٦
رغم	برغم	٢١، ٦	٢٢، ١
		٢٢	٣
		٣٤٨، ٣٤٣	١٠، ٢٣
		٣٦١	١٨
ملاعب صبي	ملاعب صبا	١٢	
القبائل الناهية الذكر	القبائل ناهية الذكر	١٤	
ما بال بردك لم تمس	ما بال بردك لم تمس حواشيه؟	٥٣	٢٠
محمد بن اديس بن ابي حفصة	محمد بن إدريس بن أبي حفصة	٥٤	١٧
المدن الرئيسية	المدن الرئيسة	٥٩	٢١
سدّاه لغيرك قادره	أسداه لغيرك قادره	٦١	٢٠
سواء من أهل المنطقة	سواء أكان من أهل المنطقة	٦٤	٤
- العمار والمربع -	«العمار»، و«المربع»	٧٠	٢
بن	ابن	١١٤	٥

١٢	١١٩	الروضة كثيرة الماء	الروضة الكثيرة الماء
٤	١٣١	وأمرأها	وأمرأها
٥	١٤٤	إذا	ذا
٩	٢٠٦	وكان يومًا مشهودًا	وكان يوم مشهود
١	٢١٦	أين الحد . . . ؟	أين هو الحد . . . ؟
٢	٢١٦	ما أقوال . . . ؟	ما هي أقوال . . . ؟
٣, ٢	٢١٦	ما الحدود . . . ؟	ما هي الحدود . . . ؟
٣	٢١٦	مالاصطلاحات . . . ؟	ما هي الاصطلاحات . . . ؟
٤	٢٧١	أكفكف عبرات	كفف عبرات
٢٤	٢٧٤	حينًا	حينًا حينيًا
٢٥	٢٩٨	وكان الأولى بابن حجاج	وأولى بابن حجاج
١٥	٣٠٢	المشرفين عليه	المشرفان عليه
١١	٣١٠	ألا ينأكحوهم	إن لا ينأكحوهم
٢٠	٣١٣	شاءوا	شاؤوا
٨	٣١٦	فقاتلوا جرهم	فقاتلوا جرهم
١٧	٣٢٧	ومن حيث إن مكة	وحيث إن مكة
١٧	٣٣٤	وهي ألا أتجاوز	وهي أن لا أتجاوز
١٠	٣٣٦	ولو أعفى نقده	ولو أعفى نقده
١٢	٣٣٦	ما أوجزه	ما أوجزه
١٢	٣٣٦	فذلك إليه	فذلك إليه
١٢	٣٣٦	أما أن يقحمه	أما أن يقحمه
١٦	٣٣٨	ألا يقع فيها	إن لا يقع فيها
١٠	٣٣٩	يذهب	يذهب
٩	٣٤٤	لم أقلها	لم أقلها
١٤	٣٤٤	وللإجابة عن هذا	وللإجابة على هذا
٢٣	٣٥٠	لم يبعد النتيجة	لم يبعد النتيجة
		وقد نبه على ذلك أكثر من	وقد نبه على ذلك أكثر من
٦	٣٥١	واحد	واحد

٧	٣٥٥	يا أيها الناقد	يا أيها الناقد
٧	٣٦٦	ليعذرني الأستاذ الجنيدل عن عدم متابعة نقده،	ليعذرني الأستاذ الجنيدل عن متابعة نقده،

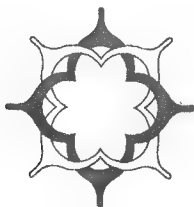
وفي ختام العرض عن كتاب «المجاز بين نجد والحجاز» أذكر المؤلف  
الجليل، بما يأتي:

٠٠ أهمية التعريف ببعض الأدباء المغمورين في الطبعة القادمة ، ولا سيما:  
يحيى بن طالب ، وزياد بن منقذ ، والأعشى اليمامي ، وسباق الباهلي ،  
والحفصي ، وموسى بن جابر ، وامرؤ القيس التميمي ، وعوف القوافي .  
٠٠ أن يؤلف لقرائه كتاب مستقلاً عن «وادي حنيفة» .

وكما قال الشاعر الدكتور حسن جاد:

نجد وما أدراك ما نجد  
الشعر، والتاريخ، والمجد؟!!

\*\*\*



# المقامات

وأنسرها في الأدب

## الإسباني

للأستاذ عباس هاني الجراخ

تشكل الدراسات الأدبية المقارنة جانبا مهماً في الأدب العربي الإسلامي، بصفتها أحد روافد ومصادر الأدب الخالد في تصديها للكشف عن أثر تراثنا الإسلامي في تراث غيره من الأمم والبلدان الأخرى، سواء أكان التأثير مباشراً، أم غير مباشر.

ولقد أخذ كتاب «ألف ليلة وليلة» حصّة كبيرة ومكاناً لا يُستهان به في هذا الميدان الأدبي المهم، بسبب التأثير الواضح الذي أحدثه هذا الكتاب في الأدب العالمي.



وهناك فن آخر من فنون الأدب العربي، كان له أثر في الآداب العالمية، كالإسبانية والفارسية والفرنسية والألمانية. . وهو فن «المقامات» .

ومن خلال تتبعنا لما كُتب عن المقامات وأثرها في الآداب العالمية، ألفينا أنّ أثره كان كبيراً في الأدب الإسباني بصورة خاصة، وهذا ما حدا بنا إلى التركيز في بيان أثر المقامات في الأدب الإسباني. على أنّ نعود - في بحث آخر - إن شاء الله - لدراسة أثرها في الآداب الأخرى.

من العجيب أنّ المستشرقين هم أوّل من نبّه إلى التأثير الكبير الذي أحدثته المقامات في الأدب الإسباني، ويبنوا أنّه لم يُبحث بحثاً دقيقاً فيه، فهذا المستشرق الإسباني آنخل جنثالث بالنثيا Angel Gonzales Palencia يذكر صلة المقامات بالأدب الإسباني ثم يقول: «وهو موضوعٌ جديرٌ بالدراسة»<sup>(١)</sup>. أما المستشرق «جب Gibb» فيؤكد التأثير نفسه في الأدب الأوروبي، ويضيف: «إنّ الموضوع نفسه ما زال بالغ الطراوة، ولم يتصدّ له أحدٌ للكشف عن معمياته»<sup>(٢)</sup>. أما الباحثون العرب فمنهم من ينقل آراء المستشرقين دون دراسة أو تمحيص، ومنهم من يتردد في قبول أثر المقامات في الأدب الإسباني!، ومنهم من يرفض ذلك رفضاً قاطعاً على ما سنبين ذلك في الصفحات القادمة من هذا البحث. ولن نتطرق إلى المعنى اللّغوي للمقامة أو أصولها وقواعدها، فإنّ ذلك مما أُشيع بحثاً ودراسة وتكراراً!.

### معابر انتقال المقامات إلى إسبانيا :

من أجل أن تكون الصورة واضحة، وأكثر تفصيلاً، نذكر المعابر أو الوسائط التي أسهمت في نقل التراث العربي والإسلامي، ومنها المقامات، إلى إسبانيا، وهي:

## أولاً: الأندلس:

فتح المسلمون الأندلس عام ٩٢هـ - ٧١١م، واستتبّ الحكم الإسلامي فيها، حتى سقوط غرناطة Granada - آخر معاقل المسلمين عام ٨٩٨هـ - ١٤٩٢م<sup>(٣)</sup>. وخلال هذه القرون الثمانية، التي حكم فيها المسلمون الأندلس، كانت الثقافة الإسلامية قد بلغت ذروتها وإشعاعها في تلك الجزيرة، فقد كانت الآداب والفنون مزدهرة بشكل عظيم، وكانت جامعة قرطبة من أعظم جامعات العالم وقتذاك، والتي كانت تعجّ بالأدباء والعلماء والمفكرين من شتى أصقاع العالم، في وقت كانت فيه أوروبا ترزح في الجهل والظلام والتخلف!

## ثانياً: مدرسة المترجمين في طليطلة:

احتل الفونسو السادس - Alfonso VI طليطلة Teledo عام ٤٧٨هـ - ١٠٨٥م، فأصبحت تحت رحمة المحتلين الإسبان، وعلى الرغم من ذلك فقد أنشئت فيها (مدرسة المترجمين الطليطليين Esueia de Traductores de Toledo<sup>(٤)</sup>) بإشراف المطران «رايموندو Raimundo - (ت ١١٥٠م)، وقد أدّت دوراً عظيماً في ترجمة تراث الإسلام إلى اللغات اللاتينية، وكان الرحالة من «أكسفورد» و «باريس» و «سلامنكا» عندما يصلون إلى طليطلة، يحتاجون إلى معونة الباحثين المسلمين هناك، ليدلّوهم على المخطوطات العربية في مختلف فروع العلوم والآداب والمعارف.

## ثالثاً: الرحلات بين الأندلس والمشرق:

رحل بـعض الأفراد، ومعظمهم من العلماء والمتنورين، إلى الأندلس، ممّن كانوا يتشوقون لمعرفة نهضة الأندلس وتقديرها، فأخذت الأندلس تستقبل هؤلاء

الوافدين بما يحملونه من ضروب العلم والحضارة والفن . ولعل أهم من وفد إلى الأندلس هو الأديب «أبا علي القالي» (ت ٣٥٦هـ)<sup>(٥)</sup>، الذي وصل إليها عام ٣٣٠هـ.

كذلك كانت هنالك رحلات معاكسة من الأندلس إلى المشرق، والتي ساعدت في نقل تراث المشرق إلى الأندلس، وتراث الأندلس إلى المشرق العربي . ولقد ساعدت هذه المعابر الثلاثة في نقل «المقامات» من المشرق الإسلامي إلى الأندلس، وقد احتذى أهل الأندلس حذو إخوانهم المشرقين في إنشاء المقامات وتأليفها.

### اهتمام الأندلسيين بالمقامات:

ما إن ظهرت مقامات بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨هـ - ١٠٠٧م)<sup>(٦)</sup> ثم مقامات القاسم بن علي بن عثمان الحريري (ت ٥١٦هـ - ١١٣٢م)<sup>(٧)</sup> حتى أكتب الأدباء في مختلف أنحاء العالم الإسلامي في تقليدها والسير في ركابها، فظهرت مقامات في عدة أمصار عربية حتى وصلت المغرب، فقلدها كثيرون منهم - على سبيل المثال لا الحصر - محمد بن شرف القيرواني (ت ٤٦٠ هـ)، ووصلتنا منه مقامتان .

ولما كان المغرب العربي قريباً من الأندلس، فمن السهل عبور المقامات إلى الجزيرة الأندلسية، ليتأثر أدباؤها - بدورهم - بها، وينهلوا منها . وهكذا ظهرت مقامات الأندلسيين القريبة الشبه بمقامات المشاركة . وكان ابن شهيد الأندلسي قد اشتهر بتأليفه لرسالة (التوابع والزوايع)<sup>(٨)</sup>، وهي متأثرة بالمقامة «الإيليسية» عند الهمذاني، ورسالته في الحلواء، المتأثرة ببعض مقامات الهمذاني كالمقامة (المضيرية)<sup>(٩)</sup> أو (البغدادية)<sup>(١٠)</sup>.

وإذا كنا قد تطرّقنا إلى العلاقات الأندلسية - المشرقية ، وكونها متينة وقوية - من الناحية الأدبية ! - فذلك يعني أن أهل الأندلس كانوا بحاجة إلى إخوانهم المشاركة ، لينهلوا من علمهم الغزير ، وليحسّوا بأنهم ليسوا غرباء عنهم في تلك الجزيرة النائية ، وكانوا «يعدّون هؤلاء قدوة لهم وأسوة في هذا الميدان ، حتى كان الراحل منهم إلى المشرق إذا التقى بعالم أو أكثر، وقرأ عليه شيئا، أو أخذ من علمه ، أو نقل عنه بعض ما لدى المشرق من علم ومعرفة ، عاد إلى وطنه وهو فخور بذلك» (١١).

وعلى هذا فقد وجد الأندلسيون أمامهم - من جملة ما وجدوا - تلك المقامات المشرقية ، والواضح أنهم عُثُوا بمقامات الحريري وفضلوها على مقامات الهمداني ، وذلك في رأينا يعود إلى سببين : الأول : أنّ الحريري هو الذي طور المقامات نحو الأحسن والأجود ، وبلغ بها درجة من القوة ، والمتانة والسبك . والثاني : أنّ الحريري كان حيّاً وقت بدء الرحلات الأندلسية - المشرقية ، فيروي ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ) أنّ كثيرا من الأندلسيين سمعوا من الحريري مقاماته الخمسين ببستانه في بغداد ، ثم عادوا إلى بلادهم حيث حدّثوا بها ، كالشيخ أبي الحجاج يوسف بن علي القضاعيّ الأندليّ ، الذي قرأ عليه في شوال عام ٥٠٤هـ ، وحدّث بها في الأندلس ، كذلك رواه عنه ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ) قراءة عليه بلفظه ، بدكانه بحاضرة المريّة ، في ذي الحجة سنة ٥٣٤هـ (١٢).

وللأهمية الكبيرة التي حظيت بها مقامات الحريري ، فقد قلّدها عدد من الأدباء الأندلسيين منهم أبو طاهر محمّد بن يوسف السّرّسّطي ، المعروف بابن الإشرّكوّنيّ (ت ٥٣٨هـ) ، الذي ألّف خمسين مقامة في قرطبة (١٣) ، وحذا فيها



حذو الحريري، من حيث الشكل والمضمون والعدد. وتتميز بوجود شخصية ثالثة فيها، لها من الأهمية، أو الدور الرئيسي ما يتمتع به كل من الراوي والبطل، وهي بلا شك تطوير جديد لمقامات الحريري، وقد حدث فيها (المنذر بن حمام) عن (السائب بن غام)، ويلتقي فيها بالبطل السدوسي! وقد روى هذه المقامات عن المؤلف، الأديب ابن خير الإشبيلي (١٤).

وشرحها أبو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري (ت ٥٦٧هـ) (١٥)، وعلي بن أحمد ابن علي بن لبال الشريشي (ت ٥٨٣هـ) (١٦)، وأبو جعفر أحمد بن داود بن يوسف الجذامي (ت ٥٩٨هـ) (١٧)، وأبو طالب عقيل بن عطية القضاعي (ت ٦٠٨هـ) (١٨)، ومحمد بن أحمد الاستجعي الحميري (ت ٦٣٩هـ) (١٩). ولعل أشهر شراح مقامات الحريري في الأندلس، على الإطلاق، هو أحمد ابن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي (ت ٦١٨هـ) (٢٠)، وذكر «ابن الأبار» أنه لقي «الشريشي» في بلنسية Valencia، وقرأ عليه جزءاً من شرحه على المقامات، وأجاز له الشريشي رواية بقيتها، وقد وصف المستشرق (بالنشا) الشريشي بأنه «أكبر شراح مقامات الحريري في العالم الإسلامي... وما يدلنا على أهمية شرح الشريشي أن الناشرين المحدثين يجعلونه على هوامش طبعاتهم، وقد ذكر «سلفستر دي ساسي» أنه استعمل في شرحه لمقامات الحريري كثيراً من الشعر الذي أورده الشريشي في شروحه» (٢١).

وهناك شروح أخرى لمقامات الحريري، موجودة في القوائم التي وضعها أصحاب الفهارس والبيبلوغرافيا (٢٢)، وكلها تؤكد اهتمام الأندلسيين بالمقامات وتأثرهم بها أيما تأثر!

## تقليد اليهود الإسبان للمقامات:

كان المستشرق ليفي بروفنسال Levi Provençal (ت ١٩٥٦م)، قد أكد أنّ مقامات الحريري قد «نالت شهرة فائقة في إسبانيا»<sup>(٢٣)</sup>، وهذا يتأتى من تقليد المسلمين الأندلسيين لها - على ما أكدناه - إضافة إلى تقليد اليهود الإسبان لها، وأكد هذا القول المستشرق (جب) في قوله: «وُجد للمقامات مقلّدون من اليهود الإسبان»<sup>(٢٤)</sup>.

ومن المعروف أنّ اليهود كانوا يعيشون جنباً إلى جنب مع المسلمين، وكثير منهم كانوا يجيدون اللغة العربية قراءة وكتابة، وهؤلاء اليهود - كانوا قد دُهِشوا وأُعجبوا بالمقامات العربية، وطريقة صياغتها الفنية العالية، لذلك فقد نسجوا على منوالها وقلّدوها. ولقد بحثنا في هؤلاء اليهود الإسبانين المتأثرين بالمقامات، فكان أشهرهم وأوّل من قلّد المقامات العربية هو «سليمان بن زقيب Slaman Ben Sacbel» القرطبيّ اليهوديّ، الذي ألف مقامة فكهة على طراز مقامات الحريري، وذلك في الثلث الأوّل من القرن الثاني عشر الميلادي، وسماها «تحكموني Tahkemouni»، وجعل بطلها شخصاً اسمه «أسر»، وأسلوب المقامة يسائر أسلوب المقامات ويماثله تقريباً، من حيث اعتماده على السجع والاهتمام بالغريب والمزاوجة بين النثر والمقطّعات الشعرية ذات الطابع الخُلقي الوعظي<sup>(٢٥)</sup>.

وفي أوائل القرن الثاني عشر الميلادي وأوائل القرن الثالث عشر الميلادي، ظهر أديب رباني يهوديّ هو «يهودا بن شلومو الحريزي Yahuda Ben Shlomo Al-harizi»، الذي كان قد بدأ ترجمته مقامات الحريري إلى العبرية، لكنه لم يلبث

أن انصرف عن هذا العمل قبل إتمامه، مؤثراً أن يؤلف كتاباً أصيلاً في معارضة المقامات، فصنّع خمسين مقامة ذات طابع مسرحي خاص سماها «سفر تحكموني»، أي كتاب الحكمة، أو الرجل الحكيم، ونسج فيها على منوال ابن زقيل، وأثنى فيها على نصوص من التوراة<sup>(٢٦)</sup>، وهو في ذلك، قد استجاب لرغبات أصدقائه في طليطلة، للإطلاع على هذا النمط القصصي الطريف، وقد كان بطلا مقاماته من أسماء الرجال في الكتاب المقدس<sup>(٢٧)</sup>. فالبطل «آير» Heber أشبه بشخصية أبي زيد السروجي - بطل مقامات الحريري - أما بطل مقامات ابن زقيل، فهو محتال، تقع له أحداث وعجائب، ويتخذ الحريري من تلك الأحداث محاورات أدبية يضمّن بها آراءه النقدية حول من سبقه من شعراء اللغة العبرية<sup>(٢٨)</sup>، وفيها كذلك موضوعات في الرحلات ووصف المدن والأشغال والألغاز والخرافات.

وجاء بعده «يوسف بن ماثر بن سابرا» الذي ألف برشلونة Barshaluna، قبل عام ٥٩١هـ - ١١٩٤م كتاب «التعاليم المفرحة»، وهو عبارة عن مقامات تكشف عن مقدرة صاحبها، وقوة محصوله الأدبي والعلمي<sup>(٢٩)</sup>.

ثم ظهر «إبراهيم بن صمويل حاليقي بن حمداي البرشلونسي» - (ت ٦٣٨هـ)، وله مقامات مقسّمة إلى فصول تتخلّلها أقاصيص، وقطع من الشعر الديني والسوغي، وهذا المؤلف من أكثر كتّاب هذه الطائفة جهوداً في ترجمة الفكر العربي إلى العبرية.

وهناك «يعقوب بن العازار الطليطي»، وله مجموعة من المقامات كتبها بالعبرية<sup>(٣٠)</sup>.

والملاحظ أنّ هذا اللون من الأدب العبري المتأثر بالمقامات العربية ، قد انتشر في إسبانيا ، لا سيّما في مقاطعة «قطلونوية Catalonia» ، وقد أدّت محاربة المرابطين لليهود أن نزحت عوائل يهودية من الأندلس ، واستقرّت في فرنسا ، مثل عائلة (قمحي) و(تبون) ، وقد ساعد هؤلاء في عملية نقل الثقافة العبرية إلى أوروبا<sup>(٣١)</sup> ، وهي الثقافة المتأثرة قطعاً بالعربية !! .

### تخص الشُّطّار Picaresce :

في أواسط القرن السادس عشر الميلادي ظهر في إسبانيا نوع من الرواية ، أطلق عليه اسم «الرواية التشردية Schelmenromon» أو «رواية الشُّطّار - الصعاليك - Picaresce» ، بعد أن استفحلت التناقضات الاجتماعية بشكل خاص في المجتمع الإسباني ، وهذه الروايات أو القصص كانت قد تأثرت بالمقامات إلى حدّ بعيد .

ولتقريب الأمر ، نذكر أنّ أول مرة استعملت فيها كلمة «بيكارو picaro» ، كانت في نصّ كتاب عام ١٥٢٥ م ، وكانت تعني - آنذاك - «مساعد طبّاخ mormition» ، ولكنها ظلت محتفظة بهذا المعنى حتى عام ١٥٤٥ م ، حين أصبح مفهومها يعني «الاستهتار»<sup>(٣٢)</sup> ، ويرى بعض الباحثين العرب أنّ أصل الكلمة جاء من الكلمة العربية (الفقير) التي تُقابل Picaro ، و «فقير» - بالتونين - التي تقابل picaroon<sup>(٣٣)</sup> .

وهذان الرّايان يتفقان مع المعنى المعجمي في المعاجم والقواميس ، فهي فيها بمعنى «المحتال ، المتشرد ، الأفاق»<sup>(٣٤)</sup> .

والمعنى المتعارف عليه للكلمة لا يخرج عن معناها اللغوي، وعلى هذا فقصص الشُّطار: هي لون من ألوان الأدب الإسباني، تتناول مغامرات الصعاليك والشُّطار وأحوالهم وسفرهم، وبطل هذه القصص «يكذب بلا تردد، يسرق ويخدع، ويستغل غباء الناس بشكل حاذق، ويدبر مقالب شريرة مختلفة للسادة من طبقة الأشراف ورجال الدين البخلاء، ويعرف من أين تؤكل الكتف»<sup>(٣٥)</sup>. وهي في ذلك تصوير للأحوال الاجتماعية في البيئة الإسبانية آنذاك!

### آراء الباحثين:

يؤكد الباحثون والدارسون الأجانب تأثر هذه القصص الإسبانية بالمقامات، فهذا «هاملتون جب» يتكلم عن التأثيرات الشرقية والإسلامية على الآداب الغربية الأوروبية. ويقول: إنه يعتقد أن رواية البيكارسك الإسبانية تُبدي بعض التشابه مع المقامات العربية في صيغتها وسياقها، ويضيف: إن المقامات العربية ربما تكون قد تركت أثراً لها في القرون الوسطى.

وبحث في هذا الموضوع المستشرق الإسباني بسكوال دي جاينجوس Pascu la de Gayangos (ت ١٨٩٧ م) عند ترجمته للمقامات عام ١٨٩٦ م. (٣٦)

ويقول الباحث الإسباني «بالنثيا»: «ما يزال علينا أن ندرس بشيء من التفصيل الأثر الذي ربما تكون قد تركته مقامات الحريري الشهيرة في رواية البيكارسك». وأكد «إنه مما يستلفت النظر ويدعو إلى الدهشة ذلك الشبه العظيم بين هذا الأثر الأدبي - المقامات - وذلك الطراز المعروف في أدبنا الإسباني

باسم قصص الصعاليك<sup>(٣٧)</sup>!، وأضاف: إن هذا الشبه قد أصبح أكثر جلاء ووضوحاً في دراسة لبطل مقامات الحريري، قام بها شاب جزائري، لا ترك أثراً في ذهن القارئ غير أن «أبا زيد السروجي» هو بطل من أبطال روايات البيكارسك الإسبانية<sup>(٣٨)</sup>.

وقد أشار شيخ المستشرقين الإسباني «منندث بيلايو Menedez y penlay» إلى الشبه بين بطل المقامات - أو ما يسميه بالحاذق «أبي زيد السروجي» وأبطال رواية البيكارسك؛ فحياة السروجي كانت «سابقة طليعية لشخصية «كوئار دي الفرجه Guzman de Al Farache» و«إستييا نيلليو كونثالث Estiba Nellogonzalez»، وهما بطلان لقصتين من قصص الصعاليك الإسبانية، كُتبتا سنة ١٥٩٩م و١٦٤٦م<sup>(٣٩)</sup>.

ويتفق رأي الباحث الإسباني «أمريكو كاسترو» مع رأي من سبقه في ذلك التأثير الجلي للمقامات، ويرى «أن القصص بمفهومه الحديث، إنما يُدين بفضل وجوده لـ «الحديث» العربي، الذي كان يعني حكاية كل ما هو طريف، وقد كان الأوروبيون فيما بين القرن الثامن والثاني عشر يقبلون في تشويق وشغف على تلك «الأحاديث» التي يقصّها العرب في مجالسهم وأسماهم»<sup>(٤٠)</sup>. ويقصد الباحث بـ «الحديث»: المقامة<sup>(٤١)</sup>، فهو أحد معانيها اللغوية.

ونرى الباحث «أودلفو بونيليا Adolfo Bonilla» يعود بتعبير «بيكارسك» إلى أصل عربي<sup>(٤٢)</sup>. وهناك شهادة الأستاذ «خوان فرنس» - الباحث في جامعة لشبونة - في كتابه «الأدب العربي» - الذي وصف أبا زيد السروجي، بأنه من أبطال البيكارسك<sup>(٤٣)</sup>.

وعند حديث المستشرق «أندريه ميكال Andre Miquel» عن المقامات،  
 قارن بين أبطالها وأبطال البيكارسك<sup>(٤٤)</sup>، وإن كان ذلك بعجالة ظاهرة. وهذا  
 يؤكد أن قضية تأثر القصص الإسبانية بالمقامات أمرين وطبعين!  
 ونكتفي بقول المؤرخ «فيليب حتي» في «أن المقامات قريبة جداً من الروايات  
 القصصية الإسبانية، وبعض القصص في الأدب الإسباني»<sup>(٤٥)</sup>.

وإذا إنتقلنا إلى الباحثين العرب، نجد أن أشهر من أشار إلى هذه القضية،  
 هو د. «محمد عنيمي هلال» في كتابه (الأدب المقارن)، فبعد أن نقل رأي  
 «بالشيا» نراه يقول: «أثرت المقامات العربية في الأدب الأوروبي تأثيراً واسعاً،  
 متنوع الدلالة، فقد غذت هذه المقامات قصص الشُطّار picar الإسبانية  
 بنواحيها الفنية، وعناصرها ذات الطابع الواقعي، ثم انتقل هذا التأثير من  
 الأدب الإسباني إلى سواه من الآداب الأوروبية، فساعد على موت قصص  
 الرعاة، وعلى تقريب القصة من واقع الحياة، ثم على ميلاد قصص العادات  
 والتقاليد في معناها الحديث، وهي التي تطورت فكانت هي قصص القضايا  
 الاجتماعية فيما بعد»<sup>(٤٦)</sup>. وبحث د. هلال في كتابه (النقد الأدبي الحديث)<sup>(٤٧)</sup>  
 عن هذا الأمر أيضاً!

ولعل أهم من درس القضية دراسة استقصاء وبحث هي د. سهير  
 القلماوي<sup>(٤٨)</sup> ومن العجيب أن الباحثين لم يلتفتوا إلى بحثها هذا، على كثرة ما  
 تتبعنا من كتب ومقالات!

ويبحث في أثر المقامات عدد من الباحثين بعجالة واضحة وبآراء عامة دون  
 دراسة شاملة، منهم د. «شوقي ضيف»<sup>(٤٩)</sup> و د. أحمد كمال زكي<sup>(٥٠)</sup>،

ود. «خليل إبراهيم السامرائي»<sup>(٥١)</sup>، و«د. جميل سلطان»<sup>(٥٢)</sup>، و«د. حكمة علي الأوسي»<sup>(٥٣)</sup>، و«د. داود سلوم»<sup>(٥٤)</sup>، و«د. محمد أحمد العزب»<sup>(٥٥)</sup>. وكانت بحوث د. «غسان المالح»<sup>(٥٦)</sup>، والأستاذ «كاظم سعد الدين» ود. «محمود علي مكّي»<sup>(٥٧)</sup>. جيدة وتردد، الدكتور «إحسان عباس»<sup>(٥٨)</sup> في القضية، أما د. «جرير أبو حيدر»<sup>(٥٩)</sup> فجعل التأثير ثانوياً، على الرغم من استشهاده بآراء المستشرقين الإسبان أنفسهم في الأمر!

وللدكتور محمود طرشونة كتاب بعنوان (الهامشيون في المقامات العربية وتقصص الشُّطّار الإسبانية)<sup>(٦١)</sup>، وهو غني بفكرة التأثير والتأثير، وإن كنا لم نطلع عليه، للأسف الشديد.

وهناك رأي غريب للدكتور «يوسف نور عوض»<sup>(٦٢)</sup> يرفض فيه أي تأثير للمقامات في الأدب الإسباني. ونردّ على قول د. عوض بنقطتين:

الأولى : اعتراف المستشرقين الإسبان بتأثير أدبهم الإسباني بالمقامات. وهذا الاعتراف له قيمته الكبرى في بيان دور المقامات في بناء أسس الأدب الإسباني، وأنه جاء بعد دراسة وبحوث عديدة ومركّزة.

الثانية : شروح الحريري للمقامات، وتقليد الأندلسيين لها ما يعزز تواجدها في الأندلس، وتقليد اليهود الإسبان لها، ما يدعم أثرها الكبير في الأدب الإسباني، وبطبيعة الحال وتطور الزمن يحدث بعض التغيير في الأسلوب والصياغة حتى تكتمل - بصورة نهائية إلى الرواية الإسبانية. - ولأجل أن نكون أكثر إقناعاً سنقوم بجولة في طرح بعض مضامين روايات البيكارسك الإسبانية، وعنواناتها، كي نعقد - أخيراً - مقارنة ومقابلة لها مع المقامات العربية، ولنبيّن - بعد - أوجه التشابه والتأثير بينهما!



## لا ساريلودي تورمس:

إن أقدم وأشهر رواية إسبانية تعنى بحياة الشُّطَّار والمتشردين، هي رواية لا ساريلودي تورمس وحظوظه ومحنة La vida de lazarrillo de Tormes، وهي قصة مجهولة المؤلف، وهي تنبع من واقع الطبقات الدنيا الفقيرة وحياتها، وتصنفها كما يُملِّها منطق الغرائز الصريح، وتصنف واقعاً غير مثالي. وخلاصتها أن أحد الفقراء - وكان ابناً لطحان، وقد سجن لانتقاصه من دقيق عملائه، حتى مات في السجن - وكانت أمه خلية عربي إسباني يعمل سائساً عند أحد الأغنياء، وما لبث أن اتهمه سيده بالسرقة، فحُكِمَ بسببها هو وخليته. وهو بهذا كان رجلاً عديم الحياء، لأنه جوعان «ولا يمكن أن يكون الجوع والحياة صديقين أبداً»، وتستمر القصة في سرد حظ هذا التبعس، فنجدّه يضطر إلى كسب قوته بنفسه، فكان أولاً في صحبه شحاذ أعمى، صحبه بعض الوقت، ثم تركه تحت وابل من المطر، بعد أن جعله يصطدم بجدار، ثم صار يخدم قسيساً فقيراً، ثم نبياً من صغار النبلاء. وكان يهجو طبقة كل من يخدمه، ويحب الصراحة والوضوح، ويندد بالرياء والأثرة فيمن يعاشرهم. وبعد عدة مخاطرات يُفضل أن يستقل بحرفته، فيعمل سقاءً، ثم دلالاً، وأخيراً يقرّر أن الرجل والمرأة هما العملة المتداولة بين الناس، وإنّ الطريقة الوحيدة للنجاح في الحياة، هي معاملة الناس بهذه العملة السائدة والمتداولة بينهم، وبدلاً من أن نراه يتوب عند نهاية القصة، نراه ينغمس في الدجل، ويجد امرأة لا يبالي إذا ما كانت خالصة له: أم خلية قسيس، ويقسم على القربان المقدّس أنا سيدة جلييلة ومحترمة، وكل ذلك مقابل المنافع المادية التي يغدقها عليه رجل الدين المذكور، لكي يضيفي على علاقته المشبوهة مع خليته صبغة من الوقار الاجتماعي.

وأول طبعة معروفة لهذه الرواية تعود إلى عام ١٥٥٤م، ويتفق النقاد على أنها لم تكن الطبعة الأولى، إذ أنها أُلِّفت بين عامي ١٥٢٤م - ١٥٥٣م، ومنذ ظهورها لقيت رواجاً كبيراً في بريطانيا وخارجها، واستدعى إعادة طبعتها عدة مرّات، إلى أن أمرت محكمة التفتيش في "Valdes" بوضعها في الفهرس، أي بمنعها عام ١٥٥٩م. إلّا أنّ هذا لم يحدّ من انتشارها، ولم يمنع ظهور طبعات مهذبة لها، أو ترجمتها إلى الفرنسية والهولندية والألمانية والإيطالية... وغيرها. وهذه الرواية - كما ذكرنا - في مجملها تصوير للواقع الاجتماعي الفاسد، ونقد لاذع لبعض أفرادها وتصرفاتهم!

### كوثمان دي الفرجه:

إنّ رواية «كوثمان دي الفرجه Guzman de Al-farache» كان قد كتبها الكاتب الإسباني «ماتيو ألمان Mateo Alman»، المولود في إشبيلية عام ١٥٤٧م. وتحدث عن شخص فقير مجتهد، وعارف للغة اللاتينية، والبلاغة الإغريقية، وقد ترك والديه وانزلق في حياة فاسقة لاهية، ثم انتقل من النشل والاحتيال إلى ألعاب السرقة الكبرى، ثم إلى إيطاليا، ثم إلى مدريد، وبعد مغامرات خبيثة يرسل إلى السجن، ويتأمل مصيره فيقول: انظروا يا كوثنان قمة جبل اليؤس الذي دفعتك إليها شهوانيتك الفاحشة، ها أنت في الأعلى لتقفز إلى أعماق جهنّم، أو لترفع ساعدك بسهولة، وتبلغ السماء»<sup>(٦٤)</sup>.

والمؤلف في روايته هذه يطنّ في نزاهة مسؤولي العدالة، وفساد بعض القضاة، وتعتسف بعضهم الآخر، ويشخص عيوب المجتمع التي يعرفها في شخص بطل القصة.

ونشر آلمان الجزء الأول من هذه القصة عام ١٥٩٦ م، والثاني عام ١٦٠٢ م. ونالت أهمية كبيرة من حيث طبعاتها الكثيرة، أو تأثر الكتاب الإسباني بها.

## قصص أخرى

وهناك قصص وروايات عمادها التشرد والصعلكة، منها كتاب «الحب الطيب» لمؤلفه خوان رويث المعروف بـ «آرثيبر ستي دي هيتا *Arscipe ste delata* Hita» التي ظهرت في القرن الرابع عشر الميلادي، ومسرحية «القوادة» في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي<sup>(٦٥)</sup>. وظهرت رواية «ابنة سلسيتينا *La celestine*»، عام ١٦١٢ م، وأعيد طبعها بعد عامين، بعنوان «هيلانة الماكرة». ثم رواية (النصاب) التي كتبها «فرنسيسكو دو كيفيدو» عام ١٦١٦ م.

بعد ذلك ظهرت رواية «ضون كيخوطي *Don Quixote*»، مؤلفه سرفانتس Cervantes، وأشار فيليب حتي إلى تأثرها بالمقامات<sup>(٦٧)</sup>. وهناك حكاية (الجندي الأحق)، التي أكد الباحث الإسباني فرناندو دي لاجرانجا *Fernando de lajeranja* «أن المصنفين جمعوها بأمر من «خوان دي أرجينجو»، وهي من أكلة «سانتا كروث» وتبدو مرة أخرى في أكلة «فرانسيسكو أسنينو» في القرن الثامن عشر الميلادي، وهي موجودة لدى الشريشي، في شرحه لمقامات الحريري، وبصورة موجزة لدى أبي بكر محمد بن عاصم الوزير القاضي الغرناطي (ت ٨٢٠هـ)، في كتابه (حديقة الأزاهر والأمثال والحكايات والنوادر)<sup>(٦٨)</sup>. وهذا يعني أن «ابن عاصم» قد نقل بعض قصص المقامات وأودعها كتابه، فأسهم في نقل هذه القصص إلى الأدب الإسباني، بعد إطلاع الأسبان عليه!

## أوجه الشبه بين المقامات والبيكارسك:

بعد ما قدمناه من احكام وما عرضناه من قضايا وآراء ، يمكننا من عقد مقارنة ومقابلة في بيان أوجه التشابه والتقابل بين المقامات العربية وقصص البيكارسك الإسبانية ، عبر هذه النقاط :

١ - تعتمد معظم المقامات على غرض الكدية ، والتي يتّسم بها البطل ، فكثيراً ما كانت ظاهرة التسوّل والتشرد هي السمة المميّزة له . وكل ذلك نتيجة للظروف الاجتماعية التي جابهت الأمة العربية الإسلامية في القرن الثالث وما بعدها ، من كثرة الانقسامات والانفصالات عن كيانها ، وظهور القرامطة والسلاجقة ثم الصليبيين على مسرح الأحداث ، فأدى ذلك إلى ضعف السلطة المركزية وتفشي الجهل والامية ، وانعدام الأمن ! ، ولهذا نجد «أبا زيد السروجي» - بطل مقامات الحريري ، و«أبا الفتح الإسكندري» بطل مقامات الهمداني يجوبان الأفاق بحثاً عن لقمة يسدّان بها جوعهما ، وجرعة ماء يرتويان بها .

إنّ تلوّن الأبطال عند مؤلفي المقامات في سلوكهم المتذبذب يعبر عن الواقع الذي يعيشون فيه ، فكان هؤلاء المؤلفون يعبرون عن سخطهم لما آل إليه الوضع على لسان أبطالهم في سلوكهم المنحرف ذاك ويعبر - في الوقت نفسه عن رغبتهم «في إثارة مشاعر المقت عند الناس إزاء ذلك السلوك ، وفي إثارة همهم للترقّع عن الانزلاق في منحدره»<sup>(٦٩)</sup>

والشيء نفسه بالنسبة لقصص البيكارسك ، فقد صورت لنا هذه القصص البؤس والشقاء الذي حلّ بأوروبا ، نتيجة للحرب الدينية في القرن السادس عشر الميلادي ، وحروب «لويس الرابع عشر» في القرن التالي ، والوضع المزري في إسبانيا بعد طرد المسلمين منها !

فالمضمون بالنسبة لهذين العاملين الكبيرين واحد!

٢- إنَّ بطل المقامات لا يستقرّ بمكان حتى يغادره إلى آخر، طلباً للكسب والارتزاق والكذبة، وهذه فلسفة أبي الفتح الاسكندري عندما يقول<sup>(٧٠)</sup>:

إسكندريّة داري لوقرّ بها قراري

لكن بالشام ليلى وبالعراق نهاري

أويقول<sup>(٧١)</sup>:

ويحك هذا الزمان زُور فلا يغرنك الغرور

لا تلتزم حالة ولكن دُرّ بالليالي كما تدور

وعبّر عن ذلك «أبو زيد السروجي» في قوله<sup>(٧٢)</sup>:

أنا ما بين جوب أرض فأرض وسرى في مفازة فمفازة

زادي الصّيد والمطية نعلى وجهازي الجراب والعكّازة

فإذا ما هبطت مصرّاً فيبتي غُرّة الخان والنديم جزازة

وأبطال البيكارسك على هذا النمط من التجوال والانتقال في ترحالهم من حانة إلى أخرى، ومن بلد إلى آخر، كما وجدنا ذلك واضحاً عند «لاساريللو» في تنوّع أسفاره، والشيء نفسه ينطبق على «كوئمان» و«ضون كيخوطي» .  
وسواهم!

٣- يعتمد أبطال المقامات على الخداع لتسويق ما يريدونه من مال أو ثياب أو سواهما، فعن طريق الخداع، يأخذون ما يرغبون فيه من البسطاء والسُدّج .

والخداع في ذلك مشترك في قصص البيكارسك الإسبانية ، فأبطالها يفعلون كما يفعل أبطال المقامات ، على طريقة (الغاية تُسوِّغ الوسيلة) !

٤ - من المعروف أنَّ المقامات تقوم على عناصر الراوي والبطل والحدث . والراوي يقوم بتوجيه البطل إلى الخير والطريق الصحيح ، وكبح جماح نزواته . إلّا أنَّنا في (المقامة الحرامية) لا نجد للراوي أثراً عند الحريري ، بل يقوم السروجي بوصف الأحداث بنفسه . وهذه المقامة ، وبعض المقامات الأخرى التي لا نجد فيها أثراً للراوي ، يمكن عدّها سيرة ذاتية للبطل . وبهذا نرى أنَّ هذه المقامة قريبة جداً من قصص البيكارسك الإسبانية ، ونرى أنَّ المؤلفين الإسبان استغنوا عن الراوي واكتفوا بالبطل لعدم إثقال القصة على المستمع والقارئ الإسباني .

أما الحدث فهو موجود في كلا العملين الأدبيين ، فإذا كانت البيكارسك هي قصة بالمعنى الفني الدقيق لهذا اللون من الأدب ، فإننا نرى أنَّ المقامة هي بداية طبيعية للقصة ، وبذلك فنحن نختلف مع د . «سيد حامد النساج» الذي رأى أنَّ المقامة ليست قصة و«أنَّ القصة القصيرة ليست امتداداً للمقامة لا في الشكل ولا في المضمون ولا في الهدف ولا في المغزى العام»<sup>(٧٣)</sup> ! ! !

نقول : إن رأي د . النساج يتعارض مع الخصائص الفنية للمقامة ، ودعائمها الأساسية التي قامت عليها ، فالشروط الفنية للقصة موجودة - بلا شك - في المقامة ، فكيف يتسنى له رفضها .

فالمقامة هي بداية طبيعية بسيطة لتكوّن القصة ، وهي التي أثّرت في القصة الإسبانية ، وطورتها نحو الأحسن ، بحيث جعلت منها قصة فنية حديثة متعارفاً عليها اليوم .

٥- إن طبيعة العمل الأدبي من شكل ومضمون، وسير الحوادث الطبيعية للمقامة، يكاد يقترب كثيراً منها عند رواية «البيكارسك»، ثم إن الجوّ النفسي التي يحيط بالبطل في تنقلاته وطبيعة أسفاره من بلد إلى آخر، وشخصية المؤلف الذي تختفي تحت ستار تحركات البطل وأقواله وأفكاره، كل هذا نجده موجوداً في المقامات والبيكارسك.

### الإشعار،

كان للتأثير الذي أحدثته المقامات في الأدب الإسباني أن انتشر ذلك اللون الروائي من قصص البيكارسك إلى أوروبا وبلدانها العديدة، فقد أوحى رواية (ديانا) للكاتب الفرنسي «مونتايير»، إلى الأديب الفرنسي «أونوريه دورفيه Hono d' Ude» (١٦٦٠م)، بتأليف رواية (استريه Astree) عام ١٦١٠م، وترجمت إلى الإنجليزي فيما بعد، وقد ترجمت (لاساريللو دي تورمس) إلى الإنجليزية عام ١٥٨٦م، في الوقت الذي كان فيه «جماعة الجامعة اللامعين - The University Wits» الخمسة في أوج نشاطهم الأدبي<sup>(٧٤)</sup>، كما ترجمت (ضون كيخوطي) لسرفانتس إلى إنجلترا عام ١٦١٤م، وتأثر بها عدد من الأدباء الأوروبيين. إن ترجمة الروايات الإسبانية إلى اللغات الأوروبية ساعد على ظهور عدد من الروايات العالمية الصادرة عن تلك البلدان، مما لا يتسع المجال لذكره هنا.

وهكذا كان للمقامات دور في تطور ونماء الرواية الإسبانية، ثم الروايات العالمية المعتمدة عليها. كما إن المقامات قد ترجمت إلى اللغات العالمية الأخرى وبحث فيها، وظهرت عنها دراسات بأقلام أعلام الباحثين والمستشرقين... وسنبحث ذلك إن شاء الله في بحث قادم يتناول أثر المقامات في الآداب العالمية!

فلعلنا وقفنا في بحث أثر المقامات في  
القصص الإسبانية «البيكارسك» ودورها في  
تكوين الإرهاصة الأولى لنشوء الرواية  
الإسبانية فيها بعد، ثم كانت الأساس لتطور  
ونمو الرواية الأوروبية الحديثة، وإن كان الأثر  
غير مباشر في الروايات الأخيرة، لأنها أخذت  
عن الروايات الإسبانية واقتبست منها .

وعلى هذا فلإن الرواية الحديثة مسدنة  
للحضارة العربية الإسلامية بهذا الفن العالمي،  
الذي ما كان لينمو ويظهر لولا أثر المقامات  
الواضح فيه !

هذا ما أردنا الخوض فيه، وننتظر آراء  
الباحثين والمؤرخين في الموضوع .

والله الموفق لما فيه الخير .



## الحواشي

- (١) تاريخ الفكر الأندلسي ١٨٠ .
- (٢) تراث الإسلام ٣٧٤/٢ .
- (٣) المثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرباطين ٢٠-٢٥ ، ملامح الشعر الأندلسي .
- (٤) انظر عن مدرسة المترجمين الطليطيين: تاريخ الفكر الأندلسي ٥٣٦-٥٤٠ ، دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ٦-١٢ ، الاستشراق «ع» ١٢٠ . علاقات المرباطين بالأندلس ٩٥-٩٩ .
- (٥) انظر ترجمة أبي علي القاسي في: بغية الوعاة ١/٤٥٣ ، تاريخ الأدب العربي ٢٧٧/٢ . ملامح الشعر الأندلسي ٢٨-٣٠ .
- (٦) انظر ترجمة الهمداني في: تاريخ الأدب العربي ١١٢/٢ ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ٢٣٨ ، المقامة ١٣ ، فن المقامة ١٠٨-١١١ ، بديع الزمان الهمداني ١٦ . فن المقامات بين المشرق والمغرب ٣٥ . دائرة المعارف الإسلامية، مادة (الهمداني). النثر الفني في القرن الرابع ٢/٣٥٢ .
- (٧) انظر ترجمة الحريري في: دائرة المعارف الإسلامية؛ مادة (الحريري)، مع الحريري في مقاماته ٥٢ ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ٢٩٢ ، فن المقامات بين المشرق والمغرب ١٥٦ ، المقامة ٤٥ .
- (٨) ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه ٢٢٩ ، وانظر: الأدب القصصي عند العرب ٢٤٤ .
- (٩) الفن ومذاهبه في النثر العربي ٣٢٢ .
- (١٠) النثر الفني في القرن الرابع ٢/٣١٥ . وانظر: ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه ٢٠٤-٢٠٢ .
- (١١) النثر الأندلسي ٣٢١ .
- (١٢) فهرسة مارواه عن شيوخه ٣٨٧، ٤٥١ ، وانظر: ابن بسام وكتابه الذخيرة ٢١٤ .

(١٣) انظر عن مقامات السرقسطي: كشف الظنون ١٧٨٥، فن المقامات بين المشرق والمغرب ٢٨٨.

(١٤) فهرسة ما رواه عن شيوخه ٣٨٧، ٤٥٠.

(١٥) انظر ترجمة العبيدي في: بغية الوعاة ١/١٤٧.

(١٦) انظر: الدراسات اللغوية في الأندلس ١٩٨.

(١٧) انظر ترجمة الجذامي في: بغية الوعاة ١/٣٠٦.

(١٨) انظر: الدراسات اللغوية في الأندلس ١٩٨.

(١٩) انظر: م. ١٩٩.

(٢٠) انظر عن الشريشي: تأريخ الفكر الأندلسي ١٨٢، الدراسات اللغوية في

الأندلس ١٨٩، بغية الوعاة ١/٣٣١.

(٢١) تأريخ الفكر الأندلسي ١٨٢.

(٢٢) انظر: كشف الظنون ١٧٨٧-١٧٩١. تأريخ الأدب الأندلسي ٣٠٥-٣٠٨،

فهرسة ما رواه عن شيوخه ٢٩٥، ٤٥٠، ٣٨٧، ٤٥١. المقامة ٨٠-٨٣،

بديعيات الزمان ١٢٩-١٣٧. فن القصة والمقامة ١٨٠، ٢٣، ٨. ابن بسام

وكتابه الذخيرة ٢١٤. تطور الأساليب النثرية ٣٦٦-٣٦٧. دائرة المعارف

الإسلامية، مادة (مقامة)

(٢٣) حضارة العرب في الأندلس ٥٧.

(٢٤) تراث الإسلام ٢/٣٧٤.

(٢٥) انظر: أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ٨٩-٩٠، تأريخ الفكر

الأندلسي ٢/٣٧٤.

(٢٦) فن القصة والمقامة ١٥٩، وانظر: تأريخ الفكر الأندلسي ٥٠١، الأدب المقارن

٢١٠. النثر الفني في القرن الرابع ١/٢٤٨. دائرة المعارف الإسلامية، مادة

(مقامة).

(٢٧) الأثر العربي في الفكر اليهودي ١٢٧.

(٢٨) أثر العرب والإسلام في الفكر اليهودي ٩٠.

- (٢٩) علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس ٣٨٢ .
- (٣٠) أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ٩١ .
- (٣١) الأثر العربي في الفكر اليهودي ١٧ .
- (٣٢) مجلة الطليعة الأدبية (ع ٩ - ١٩٨٣ م) : ٩٢ .
- (٣٣) مجلة التراث الشعبي (ع ٩ - ١٩٨٠ م) : ٢٥ .
- (٣٤) قاموس المورد ٦٨٥ .
- (٣٥) مجلة الثقافة الأجنبية (ع ١ - ١٩٨٨ م) : ٦١ .
- (٣٦) المستشرقون ٥٨٥ / ٢ .
- (٣٧) تاريخ الفكر الأندلسي ١٨٠ ، وانظر ٥٩٢ .
- (٣٨) مجلة آفاق عربية (ع ٩ - ١٩٨٠ م) : ٥٨ .
- (٣٩) فصول في الأدب الأندلسي ١٩٦ . وانظر مجلة آفاق عربية (ع ٩ - ١٩٨٠ م) : ٥٨ .
- (٤٠) مجلة عالم الفكر (ع ٣ - ١٩٧٢ م) : ٤٣ .
- (٤١) انظر: الفن ومذاهبه في النشر العربي ٢٤٧ . فن المقامة بين الأصالة العربية والتطور القصصي ٩ ، ١١ . النشر الفني في القرن الرابع ٢ / ٣٥٥ ، بديعيات الزمان ٤٣ ، رأي في المقامات ١٨ - ٢٠ ، دراسات في النقد الأدبي ١٤٧ .
- (٤٢) مجلة العربي (ع ١١٩ - ١٣٨٨ هـ) : ٧٥ .
- (٤٣) مجلة آفاق عربية (ع ٩ - ١٩٨٠ م) : ٥٨ .
- (٤٤) الأدب العربي ٨٢ .
- (٤٥) تاريخ العرب ٨٧ / ٣ .
- (٤٦) الأدب المقارن ٢٢٢ .
- (٤٧) النقد الأدبي الحديث ٥٠٧ .
- (٤٨) في بحثها (الأدب) ضمن كتاب (أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية) .
- (٤٩) المقامة ١١ . وأشار إليها باستعجال شديد .
- (٥٠) دراسات في النقد الأدبي ٣٦ . وقد أشار إليها عَرَضًا .
- (٥١) علاقات المرابطين بالأندلس ٣٨٢ . وأشار إليها بعجلة شديدة ، لأنه اهتم بالتأريخ لا الأدب!

- (٥٢) فن القصة والمقامة ١٥٩ .
- (٥٣) فصول في الأدب الأندلسي ١٩٦ .
- (٥٤) الأدب العربي في تراث العالم . وقد أشار إليها مسرعاً ثم نقل نص د . محمد غنيمي هلال!
- (٥٥) عن اللغة والأدب والنقد ١٧٩ . وقد نقل رأي د . محمد غنيمي هلال ولم يُشر إليه ، كأنه له !!
- (٥٦) مجلة العربي (ع ١١٩ - ١٣٨٨هـ) : ٧٤ - ٧٥ .
- (٥٧) مجلة التراث الشعبي (ع ٩ - ١٩٨٠م) : ٤٤ - ٤٥ .
- (٥٨) مجلة عالم الفكر (ع ٣ - ١٩٧٢م) : ٤٣ .
- (٥٩) تاريخ الأدب الأندلسي ٣٢٦ .
- (٦٠) مجلة آفاق عربية (ع ٩ - ١٩٨٠م) : ٥٨ - ٦٠ .
- (٦١) كتاب د . طرشونة ، هو أطروحة دكتوراه دولة ، صدرت بالفرنسية عام ١٩٨٢م ، عن الجامعة التونسية
- (٦٢) فن المقامات بين المشرق والمغرب ٣٣٢ ، والكتاب من دون مقدمة !! .
- (٦٣) انظر عن هذه الرواية : الأدب المقارن ١٠٩ ، النقد الأدبي الحديث ٥٠٧ ، فصول في الأدب الأندلسي ١٩٦ ، أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ٩٤ ، مجلة آفاق عربية (ع ٩ - ١٩٨٠م) ٦٠ ، وقد نشرها «بالنشا» في سرقسطة عام ١٩٦٥م ، وقدم لها بمقدمة مهمة ، ونشرت في بغداد عام ١٩٨٧م مختصرة !! .
- (٦٤) انظر عن رواية (كوثان) في : مجلة الطليعة الأدبية (ع ٩ - ١٩٨٣م) ٩٢ ، أثر العرب والإسلام ٩٥ .
- (٦٥) انظر : فصول في الأدب الأندلسي ١٩٦ .
- (٦٦) يرى الأستاذ محمد العربي الخطابي أنّ هذا هو الرسم الصحيح للقصة بدلاً من (دون كيشوت) ، وذكر أنّ اسمها الكامل بالإسبانية هو : *El Ingenios Hidalgo* *Don Quijote de la Mancha* وترجمتها : « السري اللبيب ضون كيخوطي دي لا منشا » . انظر : مجلة الفيصل (ع ٦٥ - ١٤٠٢هـ) : ٦٢ .

- (٦٧) تأريخ العرب ٨٧/٣ .  
 (٦٨) انظر في ذلك : مجلة الثقافة الأجنبية (ع ٤ - ١٩٨٦ م) : ١٣٤ .  
 (٦٩) مع الحريري في مقاماته ٥٦ .  
 (٧٠) مقامات الهمداني ٧٧ .  
 (٧١) م . ن . ٩ .  
 (٧٢) شرح مقامات الحريري : (الوبرية) .  
 (٧٣) مجلة الفيصل (ع ٦٤ - ١٤٠٢ هـ) : ٥٩ .  
 (٧٤) مجلة التراث الشعبي (ع ٩ - ١٩٨٠ م) ٤٧ .

### المصادر والمراجع

- ابن بسّام وكتابه الذخيرة : د . حسين يوسف حسين خريوش ، دار الفكر للنشر والتوزيع . عمّان ١٩٨٤ م .  
 — ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه : د . حازم عبد الله خضر ، دائرة الشؤون الثقافية العامة ، مطبعة دار الحرية . بغداد ١٩٨٤ م .  
 — أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية . مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع اليونسكو . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٠ م .  
 — الأثر العربي في الفكر اليهودي : د . إبراهيم موسى هنداي . القاهرة ١٩٦٣ م .  
 — الأدب العربي : أندريه ميكال . تعريب : رفيق بن وناس ، صالح حيزم ، الطيب العشّاش . الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .  
 — الأدب العربي في تراث العالم : د . داود سلوم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، مطبعة دار الحرية . بغداد ١٩٨٧ م .  
 — الأدب القصصي عند العرب : موسى سليمان ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، ط ٣ . بيروت ١٩٦٠ م .

- الأدب المقارن: د. محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر. القاهرة د. ت.
- الاستشراق: سلسلة الثقافة النقدية المقارنة. العدد الثالث. بغداد ١٩٨٩م- ١٤٠٩هـ.
- آفاق عربية (مجلة): العدد التاسع، السنة الخامسة، آيار، بغداد ١٩٨٠م.
- بديع الزمان الهمذاني: مارون عبور. دار المعارف، سلسلة نوايغ الفكر العربي. القاهرة ١٩٥٤م.
- بديعيات الزمان: فكتور الكك، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
- بغية الوعاة: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة: ١٩٦٤م.
- تاريخ الأدب الأندلسي — عصر الطوائف والمرابطين: د. إحسان عباس، دار الثقافة، مطبعة عيتاني الجديدة، ط ١، بيروت ١٩٦٢م.
- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦م). ترجمة د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة: ١٩٧٤م.
- تأريخ العرب: فيليب حتي. ترجمة محمد مبروك نافع، مطبعة النجاش. بغداد ١٣٤٥هـ- ١٩٤٦م.
- تأريخ الفكر الأندلسي: آنخل جنثالث بالنتيا. نقله عن الإسبانية د. حسين مؤنس، مكتبة النهضة، ط ١. القاهرة ١٩٥٥م.
- تراث الإسلام: جمهرة من المستشرقين، تعريب وتعليق جرجيس فتح الله المحامي. المطبعة العصرية، الموصل ١٩٥٤م.
- التراث الشعبي (مجلة): العدد التاسع، السنة الحادية عشرة، دار الجاحظ «الملغاة» بغداد ١٩٨٠م.
- الثقافة الأجنبية (مجلة): العدد الرابع، السنة السادسة ١٩٨٦م. العدد الأول، السنة الثامنة، بغداد ١٩٨٨م.
- حضارة العرب في الأندلس: ليفي بروفنسال (ت ١٩٥٦م). ترجمته ذوقان قرقوط.

- مكتبة الحياة، مطبعة النجوى . بيروت د. ت .
- دائرة المعارف الإسلامية .
- دراسات في الأدب العربي : د. أحمد كمال زكي . دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٢ ، بيروت ١٩٨٠ م .
- الدراسات اللغوية في الأندلس : رضا عبد الجليل الطيار ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٠ م .
- دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي : د. عبد الرحمن بدوي .
- رأي في المقامات : د. عبد الرحمن ياغي ، المكتب التجاري ، مطابع قدموس الجديدة ، ط ٢ ، بيروت ١٩٦٩ م .
- شرح مقامات الحريري : أحمد بن عبد المؤمن الشريفي (ت ٦٢٠ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المدني . القاهرة ١٩٧٣ م .
- الطليعة الأدبية (مجلة) : العدد التاسع ، السنة التاسعة ، أيلول ١٩٨٣ م
- العربي (مجلة) : الكويت ، العدد ١١٩ ، رجب ١٣٨٨ هـ — أكتوبر — تشرين الأول ١٩٦٨ م .
- عالم الفكر (مجلة) : الكويت ، العدد الثالث ، المجلد الثالث ١٩٧٢ م .
- علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالذول الإسلامية : د. خليل إبراهيم السامرائي . دار الشئون الثقافية العامة ، مطبعة دار الحرية ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٥ م .
- عن اللغة والأدب والنقد : د. محمد أحمد عزب ، المركز العربي للثقافة والعلوم . بيروت د. ت .
- فصول في الأدب الأندلسي : د. حكمة علي الأوسي . مكتبة الخانجي ، ط ٣ . القاهرة ١٩٧٧ م .
- فنّ القصة والمقامة : د. جميل سلطان . دار الأنوار ، ط ١ . بيروت ١٩٦٧ م .
- فنّ المقامات بين المشرق والمغرب : د. يوسف نور عوض . دار القلم ، بيروت د. ت .
- فنّ المقامة بين الأصالة العربية والتطور القصصي : د. عباس مصطفى الصالحي ، الموسوعة الصغيرة . بغداد ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م .

— الفنّ ومذاهبه في النثر العربي: د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط ٦. القاهرة ١٩٧١م.

— فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف: أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ). تحقيق فرنسئكة قدارة زيد بن، خليان رباوة طرغوه. ط ٢ بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

— الفيصل (مجلة): الرياض، العدد ٦٤، شوال ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م. العدد ٦٥، ذي القعدة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

— قاموس المورد: منير البعلبكي. دار العلم للملايين، ط ٢٠. بيروت ١٩٨٦م.

— كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ). استانبول-طهران ١٩٤١م.

— المستشرقون: نجيب العقيقي. ط ٣. بيروت ١٩٦٣م.

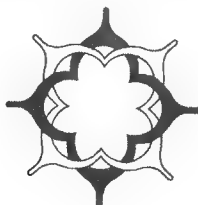
— مع الحريري في مقاماته: د. نوري جعفر، دار الشؤون الثقافية العامة، مطبعة دار الحرية. بغداد ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

— مقامات الهمذاني: شرح الشيخ محمد عبده. بيروت ١٩٥٨م.

— النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: د. حازم عبد الله خضر، دار الجاحظ، مطبعة دار الحرية. بغداد ١٤٠١هـ-١٩٨٠م.

— النثر الفني في القرن الرابع الهجري: د. زكي مبارك، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعادة، ط ٢. القاهرة د. ت.

— النقد الأدبي الحديث: د. محمد غنيمي هلال. دار الثقافة - دار العودة - بيروت ١٩٧٣م.





# نظرة إلى المخطوطات

للاستاذ: عبد الله حمد الحقييل



المخطوطات بروح إيجابية فعالة من شأنها أن تشجع الباحثين والدارسين وتدفعهم إلى استقطاب جهودهم في هذه المجالات الحيوية وبث روح النشاط للبحث المتواصل بكل ما يختص بالمخطوطات وحمايتها والعناية بها في أماكن تواجدها ومحاولة التعرف عليها وتجميعها والاستفادة منها بروح علمية جادة ودفع طلبة الدراسات العليا للبحث والتقيب والتحقيق وإعداد الفهارس العلمية وشرائها وتصويرها من مختلف المتاحف والمكتبات في مختلف أرجاء العالم . . إن تشجيع الباحثين والمحققين

تطالعنا بين لحظة وأخرى تساؤلات بالغة الأهمية عن مدى العناية بالمخطوطات وحمايتها والعناية بالتراث وصيانتها من الإهمال والضياع والاندثار لما له من إسهام مباشر في إثراء ثقافتنا وتدعيم أسس ومد انطلاقتها والواقع أن هذا الموضوع يحتاج إلى وعي موضوعي عميق للمساهمة الفعالة، وتضافر الجهود لتبادل المعلومات مع مراكز البحوث والمخطوطات للعمل على استرجاع تلك المخطوطات التي تحفل بها اليوم مكتبات في الشرق والغرب، وذلك للاستفادة من هذه

ولذا فإن المسؤولية لا تحملها الجامعات ومراكز البحوث وحدها وإنما هي مسؤولية تضطلع بها كافة المؤسسات العلمية والثقافية ودور النشر والأجهزة المعنية بالتراث وشئون المخطوطات في مختلف أرجاء العالم الإسلامي مع اتاحة كافة التسهيلات التي تمكنها من تأدية هذه الرسالة العلمية الهامة التي حملت إلى الإنسانية علماً ومعرفة ومثالية وحضارة ويقيني أن معهد المخطوطات العربية وبما لديه من خبرة وتجارب لقادر على الإسهام الفعال والتقويم العلمي لآوضاع المخطوطات العربية وأماكن تواجدها بالتكاتف مع المؤسسات الثقافية المعنية للبحث عن تلك المخطوطات التي أحنى عليها الدهر وتعرضت للأرزاء والفناء . . وهي ثروة علمية نفسية .

وبعد:

فإن الاهتمام بالتراث من أجل

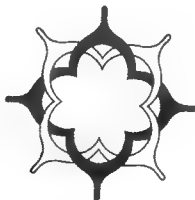
للعناية والاهتمام بهذا التراث سيكون عاملاً حيوياً في الحفاظ عليه مع رصد الحوافز التشجيعية في هذا الخصوص والعمل على توفير المتطلبات التي يحتاجها هذا العمل العلمي الهام .

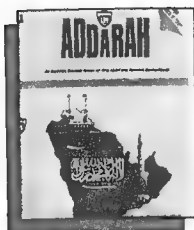
ولعل مما يبعث على الثقة والاطمئنان إن مراكز البحث والجامعات في بلادنا وفي أنحاء العالم العربي ماضية في اتخاذ الخطوات والرغبة الجادة في العمل العلمي وتذليل الصعاب في طريق إحياء التراث وجلب المخطوطات وأجراء مسح شامل للمخطوطات في العالم ووضع الخطوط العريضة ورسم الأهداف الواضحة لذلك ، وإن الاهتمام بهذا الجانب رسالة علمية وثقافية فهو معلم من معالم الثقافة العربية الإسلامية ومقوماتها الحضارية والروافد الثقافية المضيئة ووصل الحاضر بالماضي نحو بناء مجد فكري وعلمي وثقافي .

الأعمال ومن أولاهما فالعودة إلى التراث  
رجوع إلى المثل الروحية والقيم  
الأخلاقية ولقد تميزت أمتنا الإسلامية  
بتراث مجيد اهتم به الغرب ووضع له  
فهارس تسهيلا لدراسته . . فعلى  
باحثينا أن يتجهوا إلى تراثهم وينفضوا  
عنه غبار السنين والانفتاح على ما  
يحفل به من آفاق واسعة في مجالات  
العلوم والآداب والفنون . . ولقد  
عكف المستشرقون عليه سنين طويلة  
مقتنعين بفائدته ومدركين أهميته وقد  
انحسر في السنوات الأخيرة  
الاستشراق والمستشرقون ولذا فعلى أبناء  
الأمة العربية الإسلامية العناية به  
والعمل على تحقيقه ودراسته بجد

متواصل وعزم قوي حثيث وصبر  
طويل في جمعه وفهرسته وتحقيقه وطبعه  
لنستمد منه الفائدة والعون على ارساء  
قواعد نهضتنا العلمية الطموحة على  
أساس مكين من القيم الروحية  
والأخلاقية والإنسانية وإبراز صفحة  
جديدة في المعرفة الإنسانية ومواصلة  
السير نحو التقدم العلمي متخذين  
من الماضي نبراساً نضيء به دروب  
المستقبل وحافزاً لادراك الشأن  
واستعادة التاريخ المجيد . . والأمل  
كبير بإذن الله بتحقيق ذلك مردداً قول  
الشاعر العربي :

وإذا كانت النفوس كبارا  
تعبت في مرادها الأجسام





P. 8 *Of The Economic characteristics of Half Two & Half Centuries Ago.*

**The writers' views do not necessarily reflect  
Those of the magazine**

#### Annual Subscriptions

- Saudi Arabia : 20 Riyals.
- Arab Countries : The equivalent  
of 4 issues prices : SR 20.
- Non-Arab Countries : US . 6\$

- Articles can not be returned to  
author's whether published or not.
- Articles are arranged technically  
regardless of the writer's prestige.

#### ● PRICE PER ISSUE ●

- |                |               |                      |                |
|----------------|---------------|----------------------|----------------|
| - Saudi Arabia | : 3 Riyals    | - Morocco            | : 5 Dirhams    |
| - U.A.E.       | : 4 Dirhams   | - Tunisia            | : 400 Millimes |
| - Qatar        | : 4 Riyals    | - Non-Arab Countries | : 1 U.S.\$     |
| - Egypt        | : 40 Piastres |                      |                |

#### ● Distributors ●

**Saudi Arabia :** Saudi Distribution Co.

☒ 13195, Jeddah 21493

☎ 6694700

**Abu-Dhabi :** ☒ 3778, Abu Dhabi;

☎ : 323011

**Dhubai :** Dar-Al-Hikma Library.

☒ 2007, ☎ 228552

**Qatar :** Dar-Al-Thakafa,

☒ 323, ☎ : 413180

**Bahrain :** Al-Hilal Distributing Est.,

Manama, ☒ 224, ☎: 262026

**Egypt:** Al-Ahram Distributing Est.,

Al-Gala'a Street, Cairo, ☎ : 755500

**Tunisia :** The Tunisian Distributing Company

☒ 5, Nabh Kartaj.

**Morocco :** Al-Sharifia Distributing Company,

☒ 683, Casablanca, 05.



**EDITOR-IN-CHIEF**

**Mohammad Hussein Zeidan**

Director General of "ADDARAH" and  
Secretary General of King Abdul Aziz Research Centre

**Abdullah Hamad Al-Hoqail**

**Editorial Board**

**DR. MANSOUR IBRAHIM AL-HAZMI**

**ABDULLAH ABDUL-AZIZ, BIN EDRIS**

**DR. ABDUL-RAHMAN AL-TAYYEB AL-ANSARI**

**DR. ABDULLAH AL-SALEH AL-UTHAYMEEN**

**DR. MOHAMMAD AL-SULAYMAN AL-SUDAIS**

**Editorial and Technical Secretary**

**MUSTAFA AMIN JAHIN**

**Articles**

Articles should be  
directed to the  
Editor-in-chief

☎ : 4417020

**Editorial Board**

All Correspondence  
should be directed to:

☎ : 4412318 - 4413944

Fax 4412316

**Subscriptions**

Subscriptions should  
be directed to King  
Abdul Aziz research  
centre



IN THE NAME OF ALLAH  
THE MERCIFUL. THE BENEFICENT



An Academic Quarterly Issued by:  
King Abdul Aziz Research Centre - Riyadh

## **King Abdul Aziz Research Centre - Riyadh**

- Established by a Royal decree No. M/45 dated 5/8/1392 A.H. as an autonomous body with independent juristic identity

- Run by a Board of Directors vested with full authority to have its objectives materialized.  
objectives :

- To further studies pertaining to the history of the Kingdom, its geography, literature, intellectual and cultural heritage in particular as well as those of the Arab and Islamic world in general.

- To issue a cultural magazine carrying its name.

### **ADDARAH.**

- In accordance with the Royal approval No. 5/12608 dated 20/5/1396 A.H. the Centre has become the home of the National Saudi Archives and Manuscripts.

No. "1" • Year << 17 >> • April, May, June, 1991 A.D.  
P.O.Box 2945 Riyadh 11461 Kingdom of Saudi Arabia  
Facsimile No : 00/966/1/4417020

ملک العربیة السعویة

- اليوم الوطني للمملكة .
- الإجازات الرسمية .



# ADDARAH

*An Academic Quarterly Issued by: King Abdul Aziz Research Centre-Riyadh*

*No."1" Year "17" April, May, June 1991 A.D.*







الجمهورية العربية السورية

الوزارة



الجمهورية العربية السورية





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مجلة فصلية محكمة تصدر عن  
دائرة الملك عبد العزيز بالرياض

### دائرة الملك عبد العزيز بالرياض

أنشئت بمقتضى المرسوم الملكي الكريم رقم م/٤٥، في  
٥/٨/١٣٩٢هـ، كهيئة مستقلة ذات شخصية اعتبارية،  
يديرها مجلس إدارة له كافة الصلاحيات اللازمة لتحقيق  
أهدافها.

والغرض من إنشائها: خدمة تاريخ المملكة  
وجغرافيتها، وآدابها، وأثارها الفكرية والعمرانية بخاصة،  
والجزيرة وبلاد العرب والإسلام بعامة، وذلك عن طريق إنجاز  
البحوث ونشرها، وجلب الوثائق والمخطوطات وتحقيها،  
وإصدار مجلة تحمل اسمها.

كما أنها «المركز الوطني للوثائق والمخطوطات»، بمقتضى  
الموافقة السامية رقم ٥/١٢٦٠٨ في ٢٠/٥/١٣٩٦هـ.

العدد الثاني • السنة السابعة عشرة • المحرم، صفر، ربيع الأول ١٤١٢هـ

٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ المملكة العربية السعودية

رقم الفاكسيميلى: ٠٠/٩٦٦/١/٤٤١٧٠٢٠

**رئيس التحرير**

**محمد حسين زيدان**

**الأمين العام المساعد، والأمين العام للحياة**

**عبد الله بن همد الحقييل**

### **هيئة التحرير**

د. منصور إبراهيم الحازمي

عبد الله بن محمد العزيز بن ادريس

د. محمد السرحون الطييب الأنصاري

د. محمد الله الصالح السبع المنيمن

د. محمد عبد الطيمان السعدديس

### **سكرتير التحرير، والشرف الفني**

**مصطفى أمين جـ**

### **البحوث**

ترسل البحوث باسم

رئيس التحرير

٤٤١٧٠٢٠ : فاكس

### **الإدارة، والتحرير**

٤٤١٣٣١٨ - ٤٤١٣٩٤٤

الفاكس : ٤٤١٣٣١٦

### **الاختراعات**

ترسل الاختراعات بشيك

مصدق باسم

دارة الملك عبد العزيز بالرياض

### آراء الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

- ترسل البحوث مطبوعة على الآلة الكاتبة أو بالكمبيوتر على ألا تزيد عن ثلاثين صفحة من القطع المتوسط، وأن يكون اسم الباحث رباعياً، وأن يذكر عنوانه مفصلاً.
- ترسل البحوث سرّياً إلى محكمين، ويتم نشرها بعد النظر في صلاحيتها لمنهج المجلة.
- ترتيب البحوث داخل العدد يخضع لأسباب فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث.
- لن ينظر في البحوث غير المستوفية لشروط المجلة.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

### قيمة العدد

السعودية : ثلاثة ريالات - الإمارات العربية : أربعة دراهم  
قطر : أربعة ريالات - مصر : .....  
المغرب : خمسة دراهم - تونس : ٤٠٠ مليم  
خارج البلاد العربية : دولار للعدد

### الاشتراكات السنوية

- ٢٠ ريالاً للاشتراك السنوي داخل المملكة العربية السعودية.
- وفي البلاد العربية ما يعادلها.
- ٦ دولارات خارج البلاد العربية.

### الموزعون

- |   |   |
|---|---|
| ■ البحرين : مؤسسة الهلال للتوزيع<br>٢٢٤ النمامة - ☎ ٢٦٢٠٢٦      | ■ السعودية : الشركة السعودية للتوزيع<br>١٣١٩٥ جدة - ☎ ٢١٤٩٣ |
| ■ مصر : مؤسسة الأهرام للتوزيع<br>شارع الجلاء - القاهرة ☎ ٧٥٥٥٠٠ | ■ أبو ظبي : مكتبة المنهل<br>٣٧٧٨ أبو ظبي - ☎ ٣٢٣٠١١         |
| ■ تونس : الشركة التونسية للتوزيع<br>5 نهج قرطاج ☎               | ■ دبي : مكتبة دار الحكمة<br>٢٢٨٥٥٢ - ☎ ٢٠٠٧                 |
| ■ المغرب : الشركة الشريفة للتوزيع<br>683 الدار البيضاء 5 ☎      | ■ قطر : دار الثقافة<br>٤١٣١٨٠ - ☎ ٣٢٣                       |



● الفلاف ●

● حفل جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤١١ هـ - ٢٥٠ ●

## في هذا العدد

- ٥ الاقتراحات رئيس التحرير
- ٧ تأملات في قضايا ومشكلات تاريخ الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام ..... د. سيد أحمد علي الناصري
- ٤٨ سبل لتوحيد المصطلحات الجغرافية العربية ..... د. محمد محمود محمددين
- ٧٧ سبأ بين التاريخ والنص القرآني ..... أ. رابح لطفسي جمعة
- ١٠٨ تحقيق مسائلين من مسائل الاسم الموصول ..... د. صالح بن سليمان الوهيسي
- ١٢٦ الأساليب اللغوية في إثبات الشخصية قبل الصور الضوئية ..... مصطفى أمين جسامين
- ١٤٢ نظرات في معاجم البلدان ..... عرض أ. عبد الله محمد الشائع
- ١٧٨ الشعر النبطي «تسميته وبنائه» ..... د. محمد الباتسل
- ٢٠٧ الشرطة في العصر الأموي ..... عرض د. سامي خماس الصقار
- ٢٤٣ الموسوعات وأهميتها في التطور الثقافي والعلمي ..... أ. عبد الله بن حمد الحقييل
- ٢٤٧ التاريخ الدبلوماسي للمغرب «من أقدم العصور إلى اليوم» ..... عرض أ. عبد الله بن إبراهيم الحقييل
- ٢٥٠ صاحب السمو الملكي الأمير «سلطان بن عبد العزيز» سلم جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤١١ هـ .....



● بقلم رئيس التحرير ●

# الرافد

# الرديف

وما من مدرسة، أو جامعة، أو مجمع، أو كل بيت علم إلا وهو الرافد لأمثاله، وهو في الوقت نفسه الرديف لها جميعاً والمسترفد منها جميعاً؛ فبيت المعرفة في حاجة إلى المزيد وهو في طاعة إلى التزود منه، وفي الساحة اليوم وفي بلدنا هذا الكريم الكيان الكبير جزيرة العرب أبوة الدين واللغة وأمومة المعرفة التي انتشر أثرها وتأثيرها في أرض العروبة، بل وفي أرض كل مسجد؛ لأن هذا البلد أشرق منه نور الإسلام، نور المعرفة والهداية؛ ففي الساحة سؤال لماذا لم يؤسس في بلدنا مجمع للغة والعلم، وقد توسعت المعرفة فكثرت الروافد من جامعات، ومدارس، ومثقفين من ذوي الاختصاص في فروع العلم، ومن حفظة اللغة. فالمجمع رافد يسترفد والجامعة هي كذلك؛



فادعاء الكمال في المعرفة انتقاص لها ، والرغبة في المزيد من المعرفة هو كمها  
وتمامها . فلدينا العدة والاستعداد والمدد والامتداد التي لا يتعثر بها  
المجمع ، فعندنا رجلان عالمان عضوان في المجمع الكبير في القاهرة وهما : حمد  
الجاسر ، وعبد الله بن خميس سبق لهما ذلك يوم كان العلماء فينا قلة فكيف لا  
يكون الآن وقد أنعم الله علينا بهذه الكثرة الوافرة .

ومُلححة لا بد أن نحكيها لم يضر بها مجمع اللغة بالقاهرة ، وإنما كانت ضرورة  
أشرفت بها معرفة ما كان يجهلها الأزهري والدرعمي ، وإنما كان التذكير بها علماً  
من العلم ومعرفة للتعريف ؛ فحين تأسس مجمع القاهرة ما اختاروا له إلا من  
علماء الأزهر الشريف ودار العلوم فلم ينضم إليه علمٌ عربي من غير مصر أو  
مصري غير درعمي أو أزهري ، ولكن انضم إليه ما يسمونهم المستشرقين ، ويحلو  
لي أن أسميه المستعرب ، من هؤلاء الأوروبيين ومنهم (الدكتور فيشر) الذي عشق  
اللغة العربية فعشقه حين أعطته الإحاطة بها . جلس رجال المجمع من أهل  
اللغة العربية فأخذوا يتلون جدول المراجع : القاموس واللسان والمختار . وما  
إليها فإذا الدكتور فيشر ، وقد انتهوا من القراءة ، يقول : هذه كل المراجع ؟ لم  
تركوا مرجعاً فإذا هم يستغربون قائلين ما تركنا ! فقال الدكتور فيشر الجرمانى  
المستعرب كلمته الصادقة (وأين القرآن ؟ ! ) فإذا هم على حال لا يستغرب وإنما  
يعجب وكيف تذكر هو . حدثنا بذلك الدكتور محمد حسين هيكل .

● محمد حسين زيدان ●

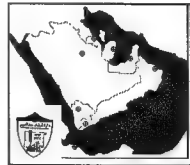


# تأملات في قضايا ومشكلات

## تاريخ الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام

د. سيد أحمد علي الناصري

من أكبر أخطاء وعيوب المستشرقين الذين كتبوا (بل واحتكروا الوقت طويل الكتابة) في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام أنهم متأثرون بشدة بحرفية نصوص التوراة، خاصة فيما يتصل بتاريخ العرب القدماء، وللحفاظ على هذه



الحرفية يحولون أحياناً مجرى الأحداث، ويلوون الحقائق الواضحة، لكي يتماشى ذلك التفسير مع ما ورد في نصوص التوراة، وهذا يذكرنا بالمرحلة التي

كان فيها المؤرخون أسرى لنصوص الإلياذة . حيث فسروا المكتشفات الأثرية في ضوء أبياتها على نحو ما فعل شليمان .

وكذلك فإن هؤلاء المستشرقين قلما يرجعون إلى القرآن الكريم الذي هو أدق المصادر وأكثرها معرفة بأحوال العرب في جاهليتهم الأولى والثانية ، ناهيك عن أنه مصدر رباني لم يتعرض لأقلام البشر ، وصدق الله العظيم في قوله تعالى : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . . »

وكذلك فإن هؤلاء المستشرقين قلما يرجعون إلى كتب التراث العربي ، أو إلى كنوز الشعر الجاهلي ، ليستخرجوا منها معلومات تساعد على استكشاف تاريخ العرب في الجاهلية ، ويفضلون عليها نصوص المصادر الإغريقية والرومانية<sup>(١)</sup> والتي رغم اعترافنا بأهميتها ، لكنها هي الأخرى كما ثبت من الدراسات الحديثة لم تفهم تراث الشرق الذي كان في نظرها غريباً وأسطورياً . وهذا ما يتضح من كتابات هيرودوت عن جزيرة العرب ؛ أو كتبت لأهداف سياسية كما هو الحال في النصوص الرومانية ؛ كما أن عقدة الغرب وإحساسه بالاستعلاء والتعالي على شعوب الشرق ، وجهله بها ، جعلته يتحدث عن جزيرة العرب من وجهة نظره ؛ ومن ثم يجب ألا نأخذها أخذ الإيمان الكامل بصحتها ؛ وبناء على ذلك لو قدر لنا أن نضع منهجاً عربياً لدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام لأعدنا ترتيب المصادر التي يجب أن يكون في مقدمتها القرآن الكريم ، والحديث الشريف يليهما النقوش العربية القديمة و مكتشفات الآثار ، ثم يلي ذلك التوراة الحالية ونصوص الكتاب الإغريق والرومان . ولأثبت للقرّاء الكريم قولي هذا ، فسوف أوضح أمثلة للتجاوزات والأخطاء التي

وردت في كتاب مونتجمري Montgomery عن جزيرة العرب والتوراة Arabia and the Bible والذي كان في الأصل عبارة عن مجموعة من المقالات التي ألقيت عام ١٩٣٠، ثم أصدرها في كتاب عام ١٩٣٣، ثم أعيد نشر الكتاب مرة أخرى عام ١٩٦٩<sup>(٢)</sup> بعد أن كتب له الأستاذ جوس فان بيك Gus Van Beek مقدمة طويلة حاول فيها برفق تصحيح أخطائه وفض الاشتباك بين تاريخ العرب القديم - كما كتبه المستشرقون الأوروبيون واليهود في ضوء التوراة - وبين الحقائق الجديدة، التي كشفت عنها أعمال التنقيب والمسح الأثري التي تمت بعد الحرب العالمية الثانية، غير أن الأستاذ بيك نفسه لم يستطع فض هذا الاشتباك تمامًا للأسباب التي ذكرتها آنفاً، بالإضافة إلى نتائج المزيد من أعمال المسح والتنقيب التي تمت بعد عام ١٩٦٩ خاصة تلك التي تمت في المملكة العربية السعودية في الآونة الأخيرة، وخاصة في موقع الفاو، والتي ننتظر بفارغ الصبر نشر نتائجها نشرًا علميًا يروى عطشنا، وبعد نشر أعمال الندوة العالمية الثانية<sup>(٣)</sup> التي خصصت لمصادر تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، والتي شارك فيها عدد كبير من المتخصصين جاءوا من الشرق والغرب ليدي كل بدلوه. وأخيرًا وليس آخرًا نقول إن العقل العربي يجب أن يستيقظ من سباته ويقول كلمته ليحرر تاريخ أشرف بقعة في بلاده من احتكار مفسري التوراة، ومن هيمنة العقل الأوروبي الذي يجب ألا ننظر إليه بمثل هذه القداسة لأنه أيضًا يخطئ ويسيء الفهم، وعلى حد قول المثل العربي «أهل مكة أدرى بشعابها» . .

لقد مرَّ الآن ما يقرب من ستين عامًا منذ أن أصدر جيمس مونتجمري كتابه سالف الذكر، والذي درس فيه الجزيرة العربية وعلاقتها ببني إسرائيل في فلسطين، من الجوانب العرقية والثقافية والاقتصادية؛ واعتمد في دراسته على

حقول واسع من المصادر، شملت النواحي الجغرافية واللغوية والأدبية والأثرية؛ وقرآن بينها في تناسق دقيق، مستخدمًا كلاً منها في الوقت المناسب للوصول إلى الهدف المنشود، وكأنه قائد عام لجيوش يحرك فرقه المختلفة بمهارة في الوقت المناسب، وبالتنسيق المتكامل مع سائر الفرق الأخرى، لاقتحام موقع معين تنفيذًا لخطة معينة. ولقد كان مونتجمري فطنًا في التمييز بين المصادر الأساسية، وبين المصادر الهامة وبين العامة؛ وجاء حكمه على بعض القضايا إلى حد ما متزنًا. وهو لا يزال - رغم أخطائه - وتجاوزاته - من المؤلفات الجيدة التي غطت تاريخ الجزيرة العربية القديم، وعلاقتها مع جيرانها في عصور ما قبل الإسلام.

غير أن ستين عامًا ليست بالعمر القصير في عالم يطلق أقصى طاقاته في مجال البحث والفكر، مستخدمًا الامكانيات الهائلة التي يسرتها النهضة التكنولوجية وثورة المواصلات، فضلاً عن النهضة التي تشهدها الجزيرة العربية ودولها منذ نهاية الحرب العالمية، وحمل جامعاتها الفتية رسالة البحث عن تاريخها العريق، وإزاحة تلال الرمال عنه؛ وبالامكانيات الاقتصادية الهائلة جذبت إليها سيلاً من العلماء من كافة أنحاء العالم، وقيامها لأول مرة بالتنقيب عن آثارها بسواعد أبنائها؛ كل هذا غير من ظروف الدراسة ومناخها، فقد كشفت أعمال التنقيب عن مصادر جديدة، وصححت مفاهيم تقليدية عتيقة، ووضعت ملامح جديدة لتاريخ الجزيرة العربية القديم؛ وحققت له استقلاله عن التبعية لتاريخ بني إسرائيل القديم، الذي كان الهدف الأول لكثير من المستشرقين. ومن ثم بدأت إعادة النظر في آراء جيمس مونتجمري.

وأول ما أخذ على جيمس مونجمري، أنه لم يضع قدمه قط على أرض الجزيرة<sup>(٤)</sup>، ولا شاهد آثارها، ولا عاش ظروف الحياة فيها، بل درس على الورق وعلى بعد آلاف الأميال، إنما اعتمد على ما كتبه الآخرون، أو نقل إليه سماعاً؛ وفي ضوء تفسير ما ورد في التوراة؛ فأخذ عليه ما سبق أن أخذناه على أول مؤرخ غربي كتب عن الجزيرة العربية دون أن يتجول فيها أو يشد الرحال إليها. ولعل أقدم من تحدث عن العرب من اليونان هو «إسكيلوس» (٥٢٥ - ٤٥٦ ق. م) ثم جاء من بعده المؤرخ اليوناني المشهور أعني هيرودوت (٤٨٤ - ٤٣٠ ق. م)، فجاءت كتاباته مليئة بالمفاهيم الخاطئة، منها على سبيل المثال لا الحصر اعتباره الجزيرة العربية صحراء قاحلة؛ صحيح أن الصحراء تشغل مساحة كبيرة منها، لكن ليست الجزيرة العربية كلها صحراء. فاصطلاح الصحراء من الناحية الجغرافية والبيئية تعني الأرض القاحلة الجرداء السويدة، التي تندر فيها النباتات والحيوانات ومصادر المياه، وتكاد تخلو من السكان إلا من بعض قبائل البدو الرحل التي تعيش في عالم منعزل؛ ومن ثم طورت ثقافتها وطريقة معيشتها، وطباعها وقوانينها الأخلاقية في ضوء ظروفها البيئية، بينما الواقع غير ذلك؛ فالجزيرة العربية وجود جغرافي، أو شبه قارة كبيرة، يفوق حجم شبه القارة الهندية بكثير، وذات مناطق تضاريسية وبيئية ومناخية متنوعة، ففيها الجبال الخضراء العالية، والوهاد المنبسطة الزراعية، وفيها مناطق ساحلية طويلة ذات موانئ تجارية هامة جذبت إليها التجار من جنسيات وقوميات مختلفة<sup>(٥)</sup>، وتلاقت فيها حضارات متنوعة، وكان لسكانها نشاطات عديدة. كما كان لوجود حضارات عريقة كبرى تحيط بها وتفتح عليها، كحضارة بلاد الرافدين في الشمال الشرقي، وحضارات الآراميين والكنعانيين في الشمال، وحضارة المصريين على الجانب الآخر من البحر الأحمر، تأثير كبير عليها، بالإضافة إلى

ذلك فقد ثبت من الدراسات البيئية الحديثة أن الصحراء لم تكن أبداً عازلاً بين الحضارات، بل كانت معبراً لها<sup>(٦)</sup>، فوجود الطرق والمدقات سواء الرأسية أم الأفقية، ودخول الجمل، سفينة الصحراء، تلك الدابة الرائعة التي وهبها الله لسكان الصحارى لتنقل على ظهورها التجارة والحضارة، عبر مناطق نائية في صبر وأناة، وليربط بين أجزاء العالم المسكون، لكن ذلك لا يمنع من الاعتراف بأن الصحراء قد لعبت دورها في تشكيل الثقافة والطباع العربية، أو ما يعرف بالأخلاق الصحراوية: Desert Ethos، ومن ثم فقد كان الرومان على حق عندما ميزوا بين مناطق الجزيرة المختلفة، فقسموها إلى ثلاث مناطق بيئية كبرى، هي: بلاد العرب الصحراوية Arabia Deserta، وبلاد العرب الصخرية Arabia Petraea، وبلاد العرب السعيد Arabia Felix؛ بل كان الجغرافيون المسلمون أكثر دقة من الرومان؛ عندما قسموها إلى خمس مناطق بيئية وجغرافية كبرى هي: تهامة أو السهول الساحلية، والحجاز، ونجد، واليمن، واليهامة أو العروض (أي الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة). ومن ثم فإن الخلط بين الصحراء وشبه جزيرة العرب، واعتبار الاثنين مترادفين، هو ثمرة الدراسة النظرية البحتة؛ التي وقع فيها مونتجمري وغيره من المستشرقين، الذين لم يزوروا الجزيرة، ولم يتجولوا بين ربوعها المختلفة.

لقد خلط المستشرقون بين سبأ اليمن في الجنوب Sheeba، وسبأ الحجاز في الشمال (معان مصران) من ناحية؛ وبين سبأ اليمن العربية؛ وسبأ إفريقيا المتزوجة من ناحية أخرى. وتفسير ذلك واضح وهو اعتمادهم في الرأي على ما جاء في التوراة (سفر التكوين ١٠: ٦) من أن القبائل العربية انخرطت من نسل حام بن نوح، ومن ثم فإن شيبا Sheeba، وسبأ، ودادان، وغيرهم من العرب هم أبناء كوش الأفريقي. ولقد ظل هذا الاعتقاد سائداً لوقت طويل، ولكي

يوفقوا بين ما جاء في التوراة، وبين الواقع التاريخي الذي لا يؤيد ذلك، زعم المستشرقون أن العنصر الأفريقي في عصور ما قبل التاريخ جاء من جنوب الجزيرة العربية عبر القرن الأفريقي؛ وصدق ذلك علماء الأجناس، غير أن (والحق يقال) . . . . مونتجمري كان أول من ضرب بمعوله ليهدم ذلك الرأي، موضحاً أن توزيع الأجناس على الأرض أضيف إلى التوراة لأسباب سياسية تاريخية. فبعد أن رجع إلى نتائج أعمال التنقيب في كل من أفريقيا وبلاد العرب خرج على التفسير التوراتي، موضحاً أنه في عصور ما قبل التاريخ، لم يكن هناك مظاهر اتصال سكاني بين الجزيرة العربية وأفريقيا<sup>(٧)</sup>. وأن الاتصال بين الشعبين لم تتضح معالمه بشكل مؤكد إلا في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، وربما بدأ بالتسلل العربي عبر مضيق باب المندب إلى أفريقيا منذ القرن العاشر ق. م أي في الوقت الذي حكم سليمان بن داود عليه السلام؛ وبمعنى آخر في الوقت الذي تم فيه الاتصال بين ملكة سبأ وبين سليمان، وحدث التزاوج بينهما وإنجاب الملك سليمان ولدًا هو منليك، الذي أصبح الجد الأول للأحباش، والذي أطلق عليه ابن الحكم، وبقدوم القرن الثامن ق. م كانت الهجرات العربية قد اكتملت واستقرت في أفريقيا، وبذلك تكونت سبأ الأفريقية (التي تكتب وتنطق سيبا Seeba وربما لذلك علاقة باللفظ صوبا)، ومن ثم أصبح هناك شيبا العربية وسيبا الأفريقية.

وبالرغم من أن مونتجمري نجح في فض الاشتباك العلمي بين السبأتين: العربية الجنوبية، ونظيرتها الأفريقية على الجانب الآخر من البحر الأحمر، إلا أنه استمر يخلط بين سبأ الجنوب، وسبأ الشمال (في شمال غرب الحجاز)، فلقد اعتقد مونتجمري، كما اعتقد غيره من المستشرقين الذين حاولوا كتابة تاريخ الجزيرة القديم في ضوء التوراة، أن السبئيين وجدوا أول ما وجدوا في منطقة

شمال غرب الحجاز القريبة من فلسطين ، ثم هاجروا من هذه المنطقة جنوباً إلى اليمن ، ولعل مبعث هذا الاعتقاد الخاطئ تفسير ما ورد في حوليات سرجون الثاني (٧٢٠ - ٧٠٤ ق.م) وحوليات ابنه سنخريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق.م) حيث ورد في نقوشهما اسم ملكين سبئيين هما ايتيامارا Itiamara وكاريب ايلو (كرب ايل) أخضعهما هذان الملكان الآشوريان ، وأجبراهما على دفع جزية سنوية . ولأن المسافة بين آشور وسبأ الجنوب بعيدة جداً ؛ فقد فسر دارسو النقوش الآشورية أن ايتيامارا وكرب ايل ، لابد وأن يكونا ملكين في شمال غرب الحجاز لقربهما من بلاد ما بين النهرين ؛ واستخدموا هذا التفسير لدعم مقولة التوراة من أن مملكة سبأ وجدت بالقرب من فلسطين<sup>(٨)</sup>.

وهكذا تكون الاعتقاد بأن الأصل في سبأ كان في الشمال ؛ غير أن إعادة النظر في النقوش الآشورية ، تبين أن سرجون الثاني وابنه سنخريب لم يقولوا صراحة ونصاً بأنها قاما بغزو سبأ ، وإنما جعلاهما تدعن لهما ، وتقبل دفع الجزية لهما ، وهذا ممكن بدون قتال وله سوابق في التاريخ القديم ، فقد خضع جنوب الجزيرة ذات مرة لهيمنة ملوك الحيرة بدون قتال أو حروب . ومن ناحية أخرى فإن هذا النقش وما ورد في التوراة يؤكدان أنه كان هناك سبئيتان ، واحدة في الجنوب والأخرى في الشمال ، وقد تكونت الأخيرة من مجموعة مستوطنات بعث بها الجنوب لحراسة طرق القوافل في الشمال ؛ خاصة أن في مثل هذه المنطقة تشعب طرق القوافل إلى بلاد الرافدين والشام وآسيا الصغرى وفلسطين ومصر .

وكلما ضعفت المملكة الأم في الجنوب ، ازدادت مملكة الشمال قوة وازدهاراً ، وبمرور الزمن بدأ فارق حضاري يفصل بين السبئيتين ، فقد بدأت سبأ الشمال تتعرض لتيارات الحضارة الآرامية والكنعانية والمصرية واهلليستية (وبالذات مع بطالة الإسكندرية) ، ومن ثم حدث تباعد تدريجي بين المملكتين ، لم يشمل



فقط الجوانب الحضارية، بل شمل الجوانب اللغوية أيضا، كما شمل هذا التباعد المصالح والعلاقات السياسية. فعندما اشتعل الشرق الأدنى في العصر الهلنستي في حرب ضروس بين السليوقيين في الشام، ومنافسيهم البطالمة في مصر نجد كل واحدة من السبئيتين تقف إلى جانب خصم؛ فبينما وقفت سبأ الشمال مع أصدقائها البطالمة، وقفت سبأ الجنوب مع السليوقيين وحلفائهم الأنباط؛ وربما أرادت سبأ الجنوبية أن تخضع المملكة الشالية التي استقلت عنها، منتهزة فرصة اندلاع الحرب بين السليوقيين والبطالمة. ولقد كشف عن ذلك النقش الشهير رقم (R.3022; No. 46)<sup>(٩)</sup> وهو عبارة عن قربان وشكر واعتراف بالجميل بعد النجاة، قدمه كبير المستوطنة المعينية في دادان لألهة معين ويائيل «لأنها قامت بإنقاذهما مرتين من الخطر، مرة عندما تسببت حرب اندلعت بين الميدين والمصريين في تعريض حياتهما وتجارتهما للخطر خلال إقامتهما في مصر للتجارة والسوريين والبابليين» (في الإسكندرية)<sup>(١٠)</sup> ومرة أخرى وهما في طريقهما عائدين قدما الشكر لهذه الآلهة «لأنها تولت تحصين قلاع مدينتهم يائيل Yathil» التي لم تكن تبعد كثيرا عن معين مصران عندما تعرضت لهجوم السبئيين «في حرب الجنوب والشمال»<sup>(١١)</sup> ويؤكد وزير كاسكل Werner Caskel أن كل الشواهد، تؤكد أن هذه الحرب هي معركة رفع الشهرة التي حدثت في شهر حزيران عام ٢١٧ ق.م، عندما قام أنطيوخوس الأكبر بمحاولة لغزو مصر، لكنه رد على أعقابيه خاسرا على يد بطليموس الرابع فيلوباتور ووزيره الخفيف سوسيبيوس. وكما لاحظ تارن W.W Tarn<sup>(١٢)</sup> أن النقوش المصرية الهيروغليفية كانت تشير إلى السليوقيين باسم الفرس، وكذلك لاحظ التهايم شتيل Altheim Stiehl<sup>(١٣)</sup> في كتابه العرب في التاريخ القديم بأن النقوش العربية تشير إلى السليوقيين باسم الميدين الفرس، بل ذكر سترابون

الجغرافي<sup>(١٤)</sup> أن أنطيوخوس كان يلقب نفسه باسم ملك ميديا (وسوريا)، ومن ثم فلا جدال في أن السبثيين الجنوبيين كانوا في هذه الحرب حلفاء للسليوقيين، وانهزوا الفرصة لإخضاع الشمال وإعادةته إلى حظيرة المملكة السبئية<sup>(١٥)</sup> الأم. ولقد أمكن تحديد اسم أحد هذين الكبيرين من خلال مقارنة النقوش اللحيانية الأخرى إذ تبين أن «أبى يدع يطح» حكم ثلاثين عامًا ابتداءً من عام ٢٢٥ ق. م. وحتى ١٩٥ ق. م. في أول الأمر حكم بالاشتراك مع آخرين، ثم حكم بمفرده وأخيرًا بالاشتراك مع ولده، وأنه بالفعل عاصر الحرب الكبرى وتحدثت نقوشه الأخرى عن علاقاته التجارية مع مصر والشام، وأنه حفيد سلالة جاءت من الجنوب<sup>(١٦)</sup>.

لقد أصبح الآن ثابتًا أن المملكة السبئية قامت أولاً في الجنوب، وكانت عاصمتها مأرب. وقد أجريت دراسات على الفخار الذي عثر عليه في خرائبها، ثبت منها أن موقع مكانها كان مأهولًا بالسكان منذ القرن التاسع ق. م. وأن بداية استيطانها يرجع إلى القرن الحادي عشر ق. م.<sup>(١٧)</sup>، كما كشف أعمال التنقيب أن حضارة شمال الجزيرة تختلف عن حضارة جنوب الجزيرة، رغم أن الأصل واحد، فقد تلقحت حضارة شمال الجزيرة مع عدة حضارات منها حضارة بلاد الرافدين وحضارة الشام القديم، وحضارة مصر الفرعونية، ومصر الهلنستية، ومع تيار الحضارة الإغريقية والرومانية. كما تعرض سكان الشمال للاختلاط العنصري مع عناصر سكانية مختلفة، فاكتمسوا البشرة البيضاء والقامة الطويلة نسبيًا، والشعر الأسود المسترسل، ولذلك عرفوا بالعرب المستعربة أو بالعدنانيين، بل إن اللغة السامية الشمالية اختلفت عن اللغة السامية الجنوبية رغم أن الاثنتين خرجتا من رحم واحد. أما الجنوب فقد بقي محافظًا - بقدر الإمكان - على عنصره العرقي واللغوي ولم يتعرض للاختلاط إلا

مع العنصر الأفريقي فاكسب منه البشرة الداكنة والشعر الأجعد، وربما بعض الملامح المتزنجية، ورغم ذلك فقد كانوا يصفون أنفسهم بالعرب العاربة أو القحطانيين. وبمرور الزمن ازدادت الهوة بين الشمال والجنوب. ولعل في سيرة إسماعيل عليه السلام - جد العرب العدنانيين - ما يرمز إلى ذلك الاختلاط، فهو من أب آرامي وأم مصرية وتزوج من قحطانية. ولعل في قصة عمرو بن لحي - صاحب الأصنام - ما يرمز إلى الاختلاط الحضاري الذي تعرض له الشمال، عندما ذهب إلى عيون الحمة للاستشفاء وعاد معه تمثال هبل، الذي وصفه الرواة بأنه تمثال صغير، مصنوع من حجر العقيق، يمثل شاباً واقفاً في استرخاء، ويكاد الباحثون يجمعون على أن هبل هو اسم محرف للرب الأفريقي Ho Apollor<sup>(١٨)</sup>، فإذا حذفنا النهاية المتغيرة في الاسم أصبح «هوبول» Ho Apoll الذي تحول إلى هبل، وهناك أمثلة كثيرة على هذا الامتزاج الحضاري في الشمال نلاحظه من خلال دراسة الأسماء العربية الشمالية. أما في الجنوب فقد تأثر بالثقافة الأفريقية عندما دخلت بعض آلهة شرق أفريقيا مثل مدر وبراص إلى مجمع آلهة العرب الجنوبية<sup>(١٩)</sup>.

ولو كان ما يعتقد دارسو تاريخ الجزيرة العربية في ضوء تفسير التوراة صحيحاً من أن السبئين أصلاً كانوا يستوطنون الشمال، ومنه هاجروا إلى الجنوب، لوجدنا آثارهم الحضارية واللغوية هناك على الأقل لفترة زمنية قبل أن تذوب في حضارة الجنوب، إلا أن الواقع غير ذلك، فالآثار التي عثر عليها في العلا (ديدان) والحجر وتيما مختلفة تماماً عن آثار الجنوب. وهنا يفرض سؤال نفسه إلى أي حد امتدت حضارة الجنوب شمالاً وإلى أي حد امتدت حضارة الشمال جنوباً وعند أي نقطة أو منطقة التقينا؟ وهو سؤال نتركه لعلماء الآثار للإجابة عنه، ومن ثم فإن الرأي العتيق بأن السبئين جاءوا في الأصل من الشمال

إلى الجنوب دعوى لا يؤيدها في الحقيقة لا الواقع ولا الوثائق ، فاهجرات السامية كانت دائماً من الجنوب إلى الشمال تجاه مصادر المياه الدائمة مثل الأنهار؛ ومن أبسط الأدلة أن حدوث انفجار سد مأرب في القرن الخامس الميلادي الذي تسبب في سيل العرم، وهو الذي أدى إلى حركة هجرة على نطاق واسع من الجنوب إلى الشمال، نتج عنها انتشار قبائل الجنوب في الحجاز وفي وسط الجزيرة مثل الأزد، والأوس، والحزرج، والغساسنة وطى ومذحج وهمدان، وكلها نسبت نفسها إلى جد واحد جنوبي هو كهلان؛ ومثل قضاة وجهنة وكنب التي نسبت نفسها إلى جد واحد جنوبي هو حمير. فأغلب قبائل العرب في الشمال تفاخرت على طول التاريخ بأصلها العريق في الجنوب، وتعلن تفاخرها بشرف الانتساب إلى قبائلها، ولم يحدث أبداً أن تفاخرت إحدى قبائل الجنوب بشرف الانتساب إلى جد شمالي.

والمنطقة الثالثة التي لها وجود تاريخي متميز هي منطقة الساحل الجنوبي الشرقي وسواحل الخليج العربي والساحل الشرقي للجزيرة، فقد كانت هذه المنطقة من أقدم المناطق التي استوطنها الإنسان في الجزيرة، إذ تمتد آثار الإنسان فيها إلى عصور ما قبل التاريخ<sup>(٢٠)</sup> ومنذ الألف الثالثة ق. م كانت امتداداً لحضارات بلاد النهرين خاصة ما جان (التي يظن أنها عمان الحالية) وميلو (ربما سواحل الخليج)، وظلت تساهم في رخائها بفضل اتصالات هذه المنطقة بحضارات الهند القديمة<sup>(٢١)</sup>، وقد ثبت ذلك من العثور على أختام تشبه الأختام التي عثر عليها في الموهانجودارو وحرابا. وظلت هذه المنطقة تحت تأثير حضارات الرافدين حتى سقوط آشور، ثم تحولت للتنفوذ الفارسي في مطلع القرن الخامس ق. م أثناء الصراع بين الإمبراطورية الفارسية ودويلات المدن الأفريقية

حيث فتحت امبراطورية الفرس حدودها للتجار خاصة للأ يونيين الإغريق من ساحل الأناضول، الذين أصبحوا جزءاً من الإمبراطورية الفارسية، بل فتحت أبوابها لجيوش المرتزقة من الإغريق، ومن ثم كانت منطقة الخليج معبراً لهؤلاء التجار في طريقهم إلى بلاد الفرس أو عائدین منها، فقد شهدت فترة الصراع بين الفرس والإغريق مراحل مد وجزر تخللها تعاون وتحالف وحروب؛ ويدل على ذلك العثور على عدد من النقوش الإغريقية على سواحل الخليج بعضها بكل تأكيد يرجع إلى ما قبل مرحلة الفتح المقدوني.

ومن الجدير بالذكر أن أول من تحدث عن الجزيرة العربية وسكانها هو هيرودوت<sup>(٢٢)</sup> وذلك ضمن دراساته عن الولايات التابعة للإمبراطورية الفارسية. وبالطبع تدفقت الحضارة الإغريقية على هذه المنطقة بعد الفتح المقدوني، فقد مر الإسكندر بالخليج وهو في حملته على الفرس، كما كان يحلم بجعل الخليج شرياناً حياً لاقتصاد إمبراطوريته المقدونية، والتي كان يخطط لجعل بابل، التي لا تبعد عن الخليج كثيراً، عاصمة لها؛ ولهذا فإن دراسة منطقة الخليج وساحل الجزيرة الجنوبي الشرقي والشرقي تشكل تخصصاً ووحدّة دراسية مستقلة عن اليمن وعن الحجاز. صحيح قد يكون الأصل في حضارة الجنوب مهاجرون جاءوا من بلاد الرافدين بعد سقوط بابل، لكن حبل السرة بين هؤلاء المهاجرين وبلاد النهرين قد انقطع بعد ذلك، فشرعوا يطورون حضارتهم المستقلة، غير أن «برايان دو»<sup>(٢٣)</sup> تعرف على بعض الجذور البابلية في فن جنوب الجزيرة العربية، كما أن الخبرة العريقة في بناء السدود وحفر قنوات لتوزيع الري هي ثمرة خبرات آلاف السنين، وقد جاء بها المهاجرون من بلاد الرافدين.

ومن أهم الموضوعات التي شغلت اهتمامات دارسي تاريخ الجزيرة القديم من

خلال نصوص التوراة، هو تجارة القوافل بين الجزيرة وفلسطين<sup>(٢٤)</sup> فقد اعتبرت التوراة جزيرة العرب مصدر المواد الكيماوية الفاخرة التي يستخدمها المترفون وأولو النعمة، كالذهب والعطور والبخور والتوابل واللؤلؤ وخشب الصندل والحريز وريش النعام والخيول العربية الأصيلة، وهذا يبين أهمية الجزيرة العربية في اقتصاد بلاد الشام عامة وفلسطين خاصة. فقد كان التجار العرب يحتكرون تسويق البخور واللبن بنوعيه اللادن والمر، وكان ذلك يجلب ثروة كبيرة لهم، ففي سفر الملوك الأول الإصحاح العاشر الذي يروي وقائع زيارة ملكة سبأ لسليمان في «أورشليم» حاملة معها أطياباً وذهباً كثيراً جداً وحجارة كريمة «وأن كمية الذهب بلغت مئة وعشرين وزنة ذهب» وأن الطيب والحجارة الكريمة لم يكن لها مثيل من حيث النوع والكم<sup>(٢٥)</sup>، ويتكرر نفس الكلام في سفر أخبار الأيام الثاني الإصحاح التاسع<sup>(٢٦)</sup>، ولقد ذكرت التوراة أن سبب الزيارة هو طلب المشورة والحكمة التي اشتهر بها سليمان، كما أنها سمعت بثرائه وبذخه، فأرادت أن تثبت له أنها تفوقه ثراءً وبذخاً، ويرى قان بيك أن الملكة لم تقطع رحلة شاقة تزيد على ٢٤٠٠ كيلو متر عبر المرتفعات والبطاح، والجبال والوهاد، من أجل مناقشة أمور ثقافية وفكرية دفعت مقابلها ثمناً باهظاً، إنما جاءت في مهمة سياسية واقتصادية<sup>(٢٧)</sup>، وهي تأمين طرق القوافل في الشمال التي تمر عبرها التجارة القادمة من بلادها في الجنوب، فقد كان طريق القوافل الرأسي الذي يبدأ من عدن في الجنوب، ويسير في حذاء جبال السراة حتى ديدان، والتي عندها يتفرع طريق يتجه إلى تيماء إلى موانئ الخليج وبلاد الرافدين، ويستمر هذا الطريق الذي عرف «بطريق الملك» شمالاً حتى الشام، والأناضول، وكانت بعض أجزائه تمر بمدن فلسطين مثل أورشليم، وبيت لحم، والسامرة؛ وتعتبر صحراء النقب ووادي عرابة حتى غزة ميناء تصدير

التوابع العربية إلى دول البحر المتوسط بحرًا وإلى مصر برًا. ويرى قان بيك أيضا أن داود ومن بعده ولده سليمان حرصا على السيطرة على جزء من طريق القوافل الذي يمر بشرق الأردن وجنوب فلسطين، لجباية الأتاوات والمكوس، وبذلك تحكما في المنافذ الرئيسية للتجارة العربية. ولم تحدد التوراة اسم الملكة السبئية بالاسم وكذلك فعل القرآن الكريم، غير أن التراث الشعبي الجنوبي ذكر أنها كانت تدعى بلقيس، وذكرها التراث الأفريقي باسم «المافدة» التي تزوجت من حكيم (أي سليمان).

ولقد روى القرآن الكريم في سورة النمل أخبار هذه الزيارة، ولم يركز على الجانب المادي كما فعلت التوراة، بل ركز على الجانب الروحي، بالإضافة إلى قدرة الله الذي وهب سليمان حكما وعلمًا، وسخر له الجن وعلمه لغة الطير، ويوضح القرآن الكريم أن سليمان هو الذي سعى إلى ملكة سبأ، وليست ملكة سبأ هي التي سعت إلى سليمان، فكتب لها رسالة يدعوها إلى نبذ عبادة الشمس (اللات) وعبادة خالقها «**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**»، وأن تتنازل الملكة عن كبريائها واستعلائها «**أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ**» (٢٨)، ولما استفتت ملكة سبأ قومها بعد إنذار سليمان، قبل السبئيون التحدي: «**قَالُوا نَحْنُ أَوْلَىٰ قُوَّةً وَأُولُوا بَابِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْنَا فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**» (٢٩)، فأثرت الملكة أن تتجنب سليمان وجيوشه، وشراء رضاه بإرسال هدية فاخرة، لم يذكر القرآن فحواها، «**وَأَتَتْهُمُ الْمَلِكَةُ بِهَدِيَّةٍ فَنَظَرُوا فِيهَا فَطَرَفُوا أَنَّهُمْ يُرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**» (٣٠). وبينما نجد سليمان في التوراة يفرح بهدية الملكة، نجده في القرآن الكريم يحترقها قائلاً: «**أَتَيْدُونَنِي بِمَا لِي فَأَمَّا أَتَيْنَاءَ اللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا آتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**» (٣١) وتجبر الملكة على الذهاب إلى سليمان مسيرة بقوة سحره، وترى بعينها عظمته وتندesh

لقصره الفاره، وينتهي الأمر برضوخ الملكة لسليمان: «قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (٣٢).

إننا لا ننكر أهمية التجارة وطرق القوافل لسباً، إذ لا تستطيع المملكة أن تقوم بدونها Sine qua non لأن اقتصادها يقوم على تجارة البخور والعطارة، وربما سعى داود وسليمان عليهما السلام للسيطرة على طرق القوافل كما حاول بطليموس الثاني<sup>(٣٣)</sup> أن يفعل فيما بعد، غير أن القرآن الكريم يضيف بعداً جديداً وهو الصراع الديني بين وثنية الجنوب ووحداية الخالق في الشمال، وهو أمر قديم يرجع إلى حكم الفرعون أمنحتب الرابع الملقب بأخناتون (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق. م) ويدافع الأستاذ «بيك» عن رأيه في وجود ارتباط تجاري بين فلسطين القديمة وسبأ مشيراً إلى عثور جيمس كيلسو James Kelso أثناء تنقيبه عن الآثار في بيت لحم عام ١٩٥٦ م على أحد الأختام العربية الجنوبية، كما أشار إلى العثور من قبل على مبخرة عربية جنوبية في تل حمة بالضفة الغربية لنهر الأردن (والتي يسميها قصداً أو عفواً بالسامرة)، ويحاول أن يتخذ من هذين الشئتين دليلاً على وجود ارتباط تجاري وثيق بين الجزيرة العربية والمملكة العبرية<sup>(٣٤)</sup>، غير أن هذين الدليلين وحدهما لا يكفيان لكي نجزم بوجود خلط تجاري دائم، فلمباخر العربية عثر عليها في كل مكان، وهي حالة واحدة لم تتكرر حتى الآن، أما العثور على ختم عربي جنوبي واحد فلا يعني وجود تجارة دائمة، وعلى حد قول المثل الفرنسي: «ظهور عصفور واحد مبكراً لا يعني أن الربيع قد جاء»، كما أنه لم يعثر حتى الآن (على حد علمي) على أي مواد عبرية خلال التنقيبات التي أجريت في جنوب الجزيرة، ويدرك الأستاذ بيك ذلك فيبرر عدم العثور على المزيد من الأدلة أن الآثار العربية لم تعرف إلا حديثاً (١١) وأنه يتوقع العثور على المزيد منها مستقبلاً (١)<sup>(٣٥)</sup> ليبرهن على رأيه بأن المملكة



العربية سيطرت على منافذ التجارة العربية في الشمال، وإنني لا أدري كيف نقبل تبريراً كهذا رغم أن البعثات الأوربية جمعت آثار العرب الجنوبيين منذ أواخر القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر، بدءاً ببعثة كارستن نيوهر الدانمركي، وتمكن علماء الساميات من فك رموز الخط المسند وحل نصوص النقوش العربية؟؛ ويقول إنه حتى تاريخ إلقاء محاضراته (١٩٣٠) لم يكتشف في جنوب الجزيرة سوى بناء معماري واحد هو معبد المقه الواقع إلى الشمال من صنعاء والذي أزاح الرمال عنه راتجنز Rathjens وهرمان فون وايزمان Herman von Wissmann عام ١٩٢٨<sup>(٣٦)</sup>، مستبعداً المكتشفات الأخرى بأنها عديمة الفائدة العلمية ولا تساعد على الجزم برأي ثابت، وهو يعني بالطبع آلاف النقوش العربية الجنوبية التي هي باعتراف الجميع مفتاح السر إلى قلب الحضارة، متناسياً أن حل رموز الكتابة الميروغليفية كان بداية لعلم الدراسات المصرية.

والذي لا شك فيه أنه منذ الحرب العالمية الثانية أو قبلها بقليل حدثت ثورة في المعلومات فيما يختص بتاريخ وآثار الجزيرة العربية قبل الإسلام. فقد شهدت أقاليم الجزيرة نشاطاً محمومًا، قامت به بعثات أغلبها أوربية وقليل منها عربية وتركزت أعمال التنقيب في ثلاث مناطق من الجزيرة هي: اليمن بشطريه، والحجاز، ومنطقة الخليج. ففي اليمن قام رتشارد ليبارون بون Richard Le Baron Bowen بعمل مسح أثري لإقليم بيحان نشر نتائجه عام ١٩٥٨<sup>(٣٧)</sup> وفي مطلع الخمسينيات من هذا القرن قام الأستاذ الدكتور أحمد فخري<sup>(٣٨)</sup> بمساعدته زميله عالم الساميات المصري الكبير يحيى خليل نامي بعمل مسح أثري شامل لآثار ونقوش اليمن، ونشر الدكتور يحيى نامي نقوشه في حوليات كلية

الآداب جامعة القاهرة<sup>(٣٩)</sup>، كما قام كل من جوش فان ببيك Gus Van Beek وج. هـ. كول G.H. Cole وألبرت جام A.Jamme بعملية مسح أثري شامل لمنطقة حضرموت في اليمن الجنوبي نشر في عام ١٩٦٣<sup>(٤٠)</sup> كما قام ف. و. ألبرايت F.W. Albright بالتنقيب في قتبان نشر نتائجها عام ١٩٥٠<sup>(٤١)</sup>، ثم اشترك مع رتشارد ليبارون بوين بالتنقيب في جنوب الجزيرة ونشرا نتائج أعمالهما عام ١٩٥٨<sup>(٤٢)</sup>، كما قامت عالمة الآثار الألمانية جرتروود كاتون طومسون Gertrude Caton Thompson مع فريق من علماء الآثار التابعين لمؤسسة دراسة الإنسان Foundation for study of Man بالتنقيب في تمنع عاصمة قتبان القديمة بالقرب من باب المندب (كحلان الحالية)، وكذلك في حجر بن حميد في وادي يبحان، وفي معبد المقة (رب القمر) في مأرب عاصمة سبأ ( والمعروف باسم محرم بلقيس)، وكذلك في ظفار، وقد نشرت المؤسسة نتائج عمليات التنقيب في الجريدة في مجلد فاخر ظهر عام ١٩٤٤<sup>(٤٣)</sup>، ثم والت نشر أعمال التنقيب فلغ حتى الآن ستة مجلدات كاملة<sup>(٤٤)</sup>، وفي عام ١٩٦٢ نشر «جام» نقوش معبد محرم بلقيس السبئية<sup>(٤٥)</sup>. وفي عام ١٩٦٥ قام راي كليفلاند Cleveland بالتنقيب في منطقتي طفار وعمان وفي جنوب الجزيرة<sup>(٤٦)</sup>. وقام جون فان ببيك بنشر نتائج حفائره في حجر بن حميد عام ١٩٦٩<sup>(٤٧)</sup> وقام ريكمان Ryckmans ل. بنشر القوانين الملكية في معين وسبأ عام ١٩٥١<sup>(٤٨)</sup> وقام بيرتا سيغال Berta Siégal عام ١٩٥٨ بنشر نتائج حفائرها في تمنع وجنوب الجزيرة<sup>(٤٩)</sup>. وقام م. أ. سالمون M.E.Salmon بعمل مسح شامل للأدوات البرونزية في حجر بن حميد عام ١٩٦٩<sup>(٥٠)</sup> كما نشر برايان Brian Dowe نتائج دراساته للجنوب اليمني، صدر عام ١٩٧٢<sup>(٥١)</sup>.

أما في الحجاز فقد حظيت منطقة حائل باهتمام خاص ، فقد قام الأمريكيان وليام ريد William L. Reed وف . ف وينيت F.V. Winnett بمسح المنطقة الشمالية الغربية أثرياً وطوبوغرافياً عام ١٩٦٢<sup>(٥٢)</sup> ، ثم نشرنا نتائج مسحها لمنطقة حائل عام ١٩٦٧ بالاشتراك مع بتربار Peter Parr وجون دايتون John Dayton<sup>(٥٣)</sup> وقامت أناتي E. Anati<sup>(٥٤)</sup> بدراسة الصخور في الهضبة الوسطى نشرتها عام ١٩٦٨ وقام ج . ب . مانداقيل بدراسة عن شمال الجزيرة صدرت عام ١٩٦٣<sup>(٥٥)</sup> ، وفي وادي الدواسر وبالتحديد في قرية الفاو عند حدود الربع الخالي قام الدكتور عبد الرحمن الأنصاري بالتنقيب عدة سنوات . نشر نتائجها في مجلد صدر في الرياض عام ١٩٨٢<sup>(٥٦)</sup> ونحن ننتظر بفاغ الصبر نتائج هذه الحفائر متمنين أن تنشر نشرًا علميًا دقيقاً . كما قامت إدارة الآثار السعودية بإشراف الدكتور عبد الله حسن مصري بعمل مسح شامل للمناطق الأثرية في الحجاز شارك فيه كل من بتربار P. Parr وأدامز R.A. Adams وزارينز J. Zarins ، وآخرون وتوالى نشر نتائجها تباعاً في حوليتها الأطلال .

أما في منطقة الخليج العربي ، فقد نشطت أعمال التنقيب مع تعاظم أهميتها البحرية والبتروولية ، ولقد لفتت جزيرة البحرين (دلمون القديمة) أنظار الأثريين كهمة وصل بين حضارات الهند والصين من ناحية وحضارة الرافدين من ناحية أخرى ؛ وذلك حتى قبل الحرب العالمية ، فقد كانت حكومة الهند البريطانية تشرف وتشجع علماء الآثار على التنقيب في البحرين ، نذكر منهم إرنست ماكاي Ernest Mackay ، وهاردنج Harding وفلنورز بترى عالم المصريات الشهير وذلك عام ١٩٢٩<sup>(٥٧)</sup> ثم قام كورنول B. Cornwall بالتنقيب في البحرين ما بين ١٩٤٠ - ١٩٤١<sup>(٥٨)</sup> وفي عام ١٩٥٤ قام جلوب P. Globb بدراسة بداية

الاستيطان في الجزيرة والمدينة القديمة خاصة معبد بربر<sup>(٥٩)</sup>، كما قامت البعثة الدانماركية اشراف هـ. كابل H.Kapel بالتنقيب ما بين ١٩٥٣ حتى ١٩٦٠ في جزيرة فيلكا بالكويت خاصة موقعي تل سعد وسعيد<sup>(٦٠)</sup>، ثم انتقلت إلى البحرين حيث أجرت عددًا من التنقيبات في مواقع المستوطنات والمدافن، ثم انتقلت إلى قطر حيث أصدرت مسحًا أثريًا شاملاً لدولة قطر صدر عام ١٩٦٧<sup>(٦١)</sup>. وفي عام ١٩٧٠ أعاد مورتسن الدانمركي Mortensen دراسة معبد بربر في البحرين نشرها عام ١٩٧٠<sup>(٦٢)</sup> ومن الذين نقبوا حديثاً في البحرين ديورنج كاسبرز During Caspers<sup>(٦٣)</sup> وموخال M.R. Mugal<sup>(٦٤)</sup> ولقد طلبت حكومة البحرين من الهيئات الدولية والعربية التنقيب في منطقة سار الجسر التي كان يزعم إقامة جسر الملك فهد الذي يربط بين المملكة العربية السعودية والبحرين فتأسست بعثة مشتركة من مختصين يمثلون العراق وسوريا والأردن والكويت وقد مثل البحرين فيها معاوية إبراهيم الذي نشر نتائج هذه البعثة المشتركة<sup>(٦٥)</sup>.

أما ساحل المملكة العربية السعودية الشرقي أو بمعنى آخر ساحل الجزيرة العربية الشرقي فهو أقدم المناطق الذي سكنت في الجزيرة، ولهذا فقد كان مجالاً خصباً للمهتمين بعصور ما قبل التاريخ، وهو الموضوع الذي حظي باهتمام عبد الله حسن مصري سواء في شرق المملكة العربية أو في المنطقة الشمالية الشرقية<sup>(٦٦)</sup> وهو نفس الاهتمام الذي شاركه فيه ماكور<sup>(٦٧)</sup> وكابل الدانماركي الذي درس منطقة قطر في عصور ما قبل التاريخ<sup>(٦٧)</sup> والحقيقة أنه لا يمكن فصل هذه المنطقة عن سواحل الخليج سواء أثرياً أم تاريخياً ولا حتى في مجال التنقيب على الآثار، ولا تزال منطقة سلطنة عمان في حاجة إلى المزيد من أعمال التنقيب

لتواكب حركة الاهتمام العام بتاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام . وبالرغم من هذا النشاط الأثري الهائل ، وما تلاه من حركة نشر لنتائج أعمال التنقيب ، فلا يزال تاريخ الجزيرة العربية أسيراً للفكر التوراتي ، إذ نجد الحقائق تلوى لكى تتماشى مع ماورد في التوراة حول الجزيرة العربية ، بينما كان من المفروض أن يستفيد مفسرو التوراة من نتائج هذه المكتشفات الأثرية لتفسير التوراة وأسرارها . وأن يكون التفسير خاضعاً للمصادر الأثرية والتاريخية باعتبارها حقائق ثابتة ، بدلاً من لوي نتائجها لتخضع لنصوص التوراة حسب هوى مفسريها ، ناهيك عن إهمال الأوربيين لمصدر المصادر ، وهو القرآن الكريم بآياته الواضحة الحاسمة ، ولا يوجد ولن يوجد مصدر يعرف عن تاريخ العرب القديم وأحوالهم يداني ما ورد في آيات القرآن الكريم عنهم ، كما يتجاهل الأوربيون المصادر العربية الإسلامية ، بل ويتعمدون التعتيم على نشاط العلماء العرب . وهذه إحدى القضايا المقلقة للمهتمين بدراسة تاريخ الجزيرة ؛ ومن ثم يتوجب علينا العمل بجهد لتحرير تاريخ الجزيرة من التبعية لنصوص التوراة ، وحتى لا يصبح علماً موقوفاً على الأوربيين وحدهم .

غير أنه من العدل أن نقول إن هذا النشاط المحموم ، تلتته حركة اهتمام علمي بالجزيرة ، فقد أقامت جامعة الملك سعود ثلاث ندوات عن مصادر تاريخ الجزيرة خصصت الندوة الثانية التي عقدت في إبريل (نيسان) ١٣٩٩ / ١٩٧٩ هـ لتاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وشارك فيها كبار الباحثين من الشرق والغرب ، ونشرت أبحاثها في مجلد أنيق صدر عام ١٩٨٤ / ١٤٠٤ هـ ، كما توالى نشر العديد من النقوش والمخربشات graffiti التي وجدت خلال أعمال التنقيب السالفة الذكر ، والتي شملت أسماء أعلامها ، ونقوشاً على المقابر ، وتبين اسم المتوفى وعشيرته وقبيلته ، ونقوشاً خاصة بتقديم القرابين وإقامة المعابد والمرافق

العامة ، والقليل منها كان نقوشاً تاريخية تختص بأبحاث سياسية ساعدت في إعادة بناء تصورنا عن ممالك الجزيرة في العصور القديمة ، وحسمت مشاكل وقضايا كثيرة كانت تواجه الباحثين حول تحديد عصور الممالك العربية الجنوبية ومعرفة أسماء ملوكها ، وسني جلوسهم على العرش . وبعض القوانين والشرائع الخاصة بالضرائب والعشور ، ومعرفة المزيد من ديانات العرب قبل الإسلام ، وتطور الكتابة العربية الجنوبية من خلال متابعة المحتوى والخطوط . كل هذا ساعد على وضع تخطيط جديد لتاريخ العرب القديم يختلف إلى حد ما مع ما كتب عنهم قبل الحرب العالمية الثانية<sup>(٦٩)</sup> ، بل إن نشر المزيد من المصادر قد يجعلنا في المستقبل نعيد النظر مرات ومرات فيما كتب حتى تستقر خطوته ، وتثبت معالمه . وليس هذا بغريب فلقد مر تاريخ الرافدين وتاريخ مصر بنفس المرحلة ونفس الظروف ، ولا يزال عرضة للتغير ، إذا ما ظهرت وثائق جديدة فالتاريخ لا يستقر على حال واحد ، لأن علمه الحقيقي عند ربي .

ومن أهم نتائج هذا التقدم الكبير في البحث حسم الجدل الذي كان يدور حول تحديد بداية قيام أقدم الممالك العربية في الجنوب ، فقد كان هناك رأي يؤكد أن دولة معين وقتبان تسبقان في قيامهما قيام دولة سبأ ، ويحدد تاريخاً وتقديراً لقيام الدولة المعينية والقتبانية وهو خلال الألف الثاني ق . م ، أما أنصار التاريخ المتأخر فيؤكدون أن سبأ هي التي سبقت كلا من معين وقتبان ، ويحددون عصر المكارب في سبأ إلى مطلع القرن الثامن ق . م ، بينما يحددون نهاية القرن الثامن ومطلع القرن السابع ق . م كتاريخ لقيام دولة معين وقتبان<sup>(٧٠)</sup> ولقد كان الرأي الأول هو السائد حتى وضع وينيت Winnett عام ١٩٣٩ دهشته من أن أغلب قوائم النقوش المتاحة والتي تشتمل على أسماء ملوك معين وسني حكمهم ، تعود إلى الفترة ما بين ٤٠٠ - ١٠٠ ق . م ، ثم رصد التأثير المعيني على النقوش

البحيانية المتأخرة في شمال غرب الجزيرة، أو بمعنى آخر في منطقة الحجاز،<sup>(٧١)</sup>، و يقول قان بيك أن الضربة القاضية<sup>(٧٢)</sup> التي قوضت الرأي الأول جاءت على إثر نشر نتائج أعمال التنقيب التي قامت بها مؤسسة الإنسان الأمريكية في موقع «تمنع» عاصمة قتيان عام ١٩٥٠، حيث عثر على زوجين من التماثيل البرونزية تمثلان أسدين يمتطيها طفلان، ويحملان ملامح الفن الهلينيستي، الذي يرجع للقرن الأول ق. م، وعلى قاعدتيهما نقش يسجل اسمين لاثنيين من العمال من بين الذين اشتركوا في ترميم البناء الذي زين بالتماثيل المذكورة، كما وجدت نقوش أخرى على حائط البناء تحمل نفس الاسمين للعاملين المذكورين، ويذكران فيه أنها قاما بهذا العمل في عصر حكم ملك قتيان الشهر «شهر يحول يهرجب»<sup>(٧٣)</sup> وبناء عليه فقد حدد تاريخ حكم هذا الملك القتياني بأنه في العصر الهلينيستي، وليس في القرن الثامن ق. م كما كان يظن أنصار الرأي الأول؛ وتحديد عام ١٥٠ ق. م، يتطابق مع ما ورد في استكمال الدكتور فؤاد حسنين لكتاب التاريخ العربي القديم<sup>(٧٤)</sup>، ومهما يكن من أمر فقد كان ذلك دفعة قوية إلى الأمام لإزاحة الغموض حول عصور حضارات الجزيرة ويؤكد ازدهار الممالك العربية في العصر الهلينيستي كثرة وجود التماثيل الهلينيستية في جنوب الجزيرة بشكل ملحوظ، بل وفي نتائج كشوفات وتنقيبات الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأنصاري في موقع الفاو<sup>(٧٥)</sup>.

ولقد كشفت أعمال التنقيب عن الحجم الهائل الذي شغلته شبه الجزيرة منذ القرن الثامن ق. م وحتى تهدم سد مأرب وحدث سيل العرم، وبينت أن هناك أربع مناطق حضارية متميزة وواضحة قامت في ربوع الجزيرة، هي: جنوب الجزيرة أو بلاد العرب السعيدة، وشمال الجزيرة أو الحجاز، وسواحل الخليج العربي، والساحل الشرقي للجزيرة الذي يشمل مسقط وعمان، غير أن أكثرها

بريقاً وازدهاراً هي بلاد العرب السعيدة، التي كانت نواتها تلك البقعة المثلثة الواقعة على حافة الصحراء ويحفظها جبال تهامة من الغرب، وجبال اليمن الجنوبي وهضبتها الصحراوية في الجنوب، ورمال الربع الخالي الذي يفصل بينها وبين هضبة نجد في الشمال. ولقد كشفت نتائج التنقيب أن الحضارة في هذه البقعة لم تكن نتيجة عصور طويلة من المعاناة والتطور البطيء على نحو ما كانت بلاد النهرين أو مصر، بل انبثقت فجأة كما خرجت «أثينا» ربة الحكمة كاملة النمو من عقل أبيها زيوس على نحو ما تروي أساطير اليونان، ولهذا يميل المؤرخون إلى الاعتقاد بأن هذه الحضارة ولدت نتيجة قدوم جماعات مستوطنة ومهاجرة أغلب الظن أنها جاءت من بلاد الرافدين في شكل موجات متتالية منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد حتى اكتمل استيطانها في القرن الثاني عشر ق. م<sup>(٧٦)</sup>، والذي يؤكد ذلك، القرابة مع حضارة الرافدين ليس في مجال اللغة فحسب، بل في أصول العقيدة ورموزها، بالإضافة إلى أن الخبرة العربية في مجال بناء السدود وإقامة شبكات الري والتي لا تتأتى إلا لسكان جنوب الرافدين، والتي هي نتاج خبرات وتجارب آلاف السنين، ولا يمكن أن تكون نتيجة عبقرية خارقة مفاجئة.

فمنذ قيامها تميزت الحضارة العربية الجنوبية بوجود نظام للري لا مثيل له وفي شبكة معقدة من القنوات الفرعية توزع المياه بدقة متناهية على مساحة شاسعة من الأرض الزراعية، وسدود من الأحجار لحجز مياه السيول، أو في مصائد المياه الممثلة في الفجوات العميقة التي نتجت عن الأحاديث والزلازل وفي وجود الآبار المصدر البديل لمياه الأمطار والسيول والمثل الكامل لهذا النظام المعقد هو ما كشف عنه في وادي بيهان بالقرب من حجر بن حميد<sup>(٧٧)</sup>، وهناك أيضاً شبكة أخرى للري كشف عنها في وادي زنة بالقرب من مأرب في اليمن<sup>(٧٨)</sup>.



ولقد تميزت هذه الحضارة بقيام القرى والمدن التي لا تختلف كثيراً عن قرى ومدن الرافدين ، أو الهلال الخصيب ، أو وادي النيل ، وقد تراوحت أحجام هذه التجمعات السكانية من نجوع صغيرة لا تتعدى مساحتها الهكتار الواحد (حوالي اثني عشر فداناً مصرياً) إلى مدن عامرة تشغل مساحة تصل إلى ستين هكتاراً (حوالي ٤٥٠ فداناً مصرياً) ، كلها تحمل نفس التخطيط العمراني المنظم الذي يشبه مدن العراق والشام ، أو البناء العشوائي القروي الذي لا تخضع مبانيه لتخطيط ثابت . ولقد كانت المباني الخاصة والعامّة تبنى من الأجر الطيني أو الحجر . وفيما بعد حقق فن البناء عندهم انجازات رائعة ، تعتبر علامات مميزة في تاريخ العمارة في الشرق الأدنى القديم ، خاصة تلك التجاويف التي عملت في الحوائط (أو ما يعرف بالدواليب الحائطية) التي تزيينها النمنمات الزخرفية البارزة مثل «الدانيسل» وفتحات التهوية التي تشبه مصابيد الهواء في بيوت قرى الفيوم القديمة ، والنوافذ ذات المشربيات والتي تقابلها في المباني الكبيرة مثل معبد المقه في مأرب والشهير بمحرم بلقيس<sup>(٧٩)</sup> ، كما نجد لها نماذج مصغرة في البيوت ، وكذا في أنواع المباحر المختلفة الأشكال . وكما لاحظ الأستاذ «براين دو»<sup>(٨٠)</sup> «فإن بيك»<sup>(٨١)</sup> فإن نظام البناء يتخذ أسلوبين ، أسلوب البناء الطيني الذي ينفذ إلى حد ما طبقاً لرسم معين والذي تزخرف سطحه عرائس أو فتحات منقورة وهو أسلوب عريق الجذر في المنطقة ، بل له بقايا في أسلوب البناء القومي في البيوت والقصور القديمة في مدن الجزيرة حتى الآن (قارن البيوت وقصور الرياض القديمة) والآخر البناء الحجري الذي يتكون من أحجار منحوتة ، تكسوها طبقة مسطحة أو محدبة . أما تخطيط البناء فيبدو كشبه المنحرف إذا ما نظرنا إليه من علو شاهق .

وفي ضوء آلاف النقوش التي عثر عليها يمكننا القول أن الكتابة والقراءة كانت شائعة بين السكان الذين كانوا يتحدثون لغة سامية عربية جنوبية، لها أبجدية جميلة الأشكال تستند حروفها بعضها إلى بعض ومن ثم عرفت بالخط المسند. وكانت تتكون من تسعة وعشرين حرفاً صامتاً. وكانت الموضوعات التي تغطيها النقوش متنوعة، وكانت تختلف في أطوالها حسب أهميتها. والنقوش الرسمية كانت تنقش بدقة وعناية على واجهات المباني العامة، وعلى الأحجار سواء من الصوان أم الحجر الجيري أم المرمر، وتنقش على صفائح النحاس أو تصب في قوالب من البرونز أو ترسم بخطوط غائرة على الأواني الفخارية أو عظام الحيوانات العريضة. كما أن العثور على أعداد كبيرة من المخربشات (graffiti) العفوية التي خطها عامة الناس سواء من رجال القوافل العابرة، أو من الرعاة أو غيرهم، يوضح أن التعليم كان منتشرًا بين الناس، ولم تكن القراءة حكراً على طبقة الكهنة وحدهم دون غيرهم، كما هو الحال في العراق القديم.

أما في مجال العقيدة، فنجد ديانة وثنية ثابتة الأركان، متأثرة بعقائد بلاد النهرين، ويشهد على ذلك ظهور شجرة الحياة أو «سدرة المنتهى» في الرسوم الدينية؛ وبعكس العرب الشماليين فضل الجنوبيون عبادة الآلهة الفلكية، التي لا تصور ولا يصنع لها أصنام: مثل الشمس، والقمر، وكوكب الزهرة، وبعكس الآلهة الإغريقية والمصرية والعراقية القديمة نجدهم يحولون الشمس (اللات) إلى أنثى (بينما في ديانات الشعوب سابقة الذكر نجدها ذكراً) بينما يحولون القمر إلى زوج ذكر لها (ود أو المقة)، على طريقة التثليث المصرية يجعلون لهذين الزوجين ولدًا هو عشتار (كوكب الزهرة). وربما لأن الشمس عند الشعوب الشمالية كانت ترتبط بدويان الجليل، وامتلاء الأنهار، أما في مصر فلم يكن لها

مبعث الضوء والحرارة اللازمين لنضوج النبات، بينما هي في جنوب الجزيرة محرقة وقاتلة، أما القمر فهو هادئ وجميل تسير القوافل ليلاً في ضوئه، ويحسب التقويم من خلاله وهذا، جعلوه الرب الأكبر، أمّا كوكب الزهرة فهو الكوكب الذي يسبق ظهور الشمس ويتلو مغيب القمر وتستخدمه القوافل لتحديد اتجاهها، وصدق الله العظيم حين يقول «وَيَا لَنَجْمِهِمْ يَسْتَذُونَ»<sup>(٨٢)</sup>، ولهذا فإن كافة حضارات جنوب الجزيرة أعطت القمر منزلة أعلى من الشمس، وإن اختلفت في تسميته، وبنيت له المعابد في كل مكان، في الدساكر، والقرى، والمدن. أما عن تخطيط المعبد العربي القديم فهو عادة ساحة أو حرماً مفتوحاً تحيط به صفوف الأعمدة (Peristyle) ويقوم المحراب عند أحد جوانبه. وفي كل معبد توجد بئر أو مصدر مائي بهدف الوضوء والتطهر، وفي داخل هذا الحرم عثر على النذور، والقرايين، سواء في شكل مصورات أم تماثيل لإدخال السرور والبهجة على الآلهة، أو في شكل لوحات من النحاس أو المرمر نقشت عليها عبارات الشكر والعرفان لنعمة حدثت، أو تجارة كسبت، أو نصر تحقق، أو من أجل رجاء طلب أو أمنية<sup>(٨٣)</sup>.

ولقد حقق الفنان العربي قدراً من المهارة لا يقل عن مثيله في العراق أو الشام أو مصر أو بلاد اليونان خاصة في فن النحت والتصوير، وصناعة الأثاث المنزلي. فقد استغل الفنان تنوع الصخور سواء من حجر الكلس أم المرمر أم الحجر الجيري أم الحجر الصابوني أم حجر الازدواز أو الشبه (البروسيت Brucite) لكي ينحت أشكالاً بمهارة تجمع بين الجمال والواقعية، وفي صناعة الصناديق والخزانات الحجرية، ذات الجوانب المزخرفة بالأفاريز المربعة الغائرة التي تشبه الأفاريز التي تزخرف المباني الكبرى، والتي سبق الإشارة إليها، والتي فاق فيها العربي القديم فناني ونحاتي الشعوب الأخرى، وحتى ذلك الفن

الروماني لم يصل إلى درجتها إلا بعد جهد جهيد ، وفي مرحلة تالية . أما في مجال المعادن فقد حقق العربي الجنوبي قدراً فائقاً من الإبداع والتفوق ، فاستخدم الحديد والنحاس والبرونز ، والفضة والذهب في عمل مشغولات بديعة ، وقد ورث الصائغ اليهودي حرفة الصياغة عن العربي بعد أن تدهورت حضارته ، فقبيل الإسلام نقل اليهود المهاجرون هذا الفن معهم إلى مدن الحجاز ، واحتكروه لأنفسهم وأنشأوا أسواقاً للصاغة ، كما هو معروف لنا من المصادر عن الحياة في يثرب وغيرها من المدن العربية قبل الإسلام . وكذلك يتضح من دراسة المسبوكات البرونزية المتعددة أن عرب الجنوب عرفوا أسلوب صب التماثيل المجوفة أو المفرغة وذلك باستخدام القلب والشمع المصهور ، كما عرفوا طريقة تطعيم الأواني بالنحاس عن طريق ترصيعها بأسلاك رفيعة لعمل زخارف وأشكال . أما عن الفخار فبالرغم من كثرة وجوده إلا أن ما صنعه منه لم يصل إلى الجودة والدرجة التي وصل إليها الإغريق والرومان والأنباط . وقد خبر هؤلاء الآخرون صناعة الفخار رقيق الجدران eggshell<sup>(٨٤)</sup> غير أن عرب الجنوب حاولوا تقليد هذا الفخار الجيد المستورد ، وكثرة وجود هذه الأنواع من الفخار تؤكد وجود اتصال فني واسع مع شعوب الهلال الخصيب وشعوب البحر المتوسط سواء عن طريق التجارة أم هجرة الفنانين والحرفيين ، ويؤكد وجود تقنيات وأنماط زخرفية واحدة انتشرت عبر منطقة شاسعة امتدت من وادي النيل غرباً إلى الفرات وبلاد الفرس شرقاً ؛ ومن القوقاز شمالاً إلى اليمن جنوباً<sup>(٨٥)</sup> .

وعلى طريقة المدن الموكينية الإغريقية ، كانت المدن في جنوب الجزيرة العربية تقام فوق التلال والجبال التي تشرف على الوديان الزراعية أو على طرق القوافل التجارية ، ولما وجدت المدن المحاطة بالأسوار الدفاعية<sup>(٨٦)</sup> اللهم إلا في المدن

التي قامت حول الآبار في السهول والواحات . ومن خلال دراسة نتائج التنقيبات في قرية الفاو<sup>(٨٧)</sup> نعرف أن المدينة العربية القديمة كانت تضم حيًا للتجار ودارًا لاستقبال المسافرين منهم ، واصطبلات لمبيت الجمال واستبدال تلك التي أصابها الإرهاق أو العجز عن السير ، وتشمل المدينة أيضا سوقا تجارية تصطف على جانبيها الحوانيت والمخازن لخرن البضائع والمواد التي تجلبها القوافل العابرة . ولأن اهتمام السكان كان منصبًا في المقام الأول على التجارة ، فلم تكن دويلات الجنوب دولاً عدوانية ، بل كانت تحرص على السلام باستثناء الصراعات القبلية على الحكم ، وقلما تورطت في الحروب التي كانت تجري على الساحة الدولية مثلما حدث في معركة رفح التي سبق الإشارة إليها ، ومن ثم فإن النقوش التي كانت تتحدث عن الحروب والمعارك قليلة ومحدودة ، لأنهم مثل أشقائهم الفينيقيين في الشمال وضعوا كل همهم وخبراتهم في مجال التجارة والمال ، وقد وضح ذلك في مقاومتهم المحدودة لحملة ايليوس جاليلوس على مأرب عام ٢٤ ق . م .

كانت الدعامة الأولى التي قام عليها اقتصاد دويلات الجنوب العربي هي إنتاج وتسويق وتوزيع اللبان والبخور والمر ، فقد كان الطلب على هذه السلع شديدًا ، فقد كانت المعابد الوثنية في مصر وبلاد الهلال الخصيب تستخدمه بكثرة في معابدها ، بل ولا يزال البخور يلعب دورًا في معابد اليهود الشرقيين ، وفي منازل الأفراد حتى يومنا هذا ، كما أن النقوش المصرية مثلاً تحدثت عن بلاد البخور بأنها أرض مقدسة ، فمنها يأتي غذاء الآلهة ، بل إن المر استخدم في صناعة العقاقير وتخفيف الموتى ، وترتبط الأخيرة بالدين المصري القديم . وبسبب شدة الطلب على البخور خلال الألف الأولى ق . م جنت الدويلات العربية الجنوبية ثروات هائلة من تجارتها ، ووصلت قمة هذا الثراء في أواخر القرن الأول

ق. م ومنتصف القرن الأول بعد الميلاد أي قبيل وبعد قيام الإمبراطورية الرومانية. ولقد وصف بلينيوس الأكبر عرب الجنوب بقوله «أغنى عنصر بشري في الكون»<sup>(٨٨)</sup>، ويتضح من قائمة السلع المصدرة إلى بلاد العرب أنهم كانوا مكتفين ذاتيًا، ولم ينقصهم سوى بعض الكماليات الترفيحية التي لا يطلبها سوى الأثرياء<sup>(٨٩)</sup>. مثل التماثيل البرونزية وقطع التحف والأواني الفضية المشغولة والزجاج المصري، والأواني النبطية والفارسية، والفخار الأريتيني الإيطالي الفاخر، والأواني المزججة من الأناضول وجنوب روسيا، وبعض المشغولات من الهند. ولقد دهشنا من وجود هذه التماثيل السكندرية حتى وإن كانوا لا يعيدونها مثل ابروس الطفل الذي عثر عليه في حفائر جنوب الجزيرة وفي الفاو أيضًا. كما يشهد على ازدهار اقتصاد هذه الدويلات العربية أنها عرفت سك النقود منذ وقت مبكر مقلدة الدراخما الأثينية التي تحمل رسم طائر البومة رغم أنه رمز السوء في الشرق، بينما هو رمز الحكمة والمعرفة في الغرب. وإن دراسة كميات النقود وأنواعها في جنوب الجزيرة تحتاج إلى دراسة خاصة ومقال مستقل<sup>(٩٠)</sup>.

وقبل أن نترك الحديث عن دويلات جنوب الجزيرة يطرح سؤال نفسه وهو: ما أسباب تدهور وسقوط دول الجنوب إذا كانت بهذا الثراء، ولقد طرح على الساحة إجابتان. الإجابة الأولى ما ذكره مونتجمري، وهو أن تدهور اقتصاد هذه الدويلات تبعه تدهور سياسي وقلقل اجتماعية، وإن السبب في تدهور اقتصادها دخول السفن البطلمية المصرية، والسفن الرومانية كسفن منافسة للسفن العربية في نقل البضائع والسلع الشرقية مع الهند، وتوقف طريق القوافل البري بعد أن حول الرومان التجارة الشرقية إلى الموانئ المصرية على البحر الأحمر، غير أنه ثبت أن العرب استمروا في الثراء والازدهار حتى بعد سيطرة الرومان على

البحر الأحمر، لكنهم بالطبع فقدوا عامل الاحتكار وفشا سر الأسرار البحرية بعد اكتشاف البحارة السكندريين لموعد هبوب الرياح الموسمية وتوظيفها في الملاحة بين الشرق الأقصى والسواحل المصرية .

أما الرد الآخر فيعرضه جوس فان بيك، وفيه شيء من التحامل على المسيحية وهذا الرأي في الحقيقة متأثر بفكر المؤرخ الفرنسي جيبون، بل ويقلده في جعل انتصار المسيحية على الوثنية هي الشاعرة التي تعلق عليها الفشل في الحفاظ على قوة الدفع الحضارية، في العالم القديم، إذ يرى فان بيك أن الطلب على البخور توقف بعد هجر المعابد الوثنية وتوقفها عن العمل، وتحريم الكنيسة لعادة حرق الموتى وسط أكوام البخور والطيب وخشب الصندل والمر، ويستشهد على ذلك بنص من بليني الأكبر ذكر فيه أنه عندما ماتت زوجة الإمبراطور نيرون وهي بوبايا سابينا Popaea Sabina أمر بحرقها وسط كومة من الطيب والبخور قدرت بإنتاج عام كامل للبخور والمر الذي تنتجه بلاد العرب<sup>(٩١)</sup>. غير أن هذا الرأي غير صحيح، لأن المعابد الوثنية لم تغلق أبوابها إلا في عصر ثيودوسيوس الكبير عام ٣٩٥م أي في أواخر القرن الرابع الميلادي، وبأمر رسمي، كما أن الكنائس استمرت وتستمر في استخدام البخور في الشعائر ومن ثم فكلا الرأيين لا يمثل كل الحقيقة .

إن تدهور وسقوط الدولة الحميرية آخر دويلات الجنوب العربي جاء نتيجة لمرحلة طويلة من الإرهاق الحضاري، والتدهور الاقتصادي، وفقدان روح التحدي والدفع الحضاري لدى شعوب الجنوب العربي، فتدهور الطلب على اللؤلؤ والبخور كان يمكن أن يعوض بتحويله إلى تجارة الذهب والمرمر وصادرات أفريقيا والريقت التي كان الطلب يزداد عليها، إنها تدهور العناية بشبكة الري وإهمال ترميم سد مأرب العظيم، جعل الصحراء تزحف على

المناطق المزروعة، وبدأت المياه تندر، فأدى ذلك إلى تزايد الفقر، وهجرة السكان إلى الشمال. ولعل من الأسباب التي أسقطت هذه الدويلات هو طمع سبأ الأفريقية في جنوب الجزيرة وهو ما وضحته في بحث مستقل. كما أن علماء المناخ يذكرون أن تحولاً في المناخ قد حدث خلال القرون الأولى بعد الميلاد، أدى إلى قلة الرطوبة وازدياد الجفاف، فلم يعد جنوب الجزيرة ينتج البخور والمر حتى أن أشجار اللبان كادت أن تصبح نادرة وتراثاً أثرياً من الماضي، ومن ثم أدى ذلك إلى الهجرة إلى الشمال حيناً وإلى أفريقيا حيناً آخر<sup>(٩٢)</sup>، وكانت طاقة الرحمة Coup d'grace، هو حدوث سيل العرم الذي أتى على الأخضر واليابس، ذلك في القرن الخامس الميلادي، وكان هذا نهاية الجنوب، وبداية نهضة الحجاز. كما يرى آخرون أن الثقافة العربية الجنوبية تدهورت مع تدهور ديانة الجنوب الوثنية، التي لم تصمد أمام الديانات السماوية القادمة من الشمال مثل اليهودية والمسيحية اللتين دخلتا في صراع دموي على الأرض العربية فبددتا روح السلام التي كانت سائدة في عصور الازدهار التجاري، وعرف جنوب الجزيرة المحارق والمذابح للمخالفين في العقيدة كما ذكرنا في تحليل حادثة الأخدود الشهيرة<sup>(٩٣)</sup>. ومن ثم تدهورت اللغة العربية الجنوبية لجمودها وعزلتها ولم تصمد في اللغة الفنية العربية الشالية التي أوجدت لها أبجدية أيسر وأسهل منذ القرن الرابع الميلادي.

لقد كانت أسعد عصور الشمال هي العصور التي شهدت مغيب شمس القوة عن الجنوب، فقد ازدهرت مدن الحجاز بفضل المهاجرين القادمين من الجنوب بكل تراث الماضي وخبراته، فتحولت مدنه إلى مراكز للنشاط التجاري، ولم تعد القوافل تبدأ من الجنوب بل من مكة أو الطائف، وأقيمت الوكالات التجارية العالمية فيها، ونشطت أسواقها الأدبية كسوق عكاظ وذوي الرمة وغيرها، وازدهر



الشعر الجاهلي، وعرف الشمال البذخ الذي يتمثل في إقامة الخانات ولعب الميسر، وأماكن المتعة التي اشتهرت بها الطوائف قبل الإسلام، ومن ثم فإن المائة والخمسين عامًا التي سبقت البعثة المحمدية هي بلا شك عصر نهضة الحجاز بعد أن اكتسحته ثقافة الشمال العربية الآرامية، فبددت ما تبقى من ثقافة الجنوب، ولعل النقش الجنوبي الذي أشرت إليه في بحث سابق والذي سجله وترجمه الهمداني بعد أن شاهده مكتوبًا على أطلال ملوك حمير الغابرين، ويعبر عن حيرة وقنوط وحسرة من جنوبي مجهول على ضياع حضارة بلاده، ويقول النقش: «لمن (اليوم) ملك ذمار؟ حمير الأخيار؟ لمن (اليوم) ملك ذمار؟ للحبشة الأشرار؟ لمن (اليوم) ملك ذمار؟ لفارس الأحرار؟ لمن (اليوم) ملك ذمار؟ لقريش النجار؟» (٩٤)

إن دراسة الحجاز قبيل سقوط الدولة الحميرية وبعد سقوطها وحتى قيام الدعوة الإسلامية هو موضوع يطول الحديث فيه، ويستحق معالجته في مقال مستقل.



## هوامش البحث

(١) انظر : لطفي عبد الوهاب محيى : «المصادر الكلاسيكية لتاريخ الجزيرة العربية» [دراسات تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الأول، الجزء الأول بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري]، مطبعة جامعة الرياض ١٩٧٩ .

(2) James Montgomery (With Prolegomenon by Gus Van Beek), *Arabia and the Bible*, Ktav publishing House, Inc. 1969.

(٣) الجزيرة العربية قبل الإسلام [إشراف د. عبد الرحمن الأنصاري]، مطبعة جامعة الملك سعود ١٤٠٤ هـ.

(4) J. Montgomery, op cit., px (by Van Beek).

(5) Ibid . pxi.

(6) Michael Grant: *Ancient History, Home Study Books*, Methuen & Co.Ltd London 1952, p 42.

(7) Montgomery, op cit p XIV

(8) Ibid . p. XV.

(9) *Philologus*, 86 (1931), p336. Werner Caskel, "Arabia", Chap. 48, part, 4 in ; *Hellenism and the Rise of Rome* (edited by Pierre Grimal), Weidenfeld and Nicolson, Universal History, London 1969, p 292 - 3 (note 124 = p 388).

(10) Ibid . p. 293 (note 125 = p 389):

عندما أنقذهما عطار . . . ود ومكره وبضائعهما بن وسط مصر» ، ويقترح كاسكل أن عبارة «بن وسط مصر» ذات مدلول ديني وليست ذات مدلول جغرافي ، ولم يوضح بنينا يرى فرتز هومل أن إقليم وسط مصر» ، هو إقليم تجاري وهو الأرجح انظر : ديتلف نيلس ، فرتز هومل ، رودوكاناكيس : التاريخ العربي القديم ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٨ (ترجمه واستكماله الدكتور فؤاد حسنين علي ، وراجع الترجمة زكي محمد حسن» ص ٦٩ «هامش ١ ، وقارن

Werner Caskel , loc cit . p 389 (note 125)

(11) Ibid . p 293.

(12) W.W. Tarn: "Ptolemy II and Arabia", *Journal of Egyptian Archaeology*, vol. XV (1929)pp2-25, (especially pp 9-11)

(13) Altheim-Stiehl: *Die Araber in der Alten Welt*, I, Berlin 1963, pp 75 seq.

(14) S . trabo XI, IX, 2; XI, 2; XI, XIV, 15 (c5 15, 531).

(15) Caskell, loc cit, p 293.

وكان أول من لاحظ ذلك الأستاذ ج بيرين :

J.Pirenne: *Palaeographie des Inscriptions Sud-Arabes...* I, Vehr knkl. vlaamse Ac... Van Belgie, Kl. d. Letteren nr.26, Brussels (1956), pp 212 et seq (Caskel p 389 note 126).

(16) Caskel, loc cit p 293).

كذلك انظر ديتلف تلسن : المرجع السابق ص ٦٩٦٧ (أي يدع يسطم) ، مع ملاحظة أن المؤلفين يعتقدون أن سبب تقديم قربان الشكر ليس بسبب النجاة من الحرب التي وقعت بين البطالة والسلوقيين وإنما السبب النجاة من هجوم شنه بعض قبائل البدو من السبثيين والمخولانيين على الطريق التجاري .

(17) cf. Van Beek in his prolegomenon to Montgomery's Book p XXI

(١٨) حسن ظا : « المجتمع العربي القديم من خلال اللغة : (الجزيرة العربية قبل

الإسلام) جامعة الملك سعود ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ١٧٨ .

(١٩) سيد أحمد الناصري : العرب وأفريقيا في عصور ما قبل الإسلام طبعة جامعة القاهرة ١٩٩٠ ، ص ٣٨ هامش ٩٨ .

(٢٠) عبد الله حسن مصري : « ما قبل التاريخ في شرق المملكة العربية السعودية وشأها » ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، جامعة الملك سعود ١٤٠٤ / ١٩٨٤ ، ص ١٧٨ .

Harold A. Mc Clure: *The Arabian Peninsula and Pre-historic population*, H.Field (editor), *The Field Research Projects* (Miami Coconut Grove, 1971; and In the same serie cf. Masry: A.H, "Pre-history in North-Eastern Arabia, 1974.

21. Mark Speece : "The Role of Eastern Arabia in the Gulf Trade of the third and Second Millennia," *Pre-Islamic Arabia*, King Saud University 1984, p 167-176. H. Kapel: "The Atlas of the Stone Age Cultures of Qatar (Denmark: Jutland Archaeological Society Publications, 1967.

(٢٢) ارجع إلى المحاضرة التي ألقيتها في الموسم الثقافي لكلية الشريعة والحضارة ، جامعة الملك عبد العزيز بمكة (أم القرى حالياً) عام ١٣٩٨ م (١٩٧٧ م) وعنوانها : هيرودوت وجزيرة العرب .

(23) Brian Dowe: *Southern Arabia*, Cambridge 1971. Pl no XI

(24) Montgomery : op cit. P.XII, XIII, XXX (by Gus Beek) , and also p 175 - 180.

(٢٥) « وسمعت ملكة سبأ يخبر سليمان لمجد الرب ، فأنت لتمتحنه بمسائل ، فأنت إلى

أورشليم بموكب عظيم جداً بجبال حاملة أنياباً، وذهباً كثيراً جداً، وحجارة كريمة، وأتت سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبيها سفر الملوك - الإصحاح العاشر ١ - ٢. وفي الفقرة العاشرة من نفس السفر والإصحاح تقول التوراة «وأعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهب، وأطياباً كثيرة جداً، وحجارة كريمة لم يأت بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة الذي أعطته ملكة سبأ للملك سليمان». وفي الفقرة الرابعة عشر والخامسة عشر أيضاً تقول التوراة: «وكان وزن الذهب الذي أتى به سليمان في سنة واحدة مئة وستين وزنة ذهب (١٥) ماعدا الذي من عند التجار، وتجارة التجار، وجميع ملوك العرب وولاة الأرض»

(٢٦) الإصحاح التاسع فقرة (١): «وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان، فأنت لتمتحن سليمان بمسائل إلى أورشليم بموكب عظيم جداً وجبال حاملة أطياباً وذهباً بكثرة، وحجارة كريمة» فأنت إلى سليمان وكلمته عن كل ما في قلبها (٢) فأخبرها سليمان بكل كلامها، ولم يخف سليمان أمراً إلا وأخبرها به. وفي الفقرة التاسعة من الإصحاح نفسه تقول التوراة أيضاً: «وأهدت الملكة مئة وعشرين وزنة ذهب، وأطياباً كثيرة جداً، وحجارة كريمة، ولم يكن ذلك الطيب الذي أهدته ملكة سبأ... (١٢) وأعطى الملك سليمان ملكة سبأ كل مشتتها الذي طلبت، فضلاً عما أنت به إلى الملك فأنصرفت وذهبت إلى أرضها هي وعبيدها».

(27) Montgomery (Van Beek's prolegomenon) p. XVIII

(٢٨) النمل (آية ٣٠).

(٢٩) النمل آية ٣٢.

(٣٠) النمل آية ٣٤.

(٣١) النمل ٣٥-٣٦.

(٣٢) النمل آية ٤٣.

(33) Tarn loc cit , p 13

(34) Montgomery op cit. (Van Beek' prolegomenon) p XVIII (note no. 7) , pXXX.

(35) Ibid p XIX

(36) Ibid p XX.

(37) Richard le Baron Bowen Jr., "Archaeological Survey of Beihan," Archaeological Discoveries in South Arabia (Baltimore 1958), pp 3-34.

(38) An ARCHAEOLOGICAL JOURNEY TO YEMEN, 3 vols (Publication du Service des Antiquites d'Egypte, Cairo 1951 - 1952.

(٣٩) يحيى خليل ناسي (١) نقوش خربة معين (مشورات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٢).

(٢) نقوش خربة براقش على ضوء مجموعة محمد توفيق، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة (المجلد السادس عشر، الجزء الثاني) ديسمبر ١٩٥٤.

(٣) نقوش عربية جنوبية - المجموعة الثانية - مجلة كلية الآداب - المجلد السادس عشر الجزء الثاني (ديسمبر ١٩٥٤).

(٤) نقوش خربة براقش - المجموعة الثانية - مجلة كلية الآداب المجلد السابع عشر الجزء الأول مايو ١٩٥٥.

(40) G.W, Van Beek, G.H. Cole, and A. Jamme, "An Archaeological Reconnaissance in Hadreamaut, South Arabia, -- A Preliminary Report" : Smithsonian Report for 1963 (Washington) pp 521 - 545.

(41) W.F. Albright, "The Chronology of Ancient South Arabia in the light of the first campaign of Excavation in Qataban", Bulletin of The American Schools of Oriental Research, 119 (1950), PP 5-15.

(42) r. Le Baron B oen Jr. & F.P. Albright, "Archaeological Discoveries in South Arabia, "(Baltimore 1958).

(43) G.Caton Thompson, "The Tombs and Moon Temple of Hureldha (Hadramaut)," In Reports of the Research Committee of the Society of Antiquaries of London, XIII (Oxford, 1944).

(44) PUBLICATIONS OF THE AMERICAN FOUNDATION FOR THE STUDY OF MAN.

(45) Albert Jamme: Sabaeen Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), Baltimore 1965.

(46) R.L. Cleveland , "The 1960 American Archaeological Expedition to Dhofar, ", Bulletin of The American Schools of Oriental Research, 159, (1960) pp 14 - 26; Preliminary Report on Archaeological Soundings at Sohar (Oman), "Ibid, 153 (1959) pp 11 - 18 ; Ancient South Arabian Necropolis (Baltimore 1965).

(47) G.W. Van Beek, " Hajar Bin Humeil (Baltimore 1969).

(48) J. Ryckmans, L'institution monarchique en Arabie meridionale avant l'Islam (Ma' in et Sba), In Bibliotheque du Museon, 28 (Louvain 1951)

(49) Berta Segall, "The Lion Riders from Timna," The Archaeological Discoveries in South Arabia (1958).

(50) M.E. Salmon, "A Survey of the Composition and Fabrication of Bronze

Artifacts from Hajar Bin Humeid, " Hajar bin Humeid , pp 373 to p. 386.

(51) Brian Dowe, op cit (p 10).

(52) W.L. Reed and F.V. Winnett, "Report on the Arabian Expedition of 1962, " Bulletin of the American Schools of Oriental Research 168 (1962) pp9 - 10; "Report on the Archaeological Expedition to Hail in Northern Saudi Arabia (1967), "ibid, 188 (1967, pp 2-3 ; Ancient Records from North Arabia (Toronto).

(53) P.J. Parr, G.L. Harding and J.E. Dayton, "Preliminary Survey in N.W Arabia , Bulletin of The Institute of Archaeology (London) No. 58 - 9 (1970), pp 219 - 241.

(54) E. Anati: "Rock Art in Central Arabia, IV Volumes, (Louvain, Bibliotheque du Museon 1968).

(55) J.P. Mandaville, "thaj: A. Pre-Islamic Site In North - eastern Arabia, "ibid, 172 (1963), pp 9-20.

(٥٦) عبد الرحمن الطيب الأنصاري: قرية الفاو: صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، جامعة الرياض ١٣٧٧ - ١٤٠٢ هـ.

(57) P.J. Parr, J. Zarins et al., "Preliminary Survey Report : Northern Province , ATIAL, 2 (1978); also cf. P. Parr: The present state of Archaeological Research in the Arabian Peninsula: Achievements of the Past, and Problems for the Future: Studies in The History of Arabia, II, Pre-Islamic Arabia, King Saud University Press, Riyadh 1984. pp 43 - 54.

(58) E. Markay, L. Harding and F. Petrie, "Bahrain and Hamamieh, British School of Archaeology in Egypt XLIII (1929).

(59) B. Cornwall . "Tumuli of Bahrain, Asia and the American, vol. XLIII, No.4 (Connecticut 1943) pp 230 - 234; P.V. Glob, "Temple Ved Barbar " , Kuml. (1954). " en Med de hundred Tusinde Gravhoje, op cit. 92 - 105; " Bahrain Oldtidshovestad" , op dcit p 164 - 169.

(٦٠) دكتور عبد الحميد زايد: الشرق الخالد: مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ ق. م ، دار النهضة العربية بالقاهرة، ص ١٢٩ وما بعدها.

(61) H. Kapel: "The Atlas of the Stone Age; Cultures of Qatar (Denmark: Jutland Archaeological society Publications, 1967).

(62) p. Mortensen, "Om Barbartenplets Datering, Kuml (1970), 385 - 398.

(63, E. C. During - Caspers: A Dilmunite Steal Cutters Misfortune", Antiquity LI, No. 201 (1977), 54 - 55.

(64) M.R. Mughal: *The Dilmun Burial Complex at Sar, The 1980 - 1982 Excavations in Bahrain (Bahrain 1083)*.

(65) Ibrahim, M.M: *Excavations of Arab Expedition at Sar el Jisr Bahrain (1982)*.

وكذلك انظر مقالة: أول بعثة عربية مشتركة في البحرين، دراسات تاريخ الجزيرة العربية المجلد الثاني: الجزيرة العربية قبل الإسلام: جامعة الملك سعود - الرياض ١٤٠٤ هـ - ص ٢٥ - ٣٤. (واللوحات من ص ٢٥ إلى ص ٧٠)

(٦٦) عبد الله حسن مصري: ما قبل التاريخ في شرق المملكة العربية السعودية وشمالها، نفس المجلد. السابق ص ٧٦ - ٨٨، وكذلك انظر مقالة:

*Pre-History in North Eastern Arabia. Field Research Projects (Miami Coconut Grove, 1974)*.

(67) Harold A. McClure , " *The Arabian Peninsula and Pre-historic Populations*". H. Field (Editor), *Field Research Projects (Miami Coconut Grove, 1974)*.

(67) Harold A. McClure , "The Arabian Peninsula and Pre-historic Populations", H. Field (Editor), *Field Research Projects (Miami coconut Grove, 1071)*.

(٦٨) انظر هامش ٦١ .

(69) Gus Van Beek , *Ibid*. p . XXI.

(70) cf. W.F Al-bright, "The Chronology of Ancient South Arabia In the light of the first Campaign of Excavations in Qataban", *Bulletin of the American Schools on Oriental Research*, 119 (1950), pp 5 - 15; "The Chronology of Sabaeen of Minaean Kings of Arabia, *Ibid*, 129 (1953) PP20-24; "A Note on Early" Sabaeen Chronology , "Ibid 143 (1956), pp 9 ff. Albert Jamme: *op cit* (the Bibliography cited there; Ryckmans, *op cit*.

J. Tkatsch, "Saba", *Encyclopedia of Islam* (London) 1934, pp 12-15

(71) F.V.Winnet , " The Place of the Mineans in the History of Pre-Islamic Arabia", *Bulletin of the American Schools of Oriental Research*, &3 (1939), pp 3-9

(72). Gus van Beek, *loc cit* pXXIF.

(73). cf Berta Segall: *loc cit* (note no. 49).

(٧٤) ديتلف نيلسون وآخرون: المرجع السابق: ص ٢٦٠ - ٢٧٣، خاصة ص ٢٧٣ (استكمال فؤاد حسنين علي).

(٧٥) لم يظهر بعد المجلد الذي سوف يتضمن نشر باقي المكتشفات خاصة التماثيل ولكن حسب ما ورد في الجزء الأول الصادر عام ١٩٨٤، هناك نية على متابعة نشر هذه

المكتشفات، كما نعرفنا على بعضها من خلال بعض الصور، وأثناء المشاركة في أحد مواسم التنقيبات مع الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأنصاري .

(76) Gus Van Beek: loc cit . PXXII.

(77) R. Le Baron Bowen Jr.: "Irrigation in Ancient Qataban (Belhan), Archaeological Discoveries in South Arabia (1958), pp43 - 131

(78) Gus Van Beek; loc cit , pXXIII.

(79) F.P. Albright, "Excavations in Marib in Yemen" , Archaeological Discoveries in South Arabia, P223-5.

(80) Brian Dowe: op cit pp23f.

(81) Gus Van Beek loc cit p XXIII.

(٨٢) النحل آية ١٥ .

(81) Gus Van Beek, ibid. , p XXIV.

(84) K.H. Schmitt-Korte: Nabataean Pottery: A Typological and Chronological Framework, Pre-Islamic Arabia, King Saud University, 1984, pp ٤-40 (especially p 12).

(85) Van Beek ibid pxxv.

(86) ibid..

(٨٦) انظر عبد الرحمن الطيب الأنصاري. المرجع السابق ص ١٧ - ١٨ .

*In universon gentes ditissimae, ut apud quas maximae opes Romanorum Parthorumque subsident, Vendentibus quae e mari aut silvis capiunt, nihil invicem redimentibus: Plinius maior, Historia Naturalis, book VI.XXXII, 162.*

(89) H.W. Schoff (translator), The Periplus of the Erythraean Sea (London 1912). paragraphs 24 - 28. Lionel Casson: The Periplus Maris Erythaei, Text with Introduction, Translation and Commentary, Princeton University Press, 1989, chapters 24-29= pp63-67.

كذلك انظر ترجمة هذه الفصول في سؤال الأستاذ نقولا زيادة: «دليل البحر الأثري

وتجارة الجزيرة العربية، الجزيرة العربية» قبل الإسلام، ص ٢٥٩ - ٢٧٧ حيث

ترجم وعلق على الفصل ١٩ - ٣٦ والذي يعني هو الفصل ٢٤ - ٢٩ . . also cf

Brian Dowe, op cit (Colns). (90) ديتلف نيلسون وآخرون، المرجع السابق، ص ٩٨.

(91) Van Beek, ibid, pXXVI - pXXXVI; Plinius maior : Historia Naturalis, XII, XLI, 83: Beatam illam fecit hominum etiam in morte luxuria quae dis intellexerant genita inurentium defunctis. periti rerum adservant non ferre tantum annuo fetu quantum Nero princeps novissimo Poppaeae suae die concremaverit.aestimentur postea toto orbe singulis annis tot funera, acervatimque congesta honori cadverum quae dis per singulas micas dantur!

«وما جعلها ذات حظ سعيد (يقصد بلاد العرب السعيدة)، حب الناس للرفاهية



حتى عند الموت (وذلك) بحرق جثمان الميت مع مواد باهظة (الشمس) كانوا يدركون أن خلقت أصلاً من أجل الآلهة . . . وتقدر المصادر العليمة أن بلاد العرب لا تنتج في عام كامل ذلك الكم الهائل من البخور الذي أحرقه الإمبراطور نيرون في يوم واحد مع جثمان حبيبته بويانا ، ثم يحسبون بعد ذلك أرقام الجنائز التي تقام في العالم كله كل عام وكميات هذه المواد التي تجمع وتكوم (لتحرق) مع الجثمان والتي كانت تقدم للآلهة في الأصل في شكل ذرة واحدة!

(٩٢) انظر سيد أحمد الناصري المرجع السابق ، ص ٣٥-٣٦ .

(٩٣) المرجع نفسه ص ٤٥-٤٦ .

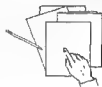
(٩٤) نفس المرجع ص ٤٧ .



# سبل لتوحيد المصطلحات الجغرافية العربية

د. محمد محمود محمددين

على الرغم من نشاط حركة الكتابة في مجال الجغرافيا في العقدين الأخيرين، والتي تقدر ببضع مئات من الكتب، إلا أن ذلك لا يحول دون الاعتراف والقول بأن أغلب هذه الكتب جاء تقليداً لكتب أجنبية وترديداً لمحتواها، بكل ما يتضمنه هذا المحتوى من أفكار وأساليب قد تتعارض وواقع ظروف بيئتنا، ويكون ذلك صريحاً في بعض الأحيان أو مدسوساً في ثنايا السياق أحياناً أخرى. وقد ترتب على الاعتماد على الكتب الأجنبية ونقل محتواها، دخول



مصطلحات جغرافية جديدة تصف ظاهرات ليست مألوفة في الأقطار العربية، وأكثر ما يلفت النظر في الكتابات الجغرافية العربية المعاصرة، ظاهرة اختلاف المصطلحات الجغرافية التي تزداد شقة التباين فيها بين جغرافي العالم العربي اتساعاً يوماً بعد يوم، مما يستوجب علينا أن نلتمس كل السبل ونستعين بكل الإمكانيات لمواجهتها، حتى لا يظل الأمر في هذا المجال فوضى، لا ضوابط ولا حدود، الكل يكتب ويستعين بما يحلو له من مصطلحات قد تتسم بالرطانة أو العجمة، وكل بما لديهم فرحون!.

وليس من شك في أن النهضة العلمية لأية أمة من الأمم لا بد وأن تكون بلغتها. ولكي نلحق نحن العرب بركب الحضارة العلمية ونتبوأ ما يليق بإمكاناتنا من مكانة، فعلينا أن نستخدم لغة عربية علمية مشتركة ذات مصطلحات علمية موحدة حتى تكون مدلولاتها واحدة وواضحة في أذهان المتخصصين في كل أقطار العرب.

إن المصطلحات العلمية كما نعرف ركن هام لكل علم، ومعلم من أبرز معالم بحوثها، وعدم وجود مصطلحات موحدة ومتفق عليها في مجال الجغرافيا يعوق انتشار الفكر الجغرافي ويثد فكرة ظهور مدرسة جغرافية عربية متميزة، وأولى بالذين يبحثون عن ذاتية الجغرافيا العربية أن يبدأوا بما يتيح تداول الفكر الجغرافي العربي ويسر التفاعل بين الاتجاهات الجغرافية العربية في الوطن العربي، وأقصد بذلك توحيد المصطلحات الجغرافية العربية، لأن اختلاف المصطلحات الموضوعية لظاهرة واحدة يحدث خلطاً وتشويشاً.

وإدراكاً لأهمية الموضوع فقد أثرت العكوف على دراسته حيناً بعد حين ومرة بعد أخرى حتى توصلت إلى ما يرضى قناعتى بأنه قد يسهم في وضع أسس لتوحيد تلك المصطلحات، وربما ينجح هذا البحث في حفز غيري من

الجغرافيين فيسهم بتصحيح أو يضيف جديداً في هذا المجال الحيوي .

### مدلول المصطلح الجغرافي وأهميته :

يشيع بين الباحثين في العلوم المختلفة استخدامات لفظية مثل : اصطلاح علمي ، ومصطلح علمي . والاصطلاح في اللغة من التصالح ، والتصالح يكون بين أكثر من فرد ، فإذا قلنا تصالح القوم ، أردنا بذلك أن اتفاقاً تم بينهم ، والاصطلاح أيضاً هو العرف الخاص (الشهائي ، ٥) .

وما نخرج به من المعاجم اللغوية بصفة عامة أن الاصطلاح : «هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص» ، وعلى هذا يقال اصطلاح العلماء على أمر ما ، أي اتفقوا عليه ، فهو إذن مصطلح عليه . ولتوضيح ذلك نقول لو أن هناك عدة تسميات لظاهرة جغرافية واحدة دار حولها نقاش ثم انتهى هذا النقاش باختيار إحدى هذه التسميات ولقي اختيارها قبولاً من الجماعات واصطلاحوا عليها ، فإن هذه التسمية بقبول الجماعة لها قد أصبحت مصطلحاً لهذه الظاهرة .

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن المصطلح الجغرافي هو اللفظ أو العبارة التي اتفق الجغرافيون على استخدامها وتداولها وسيلة للتعبير عن ظاهرة جغرافية أو أي جانب من جوانب الفكر الجغرافي .

يبدو جلياً أن من أهم شروط ظهور المصطلح الجغرافي هو أن يتفق الجغرافيون على قبوله ، وبقاء المصطلح الجغرافي رهن بتداوله ، وكم من مصطلحات جغرافية اندثرت بسبب الإحجام عن استخدامها .

وإن اتفاق الجغرافيين على اختيار لفظ معين للتعبير عن ظاهرة معينة شرط

أساسي ليصبح هذا اللفظ مصطلحاً جغرافياً لهذه الظاهرة، وإذا لم يتم الاتفاق فإن اللفظ المستخدم أو العبارة لا تكتسب صفة المصطلح. وتمثل المصطلحات الجغرافية ركناً أساسياً من أركان الفكر الجغرافي، وجزءاً مهماً من المنهج الجغرافي العلمي، ولا يستقيم منهج جغرافي إلا إذا ارتكز على مصطلحات دقيقة تصف الظواهر الجغرافية والحقائق، ويشيع استخدامها وبذلك تخدم البحث العلمي خدمة صادقة وتعين الباحثين في نقل أفكارهم بصورة أكثر دقة وتحديداً.

### مشكلة اختلاف المصطلحات الجغرافية:

إذا كانت اللغة من أهم مقومات وجود الأمة ومحور تلاحم أبنائها، وكل خطر يهدد اللغة هو خطر يتهدد شخصية الأمة واستمرار بقائها، فإن مشكلة اختلاف المصطلحات العلمية كذلك تتهدد الذاتية العلمية المتميزة لهذه الأمة وتحول دون الارتباط والتفاعل العلمي الإيجابي بين المتخصصين. وكأي تخصص من التخصصات العلمية، تعاني الجغرافيا العربية المعاصرة معاناة شديدة من مشكلة اختلاف المصطلحات الجغرافية المتداولة، تلك المشكلة التي تعوق إلى حد ما وجود فكر جغرافي عربي متجانس على مستوى الوطن العربي. وتتجسد هذه المشكلة في مظهرين أساسيين هما:

المظهر الأول: تعدد التسميات للظاهرة الجغرافية الواحدة، فعلى سبيل المثال يطلق في مصر والسودان والعراق مصطلح المروحة الغرينية على Alluvial fan، وفي سوريا ولبنان يستخدم تعبير مخروط الانصباب، وسبب هذا الاختلاف يعود بالدرجة الأولى إلى الترجمة، فالمصطلح المتداول في مصر

والسودان والعراق ترجم عن الإنجليزية ، والمصطلح المتداول في سوريا ولبنان  
ترجم عن أصل فرنسي .

ومن الأمثلة الأخرى التي توضح تعدد المصطلحات المستخدمة للتعبير عن  
ظاهرة جغرافية واحدة ، استخدام مصطلح «التحاريق» في مصر للدلالة على  
بقايا مياه نهر النيل في مجراه وقت الجفاف ، بينما يستخدم مصطلح «الصيهود» في  
العراق ، «وقناة الشح» في سوريا (حميده ، ٤١) ويستخدم مصطلح الثنيات  
النهرية أو المنعطفات ، ترجمة للفظ الأجنبي Meanders ، وذلك في مصر  
والسودان والعراق ، بينما يستخدم بعض السوريين تعبير الأكواع النهرية أو  
المنادر (حميده ، ٤٣) ، وتستخدم مصطلحات عديدة للدلالة على  
ظاهرتي " Batholith و Lacolith" وذلك على النحو التالي : المتداخلات الأفقية  
والرأسية ، الاندساس الأفقي والرأسي ، جدة جاذعة وجدة قاطعة ، الجرس  
البازليتي ، الباثوليت والاكوليت .

هذه نماذج قليلة توضح مدى التباين والاختلاف وتعدد المصطلحات  
المستخدمة مما يحدث نوعاً من البلبلة والحيرة لدى دارسي الجغرافيا .

أما المظهر الثاني لمشكلة اختلاف المصطلحات الجغرافية ، فيتمثل في  
استخدام بعض المترجمين لألفاظ غير مفهومة على أساس أنهم أمناء في  
ترجماتهم ، فهم يترجمون ترجمة قاموسية دون النظر إلى المدلولات العربية التي  
تسفر عنها مثل هذه الترجمات ، ومن أمثلة هذه الترجمات (مدرّبي Spring  
tide) وهو في حقيقة الأمر مد مرتفع أو قفاز ، (النباتات المتوحشة Wild plants)  
والمقصود هنا النباتات البرية .

ومن المصطلحات غير المألوفة التي نجمت عن ترجمة قاموسية «الكينونة

المديية»، و«المنظومة المديية» (الخش، ١٧١).

وفي محاولة قام بها الباحث للتعرف على أبعاد مشكلة عدم فهم بعض المصطلحات الجغرافية، اختار خمسة عشر مصطلحاً جغرافياً من كتاب واحد (حميدة، ٢٠ - ٦٠) وعرضها على عشرين عضواً من أعضاء هيئة التدريس بقسم الجغرافيا جامعة الملك سعود ويتمون إلى خمسة أقطار عربية، وكانت نتيجة هذا الاستبيان أن ٨٠٪ من هذه المصطلحات (١٢ مصطلحاً) غير مفهوم.

وهناك مشكلة أخرى ترتبط إلى حد ما بالمصطلحات الجغرافية وإن كانت ترتبط بطريقة كتابة الأعلام الأجنبية الجغرافية، ولعل طريقة التعبير عن حرف «g» تمثل جانباً كبيراً من هذه المشكلة كما هي الحال في (لكسمبورج ولكسمبرغ، غرينيتش، جرينيتش، قرينيتش، كرينيتش). وهناك أمثلة عديدة أخرى لا تغيب عنا نحن الجغرافيين. وجددير بالذكر أن استخدام حرف «غ» ليمثل «g» في النطق لم ينجح لأن نطقه كما هو معروف به في العربية هو السائد كما هي الحال في نطقنا المتداول لاسمي غانا وغينيا.

**بداية ظهور المصطلحات الجغرافية في العصور الوسطى:**

جاءت بداية ظهور المصطلحات الجغرافية نتيجة الاتصال بالحضارات المجاورة للعرب ونتيجة دخول شعوب كثيرة ذات ثقافات مختلفة في رحاب الإسلام. لقد كان للعرب في جاهليتهم معارفهم الجغرافية الخاصة التي اكتسبوها نتيجة معاشة ظروف بيئتهم الجغرافية وقد عبروا عن الظواهرات الجغرافية بألفاظهم وفقاً لإدراكهم فأثروا العربية بمصطلحات في أسماء المطر والسحب والرياح ومظاهر السطح والكثبان الرملية وأسماء الأعشاب والأشجار وغيرها. وبسبب الفتوح الإسلامية دخلت مصطلحات جديدة لا سيما في القرن

الثاني الهجري، وقد استعين ببعض اليونانيين الذي يحسنون العربية، وكان بعضهم بمصر، وذلك في نقل الكتب من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربية وبذلك بدأ ظهور مصطلحات جديدة في اللغة العربية، ونقل العرب عن الفارسية والهندية والسرانية. ولقد زاد الاهتمام بالعلوم المختلفة ومنها الجغرافيا في العصر العباسي وزادت الترجمة ونشطت نشاطاً كبيراً في عصري الرشيد والمأمون الذي كان يعطي المترجم زنة ما يترجمه من كتب ذهباً.

ويعتبر مصطلح «الإقليم» أحد المصطلحات الجغرافية التي ظهرت في هذه الفترة: وهو محرفة عن كلمة Klima اليونانية التي استخدمها هيبارخوس في القرن الثاني قبل الميلاد. وتعني هذه الكلمة الميل أي ميل أشعة الشمس. وقد استخدمها هيبارخوس للدلالة على خطوط عرضية تشير إلى طول النهار. وأشار بعض الباحثين إلى أن كلمة إقليم كلمة عربية مثل إخریط وجمعها أخاريط، وسمى الإقليم إقليماً لأنه مقلوم من الأرض التي تتاخمه، أي مقطوع، وسمى القلم قليماً، لأنه مقلوم أي مقطوع مرة بعد مرة (الحموي، ج ١، ٢٥).

ومن المصطلحات الأخرى كلمة «جغرافيا» ذاتها التي استخدمت أحياناً للدلالة على خريطة الدنيا عند إخوان الصفاء (رسائل إخوان الصفاء، ج ١، ١٥٨) وعند ابن خلدون (مقدمة ابن خلدون، ٤٨). وجاء في دائرة المعارف الإسلامية، أن كلمة جغرافيا (وينطق بها أحياناً بفتح الجيم) لم تستعمل للدلالة على علم الجغرافيا إلا متأخراً. واستعمل الجغرافيون المسلمون هذه التسمية علماً على كتاب بطليموس المعروف في الجغرافيا، واستعملت لأول مرة بمعنى علم الجغرافيا في رسائل إخوان الصفاء ولكنها فسرت أيضاً في هذا الموضوع بأنها «صورة الأرض» وظل هذا المعنى شائعاً في العصور الوسطى، ولم يصبح لهذه الكلمة المعنى الذي نعرفه اليوم من علم الجغرافيا إلا في أزمنة حديثة (دائرة



## المعارف الإسلامية - مادة الجغرافيا .

ومن المصطلحات الأخرى التي لم تعد تستخدم الآن كثيراً كلمة «زيج» من لفظ «زيك» التي استخدمها الفرس للدلالة على خيوط السدى (خيوط النسج الطويلة) وكانت تستخدم للدلالة على الجداول الفلكية . وكذلك كلمة «هيولي» وتعني أصل الشيء ، وهي كلمة يونانية بمعنى الأصل والمادة ، وفي الاصطلاح جوهر في الجسم قابل لما يعرض له من التشكيل . وقد ظنها بعض المؤلفين العرب القدماء أنها من كلام العرب وأنها على وزن فعولي ، وقيل مخفف هيئة أولى (الخفاجي المصري ، ٢٦٨) .

وهناك مصطلحات أخرى عديدة لكننا نكتفي بهذه الأمثلة التي تفي بالغرض<sup>(١)</sup> .

لقد ظلت حركة الترجمة العلمية نشيطة حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، ومع نشاط الترجمة ظهر كثير من المصطلحات الجغرافية ، ثم بدأ عصر جديد ، عصر النضوج العلمي حيث تم استيعاب ما ترجم وبدأ التأليف بالعربية بعد أن استفاد العرب مما ترجم ، ولقد أثبتت العربية مقدرتها وصلاحتها على أداء كل المعاني في علوم لم يكن للعرب بها سابق عهد ، وفضل كثير من غير العرب الذين دخلوا في رحاب الإسلام واللغة العربية على لغات أوطانهم ، فكتب بها العلماء المسلمون غير العرب ، ومن أمثلة هؤلاء البيروني ، وهو من أصل غير عربي ، الذي قال بأن الهجو بالعربية أحب إليه من المدح بالفارسية (محمدين ، ١٩٨٤ ، ١١٢) .

•••

## المصطلحات الجغرافية في العصر الحديث:

شهدت النهضة العلمية في العالم العربي فترة ركود وتخلف في العصر المغولي والتركي، ثم تلا ذلك اتصال بالحضارة الأوروبية فبدأت مشكلة المصطلحات الجغرافية العربية التي تحاول وصف ظاهرات لا تعرفها البيئة الجغرافية العربية من جهة، وتحاول نقل أفكار جديدة من جهة أخرى.

ويعد رفاعه الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣ م) رائد المصطلحات الجغرافية الحديثة في رأي كاتب هذا البحث، إذ أنه حينما بدأت مصر في إرسال بعثات إلى فرنسا سنة ١٨٢٥ م، ارتفعت أصوات التحذير من الحياة الفرنسية التي وصفت بأنها حياة لهو وخلاعة، فرئي أنه من الضروري الحفاظ على أعضاء البعثة المصرية إلى فرنسا وصيانة سلوك أفرادها، فرشح الطهطاوي ليكون واعظاً وإماماً للبعثة في فرنسا، وأمضى الطهطاوي بفرنسا خمس سنوات (١٨٢٦ - ١٨٣١ م) قرأ أثناءها مؤلفات عديدة في الجغرافيا، وحينما عاد إلى مصر سنة ١٨٣١ م (١٢٤٦ هـ) ترجم بعض الكتب الجغرافية، وكان الطهطاوي كثيراً ما يمزج بين الترجمة والتأليف، فإذا ترجم كتاباً ورآه غير وافٍ بقصده أضاف إليه من معارفه وما ترجم من كتب أخرى.

ومن الكتب التي ترجمها وكتبها الطهطاوي: التعريبات الشافية لمريد الجغرافية، وجغرافية صغيرة، وجغرافية عمومي في كيفية الأرض، والكنز المختار في كشف الأراضي والبحار، وتحليص الإبريز في تلخيص باريز (محمد بن، ١٩٨٣، ٢٢٩-٢٣٩).

لقد واجه الطهطاوي مشكلة ترجمة المصطلحات الجغرافية لأول مرة، ذلك

لأن هذه المصطلحات لم يكن لها مقابل في العربية، وقد وفق الطهطاوي في كثير من الأحوال في صياغة المصطلحات الجغرافية.

إن مشكلة ترجمة المصطلحات مشكلة لا يدرك أبعادها الحقيقية إلا من يتصدى لترجمة فكر جديد يريد أن ينقله إلى لغة غير التي صيغ بها لأول مرة.

ومن نماذج تعريب الطهطاوي:

بلاد الموسقو (روسيا)، بلاد الفلمنك (هولندا)، البُلْكان (بضم الباء الموحدة وسكون اللام) ويقال ولُْكان بضم الواو، أما الاسم الحالي بركان فهو مصحف ومعرب عن لغة الأندلس.

واستخدم الطهطاوي تسميات لفروع الجغرافيا لا يزال بعضها متداولاً مثل: الجغرافيا السياسية، والجغرافيا الطبيعية، والجغرافيا الرياضية.

وأطلق الطهطاوي اسم الجغرافيا الأدبية على فرع الجغرافيا الذي يهتم بدراسة آداب وأخلاق وطباع وأحوال الأرض، ويعرف هذا الفرع حالياً باسم الجغرافيا الحضارية وإن كانت هذه التسمية ليست مقبولة تماماً.

وجدير بالذكر أن مصطلح المناخ لم يكن متداولاً وقد أطلق عليه الطهطاوي «تعتبر المطر ومزاج الهواء».

ومن الذين اهتموا بالمصطلحات ذات الصبغة الجغرافية محمود الفلكي (١٨١٥ - ١٨٨٥ م) وكان قد انتخب وكيلاً للجمعية الجغرافية المصرية منذ إنشائها (١٨٧٥ م) ثم رئيساً لها في أواخر حياته.

ولم ينقطع الاهتمام بالمصطلحات الجغرافية بموت الفلكي بل تجدد على يدي أحمد زكي باشا (١٨٦٧ - ١٩٣٤ م) الذي أصدر في بداية القرن العشرين (١٩٠١ م) قاموس الجغرافيا القديمة. ويتناول هذا القاموس ضبط الأعلام الجغرافية التي لها ذكر في تواريخ الأقدمين وهي مرتبة ترتيباً أبجدياً، ويقع في

ست وثمانين صفحة من القطع الصغير، وقد أشار أحمد زكي إلى تعدد الأسماء الدالة على الأعلام المختلفة وتنوعها بين اللغات وأصل اشتقاقها (أحمد زكي، ٣).

ولقد نشطت فكرة إنشاء مجامع أو جمعيات لوضع المصطلحات العربية في العلوم وذلك منذ أواخر القرن الماضي وبداية هذا القرن، ولقد أسس السيد محمد توفيق البكري سنة ١٨٩٢ م مجمعا في بيته (في حي الخرنفش وهو من أحياء القاهرة) وضم هذا المجمع نخبة من المفكرين، إلا أنهم لم يجتمعوا إلا سبع مرات، اتفقوا فيها على وضع سبع عشرة كلمة عربية بدلا من كلمات أعجمية. وفي سنة ١٩٠٧ م حاول حشمت باشا إنشاء شبه مجمع في ديوان المعارف، إذ شكل لجنة سماها لجنة الاصطلاحات العلمية ضمت في رحابها ستة علماء اهتموا بضبط أسماء بعض البلدان لوضع مصورات جغرافية صحيحة الأسماء. وتلا ذلك، سنة ١٩١٧ م، إنشاء مجمع لغوي اختير له شيخ الأزهر رئيسا، ولم يستمر هذا المجمع إلا أقل من ثلاث سنوات ثم انفض. وفي سنة ١٩٣٢ م أصدر الملك فؤاد مرسوما يقضى بإنشاء مجمع ملكي للغة العربية في القاهرة (الشهابي، ٦٠ - ٦١)، وقد نص في مرسوم إنشائه أن من أهم أغراضه: أن يحافظ على سلامة اللغة وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ٥).

وقد شكل مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٣٧ م لجنة الأعلام الجغرافية لتصحيح الأعلام الجغرافية التي وردت في الأطالس الجغرافية التي طبعتها مصلحة المساحة باللغة العربية ورسمها بالحروف العربية على حسب القواعد التي أقرها المجمع، ولم يعرض المجمع للمصطلحات الجغرافية إلا بعد قيام

الجمهورية العربية المتحدة . وفي سنة ١٩٦١م شكلت لجنة مستقلة للجغرافيا لأول مرة بعد أن كانت هناك لجنة مشتركة للمصطلحات التاريخية والجغرافية معاً، ودعمت هذه اللجنة بعدد من علماء الجغرافيا البارزين ومنهم محمد عوض محمد، ورأت اللجنة منذ البداية أن تركز على تعريب المصطلحات الجغرافية حتى يتاح للجغرافيين العرب لغة علمية موحدة، ووضعت بعض قواعد لتحقيق ذلك على النحو التالي (الصياد، ز، ح):

- ١ إحياء المصطلح العربي القديم إلا إذا ثبت قصوره عن تأدية المفهوم العلمي الحديث .
- ٢ إعادة اللفظ الأجنبي إلى أصله العربي إن كان مأخوذاً عنه، فردت مثلاً Alldade إلى الأصل العربي «عضادة» .
- ٣ تعريب المصطلحات الأجنبية التي لا نظير لها في العربية وتحويرها لتتفق مع اللسان العربي، وأن تكتب بحسب ما أقره المجمع من قواعد لكتابة الألفاظ الأجنبية .
- ٤ اجتناب الألفاظ العامية إلا إذا كانت شائعة بنفس المعنى عند الجغرافيين العرب، وتعدر الوقوف على مصطلح عربي فصيح يحل محلها .
- ٥ وضع تعريف موجز لكل مصطلح حتى يفهم وجهه الصحيح .

ومكنت هذه اللجنة خلال ثلاث دورات عقدت فيما بين سنة ١٩٦٣م وسنة ١٩٦٥ من إعداد نحو ٧٠٠ مصطلح (المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون - ٨) . وقد قوبلت هذه المصطلحات بارتياح كبير من الجغرافيين العرب بصفة عامة لما لأعضاء تلك اللجنة من مكانة علمية وخبرات طويلة في مجال تدريس الجغرافيا، بالإضافة إلى أن كثيراً من الجغرافيين تتلمذ على أعضاء هذه

اللجنة أو على تلاميذ أعضاء هذه اللجنة ، ومعنى ذلك أن كثيراً من هذه المصطلحات مألوف إلى حد كبير. وقد تجسدت جهود لجنة المصطلحات فيما بعد في المعجم الجغرافي الذي أصدره مجمع اللغة العربية بإشراف محمد محمود الصياد سنة ١٩٧٤م، ويضم هذا المعجم ما يربو على ألف وخمسمائة مصطلح ، وإن كان بعضها مصطلحات عامة .

ولم يكن مجمع اللغة العربية في القاهرة هو المجمع الوحيد بل أنشئت مجامع لغوية أخرى في البلاد العربية ، وكان من أهداف هذه المجامع الاهتمام بالمصطلحات والتعريب .

وعلى سبيل المثال عقد في أبريل سنة ١٩٦١م مؤتمر رسمي للتعريب تولدت عنه فكرة المكتب الدائم للتعريب في الرباط ، حيث يضم ممثلاً لجامعة الدول العربية ، وبعد ذلك بثلاث سنوات عقد في فبراير سنة ١٩٦٤م بمدينة الجزائر مؤتمر أطلق عليه مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية أشرفت عليه جامعة الدول العربية .

وجدير بالذكر أن المؤتمر الجغرافي العربي الأول في القاهرة الذي عقد سنة ١٩٦٢ قد اهتم بمشكلة المصطلحات الجغرافية ، ويتضح ذلك من التوصية العامة الثانية من توصيات هذا المؤتمر التي نصت على ضرورة تنسيق التعاون بين الجغرافيين العرب من أجل الاتفاق على المصطلحات الجغرافية العربية وإيجاد صلة بين الجغرافيين وبين المتخصصين في العلوم المتصلة بالجغرافيا وبينهم وبين الهيئات المعنية بالتعريب في أنحاء الوطن العربي مثل : مجمع اللغة العربية ، وهيئة التعريب (بالرباط) التابعة لجامعة الدول العربية (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ٥) .

وقد أوضح محمد سيد نصر في بحث له عن «مشكلة المصطلحات الجغرافية» في نفس المؤتمر، أن المراقبة العامة للمواد الاجتماعية بوزارة التربية والتعليم بمصر، حاولت توحيد المصطلحات الجغرافية في مصر، فاستعرضت أغلب المصطلحات المتداولة في كتب الجغرافية واختارت ١٤٣ مصطلحاً، فلم تجد بينها إلا ستة مصطلحات فقط متفق عليها، أما بقية المصطلحات (١٣٧ مصطلحاً) ففيها قولان أو أكثر (توني، ع).

وقد عقد المؤتمر لجنة خاصة لمناقشة المصطلحات الجغرافية انتهت بقبول قوائم المصطلحات (١٤ قائمة) أعدها ذوو الاختصاص من الجغرافيين المصريين، وأوصت تلك اللجنة المشكلة بنشر هذه القوائم الأربع عشرة التي غطت عشرة مجالات هي: الجغرافيا التاريخية والجيمورفولوجيا، والجغرافيا المناخية (قائمتان) والخرائط، والجغرافيا الاقتصادية (قائمتان) والجغرافيا السياسية، والسلالات البشرية (قائمتان). وجغرافية العمران، والأنثروبولوجيا الاجتماعية، والأنثروبولوجيا اللغوية (قائمتان). وإذا كانت هذه المحاولة خطوة مهمة وإيجابية وعلامة بارزة على درب توحيد المصطلحات الجغرافية، إلا أن هذه القوائم أهملت فروعاً أخرى هامة من الجغرافيا كالجغرافيا الحيوية على سبيل المثال (توني، ١).

ومن المحاولات الفردية الجديرة بالذكر، والتي تجسدت في معجم جغرافي جيد، تلك المحاولة التي قام بها يوسف توني واستمرت خمس سنوات (١٩٥٩ - ١٩٦٤م) حيث أصدر معجم المصطلحات الجغرافية وهو معجم سهل الأسلوب سهل الاستعمال استعان بكثير من الرسوم والأشكال البيانية، ويقع هذا المعجم في ٥٦٧ صفحة إلى جانب المقدمة بالإضافة إلى دليل للمصطلحات الجغرافية باللغة الإنجليزية ويقع في مائة صفحة، ويزيد ما في هذا المعجم على ثلاثة آلاف وخمسمائة مصطلح.

وقد تعرض يوسف توني لمشكلة اختلاف المصطلحات الجغرافية وأقر بأن هذه المشكلة أمر طبيعي ومتوقع وعزا سبب ذلك إلى أساليب عديدة نتخير منها ما يلي :

١ - اختلاف وجهات النظر عند النقل إلى العربية ، فالبعض يستحسن النقل الصوتي (يقصد بذلك التعريب) والبعض الآخر يفضل ترجمة المعاني وصياغة ألفاظ عربية جديدة والبعض الثالث يرى أن يخلط هذا بذاك .

٣ - عدم تحري الدقة في نقل المعنى الاصطلاحي للفظ الأجنبي داخل المجال اللغوي الواحد ، وعلى سبيل المثال داخل المجال اللغوي الإنجليزي نجد أن لفظ Watershed يعني خط تقسيم المياه في بريطانيا ، ويعني في الإنجليزية الأمريكية حوض النهر .

٣ - يقوم بالترجمة أحياناً مترجمون غير جغرافيين قد لا يتبينون الفوارق الدقيقة في مختلف فروع الجغرافيا ولا يدققون في اختيار الألفاظ أو صياغتها (توني ، ن ، س) .

ما السبل التي يقترحها الباحث لتوحيد المصطلحات الجغرافية العربية ؟  
إن اختلاف المصطلحات الجغرافية المتداولة في العالم العربي جاء وليد الترجمة من لغات متنوعة أهمها الإنجليزية والفرنسية ، وجاء كذلك نتيجة لاختلاف المستوى اللغوي للذين تصدوا للترجمة ، إلى جانب أن كثيراً من المصطلحات كانت تعبر عن جوانب لم تألفها بيئة العرب الجغرافية .

وجدير بالذكر أن عملية التعريب ليست أمراً سهلاً ميسوراً بل تحتاج إلى عملية ترويض لغوية للمصطلحات والأسماء الأجنبية .

ويقترح الباحث اتباع الخطوات الآتية لتوحيد المصطلحات الجغرافية العربية :



أولاً - الاعتماد على الميراث اللغوي من المصطلحات الجغرافية :

استخدم العرب كثيراً من المصطلحات الجغرافية التي وصفت جوانب بيئتهم الجغرافية وصفاً دقيقاً لا سيما فيما يتعلق بالجبال والهضاب والسهول وأشكال التكوينات الرملية وصلابة الرمال وليونتها، كما تنوعت المصطلحات التي عبرت عن عناصر المناخ من حرارة وسحب ورياح ومطر، وقد ذكرت كتب فقه اللغة أن للحساب عند العرب مائة وخمسين اسماً، وللمطر أربعة وثلاثين اسماً وفقاً لموسمه وشدته واستمراره (محمد بن، ١٩٨٤، ٢٥٥).

وجدير بالذكر أن مصطلحات العرب في وصف التكوينات الرملية تعد مثلاً جيداً لدقة وصفهم وسعة تمييزهم لخصائصها وأنماطها، وعلى سبيل المثال نذكر بعض النماذج :

الحبل : ما استدق من الرمل .

الحقف : ما اعوج منه .

الدعص : ما استدار من الرمل .

العقد : ما تعقد منه .

العقنقل : ما تراكم، تراكب منه .

السقط : ما جعل ينقطع ويتصل منه .

الشقيقة : ما انقطع وغلظ منه .

الكثيب والنقا : ما احدودب وانهاه منه .

أما بالنسبة لصلابة الرمال وليونتها :

الأوعس : ما لان من الرمل .

الرغام : ما لان وليس بالذي يسيل من اليد .

الهيام : يسيل من اليد للينه .

الدَّكْدَاكُ: ما التبد بالأرض من الرمل. (محمد بن، ١٩٨٤، ٤٦٩ - ٤٧٠).  
ولتوضيح دقة العرب في اختيار مصطلحاتهم، استخدمهم لمصطلح  
«الرَّيْد» للجانب المعرض للرياح من الجبل.

ويمكن لمصطلحات التراث أن تضع حدًا لكثير من الخلافات بشأن تعدد  
المصطلحات المتداولة لظاهرة جغرافية محددة وعلى سبيل المثال: يستخدم  
مصطلح «المروحة الغربية» في مصر و«مخروط الأنصباب» في سوريا، كما سبقت  
الإشارة من قبل، لكن تراثنا يعبر عن هذه الظاهرة بسعة لغوية أكثر تفصيلاً  
حيث يقسمها إلى «فيضه» و«خبرها» و«تنهية» أو «تنهية» و«الروضة» فإذا سالت  
المياه من الروضة إلى روضة أخرى فيعرف هذا المسيل باسم «مذهب الروضة».

وجدير بالذكر أن عبد الله يوسف الغنيم، قد قام بمحاولة طيبة حينما جمع  
أكثر من مائتي مصطلح من المصطلحات العربية لأشكال سطح الأرض، وقد  
اعتمد في هذا العمل على عدد كبير من المصادر العربية القديمة والمراجع  
الحديثة وبعض الدراسات الميدانية (الغنيم، ٧)، وإن كان قد أغفل مصدرًا  
هامًا كان يمكن أن يثري عمله ألا وهو كتب فقه اللغة العربية التي أفاضت في  
وصف مظاهر سطح الأرض، وعلى سبيل المثال وليس الحصر، تعرض أبو  
منصور الثعالبي (ت ٤٣٠ هـ) في كتابه فقه اللغة وسر العربية، في الباب  
السادس والعشرين لأشكال سطح الأرض فيما أطلق عليه «في الأرضين والرمال  
أولجبال والأماكن وما يتصل بها وينضاف إليها» وفي هذا الباب يتحدث عن  
ترتيب ما ارتفع من الأرض وأبعاد الجبل مع تفصيلها وغير ذلك (الثعالبي،  
٢٩٤ - ٣٠٥).

وقد أشار عبد الله يوسف الغنيم إلى أن «معجمه» يتضمن ثلاثة أنواع من  
مصطلحات التراث، أحد هذه الأنواع مصطلحات لم تستعمل إلا استعمالاً

محدودًا وليس لها مقابل في اللغات الأجنبية مثل «الأبرق» و«البشرة» و«الدارة»، ومصطلحات يمكن أن يستعان بها في الجغرافيا العربية المعاصرة مثل: السِّلْع ويقصد به خط تقسيم المياه، والسَّطاط أي المقطع الطولي للوادي، و«التلعة» أي الوادي المعلق.

أما النوع الثالث فهو المصطلحات المحلية التي تشيع في بعض المناطق دون الأخرى، ويمكن كذلك أن يستعان بها في مجال التعريب والاعتماد عليها بدلاً من المصطلحات الأجنبية، مثل مصطلح «الجال» الذي يطلق على ما نعرفه باسم «كويستا» و«الجدبية» للدلالة على القباب اللابية (الغنيم ١٠ - ١١).

ثانيًا - الاعتماد على الاشتقاق والنحت والمجاز في إيجاد مصطلحات جغرافية جديدة.

إن للغة العربية وسائل نمو متباينة مثل الاشتقاق والنحت، وهما سبيلان يمكن بهما أن نغني العربية إلى حد كبير ونصونها حتى لا نعتمد على لغات أخرى نأخذ منها لنفسد ألسنة أبنائنا ونعجم لغتنا.

إن الاشتقاق، وهو أن تصاغ صيغ مختلفة من الأصل الواحد، سماعي تقتصر فيه على ما ورد عن العرب أنفسهم، أي إن هذا المصدر قد أصيب بالعقم، لكننا نستطيع أن نحى بهذا المصدر من جديد إذا لم نجد إلا الاشتقاق وسيلة لإيجاد مصطلح جغرافي جديد، وذلك أفضل من أن نفتح باب العربية على مصراعيه أمام المصطلحات الأجنبية، ومن أمثلة الاشتقاق: الأينية من أين، والنمذجة من نموذج.

أما النحت فهو كذلك ضرب من الاشتقاق. وهو أن تصوغ كلمة من كلمتين، فهو بذلك ضرب من الاشتقاق المهجن، ويقسم بعض اللغويين

النحت إلى «نحت فعلي»<sup>(٢)</sup>، ومن أمثله في الجغرافيا «يبخنح» أي يتبخر ويتح في نفس الوقت، ونحت اسمي مثل «ضبخان» من : ضباب + دخان، وهي ترجمة نحّية للفظ Smog<sup>(٣)</sup> «وهي Sm/ok» وتحتربة من : تحت التربة و«بحر سطى» من : البحر المتوسط، كقوله السلالة البحرسطة.

وهناك نحت نسبي مثل آفر وآسيوي وأمرندي أي أمريكي هندي. إن النحت باب رجب لإثراء العربية بمصطلحات جغرافية جديدة، والنحت يحتاج إلى حس لغوي وذوق عربي سليم حتى لا يكون ضرباً من العبث اللغوي، بلجأ إليه كل من هب ودب، فینحت كلما شاء وكيفما اتفق دون قيد أو شرط، فتكون النتيجة ظهور مصطلحات لا تنسب إلى العربية إلا في رسم حروفها، ولا يمكن فهمها إلا بالرجوع إلى الأصل الأجنبي ليعيننا على فهم ما نحت من مصطلحات عربية. من أمثلة هذه المصطلحات المنحوتة الغامضة مصطلح «الحت الحوجودي» (حميده، ٢٥٣) ومصطلح «البید سهل» وهو مصطلح مهجن من كلمتين إحداهما فرنسية بيدمون والأخرى عربية وهي «سهل» (حميده، ٢٩٦)، وقد أفاد عشرون عضواً من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك سعود أن هذين المصطلحين غير مفهومين.

أما المجاز فهو أن ينقل المتكلم معنى اللفظ الأصلي إلى معنى آخر له علاقة بالمعنى الأصلي، وقد تكون هذه العلاقة المشابهة أو غيرها، مثل العلاقة السببية كأن نقول «رعت الماشية الغيث» والمقصود هنا النبات الذي يسببه الغيث. وقد اعتمد على المجاز في وضع طائفة كبيرة من مصطلحات العلوم في العصور المختلفة وقد عرف بعض القدماء ومنهم الجرجاني الإصلاح المجازي بأنه إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، أي أنه يريد أن يقول إن

المصطلح لفظ استعمل بطريق التجوز (عبد الباقي، ٥٢).

ثالثاً - التعريب والترجمة الواعية:

يقصد بالتعريب استعمال الألفاظ الأعجمية ودمجها في لسان العرب، والتفوه بها في إطار أحكام العربية، فهم يبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجاً، فيبدلون حرفاً بآخر ويغيرون حركته ويسكنونه ويحركونه وينقصون ويزيدون (الخفاجي المصري، ٢٥). ولقد استخدم اللغويون مصطلح «الدخيل» دلالة على المفردات الأجنبية التي لم يغيروا فيها شيئاً وأبقوها على حالتها، أما الألفاظ الأعجمية التي أعاد العرب صياغتها وفق أبنيتهم فهي التي سميت بالمُعَرَّب أو المُعَرَّب. والأعجمي الدخيل في لغتنا العربية أنواع: منها ما دخل قبل الإسلام مثل الدينار والدرهم، ومنها ما دخل في صدر الإسلام مثل ديوان، إقليم، ومنها ما أدخله المحدثون.

إن الدخيل بأنواعه الثلاثة لا يفسد مصطلحاتنا الجغرافية ولا يحط من قدرها إذا روعي فيه خلوصه من الغرابة وتنافر الحروف. وقد ذكر أحمد أمين (ضحى الإسلام، ٢٩٢) أن العرب لما تحضروا بعد البداوة وجدوا أنفسهم أمام أشياء كثيرة ليس في ألفاظهم ما يدل عليها. . . فسلخوا خير طريق لذلك وهو أن يتوسعوا في مدلولات الكلمات العربية أحياناً، ويأخذوا الكلمات الأجنبية كما هي أحياناً ومصقولة بما يتفق ولسانهم أحياناً أخرى.

وعموماً فإن من المتفق عليه أن الكلمات الأعجمية التي وقعت للعرب عربوها بألسنتهم وحولوها من ألفاظ العجم إلى ألفاظهم وأجروا عليها من الأحكام ما يجري على الكلمات العربية من تعريب وتأنيث وإفراء وجمع.

وأياً كانت آراء الأقدمين والمعاصرين فإن التعريب أسهم في نمو العربية ومواكبتها لتطور الفكر الجغرافي، ومن أمثلة المصطلحات المعربة في الجغرافيا:

كلمة الجغرافيا في القرن الثاني الهجري ، وكلمة الإقليم ، والبروج ، والطقس ، وخريطة ، ودلتا ، وأرخييل ، وبركان ، والترنادو ، اروتوازي ، وجيمورفورلوجي .

ولعل أهم الأسباب التي مهدت السبيل أمام تيار التعريب ودخول عديد من المعربات في العربية تتجسد في أن الذين ترجموا العلوم إلى العربية لأول مرة لم يكونوا عرباً باستثناء نفر قليل من أمثال عبد الله بن المقفع (عبد الباقي ، ٦٤) . كما أن المترجمين لم يكونوا ذوي اهتمامات محددة بل تصدوا للترجمة في كل فروع العلوم ، وكانوا ينجزون الترجمة بسرعة دون أن يترثوا للبحث عن الألفاظ العربية والاعتماد عليها ، فكانوا ينقلون اللفظ الأعجمي بحروف عربية ويصوغونه في قالب عربي حتى يتخذ اللفظ ثوباً عربياً وذلك عن طريق تغيير الحروف وإبدال الحركات ، وجعلوا أقصى عدد حروف الكلمة المعربة سبعة حروف . . . . . و جدير بالذكر أن الكلمات المعربة تجري عليها قواعد العربية المختلفة من اشتقاق وصرف ، فمن الديوان قالوا دون أي سجل .

وجدير بالذكر أن المترجمين غير المتخصصين في الفروع العلمية المختلفة والذين يستعان بهم في مجالات الإعلام المختلفة يسهمون في فوضى المصطلحات العلمية .

ومما يؤسف له ما شاع حديثاً من القول في إذاعاتنا :

«ضرب زلزال مدينة ما ، أو ضرب بركان منطقة ما» وهذه ترجمة حرفية تحمل بصمات من الوثنية التي كانت تسود أوروبا التي شغفت بتعدد الآلهة للظواهر الطبيعية المختلفة مثل : إله جوف الأرض «بلوتو» وإله النار والحدادة «فولكان» الذي اشتق منه اسم (البركان) .

ومعروف أن الكلمات التي تتخذ بوصفها مصطلحات إنما تحمل بصمات

خاصة ترتبط بالعصر والبيئة والظروف والمعتقدات، وهذا ما لا يمكن أن يتوافر لها بالترجمة لأنها تنقل إلى بيئة وظروف لأصحابها عقائد تختلف وتتباين عن المهد الأول لهذا المصطلح أو ذاك، لذا ينبغي أن تراعى مثل هذه الأمور في الترجمة. ومن الأمثلة التي يمكن الاستشهاد بها في هذا المجال استخدام المصطلح المترجم (العوامل الطبيعية والبشرية) هذا المصطلح يساوي بين الإنسان وبين الظروف الطبيعية من تضاريس ومناخ وتربة، وهذا لا يتفق والنظرة الإسلامية للإنسان، فإله سبحانه وتعالى كرم الإنسان، وقال تعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (الاسراء: ٧٠).

وبناء على ذلك ينبغي لنا أن نقول: العوامل البشرية، والظروف الطبيعية، لأن الإنسان هو العامل الذي يحيل هذه الظروف إلى إنتاج أو لا يحيلها، فالبيئة بكل ما فيها من عناصر طبيعية جيدة أو سيئة تظل مجرد ظروف وإمكانات والإنسان هو العنصر العامل وعلى قدر جهده يكون استغلال ظروف البيئة.

ومن الأمثلة الأخرى التي تستوجب منا أن نعمل على تعديلها ذلك المعيار الذي تعتمد عليه منظمة الأغذية والزراعة FAO في تقدير الثروة الحيوانية، وهو الوحدة الحيوانية A.U، وهي رأس الغنم أو الماعز، وتحسب البقرة أو الحمل بخمس وحدات. واستناداً إلى ما شرعه الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً بشأن الأضحية، (بضم الهمزة وكسرهما)، وهي ما ينحر من الغنم تقرباً إلى الله في أيام النحر، وهي سنة مؤكدة، فإن الشاة تحزى عن واحد والبدنة أو البقرة عن سبعة، لذا يجب على الأقطار الإسلامية أن تتبنى هذا المعيار (معيار الوحدات الحيوانية) فيما بينها وأن تعمل جاهدة على تعديله في منظمة الأغذية والزراعة ليتفق وشرع الإسلام والذي اتبعه المسلمون منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

إن فكرنا الجغرافي - نحن المسلمين - يجب أن تتمثل فيه ذاتيتنا التي تستمد جذورها من القرآن الكريم والسنة ، ومن هنا كان من الضروري مراعاة ذلك عند الترجمة وعند صوغ مصطلحات جغرافية جديدة .

كيف يشاع استخدام المصطلحات الجغرافية العربية : إذا كنا قد عرضنا بعض السبل التي يمكن أن نلجأ إليها في وضع المصطلحات الجغرافية العربية ، فكيف السبيل إذن إلى إشاعتها؟ وقد بدا لنا واضحاً فيما تم عرضه من مصطلحات جغرافية أن هناك تعداداً في المصطلحات للمدلول الواحد أو الظاهرة الواحدة ، ويرجع ذلك إلى اجتهاد الباحثين ، وتحيز كل باحث لما صاغه من مصطلحات أشاعها بين تلاميذه فتداولوها ، وكثيراً ما تزول بعض هذه المصطلحات نتيجة الاستقرار على تداول غيرها ، وسيظل تعدد المصطلحات للظاهرة الواحدة لوقت يحدد طوله واستمراره مدى تعصب كل باحث لما صاغه وألفه من مصطلحات .

ومن المعروف أن المصطلح الجغرافي لا قيمة له إلا إذا طابت له نفوس الجغرافيين وأقروه حتى يصبح جزءاً من لغة الجغرافيا الشائعة . لقد تعددت المؤتمرات والندوات لبحث سبل توحيد المصطلحات الجغرافية ، لكن الحقيقة التي يجب ألا تغيب عنا أن توحيد المصطلحات الجغرافية العربية لا يتم بندوة أو مؤتمرات يلتقي فيها نفر من الجغرافيين بضع مرات ثم ينصرفون إلى بلادهم .

وجدير بالذكر أن المؤتمر الثاني للتعريب الذي عقد في الجزائر سنة ١٩٧٣ م قد حدد الداء أكثر من المؤتمرات التي سبقته أو تلتها حين قرر «أن قضية المصطلح العلمي لم تنل في التنفيذ قدر ما نالت من عناية في الإعداد والدراسة والإقرار، وأنه إذا كانت قضية المصطلح عملية مستمرة فإن ذلك يقتضي ألا يستمر الجدل



النظري حولها إلى ما لا نهاية له ، وأنه لا بد من أن يخرج هذا النقاش النظري إلى مرحلة التطبيق والتجربة العملية حتى يكون استخدام المصطلح هو الذي يحقق امتحانه والحكم عليه (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ٤ ، ب) . ويرى كاتب هذا البحث أن هناك سبلاً يمكن اللجوء إليها في مجال توحيد المصطلحات الجغرافية منها على سبيل المثال :

أولاً: الاعتماد على الاستبيانات في اختيار المصطلحات التي تنال موافقة أكبر نسبة من المتخصصين .

يمكن أن نلجأ إلى إعداد قوائم للمصطلحات الجغرافية بحيث يكتب المصطلح الأجنبي وأمامه ما اقترح من مصطلحات عربية ، وتطبع هذه القوائم بحيث تكون هناك قوائم لكل فرع من فروع الجغرافيا ، ثم ترسل هذه القوائم إلى أكبر عدد من الجغرافيين بحسب تخصصاتهم في جميع أقطار الوطن العربي لاختيار ما يرون من مصطلحات مناسبة في القائمة ، أو اقتراح مصطلحات أخرى ، وفيما يلي نموذج لما يمكن أن تشتمل عليه القائمة .

## استبيان حول مصطلحات الجغرافيا الطبيعية

المصطلح الأجنبي	المصطلحات العربية (١)	مصطلح مقترح (٢)
Horst	هورست - ضهر - هضبة اندفاعية	
Anticline	ثنية محدبة - تحدية - طبة محدبة - انتكلين	
Alluvial fan	مروحة غرينية - مخروط الضباب	
Cone de dejection	(فيضة - تنهية - تنهات)	
Meander	منادر - تعرج - ثنية - كوع (حنو - خوع) ث	
Subsoil	تربة سفلية - تحربة (م)	
Lava	لافا - المهل - القطر (م)	

(١) أشر على المصطلح الذي توافق عليه بعلامة صح .

(٢) إذا كان لديك مصطلح مقترح فاكتبه .

(ث) مصطلحات وردت في التراث الجغرافي العربي .

(م) مصطلح أقره مجمع اللغة العربية بمصر .

وبعد أن تجمع هذه القوائم وتفحص وتدرس ، تعد قوائم جديدة بما نال استحسان أكثرية الجغرافيين وقبولهم في كل تخصص ، وينبه الجغرافيون بما استقر عليه رأي غالبيتهم .

ثانيًا : تعمم هذه القوائم وترسل لجميع الجهات التي تتداول المصطلحات

الجغرافية، وتبلغ بنتائج الاستبيان، ويؤكد على ضرورة الالتزام بهذه المصطلحات ويشار إلى أهمية استخدامها لما يحققه ذلك من توحيد للمصطلحات الجغرافية، وبالتالي نقضي على داء من أدواء الفكر الجغرافي العربي، ألا وهو اختلاف المصطلحات الجغرافية. ولا يغيب عنا أن نشر هذه المصطلحات وتعاون الهيئات والاتحادات والمؤتمرات الجغرافية في ذلك يعد وسيلة مهمة وخطوة جادة في مجال توحيد المصطلحات الجغرافية العربية.

ثالثاً : يجب السعي بشتى الوسائل لدى وزارات التربية والتعليم والمعارف في الدول العربية كي يعتمد مؤلفو كتب الجغرافيا على تلك المصطلحات التي تم الاتفاق عليها، إذ أن للنشر والتأليف العلمي شأواً عظيماً في تعميم تداول تلك المصطلحات وإشاعة استخدامها. ويدهي أن توحيد المصطلحات الجغرافية العربية يحمل خيراً كبيراً للجغرافيا العربية، إذ أنه خطوة إيجابية نحو تكوين مدرسة جغرافية عربية أصيلة، كما أن توحيد المصطلحات الجغرافية العربية أحد السبل الإيجابية في إشاعة الفكر الجغرافي العربي عن طريق الكتب الجغرافية العربية التي يقف اختلاف المصطلحات فيها الآن عقبة لا يستهان بها في سبيل سعة انتشارها، كما أن الالتزام بمصطلحات جغرافية موحدة ييسر عمليات تدريس الجغرافيا وإعارة المدرسين بين أقطار الدول العربية.

رابعاً : إن قضية المصطلحات الجغرافية قضية مستمرة طالما أن هناك اتصالاً بين أقطار العالم وسبلاً لا ينقطع من البحوث التي يمكن أن يستفاد منها، ولهذا ينبغي أن تشكل لجنة شبه دائمة لقضية توحيد المصطلحات الجغرافية العربية، تكون تابعة لمكتب التعريب العربي، أو اتحاد الجامعات العربية، وتكون مهمة هذه اللجنة الاتصال بالمختصين في فروع الجغرافيا المختلفة وتلقى منهم المقترحات، وتعمم نشر ما يتم الاتفاق عليه من مصطلحات جديدة.

وفي ختام هذا البحث آمل أن أكون قد أسهمت بما يمكن الانتفاع به في مجال  
طالما تمنناه الجغرافيون العرب ألا وهو توحيد مصطلحات الجغرافيا التي تمثل  
ركنًا هامًا من مجال فكرهم وساحة تخصصهم ، وما التوفيق إلا من عند الله .



## المراجع

- ١ - ابن خلدون (دت) مقدمة ابن خلدون، مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
- ٢ - إخوان الصفا (١٣٧٦هـ) رسائل إخوان الصفا، بيروت: دار بيروت.
- ٣ - أمين، أحمد (١٣٥١هـ) ضحى الإسلام، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- ٤ - الثعالبي، أبو منصور (١٩٣٨م) فقه اللغة وسر العربية، القاهرة، تحقيق مصطفى السقا وآخران.
- ٥ - الحموي، ياقوت (١٩٥٥م) معجم البلدان، بيروت: دار صادر.
- ٦ - الخش، علي (د.ت) المدى الجغرافي، مترجم، دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- ٧ - الخفاجي المصري، شهاب الدين أحمد (١٩٥٢م) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل: القاهرة.
- ٨ - الشنتناوي، أحمد وآخرون (١٩٣٠م) دائرة المعارف الإسلامية، مترجمة، القاهرة.
- ٩ - الشهابي، الأمير مصطفى (١٣٨٤هـ) المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، دمشق: مطبوعات المجمع العلمي.
- ١٠ - الصباد، محمد محمود (١٩٧٤م) المعجم الجغرافي، القاهرة: مجمع اللغة العربية.
- ١١ - الغنيم، عبد الله يوسف (١٤٠٤هـ) منتخبات من المصطلحات العربية لأشكال سطح الأرض، الكويت.
- ١٢ - المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، (١٩٦٥م) المصطلحات الجغرافية، القاهرة.
- ١٣ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (١٣٩٨هـ) المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم، ٤، القاهرة: المطبعة التعاونية.
- ١٤ - توني، يوسف (١٩٦٤م) معجم المصطلحات الجغرافية، القاهرة.

- ١٥ - حميده، عبد الرحمن (١٩٨٢م) مبادئ الجيومورفولوجيا، معرب، دمشق: دار الفكر.
- ١٦ - زكي، أحمد (١٨٩٦م) قاموس الجغرافيا القديمة بالعربي والفرنساوي، القاهرة: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق.
- ١٧ - عبد الباقي، ضاحي (١٩٧٩م) المصطلحات الجغرافية، القاهرة.
- ١٨ - محمد بن، محمد محمود (١٩٨٤م) التراث الجغرافي الإسلامي، الرياض: دار العلوم.
- ١٩ - محمد بن، محمد محمود (١٩٨٣م) الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، الرياض: دار العلوم.

### الهوامش

- (١) من المصطلحات الأخرى، الاصطلاح، نموذج أو أنموذج، العروض، الأطوال، الطقس وغيرها.
- (٢) مثل: بأبأ أي قال بأبي أنت وأمي.
- (٣) نحتت كلمة Smog من Smoke + Fog.

# سبأ

## بين التاريخ و النص القرآني

الأستاذ رابع لطفي جمعة

تقديم:

لم يرد ذكر بعض الأمم البائدة والأحداث التاريخية القديمة في القرآن الكريم على سبيل الخبر التاريخي، وإنما للحض على السير في الأرض ومشاهدة ودراسة آثار الأولين للاعتبار بها والتنبيه على أخذ الموعظة منها، والربط بين المعلومة الأثرية والعبرة المستفادة منها، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً



وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لَآلِهَةٍ لِّيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ<sup>(١)</sup>»، وقال سبحانه وتعالى أيضا:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ<sup>(٢)</sup>﴾.

ومعنى ذلك كما يقول المفسرون ألم يسر هؤلاء المشركون في أطراف الأرض ليعرفوا عاقبة المشركين وأثار الأمم السالفة التي كانت قبلهم ماذا حل بهم من العذاب والدمار بسبب كفرهم وتكذيبهم، فقد كانوا أكثر عدداً من أهل مكة وأشد منهم قسوة ولا تزال آثارهم باقية من بعدهم شاهدة على قوتهم، فلم ينفعهم ما كانوا يكسبون من الأموال وما يشيدون من الأبنية والقصور شيئاً، ولم يدفع عنهم العذاب.

كذلك من مقاصد السير في الأرض والتعرف على ماضي الأقوام وموقفهم من الأنبياء الذين أرسلوا إليهم - مواساة النبي ﷺ وتبتيته وتطمينه وتبشيره بأن النصر - بإذن الله - سوف يكون حليفه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَلَّا تَقْصُصَ عَلَيْنَا مَنَآبِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ<sup>(٣)</sup>﴾، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانُوا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ<sup>(٤)</sup>﴾.



وبالجملة فإن الآيات القرآنية سالفه الذكر وغيرها واضحة الدلالة في وجوب العبرة من أدلة الآثار المادية التي بقيت بعد الأمم السابقة<sup>(٥)</sup>، لأن القرآن الكريم أفضل المراجع التي لا بد أن تأخذ مكانها عند دراسة تاريخ الأمم السابقة وآثارها لا سيما عندما تقرن بدليل مادي للتحقيق في أحوال هذه الأمم وعقائدها بهدف توحيد العبادة لله وحده<sup>(٦)</sup>.

على أن هناك جانباً آخر لذكر القرآن الكريم تاريخ بعض الأمم البائدة وما كان سائداً فيها من عقائد وأديان ومعتقدات وتقاليده وحضارات، ذلك أن هذه الحضارات وتلك المعتقدات والتقاليد هي التي كونت نفسية العرب قبل أن ينتشر الإسلام بينهم، وقد قيل بحق إن أي مؤرخ مُنصفٍ لن يستطيع أن يُوفي هذا الدين الإسلامي وهذا النبي العربي الكريم وهذا الشعب العربي العظيم الذي كونَ إمبراطورية عظيمة في زمن قصير - لا يستطيع المؤرخ أن يُوفي هذا كله حقه إذا لم يُلم بما كان في بلاد العرب من شعوب وديانات وحضارات وتقاليده قبل ظهور الإسلام، ولهذا فإن دراسة تاريخ وآثار بلاد العرب قبل الإسلام ليست دراسةً عادية لبلد من البلدان أو ترفاً فكرياً بل إنها دراسة على جانب كبير من الأهمية لا للعرب فقط بل لجميع المسلمين في أنحاء العالم<sup>(٧)</sup>.

وفضلاً على ذلك فإن دراسة الآثار وما خلفه السابقون منها يزيد من معلوماتنا عن مواطن الحضارة التي كانت للعرب في شبه الجزيرة العربية، تلك المواطن التي مازلنا نهمل عنها الكثير، ويؤكد الأستاذ عبد الله حمد الحقيّل أننا في حاجة إلى قراءة المزيد من الكتب والوثائق والمخطوطات والمصادر التاريخية التي تتصل بتاريخ بلادنا العربية<sup>(٨)</sup>.

ليس هذا فحسب، بل إن من دلائل الإعجاز التاريخي للقرآن الكريم أنه

يُسِيرُ - وَلَوْ بِعِبَارَاتٍ قَلِيلَةٍ وَجَمَلٍ مُقْتَضِيَةٍ - إلى ما كَانَتْ عليه بعض الأمم البائدة من حضارة وتقدم ورقى في فنون الزراعة والبناء مما كشفت عنه حديثاً أعمال البحث والتنقيب وأكدته الحفريات الأثرية في القرن العشرين، أي بعد مضي أكثر من أربعة عَشَرَ قرناً على نزول القرآن، وقد أكد القرآن الكريم في أكثر من سورة أن النبي ﷺ لم يكن ليعلم شيئاً من حوادث وأنباء هذه الأمم الغابرة وتلك الأقوام البائدة قبل نزول الوحي عليه، وأنه لم يكن حاضراً أو شاهداً ما يسرده القرآن من هذه الأنباء وتلك الأحداث، يقول سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ﴾ (٩). ويذكر الدكتور عبد المنعم عبد الحليم أن علم دراسة النقوش والكتابات القديمة في الجزيرة العربية يقدم لنا مثلاً واضحاً للإعجاز في القرآن الكريم<sup>(١٠)</sup>.

### مملكة سبأ :

ومن الأقوام القديمة والممالك البائدة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم مملكة سبأ في اليمن، وقد جاء ذكر هذه المملكة في القرآن مرتين الأولى في سورة «النمل» والثانية في سورة «سبأ».

وفي هذه الصفحات نتحدث عن سبأ بين التاريخ والنص القرآني، فنبادر إلى القول بأن ما ورد في القرآن الكريم عن سبأ - وخاصة سد مأرب وسيل العرم - يكاد ينطبق تماماً على ما كشفت عنه أعمال البحث والتنقيب في المناطق الأثرية بمدينة صرواح ومأرب، وما سجله الرحالة الأجانب والعرب الذين ارتادوا هذه المناطق في كتاباتهم وبحوثهم وما نقلوه من نقوش.

فقد كانت قصة التوراة عن مملكة سبأ والنبي سليمان وما ورد فيها من أماكن متعددة في بلاد العرب وما حوته هذه المملكة من ذهب وكنوز وأحجار كريمة ، وما كتبه المؤرخون اليونان والرومان من قصص أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة التاريخية ، وما رواه بعض مؤرخي العرب كالحسن أحمد الحمداني في كتابه «الإكليل» عما كان في بلاد اليمن من قصور وحصون وهايكل ومعابد وسدود ومقابر بقيت قائمة من عهد الأقدمين ، كل هذه الكتابات كانت سبباً في إثارة خيال كثير من الرّحالة الإفرنج والعرب وحملهم على السفر إلى اليمن<sup>(١١)</sup>.

وقد بدأت معلوماتنا عن «اليمن الخضراء» كما وصفها الحمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» أو «بلاد العرب السعيدة» «Arabia - Felix» كما سماها اليونان الأقدمون تتغير منذ بدأت النقوش اليمنية تصل إلى أيدي العلماء كما وصل إلى أيديهم عشرات الألوف من المخربشات القصيرة على واجهات الصخور بين ثمودية ولحيانية وسبئية وغيرها جعلتنا نعرف الشيء الكثير عن تاريخ اليمن القديم.

وقد ساعدتنا هذه النقوش في الحصول على صورة واضحة إلى حد ما عما كان جارياً في تلك البلاد منذ القرن التاسع قبل الميلاد سواء من الناحية السياسية أم الدينية أم الاقتصادية أم العمرانية ، فقد كان هناك في تلك الحقبة عدة دويلات تعاصر بعضها بعضاً في جنوب الجزيرة العربية ، وكان من أهمها «سبأ» و «معين» و «قبتان» و «حضر موت» و «أوسان» ، وكان يحكم كلاً من هذه الدويلات أو الممالك رئيس أو حاكم اسمه مكرب<sup>(١٢)</sup> يجمع في يده بين السلطتين الدينية والزمنية ، على أن مملكة «سبأ» كانت هي دولة اليمن الكبرى وأشهرها ذكراً في تاريخ اليمن القديم .

وقد بلغ العدد المعروف حتى الآن من هؤلاء المكربين من حكام سبأ اثني عشر مكرباً كان آخرهم يدعى «كريب إيل وتار» وكان معاصراً للملكين الأشوريين سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق. م) وسنحريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق. م) (١٣).

وقد اتسعت مملكة سبأ حتى شملت «أوسان» و«قتبان» و«حضر موت»، واستمرت خلال تاريخها تقوى حيناً وتضعف حيناً آخر، وتسمع تارة وتنكمش تارة أخرى حتى انتهى الأمر باحتلال مملكة أكسوم في الحبشة لليمن سنة ٥٢٥ ميلادية (١٤).

### حضارة سبأ:

وقد نشأت حضارة عريقة في مملكة سبأ التي اتخذت حكامها مدينة «صرواح» عاصمة لهم ثم استولوا على مدينة «مأرب» واتخذوها عاصمة للملكهم، وقد عني كثير من المكربين من ملوك سبأ بتشييد المعابد للآلهة التي كانوا يعبدونها، ولعل أقدم هذه المعابد السبئية الكبيرة التي ظلت قائمة حتى اليوم هو ذلك المعبد الذي بناه [يدع إيل ذريح] بن (سمهو على) وهو ثاني مكرب معروف في مملكة سبأ وعاش في القرن الثامن قبل الميلاد (١٥).

وقد تميزت حضارة السبئيين القديمة على ما عداها من الحضارات بتوفير أسباب الرخاء والاستقرار ووسائل استثمار الأرض واستزراعها واستخراج خيراتها بإقامة السدود عند مآزم الأودية وملتقى السيول حيث تحتجز المياه وتخزن لوقت الحاجة لتضمن للحقول الواسعة رياً منتظماً على مدار السنة ولا سيما في السنين المجدبة.



تمثال من البرونز لحاكم سبأ «معدي كurb» ويمد واحداً من أهم التماثيل  
المجسدة للحضارة اليمنية القديمة

وقد تفوق السبيئون على البدو في الحضارة وازدهرت حياتهم وجمعوا في أيديهم كثيراً من أسباب القوة والنفوذ . ولعل قوله تعالى في سورة النمل على لسان الهدهد : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٦) وقوله تعالى على لسان الملائة من قوم مملكة سبأ : ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَىٰ قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ ﴾ أن يكون إشارة إلى ما بلغته مملكة سبأ من ازدهار وقوة ونفوذ (١٧) .

كذلك مارس السبيئون التجارة وأخذت قوافلهم تجوب الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال ووصلت بلاد الشام وكثرت الأموال وعم الرخاء وتقدم العمران وامتلات خزائن الملوك بالأموال فهبوا القصور والمعابد والسدود التي لاتزال قائمة حتى الآن شاهدة على حضارة عريقة وتقدم في فنون الهندسة والعمارة ، وكان من أهم الطرق الرئيسية لقوافل التجارة ذلك الطريق الذي كان يمر بصنعاء ومأرب ثم بمكة ويثرب ثم بمداين صالح حتى يصل إلى بصرى جنوب سوريا ومنها يأخذ ستمته شمالاً حتى غزة . وقد أسس السبيئون مراكز تجارية مهمة على طريق القوافل سالف الذكر، فكانت قوافلهم تأمن مصاعب كثيرة أهمها نهب البدو لها ، وإلى هذه القرى التي كانت تقع على طريق القوافل يشير سبحانه وتعالى في سورة سبأ بقوله ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَأْتِيَا مَاءً آمِنِينَ ﴾ (١٨) وجاء في تفسير هذه الآية أن الله تعالى يذكر السبيئين بما كانوا فيه من الغبطة والنعمة والبلاد الرخية ، والأماكن الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض بحيث إن مسافريهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء بل حيث نزل يقبل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاج إليه في سيره ، وقال مجاهد وسعيد بن جبير وقناة والسدي وغيرهم يعني قرى الشام ، كانوا يسرون من اليمن إلى الشام

بقوافلهم التجارية في قرى ظاهرة متواصلة واضحة يعرفها المسافرون<sup>(١٩)</sup>.

وبالجملة فقد ارتبط تاريخ سبأ في أيامها العظيمة بسيطرة ملوكها على الطريق التجاري الكبير إلى أن ظهرت مملكة «ظفار» جنوبي اليمن فغيرت من سير هذا الطريق التجاري وجعلته قريباً من البحر، وأخذت أهمية مأرب عاصمة المملكة السبئية تتضاءل بينما أخذ نجم ظفار ومدن أخرى يعلو في أرض اليمن.

### تاريخ اعتلاء بلقيس عرش سبأ :

يحدد بعض المؤرخين المتخصصين في تاريخ اليمن القديم مملكة سبأ الحقيقية أو العصر السبئي من نحو سنة ٩٥٠ قبل الميلاد إلى سنة ١١٥ قبل الميلاد، وقد بلغت هذه المملكة ذروة مجدها حوالي القرن التاسع قبل الميلاد.

وفيما يلي نحاول أن نتعرف على التاريخ التقريبي الذي اعتلت فيه «بلقيس» عرش مملكة سبأ وعاصرت فيه النبي سليمان بن داود ملك بني إسرائيل. واعتمادنا في ذلك على تاريخ حكام مصر وفينيقيا في ذلك الوقت، حيث إن تاريخ هؤلاء الحكام قد أمكن تحديده على وجه التقريب بالرجوع إلى قوائم الملوك والفراعنة التي سجلها المؤرخ المصري مانيتون وكذلك بالرجوع إلى سفر الملوك من التوراة.

فنقول إنه بعد وفاة النبي موسى عليه السلام خلفه في قيادة الشعب الإسرائيلي يوشع بن نون الذي تمكن بحروبه مع ملوك البلاد المجاورة وشعوبها من السيطرة على الأرض الداخلة في فلسطين وتقسيمها بين بني إسرائيل إلى اثنتي عشرة مقاطعة بعدد الأسباط، وعيّن على كل مقاطعة منها شيخاً كاهناً يسمى

«القاضي» وبذلك عرف هذا العصر في تاريخ بني إسرائيل بعصر القضاة الذي تحدثت عنه التوراة في السفر المعروف بهذا الاسم، وقد بدأ عصر القضاة من وفاة يوشع بن نون حوالي سنة ١١٣٠ قبل الميلاد حتى سنة ١٠٣٠ ق.م (٢٠).

وفي أخريات هذا العصر فسدت ذمم القضاة ومالوا إلى أخذ الرشاوى فاختار صموئيل للشعب الإسرائيلي ملكاً لهم هو شاول (طالوت) في القرآن الكريم) وهو أول ملوك بني إسرائيل، وقد تمكن شاول من قيادة الشعب وخوض الحروب ومنازلة جوليات (جالوت) قائد الفلسطينيين.

وفي هذه الفترة ظهر النبي داود بوصفه أحد جنود شاول الشجعان ونازل جوليات وتمكن من هزيمته وقتله وعلى إثر ذلك فرّ سكان فلسطين من بلادهم وأعجب شاول بداود وارتفعت مكانة الفتى بين قومه حتى خلف شاول في حكم البلاد [١٠١٢ - ٩٧٢ ق.م]، وقد صاغ القرآن الكريم هذا الحادث من حوادث تاريخ بني إسرائيل فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ (٢١).

كان الملك داود محارباً شديداً البأس، فأخذ يوسّع من رقعة مملكته حتى وصل بها إلى حدود عمون (عمان حالياً) ونهر الفرات، وتزوج من امرأة أوربا فأودعها ابنه سليمان الذي خلف أباه على بني إسرائيل (٢٢).

وفي سنة ٩٥٠ قبل الميلاد بقليل كان الحكم الفرعوني في مصر قد انتقل إلى يد أسرة من جنس أجنبي عرف بحكامها بلقب رؤساء المشوش أو رؤساء الأجانب، وقد كون هؤلاء الحكام الأجانب الأسرة الثانية والعشرين التي دامت من سنة ٩٤٥ ق.م إلى سنة ٧٣٠ ق.م.، وقد استطاع علماء المصريات أن يحدّدوا



خمسـة من هؤلاء الحكام يحملون اسم «شوشنق» .

على أنه يهمنـا من هؤلاء الحكام الأجانب الملك شوشنق الأول مؤسس الأسرة ، وهو الملك المصري الذي عاصر النبي سليمان ومن بعده ابنه رجبعام . وطبقاً لما أورده المؤرخ مانيتون في قوائم الملوك فإن شوشنق الأول حكم مصر ٢١ سنة من سنة ٩٤٥ ق . م إلى سنة ٩٢٤ ق . م (٢٣) .

وفي ذلك الوقت كانت العلاقات بين مصر والبيت المالك الإسرائيلي قد أصبحت أكثر تقريباً ، يدلنا على ذلك النص التالي لصاحب الحوليات العبراني حيث يقول : «وصاهر سليمان فرعون ملك مصر وأخذ بنت فرعون وأتى بها إلى مدينة داوود» (٢٤) ، كما يقول : «وصعد فرعون مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة وأعطاهـا مهراً لابنته امرأة سليمان» (٢٥) .

وواضح من ذلك أن صاحب الحوليات العبراني وإن لم يصرح باسم فرعون مصر الذي صاهر الملك سليمان ، إلا أنه مما لا شك فيه أنه هو شوشنق الأول الذي تسميه التوراة «شيشق» ، يدل على ذلك ما جاء في سفر الملوك «وفي السنة الخامسة للملك رجبعام (ابن النبي سليمان) صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب (يعني الهيكل الذي بناه سليمان) وخزائن بيت الملك وأخذ كل شيء» (٢٦) . ويوافق هذا الغزو على الأرجح حوالي سنة ٩٣١ قبل الميلاد أي خلال حكم شوشنق الأول ، وبعد وفاة النبي سليمان سنة ٩٣٦ ق . م بحوالي خمس سنوات كما يذهب إلى ذلك بعض المؤرخين (٢٧) .

هذا بالنسبة إلى شوشنق الأول فرعون مصر الذي عاصر النبي سليمان .

أما بالنسبة إلى ملك الكنعانيين الذي عاصر سليمان ، فقد كان الكنعانيون الذين ساهم اليونانيون بعد ذلك بالفينيقيين يسكنون في تلك الحقبة مدن

الشاطيء السوري على الساحل الشرقي للبحر الأبيض وخاصة مدينة صور ومدينة جبيل (بيبلوس) وقد خلف الملك أحيرام أباه «أبي - بعل» على مملكة صور وحكم فترة طويلة بين سنتي ٩٨٠ إلى ٩٣٦ قبل الميلاد .

والملك أحيرام هذا كان معاصراً للملك سليمان بن داود ومن أهم ما يذكر به أنه اهتم بتجميل مدينة صور وتوسيع رقعتها فشيّد فيها عدداً من القصور والمعابد الجديدة كما اهتم بترميم بعض المعابد القديمة وكان عهده في الجملة عهد نهضة كبيرة في شتى النواحي .

على أن من أشهر الأعمال التي اقترنت باسم هذا الملك هو صداقته المتينة للملك سليمان وقبوله بأن يمدّه بالمعماريين والعمال الفنيين المهرة ومواد البناء اللازمة لإقامة الهيكل في أورشليم وكذلك إقامة قصر له وقد استغرق بناء الهيكل والقصر عشرين عاماً .

وقد ظل أحيرام والملك سليمان صديقين حميمين وشريكين في التجارة ، فساعد سليمان أيضاً على إنشاء أسطول تجاري كبير في البحر الأحمر وأمدّه ببخارة فينيقيين مهرة للعمل مع بحارته على السفن ، واتسعت صلات أحيرام البحرية وازدادت في البحر الأبيض المتوسط وخاصة جزيرة قبرص (٢٨) .

مما تقدم نستطيع أن نحدد الزمن الذي عاصرت فيه ملكة سبأ النبي سليمان بحوالي النصف الأول من القرن العاشر قبل الميلاد تقريباً أي حوالي سنة ٩٥٠ أو سنة ٩٥٤ قبل الميلاد ، وهي الفترة التي يقول عنها المؤرخون إن ملكة سبأ بلغت فيها ذروة مجدها .

فحوالي هذه الفترة تقريباً عاشت بلقيس ملكة سبأ ، وقد بلغت المملكة في عهدها درجة كبيرة من الرقي والازدهار والثروة والغنى وانتشار الزراعة وازدهار التجارة وتقدم فنون العمارة والأخذ بنظام الشورى في الحكم ، يدل على ذلك ما

جاء في سورة النمل على لسان ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ يَأْيَاتُهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (٢٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوفٍ وَأَوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (٢٩).

ومما لا شك فيه أن ازدهار مملكة سبأ في عهد الملكة بلقيس كان له أكبر الأثر في لفت نظر الملك سليمان إلى هذه المملكة القوية الغنية مما سيأتي بيانه فيما بعد .

### ديانة السبئيين :

أما ديانة السبئيين في تلك الأزمنة السحيقة فقد كانت تقوم في أساسها على عبادة الأجرام السماوية ، فكانت تقوم على أساس ثالوث مقدس من الكواكب ، فكان الإله الأب هو «القمر» أو «الموقاه» وكانت الإلهة الأم هي «الشمس» أو «ذات حميم في الصيف وذات بعدان في الشتاء» ، أما الابن فقد كان نجم الزهرة أو «عشتر» .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أول من دان من العرب بعبادة الأجرام السماوية هم السبئيون ، فلما تفرقوا في بلاد العرب بعد تهدم سد مأرب انتشرت عبادة الشمس والكواكب في القبائل التي نزلوا بها أو جاوروها ثم انتقلت إلى مجاورهم من أهل الحبشة والشام<sup>(٣٠)</sup>.

ولعل السبئيين أخذوا عبادة الشمس عن المصريين القدماء ، فال معروف أن المصريين القدماء عبدوا الشمس وأقاموا لها الهياكل والمعابد ونظموا لها الأناشيد الدينية كما في «أنشودة أختانتون» ومنظومة «مائة نشيد لآمون»<sup>(٣١)</sup>.

كانت معابد هذه الآلهة السبئية على درجة عظيمة من الفخامة وخاصة في مدينة صرواح ومأرب مما يدل على أنه كان يعيش في مملكة سبأ قوم ذوو حضارة راقية وثروات طائلة وتقدم في فنون العمارة والهندسة .

وقد أكدت أعمال التنقيب في اليمن ما جاء في القرآن الكريم عن عبادة السبئيين للشمس فقال سبحانه وتعالى في سورة النمل على لسان الهدهد : ﴿ وَجَدْنَاهَا قَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٢٤) ﴿ (٣٢) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن اليمنيين في الوقت الحاضر يطلقون اسم بلقيس على معبد يبعد عن خرائب مدينة مأرب بحوالي أربعة كيلومترات جنوب شرقي المدينة وهو المعبد المشهور باسم «محرم بلقيس» وقد زاره الرحالة الفرنسي جوزيف توما ارنو سنة ١٨٤٣ م، كما زاره الرحالة الألماني أدوارد جلاسر سنة ١٨٨٨ م، ونقل ما على السطح الخارجي لسور هذا المعبد من كتابات ونقوش ، وقد ظل هذا المعبد يؤدي وظيفته في عبادة الشمس وإلاه القمر «الموقاه» بمدينة مأرب حقبة تقرب من ألف سنة (٣٣) .

### بلقيس ملكة سبأ :

أما الملكة بلقيس فإنها تثير جدلاً كبيراً بين المؤرخين ، فليس هناك حتى الآن دليل تاريخي أو أثري على وجود تلك الملكة ، ومن هنا نسجت حول شخصيتها الأسطورية العديد من المرويات والأقاصيص اليهودية والمسيحية والإسلامية واليمينية والحبشية . وقد توصل الدارسون إلى أن القصص المكتملة عن زيارة



جزء من معبد في مارب يطلق عليه « معبد بلقيس »

الملكة لسليمان ظهرت في الحبشة ووجدت صيغة جميلة لها في الملحمة الوطنية الحبشية المعروفة باسم «كبرا نجشت» أي «مجد الملوك» .

أما مفسرو القرآن الكريم فقد نسجوا حول قصتها مع الملك سليمان كثيراً من الأفاصيص مستمدة من الإسرائيليات وخاصة حول الصرح الممرّد من القوارير وهو القصر المشيد المحكم البناء المرتفع في السماء الناعم الأملس ، وكذلك حول هديتها للنبي سليمان من الغلمان والجواري وما حلوا به من الأساور من الذهب والفضة والياقوت والأحجار الكريمة وما حملوه من أنواع البخور والطيوب<sup>(٣٤)</sup> .

فابن خلدون يقول في تاريخه إن ملكة سبأ التي زارت النبي سليمان كان اسمها «بلقمة» أو «بلقيس» وأنها كانت قد حكمت قومها سبع سنوات قبل زيارتها سليمان وأربعة وعشرين سنة بعد عودتها من تلك الزيارة ، وأنها كانت السادسة في ترتيب الملوك الذين حكموا مملكة سبأ .

أما الروايات الحبشية فإن لقصة الملكة بلقيس جانباً سياسياً يتمثل في اتخاذها أساساً لشرعية الأسرة المالكة عند الأحباش ، لأن هذه الأسرة - كما يرون - تنحدر من مملكة سبأ وسليمان إذ إن أول ملوك أثيوبيا كان ابناً لبلقيس أو «ماكدة» بطة الشمس ، أما سليمان الحكيم فكان بطل القمر .

ويذكر صاحب «الإكليل» أنه كان في مارب ثلاثة قصور هي «سلحين» و «الهجر» و «القشيب» ، وأهم هذه القصور وأشهرها كان قصر «سلحين» الذي تردد اسمه كثيراً في كتب الأدب العربي على أنه قصر الملكة بلقيس ، وكثيراً ما أشاروا إلى أعمدته القائمة وقالوا إنها هي التي كانت تحمل العرش الذي جاء وصفه في القرآن الكريم على لسان الهدهد بأنه «عرش عظيم» . ولكن الدكتور أحمد فخري يقول إنه من الصعب تحديد مكان قصر بلقيس اعتماداً على مجرد

أقوال الشعراء وما جاء في مبالغات كتاب العرب .

وفي سنة ١٩٨٨ م، أصدرت دار نشر بلزر بمدينة شتوتجارت كتاباً عنوانه «ملكة سبأ الفن والأسطورة والآثار بين الشرق والغرب»، يتضمن أبحاثاً ودراسات قيمة عن هذه الملكة الأسطورية وآخر ما توصلت إليه الكشوف والبحوث في النقوش والآثار عن اليمن القديم وملكنه والمرويات والأقاصيص المتعلقة بها<sup>(٣٥)</sup>.

أما القرآن الكريم فلم يصرح باسم ملكة سبأ؛ لأن القرآن لا يعنى كثيراً بذكر الأسماء وإنما قال في الآية ٢٣ من سورة النمل على لسان المهدد: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾. كذلك لم تصرح التوراة باسم ملكة سبأ التي زارت النبي سليمان.

أما مفسرو القرآن الكريم فقد تكرر في تفاسيرهم اسم «بلقيس» على أنها ملكة سبأ بالرغم من أن هذا الاسم لم يرد على الإطلاق بين الأسماء السبئية المعروفة، ويذهب البعض إلى أن هناك احتمالاً بأن يكون الاسم منقولاً عن العبرية التي نقلته بدورها عن اليونانية ومعناه «جارية» أو «أمة»<sup>(٣٦)</sup>.

ومهما يكن من خلاف حول اسم ملكة سبأ التي زارت الملك سليمان، فإنه لم يكن غريباً في تلك الأزمنة البعيدة أن تحكم امرأة تلك المملكة، فلدينا من تاريخ الممالك والشعوب قديماً وحديثاً شواهد عديدة على أن بعض النساء حكمن شعوبهن، فقد حكمت الملكة نيتوكريس مصر وهي من ملوك الأسرة السادسة، كما حكمت الملكة «سبك نفرو» مصر وهي من الأسرة الثانية عشرة، أما الملكة حتشبسوت فقد حكمت مصر وهي من ملوك الأسرة الثامنة عشرة، كما حكمت كلوبطره مصر في أواخر العهد البطلمي، وفي الجزيرة العربية نفسها

حكمت الزباء مملكة زنبوبيا التي كانت عاصمتها تدمر أو بالميرا كما يسميها الرومان ، بل أكثر من ذلك فهناك ملكتان من الأسرة الصليحية التي حكمت اليمن في القرنين الرابع والخامس الهجريين (الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين) إحداهما واسمها «أسماء» والثانية واسمها «أروى» وكان يقال لها «بلقيس الصغرى» .

وقد اقترن اسم بلقيس بزيارتها للنبي سليمان في مملكته بأورشليم وإيمانها بعقيدته وإعجابها به حتى قيل إنها تزوجت منه وفي ذلك تقول التوراة «سمعت ملكة سبأ بखبر سليمان . . . فأثت إلى أورشليم بموكب عظيم حاملة أطياباً وذهباً كثيراً جداً وحجارة كريمة وأثت سليمان بكل كلامها ، فلما رأت كل حكمة سليمان والبيت الذي بناه وطعام مائدته ومجلس عبيده وموقف خدامه وملابسهم وسقاته ومحرقاته التي كان يصعدها في بيت الرب (الهيكل) لم يبق فيها روح وقالت للملك : صحيحاً كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وحكمتك» .

وقد ذكر القرآن الكريم قصة النبي سليمان مع ملكة سبأ في الآيات من ٢٠ إلى ٤٤ من سورة النمل ، وقوله تعالى : ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال المفسرون إن سليمان عليه السلام اتخذ لهذه الملكة قصراً عظيماً متيناً ليربها عظمة سلطانه ، فلما رأت ما آتاه الله تعالى ، وجلالة ما هو فيه وتبصرت في أمره انقادت لأمر الله وعرفت أنه نبي كريم وملك عظيم فأسلمت لله عز وجل وقالت رب إنني ظلمت نفسي أي ببا سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها الشمس من دون الله ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين أي تبعت دين سليمان في عبادته لله وحده (٣٧) .



ولما توفي سليمان حوالي سنة ٩٣٥ ق.م قام النزاع بين ابنه رجبعام Rehoboam من زوجته نعمة العمونية وبين أحد عبيد سليمان ويدعى «يربعام» وانقسمت المملكة إلى قسمين شمالي ويحكمه يربعام ويعرف بمملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة وجنوبي ويحكمه رجبعام ويعرف بمملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم ، حتى إذا كانت سنة ٧٢٠ ق.م زالت مملكة إسرائيل من الوجود زوالاً تاماً ، في حين ظلت مملكة يهوذا تكافح حتى أسقطها ملك بابل نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م وقتل آخر ملوكها ونهب أورشليم ودمرها وسبى أهلها ونقلهم إلى بابل ، وقد عرفت هذه الفترة في تاريخ بني إسرائيل «بالسبي البابلي» وفيها تحطم الهيكل وكل ما كان لبني إسرائيل .

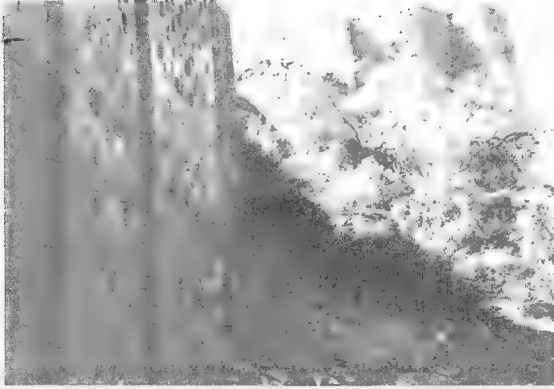
### سد مأرب وسيل العرم :

قلنا إن «سبأ» ذكرت في القرآن الكريم مرتين ، وقد تحدثنا آنفاً عن المرة الأولى بمناسبة قصة الملك سليمان مع بلقيس ملكة سبأ .

أما المرة الثانية التي ذكرت فيها سبأ في القرآن الكريم فهي في سورة «سبأ» حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جُنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَجَرٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿٣٨﴾

وسبق أن ألمحنا فيما تقدم إلى الحضارة السبئية القديمة وتقدم السبئيين في الزراعة وفنون العمارة وحسن استخدامهم مياه السيول في الري ، فكانت

أرض سبأ مضرب الأمثال بين العرب في الخصوبة وكان أهلها ينعمون  
بخيرات وادهم الفسيح حيث كانت كميات كبيرة من الأمطار تسقط في  
مناطق كثيرة في شرقي اليمن وتندفق سيولها في الوديان المختلفة حتى تصل إلى



● جزء من سد مأرب مازال يحتفظ بشكله ●

منطقة قرية من مدينة مأرب فتدخل متدفقة في فجوة بين الجبال تعرف  
باسم جبل بلق، وتسمى الفتحة بين الجبلين باسم «الضيقة» ولكل من جهتيها  
اسم، فيقال بلق الأيمن وبلق الأيسر، كما يعرف الوادي الذي تسير فيه تلك  
السيول بوادي ذنة .

وقد اختار السبئيون القدماء هذا المكان لتشييد السد المعروف «بسد مأرب»،  
فبنوا جداراً قوياً يعترض الوادي ويحجز مياه الأمطار المتدفقة وجعلوا في الناحيتين

فتحتين إحداهما إلى أقصى اليمين واستغلوا الجبل المرتفع فلم يبنوا إلا جداراً ضخماً ليكون صدفاً ثانياً للبوابة ، أما الفتحة أو البوابة الثانية التي في الناحية اليسرى فهي أكبر وأعظم وتنقسم إلى قسمين يتجهان بحوض كبير مبني بالحجر ، جعلوا فيه فتحات متعددة يخرج من كل منها قناة تسير لتروي ناحية من نواحي الوادي الفسيح ، وأقاموا على هذه القنوات قنوات صغيرة عديدة للتنقل عبرها من مكان إلى آخر.

والجدير بالذكر هنا أن السدود كانت منتشرة في طول اليمن وعرضها حتى إن الحسن بن أحمد الهمداني يذكر في كتابه «الإكليل» أنها ثلاثون سداً وقيل إنها ثمانون سداً . على أن أشهر هذه السدود وأهمها كان سد مأرب الذي يأتي في مقدمة تلك السدود ضخامة وإتقاناً ، فقد كان أعظمها شأنًا وأكثرها نفعاً وأكبرها حجماً وأبعدها صيتاً وأخلدها ذكراً<sup>(٣٩)</sup>.

وقد بدأ السبئيون في بناء هذا السد الذي يعد إحدى عجائب العالم القديم في الهندسة المعمارية في عهود الملوك الملقين بمكرب ، ويذهب البعض إلى أنه بني في المائة الخامسة قبل الميلاد في عهد مكرب سبأ «سمهو على ينوف» ابن «ذمار علي» وفي عهد ابنه «يثع بين بن سموه علي» ، في حين يذهب البعض الآخر إلى أنه بني في منتصف القرن السابع قبل الميلاد (حوالي سنة ٦٥٠ ق. م)<sup>(٤٠)</sup> ، أما الدكتور حسن محمد الشماخ فيذهب إلى أن السد قد بلغ تمامه وذروته في أوائل القرن الثامن قبل الميلاد<sup>(٤١)</sup>.

وقد تحولت الأرض المنبسطة أمام السد من جهة الشرق إلى جنة فيحاء وارفة الظلال كثيرة الخيرات حتى سميت جنتين كما وصفها سبحانه وتعالى في سورة سبأ / آية ١٥ : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ وقد وصف المسعودي أرض سبأ



● إحدى قنوات سد مأرب ●

فقال إنها كانت من أخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها وأكثرها جناناً وغيطاناً وأفسحها مروجاً مع بنيان حسن وشجر مصفوف ومسالك للماء متكاثفة وأنهار متفرقة وكان أهلها في أطيب عيش وأرفهه<sup>(٤٢)</sup>.

وأول من شاهد أنقاض السد من المسلمين هو الهمداني المتوفى سنة ٩٤٥ م، ووصفه وصفاً دقيقاً فقال: «الجتان عن يمين السد ويساره وهما الآن غامرتان، وإنما عفتا لما اندحق السد فارتفعتا عن أيدي السيول . . . وأما مقاسم الماء من مداخر السد فيما بين الضياع فقائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالأمس ورأيت بناء أحد الصدفين باقياً وهو الذي يخرج منه الماء قائماً بحاله على أوثق ما كان، وقد بقي من العرم شيء مما يصالى الجنة اليسرى»<sup>(٤٣)</sup>.

أما في العصر الحديث فقد زار الرحالة جوزيف توما ارنو (١٨٤٣ م) مدينة مأرب في طريقه إلى خرائب مدينة صرواح وزار سد مأرب ونقل كثيراً من النقوش السبئية التي رآها وأخذ مذكرات عما شاهده هناك وخاصة عن سد مأرب، كما قام الدكتور أحمد فخري أستاذ تاريخ مصر والشرق القديم بكلية الآداب بجامعة القاهرة بزيارة مأرب وما فيها من آثار سنة ١٩٤٨ م، والتقط صوراً فوتوغرافية لهذه الآثار ومنها صور لسد مأرب كانت تعتبر أول صور وافية تنشر عن هذا السد<sup>(٤٤)</sup>.

وتصف لنا الدكتورة كلود فايان في كتابها «كنت طبيعية في اليمن» سد مأرب فتقول «لا تزال كتل الأحجار المنحوتة ببراعة منطقة بإحكام ولا يزال الملاط (الأسمنت) الذي يغطي منحنيات القنوات كما هو وكأنه لم تمر فترة طويلة عليه، ولا يسع المرء إلا أن يعجب بدون تحفظ إزاء اكتمال هذا العمل الجدير بنسبته إلى مهندس معاصر»<sup>(٤٥)</sup>.

كما يصف ويندل فيليبس في كتاب «كنوز مدينة بلقيس» طريقة بناء السد فيقول «أكثر ما أدهشنا بالفعل كانت الطريقة التي وضعت بها تلك الحجارة الهائلة بعضها فوق بعض بترتيب دقيق بحيث كان الحجر يناسب الآخر وكأنها قطع الفسيفساء وقد رأينا قسماً من جدار السد يرتفع خمسين قدماً ما زال شاخخاً كما كان عندما أنشأه فنانون سبأ قبل ٢٧٠٠ عام» (٤٦).

### تهدم السد :

تهدم سد مأرب مرات عديدة خلال الفترة الطويلة بين تشييده في منتصف القرن السابع قبل الميلاد (حوالي سنة ٦٥٠ ق. م) وبين آخر مرة أصلح فيها سنة ٥٤٢ للميلاد في عهد أبرهة ملك الحبشة . ففي حوالي سنة ١٤٥ قبل الميلاد ظهرت أولى بوادر الانهيار على السد ولكن سرعان ما تضافرت الجهود على ترميمه وظل قائماً حتى سنة ١١٥ قبل الميلاد فدهمته السيول وأصابه الدمار وحلّت بالبلاد كارثة عظيمة وتفرق سكان اليمن في الأرض بعد انهيار السد ، ويذهب البعض بحق إلى أن ذلك كان هو سيل العرم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم .

ولكن البعض الآخر يذهب إلى أن الهمدانين من ملوك حمير أعادوا بناء السد وأدخلوا عليه بعض التحسينات مما جعله قائماً لمدة خمسة قرون أخرى . وفي منتصف القرن السادس الميلادي سنة ٥٤٢ م أصلح السد للمرة الأخيرة في عهد أبرهة الحبشي كما قدمنا وبعد ذلك بسنوات قليلة تصدع السد وركبته السيول فأغرق الأراضي المحيطة به وتفرق الناس عنه ولم تقم للسد بعد ذلك قائمة وكان

بحق نكبة على المنطقة كلها لم تفق منها مأرب أو تتغلب عليها حتى اليوم ويعتقد البعض أن هذا هو التهدم الذي ورد ذكره في القرآن<sup>(٤٧)</sup>.

وبدأت بعد هذه الكارثة أولى الهجرات الكبرى لليمنيين، فهاجر الأوس والخزرج إلى يثرب وسكنت غسان أرض الشام حيث أسست مملكة الغساسنة في حين هاجر قوم إلى العراق وسكنوا الحيرة وأسسوا مملكة الحيرة أو المناذرة ولحق الأزد بعمان وفر خذاعة إلى تهامة، وعن النبي ﷺ أنه قال عن سبأ «إنه كان رجلاً من العرب وله عشرة أولاد تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة، فأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومذحج وأنهار وحير، وأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان». وهكذا انفرط عقد السبئيين وقيل فيهم المثل المشهور «تفرقوا أيدي سبأ» أو «أيدي سبأ».

وقد نسج المؤرخون وبعض مفسري القرآن الكريم قصصاً خيالية حول سبب تهديم السد وانهاره (٤٨).

وقد سجل القرآن الكريم هذا الحدث التاريخي المهم وساقه لكفار قريش مساق العبرة والموعظة فقال جل شأنه: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِهُمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سِيلَ الْغَمِّ وَبَدَّلْنَاهُمُ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خَمْطٍ وَأُتْلُ وَشَىٰ عَمِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَاهُنَّ لِتِلْكَ الْوَادِيِ الْأَيْمَنِ الَّتِي بَنَىٰ فِيهَا قَرْيَ طَهَرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيُبَيِّنَ لِآيَاءِ أَمِينٍ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْجَفٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾

أما لفظ العرم المذكور في الآية الكريمة فقد قال قتادة إن معناه السد وقال السهيلي هو اسم الوادي وقيل إنه اسم الفأر الذي خرق السد وقيل هو السيل الذي لا يطاق<sup>(٥٠)</sup>.

وإلى سيل العرم وتهدم سد مأرب يشير الأعشى بقوله :

ففي ذاك للمؤتسي أسوة	ومأرب عفا عليها العرم
رخام بنه له خير	إذا جاء مؤاره لم يرم
فأروى الزروع وأعناها	على سعة مأوهم إذ قسم
فعاشوا بذلك في غبطة	فجارفهم جارف منهمزم
فطار القيول وقياها	بيها فيها سراب يطم
فصاروا أيادي ما يقدر	ن منه على شرب طفل فطم

● ● ●

### الهوامش :

- (١) سورة الروم، آية ٩ .
- (٢) سورة غافر، آية ٨٢ .
- (٣) سورة هود، آية ١٢٠ .
- (٤) سورة يوسف، آية ١١١ .
- (٥) وردت كلمة «أثر» في القرآن الكريم مرتين وكلمة «آثار» إحدى عشرة مرة وكلمة «أثارة» مرة واحدة، والمادة تدور في هذه الاستعمالات حول معاني بقايا الشيء التي تدل عليه أو ما خلف السابقون من مظاهر عمرانية أصابها البلى، كما تعني أيضا الدلائل والآيات والتواريخ والأخبار.
- (٦) عبد الرحمن محمد بلح الغامدي، مقال إمكانية الآثار في التعرف على عقائد الأمم السابقة للعبارة وترسيخ عقيدة المسلم، مجلة الفيصل، العدد ١٥٦، السنة



- ١٣، جمادى الآخرة سنة ١٤١٠هـ - يناير سنة ١٩٩٠، ص ٦٧ - ٧٠.
- (٧) دكتور أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ط ٢، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٠، ص ١٣٠. وانظر أيضًا كتاب محمد لطفي جمعه في تاريخ النبي ﷺ والمعنون «ثورة الإسلام وبطل الأنبياء أبو القاسم محمد بن عبد الله»، الفصل المعقود في وصف الجزيرة العربية وخاصة اليمن وما ازدهر فيه من مدنية وحضارة، طبع مكتبة دار النهضة المصرية، سنة ١٩٥٨، ص ١١٤.
- (٨) الأستاذ عبد الله حمد الحقييل، مقال «الحلقة المفقودة من تاريخ بلادنا»، مجلة المنهل، عدد ٤٤١، السنة ٥٢، مجلد ٤٧، ربيع الأول والثاني سنة ١٤٠٦ هـ - نوفمبر - ديسمبر سنة ١٩٨٦، ص ٣٦٠.
- (٩) سورة هود، آية ٤٩.
- (١٠) دكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد، كتاب دراسات في علم الآثار، ص ٨٧.
- (١١) أمثال موزيل وكارستن نيبور وجوزيف توماس أرنولد وجوزيف هاليفي وإدوارد جلازر ويندل فيلبس من الإفرنج ونزيه مؤيد العظم ومحمد توفيق والدكتور أحمد فخري والدكتور حسن محمد الشاع والقاضي اليمني إسماعيل بن علي الأكوع وغيرهم من العلماء والرحالة العرب.
- (١٢) يذهب البعض إلى أن مكرب معناه مقرب أي مقرب من الآلهة فكان هو الوسيط بينها وبين الناس (جواد على، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٢٦٨).
- (١٣)، (١٤)
- دكتور أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، مصر والعراق، سوريا، اليمن، إيران، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٢، ص ١٢٦ وما بعدها.
- (١٥) د. أحمد فخري، المرجع السابق، ص ١٦٢، عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشاحي، اليمن، الإنسان والحضارة، مجلة الفيصل، العدد ١٩، ديسمبر سنة ١٩٧٨.
- (١٦)، (١٧)
- سورة النمل، آية ٢٣، ٣٣.

- (١٨) سورة سبأ، آية ١٨ .
- (١٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، عدد ٤٢، المجلد ٦، طبع دار الشعب، ص ٤٩٦ .
- (٢٠) محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ١٧٥، ونوفل أفندي نوفل، سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، بيروت، سنة ١٨٧٦، ص ١٢٣-١٢٨ .
- (٢١) سورة البقرة، آية ٢٥١ .
- (٢٢) سفر صموئيل الثاني، إصحاح ١١ .
- (٢٣) كتاب مصر الفراعنة، تأليف السير ألن جاردنر، ترجمة الدكتور نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٧، ص ٣٦٠ .
- (٢٤) التوراة، سفر الملوك الأول، ٣ : ١ .
- (٢٥) سفر الملوك الأول، ٩ : ١٦ .
- (٢٦) سفر الملوك الأول، ١٤ : ٢٥-٢٦ .
- (٢٧) مصر الفراعنة، المرجع السابق، ص ٣٦١ .
- (٢٨) دكتور أحمد فخري، المرجع السابق، ص ١٠٨-١٠٩ .
- (٢٩) سورة النمل، آية ٣٢، ٣٣ .
- (٣٠) نعيان الجارم، أديان العرب في الجاهلية، ط ١، مطبعة السعادة بمصر، سنة ١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م . ص ١٨٦-١٩٠ .
- (٣١) للوقوف على مزيد من المعلومات عن عبادة المصريين القدماء للشمس راجع كتاب «آلهة مصر» لفرانسوا دوماس ترجمة زكي سوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب من مجموعة الألف كتاب الثانية رقم ١٠، سنة ١٩٨٦ .
- (٣٢) سورة النمل، آية ٢٤ .
- (٣٣) دكتور أحمد فخري، المرجع السابق، ص ١٧٤ .
- (٣٤) انظر في ذلك كتاب «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» للدكتور الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة، من سلسلة البحوث الإسلامية، القاهرة سنة ١٤٠٤ هـ - سنة ١٩٨٤ م، ص ٣٤٨-٣٥٣ وكذلك تفسير ابن كثير والبغوي،

- ج ٦، ص ٢٨٦-٢٩٠.
- (٣٥) دكتور أحمد فخري، المرجع السابق، ص ١٦٨، وبجملته فكر وفن باب قراءات، العددان ٤٨، ٤٩، السنة ٢٦، سنة ١٩٨٩، ص ٩٢-٩٣.
- (٣٦) انظر تعليق أمين فارس بكتاب الإكليل للهمداني، طبع برستون سنة ١٩٤٠، صفحة ٢٤ هامش ١٢.
- (٣٧) تفسير ابن كثير، المرجع السابق، ص ٢٠٦.
- (٣٨) سورة سبأ، الآيات ١٥-١٧.
- (٣٩) القاضي اليمني إسماعيل بن علي الأكوع، مقال «سدود اليمن»، مجلة المنهل، عدد خاص عن الأثر والآثار، رقم ٤٥٤، السنة ٥٣، مجلة ٤٨، ص ١٩٧.
- (٤٠) دكتور أحمد فخري، المرجع السابق، ص ١٨٣.
- (٤١) دكتور حسن محمد الشعاع، مقال سد مأرب من عجائب العالم القديم، مجلة الفيصل، العدد ٣٧، السنة ٤، رجب سنة ١٤٠٠هـ- يونيو سنة ١٩٨٠م، ص ٩١.
- (٤٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ١٨٠-١٨١، ط٣، القاهرة.
- (٤٣) الهمداني، الإكليل، طبع برستون سنة ١٩٤٠، ج ٨، ص ٤٣.
- (٤٤) دكتور أحمد فخري، بين آثار العالم العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٥٨، ص ٢٢ له أيضاً دراسات في تاريخ الشرق القديم، المرجع السابق، ص ١٥٧.
- (٤٥)، (٤٦)
- دكتور حسن محمد الشعاع، سد مأرب من عجائب العالم القديم، المرجع السابق، ص ٩٥، ٩٦.
- (٤٧) دكتور الشعاع، المرجع السابق، ص ٩٦. وقد حدد المسعودي تاريخ سيل العرم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في عهد الملك عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف (مروج الذهب، ج ٢، ص ١٨٠) في حين أن أحمد حسين شرف الدين في كتابه «اليمن عبر التاريخ» يذهب إلى أن سيل العرم كان في عام ١١٥ قبل الميلاد (ط٣، سنة ١٩٦٤، ص ١٢٧).
- (٤٨) انظر في ذلك قصة الخلد أو الفأرة ذات الأنياب والمخالب الحديدية التي أوردها

- الدميري في كتابه «حياة الحيوان الكبرى»، طبع القاهرة، ج ١، ص ٤٤٥.
- (٤٩) سورة سبأ، الآيات ١٥ - ١٩.
- (٥٠) لسان العرب لابن منظور، ج ١٢، ص ٣١٩.

### المراجع:

- \* القرآن الكريم.
- \* ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، طبع دار الشعب، القاهرة.
- \* التوراة (العهد القديم).
- \* الأستاذ عبد الله حمد الحقييل، مقال الحلقة المفقودة من تاريخ بلادنا، مجلة المنهل، عدد ٤٤١، السنة ٥٢، مجلد ٤٧، ربيع الأول سنة ١٤٠٦هـ - ديسمبر سنة ١٩٨٦م.
- \* دكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد، دراسات في علم الآثار.
- \* دكتور أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٢.
- \* دكتور أحمد فخري، بين آثار العالم العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٥٨.
- \* محمد لطفي جمعة، ثورة الإسلام وبطل الأنبياء أبو القاسم محمد بن عبد الله، مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٥٨.
- \* دكتور عماد عبد الحميد النجار، التطور التاريخي لبني إسرائيل، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، ط ١، سنة ١٩٧٢.
- \* محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم.
- \* الحسن أحمد الهمداني، الإكليل في محافد اليمن ومساندها ودفائنها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات، طبع برنستون سنة ١٩٤٠.
- \* أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ط ٢، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة سنة ١٩٦٤.

- \* الحسن أحمد الحمداني، صفة جزيرة العرب، الرياض، المملكة العربية السعودية، سنة ١٩٧٤.
- \* الدكتور جواد علي، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ١، ج ٢، مكتبة النهضة، بغداد، سنة ١٩٦٩.
- \* المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ٣، القاهرة، سنة ١٩٥٨.
- \* القاضي إسماعيل بن علي الأكوخ، مقال «سدود اليمن»، مجلة المنهل، عدد خاص عن الأثر والأثار، العدد ٤٥٤، السنة ٥٣، المجلد ٤٨، رمضان - شوال سنة ١٤٠٧هـ - مايو - يونيو سنة ١٩٨٧م.
- \* مصر الفراغة، تأليف سير ألن جاردنر، ترجمة دكتور نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٧م.
- \* آله مصر، تأليف فرانسوا دوماس، ترجمة زكي سوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب، عدد ١٠، سنة ١٩٨٦م.
- \* نوفل أفندي نوفل، سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، بيروت، سنة ١٩٧٦م.
- \* دكتور محمد بن محمد أبو شهبه، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، القاهرة، سنة ١٩٨٤م.
- \* دكتور أحمد سوسة، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، وزارة الثقافة والإعلام، طبع دار الحرية، بغداد، سنة ١٩٧٩م.
- \* منصور إبراهيم الحازمي، مقال رحلات العرب في جزيرة العرب، البلاد السعودية، سنة ١٩٠١ - سنة ١٩٧٢، مجلة الدارة، ع ٣، س ٥، ربيع الآخر سنة ١٤٠٠هـ - مارس سنة ١٩٨٠م.
- \* دكتور حسن محمد الشجاع، مقال سد مأرب من عجائب العالم القديم، مجلة الفيصل، عدد ٣٧، السنة ٤، رجب سنة ١٤٠٠هـ - يونيو سنة ١٩٨٠م.

# تحقيق مسألتين من مسائل الاسم الموصول

د. صالح بن سليمان الوهيبي

١ - الموصولات والصلّات :

يقسم النحاة الموصولات قسمين : موصولات  
حرفية (وهي : أن وكَيَّ وأنَّ، وما، ولو) <sup>(١)</sup>  
وموصولات اسمية وهي الأسماء الموصولة التي سيرد  
الحديث عنها فيما بعد . وما من شبه بين القسمين إلا  
أنهما يصلان بين الجمل ويفتقران إلى ما بعدهما .  
ويفترقان بعد من وجوه كثيرة ولذا نجد أن بعض  
النحاة لم يورد ذكر الموصولات الحرفية في باب  
«الموصول» كابن مالك في ألفيته .



وسيقصر الحديث في هذا البحث على الموصولات الاسمية التي تسمى «الأسماء الموصولة» .

تنقسم الموصولات الاسمية طائفتين : (٢)

(١) الأسماء الموصولة الخاصة ، وهي التي تلتزم بالجنس (المذكر والمؤنث) والعدد (المفرد والمثنى و الجمع) وهي بإيجاز ما يلي :

أ- الذي : للمفرد المذكر .

ب- التي : للمفرد المؤنث .

ج- اللذان : للمثنى المذكر .

د- اللتان : للمثنى المؤنث .

هـ- الذين : للجمع المذكر العاقل .

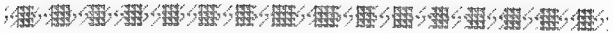
و- اللاتي : للجمع المؤنث العاقل .

ويتفرع عن كل واحد من هذه الأسماء أسماء أخرى أقل شهرة وأقل تردداً ، وسوف نضرب عن ذكرها صفحاً .

(٢) الأسماء الموصولة المشتركة : وهي الموصولات التي لا تتغير صيغتها بتغير الجنس والعدد ، فهي تصلح للمفرد والمثنى والجمع المذكر منه أو المؤنث .

كما أنها ليست موصولة دائمة ، بل تجيء لأغراض أخرى . وهذه الأسماء الموصولة هي : مَنْ (للعاقل) ، مَا (لغير العاقل) ، ذَا ، ذُو (الطائية) ، أَيُّ ، أَلْ . ومن الأنسب حذف «ال» من الموصولات ، لأن فيها شذوذاً من عدة وجوه منها : أنها لا تدخل على الجُمْل (ما لم تكن اختصاراً من «الذي» وأشباهه) ، وليست معدودة في الأسماء ، فحرفيتها هي الأخرى والأرجح (٣) .

ويجمع بين هذه الموصولات حاجتها إلى صلة ، وهي التي تُسمَّى بصلة الموصول ، وقد سهاها سيبويه «حَشَواً» . ويشترط في هذه الصلة ما يأتي : (٤)



أولاً : أن تكون صلة الموصول جملةً ، فلا تصلح الكلمة المفردة صلة لموصول (إلا لـ «ال» الذي لم يُتَّفَقْ على كونه موصولاً ورجحنا إخراجَه من دائرة الموصولات).

ثانياً : أن تكون الجملة خبرية ، فلا تصلح الجمل الإنشائية أو الطلبية صلوات ، على خلاف بين النحاة معروف تزخر به كتبهم .

ثالثاً : أن تشتمل الجملة على ضمير ملفوظ أو مقدّر يعود على الموصول . ويسمى «العائد» .

ومن الأمثلة التي تتحقق فيها الشروط المذكورة سابقاً قوله تعالى : « أَدْفَعِ بِالْقِيَمَةِ إِلَى أَحْسَنُ » (فُصِّلَتْ : ٣٤) وقوله تعالى أيضاً : « تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ » (الملك : ١) ، وقوله تعالى أيضاً : « إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ » (المطففين : ٢٩) . والشواهد القرآنية وغير القرآنية كثيرة لا يحصرها عدٌ .

ولاشك أن الشروط السالفة الذكر محل خلاف بين النحاة في تفاصيلها ، وما يعنيني في خلافهم في هذا البحث قليل ، لا لقلة جدواه لكنني أحب أن أوجه النظر إلى مسألتين متعلقتين بالصلة وأناقشهما محاولاً أن أصل في ذلك إلى نتائج أأمل أن تكون ذات جدوى .

أما القضية الأولى فهي مسألة طول الصلة التي ترد في الحديث عن حذف بعض صلة الموصول ، والقضية الثانية هي أحوال «أي» الموصولة وعمل النحاة في قياس بعض أحوالها غير المسموعة عن العرب .  
٢ - طول الصلة :

إذا جاءت جملة الموصول اسمية جاز حذف المبتدأ (وهو ما يسمى بصدر الصلة) بشروط منها : (٥) .

أ - أن لا يكون خبره جملة فعلية ؛ لأنه إن حُذف المبتدأ تغير التركيب وصلح



الباقى لأن يكون صلة، مثال ذلك قوله تعالى: «الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ» (الماعون: ٦) فلو حُذفت «هُمْ» صارت جملة الصلة فعلية.

ويدخل معظم النحاة في هذا ما كان فيه صلة الموصول شبه جملة نحو قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ» (الأعراف: ٢٠٦) وقوله: «يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» (الجمعة: ١)، لأن الظرف والجار والمجرور عندهم إذا جاء صلة وجب أن يتعلقا بفعل يُقَدَّر حسب السياق بنحو «استَقَرَّ، ثَبَّتَ... إلخ»<sup>(٦)</sup>.

وسوف نزيد هذه النقطة بحثاً فيما بعد بحول الله.

ب - أن تطول جملة الصلة: فاشتراط البصريون طول الصلة لتسوية حذف المبتدأ ولم يشترطه الكوفيون. ولم أجدهم حدّدوا المقصود بطول الصلة ولذا رأيت أن أتتبع تطور هذه المسألة بدءاً بما عند سيبويه، وأن أجمع الشواهد التي يستدل بها القائلون بجواز الحذف مع عدم طول الصلة. ثم ننظر في الصلة كما وردت في القرآن الكريم وفي إحدى المجموعات الشعرية.

فأقدم نص يتحدث عن طول الصلة هو ما ورد عند سيبويه الذي يقول «واعلم أنه يُقْبَحُ أَنْ تَقُولَ: «هَذَا مَنْ مُنْطَلِقٍ» إذا جعلت المنطلق حشواً أو وصفاً. فإن أطلت الكلام فقلت: «مَنْ خَيْرٌ مِنْكَ» حَسَنٌ في الوصف والحشو. زعم الخليل - رحمه الله - أنه سمع من العرب رجلاً يقول: «ما أنا بالذي قاتل لك سوءاً» و«ما أنا بالذي قاتل لك قبيحاً»<sup>(٧)</sup>.

وأعاد قولاً شبيهاً بهذا في موطن آخر فقال: «وزعم الخليل - رحمه الله - أنه سمع عريباً يقول: «ما أنا بالذي قاتل لك شيئاً»... قلت: أفيقال: ما أنا بالذي مُنْطَلِقٌ؟ فقال: لا. فقلت: فما بال المسألة الأولى؟ فقال: لأنه إذا طَالَ الكلام فهو أمثل قليلاً، وكأنَّ طوله عوضٌ من ترك «هُوَ». وقُلَّ من يتكلم بذلك»<sup>(٨)</sup>.

ومن هنا نبت مسألة اشتراط طول الصلة التي تمسك بها البصريون وشذّوا ما ورد مخالفاً لذلك مع أن عبارة سيويه تفيد أنه «قُلْ مَنْ يَتَكَلَّمْ بِذَلِكَ». ولا أحسبها تقتضي المنع التام.

وعبر ابن مالك في ألفيته عن هذا الشرط فقال:  
وَبَعْضُهُمْ أَعْرَبَ مُطْلَقًا، وَفِي ذَا الْحَذْفِ أَيْبًا غَيْرُ أَيِّ يَقْتَضِي

إِنْ يُسْتَطَلَّ وَصَلٌ، وَإِنْ لَمْ يُسْتَطَلَّ فَالْحَذْفُ نَزْرٌ، وَأَبَسُوا أَنْ يُخْتَزَلَ  
إِنْ صَلَحَ الْبَاقِي لِوَصْلِ مُكْمِلٍ .....

فحذف المبتدأ من صلة الأسماء الموصولة - سوى أي - «نَزْرٌ» أي قليل ما لم تطل الصلة. فإن طالت الصلة جاز الحذف وهو ما يعنيه ابن مالك في قوله «وَفِي ذَا الْحَذْفِ أَيْبًا غَيْرُ أَيِّ يَقْتَضِي إِنْ يُسْتَطَلَّ وَصَلٌ».

وقد سلّم النحاة البصريون ومن سار على نهجهم بهذا الشرط فاشتراطوا طول الصلة لجواز حذف المبتدأ. لكنهم لم يحدّوا المقصود بالطول. فلتنظر في الشواهد التي يستدل بها الكوفيون ومن سائرهم:

أولاً: الشواهد القرآنية: وردت الصلة في آيتين في قراءات معينة مقتصرة على خبر مفرد فقط، والقراءتان هما:

(١) قراءة الضحّاك وإبراهيم بن عبّلة ورؤبة بن العجاج وقُطْرِبُ للآية (٢٦) من سورة البقرة: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا» (برفع: بعوضة). ومن الوجوه التي تحتملها الآية أن «مّا» اسم موصول، و«بعوضة» خبر لمبتدأ محذوف تقديره «هو» وتقدير الكلام: «... أن يضرب الذي هو بعوضة مثلاً»<sup>(٩)</sup>.

(٢) قراءة يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق وغيرهما للآية (١٥٤) من الأنعام:

«ثُمَّ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَى  
وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يُلْقَاؤُهُمْ يُؤْمِنُونَ» (برفع «أحسن» على أنه اسم تفضيل) وتقدير  
الكلام «... الذي هو أحسن» فحذف المبتدأ وبقي الخبر وحده (١٠).  
ثانيًا: الشواهد الشعرية: هذه هي الشواهد الشعرية التي تناولها كتب  
النحو:

(١) فمنها قول الأنصاري، إما كعب بن مالك أو حسان بن ثابت أو عبد الله  
بن رواحة: (١١).

فَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرُنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا  
فمحل الاستشهاد «مَنْ غَيْرُنَا» (برفع غير). وقد أورده سيبويه مجروراً في رواية  
للخليل، لكن سيبويه عدَّ الرفع أجود على رغم ضعفه كما يقول.  
(٢) وقول الشاعر: (١٢).

لَا تَنْوِي إِلَّا الَّذِي خَيْرٌ، فَمَا شَقِيتَ إِلَّا نَفْسُوسَ الْأَلَى لِلشَّرِّ نَاوُونَا  
(٣) وقول الآخر: (١٣).

مَنْ يُعْمَنُ بِالْحَمْدِ لَمْ يَنْطِقْ بِمَا سَفَهَ وَلَا يَحْدُ عَنْ سَبِيلِ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ  
ثالثًا: الشواهد النثرية: من ذلك:

(١) أشرنا إلى أن سيبويه ذكر أنه قل من يتكلم بكلام فيه موصول ذو صلة  
قصيرة. ولكنه في موضع آخر يرضى ذلك، فيقول: «وإن أردت الحشو قلت:  
مررتُ بمنَّ صالحٍ. فبصير «صالحٍ» خبراً لشيء مضمَر، كأنك قلت: مررتُ  
بمنَّ هوَّ صالحٍ. والحشو لا يكون أبداً لـ «مَنْ» و «مَا» إلا وهما معرفة. وذلك  
من قبيل أن الحشو إذا صار فيها أشبهتا «الذي» (١٤).  
(٢) ومثل ما سبق قول أبي على الفارسي (ت ٣٧٧): «وأما قولهم: كُنْ كَمَا

أنت» فيحتملُ عندي أن تكون «ما» كافة، كأنه قال: كُنْ كَأَنْتَ، ويجوز أن تكون بمعنى «الذي» كأنه: «كُنْ كَالَّذِي هُوَ أَنْتَ». (١٥)

هذا ما تيسر لي جمعه من الشواهد والأمثلة. ولو دققنا النظر في كل واحد منها لما سلّم لنا منها إلا النزر اليسير. فآية البقرة فيها توجيهات أخرى أرجح مما ذُكر؛ وكون «ما» موصولا ضعيف لأنه مسبوق بنكرة. أما الآية الثانية فهي أسلم ما رُوي في هذا الباب. والبيت الأول المنسوب «للأنصاري» عند سيبويه وردت فيه الرواية بالجر على أن «غيرنا» فيه مجرورة وهي صفة «لن»؛ ولهذا استشهد به الخليل. والبيتان الثاني والثالث مجهولا القائل ولا نعلم لأي عصر يتبعان. كما أن «ما» في البيت الثاني في قوله «لم ينطق بها سفه» يجوز أن تكون زائدة كما في قوله تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ» (آل عمران: ١٥٩).

أما كلام سيبويه وأبي علي الفارسي وغيرهما من النحاة فإنما أوردناه للاستئناس به، لا للاستشهاد.

وقد تتبعت الأسماء الموصولة في القرآن الكريم ثم تتبعتها بعد ذلك في المفضليات (١٦) لمعرفة صورة صلة الموصول في أقصر أحوالها في ذينك المصدرين.

أما في القرآن الكريم فإن معظم الأسماء الموصولة متبوعة بجملة فعلية. أما التي ترد جملة الصلة فيها اسمية فلها الوجه الآتية: (١٧)

أ- تحيء الجملة مكونة من مبتدأ وخبر ملفوظين كقوله تعالى: «أَتَشْتَبِهُ لُؤْلُؤَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ» (البقرة: ٦١)، وقوله: «وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (الأنعام: ١٥٢)، وقوله تعالى: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» (الإسراء: ٩). وهناك أمثلة كثيرة على ذلك في القرآن الكريم.

وقد يكون الخبر جملة فعلية كما في قوله تعالى: «وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ» (الشعراء: ٧٩)، وقوله: «وَالَّذِينَ هُمْ يُنَادُّونَ» (الأعراف: ١٥٦).

ب- وتجيء الجملة الاسمية مكونة من مبتدأ معه شبه جملة متعلق بخبر محذوف كقوله تعالى: «وَلِيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ» (البقرة: ٢٨٢)، وقوله: «إِذْ يَكْفُرُ الْمُنَافِقُونَ» (الأنفال: ٤٩)، وقوله: «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ» (النمل: ٤٠).

ج- كما تجيء جملة الصلة شبه جملة فقط. والنحاة - كما ذكرنا - يوجبون تقدير المحذوف فعلاً لا اسماً. ونحن نخالفهم في ذلك طَرْدًا للقاعدة فنجز تقديره اسماً أو فعلاً. فمن أمثلة الجار والمجرور قوله تعالى: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا» (آل عمران: ٩٦)، وقوله: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ» (البقرة: ٢٢٨) وقوله تعالى عن موسى: «فَأَسْتَغْنِي» (الأنعام: ٩٢) وقوله: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ» (البقرة: ٢٢٨) وقوله: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ» (البقرة: ٢٢٨) وقوله: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ» (البقرة: ٢٢٨).

فالواضح من هذه الأمثلة أن صلة الموصول لا تَقِلُّ في طولها عن كلمتين كالمتبدا والخبر: «الذي هو أدنى» و «الذي هو خير» و «التي هي أحسن»، أو شبه الجملة: «للذي ببكة» و «الذين معه». ومن أمثلة الجملة الفعلية: «يا أيها الذين آمنوا» و «يا أيها الذين هادوا» و «والذين كفروا».

أما في المفضليات فقد وصلت في دراستي لصلة الموصولات الاسمية فيها إلى النتائج الآتية:

أولاً: أن نسبة الأسماء الموصولة في هذه المجموعة الشعرية ليست كبيرة، فعدد الأبيات يبلغ ٢٧٢٧ بيتاً، ولا يتعدى عدد الأمثلة التي فيها أسماء

موصولة ٤٦ مثلاً. فنسبة الأمثلة إلى عدد الآيات هي أقل من ٢٪.

ثانياً: أن معظم جمل الصلة فعلية فثلاثة أرباع الأمثلة فيها الصلات جمل فعلية، أي ٧٥٪ من مجموع الأمثلة.

ثالثاً: أن نسبة الجمل الاسمية الواقعة صلة للموصول تصل إلى ٧٪ من مجموع الأمثلة. ومن أمثلة ذلك قول سلامة بن جندل: (١٨)

أَوْدَى الشَّبَابُ الَّذِي مَجَّدَ عَوَاقِبُهُ فِيهِ نَلْدُ، وَلَا لَدَاتٍ لِلشَّيْبِ  
وقول شبيب بن البرصاء: (١٩)

لَعَمْرُ ابْنَةِ الْمُرِّيِّ مَا أَنَا بِالَّذِي لَهُ - أَنْ تَنْوُبَ النَّائِبَاتُ - صَحِيحُ  
فجملته الصلة في البيت الثاني هي «لَهُ صَحِيحُ».

٤) أما الظرف والجار والمجرور فتصل نسبة أمثله إلى ١٨٪، ومنه الأمثلة الآتية:

قول الشنفرى الأزدي: (٢٠)

خَرَجْنَا مِنَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنَ مِشْعَلٍ وَبَيْنَ الْجَبَا، هَيْهَاتَ أَنْشَأْتُ سُرْبِي  
وقول المخبل السعدي: (٢١)

وَتَقُولُ عَاذِلَتِي، وَلَيْسَ هَا يَغْدُو وَلَا مَا بَعْدَهُ عِلْمُ  
وقول سويد بن أبي كاهل الشكري: (٢٢)

قَدْ كَفَانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ وَمَتَى مَا يَكْفِ شَيْئاً لَا يُضْعُ  
وقول مئيم بن نؤيرة: (٢٣)

بَسْذُولٌ لِمَا فِي رَحْلِهِ، غَيْرُ رُمَحٍ إِذَا أَبْرَزَ الْحُورَ الرِّوَائِعَ جُوعُ  
٥) ولم يأت في المفضليات مثال على الصلة على غرار «تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ»، أي الصلة التي هي خبر مفرد.

فهذه الشواهد القرآنية والشعرية تؤيد ما ذهب إليه الخليل بن أحمد وسيبويه  
ما ذكرناه قبلاً. وهما هو سيبويه يقول: «واعلم أنه يقبَحُ أن تقول: هَذَا مَنْ  
مُنْطَلِقٌ، إذا جعلت المنْطَلِقَ حَشَوًا أو وصفاً. فإن أطلت الكلام فقلت: مَنْ  
خَيْرٌ مِنْكَ، حَسُنَ في الوصفِ والحشو» (٢٤)

ويقول في موطن ثانٍ: «لا يكاد عربيٌّ يقول: الذي أَفْضَلُ فاضْرِبْ، واضْرِبْ  
مَنْ أَفْضَلُ، حتى يُدْخَلَ «هُوَ». ولا يقول: هاتَ ما أَحْسَنُ، حتى يقول: ما  
هو أَحْسَنُ». (٢٥)

فأقل طولٍ للصلة مقبول هو كلمتان ملفوظتان:

١ - إما أن تكونا فعلاً وفاعلاً نحو: «الذين آمنوا» و«الذي يجي» و«التي  
تبغي» من القرآن الكريم.

٢ - أو تكونا مبتدأ وخبراً نحو: «التي هي أحسن» و«والتي هي أفوم»  
و«الذي هو أدنى» في القرآن الكريم. أما في الشعر فمنه «الذي جَدَّ عَوَاقِبُهُ».

٣ - أن تكونا شبه جملة: ظرفاً مضافاً ومضافاً إليه نحو: «والذي معه»،  
و«الذي بين مشعل» و«ما بعده»، أو جاراً ومجروراً نحو: «الذي ببكة» و«الذين  
عليهن».

ويدخل في هذا النطاق - نطاق الكلمتين الملفوظتين - ما نحن بصددده من  
شرط طول الصلة لحذف صدر الصلة المرفوع (المبتدأ). فأقل ما ينبغي أن يبقى  
صلة - بعد حذف المبتدأ - هو الخبر ومتعلقه. ويندر محيى الخبر وحده.

فشرطُ البصريين طول الصلة - إذا قِيَدَ بما هو مذكور أعلاه - صحيحٌ وله ما  
يؤيده من القرآن الكريم. ولا شك أن معظم شواهد العربية تشهد له. أما  
إطلاق الكوفيين لجواز حذف صدر الصلة (المبتدأ) دون اشتراط طول الصلة  
فليس له ما يسنده في العربية وشواهد نادرة. والأولى جعله «نَزْراً» كما عبّر عن

ذلك ابن مالك .

فإذا قيدنا طول الصلة بأن أقله كلمتان كما استقرينا لم يبق مكان لقول النحاة  
بوجوب تقدير فعل إن كانت صلة الموصول شبه جملة كما في قوله تعالى «الَّذِي  
يَبْكُ» و«الَّذِينَ مَعَهُ»، لأن الطول متحقق بهذه الكلمات بغض النظر عن  
متعلقها: أفعلاً كان أم اسماً. كما أن الخليل وسيبويه أجازا نحو: «هذا فَعْلُهُ مَنْ  
خَيْرٌ مِنْكَ» وهو مثل تقديرنا «الذي مستقر (أو موجود) ببكة»، و«خيرٌ  
و«مستقر» في المكانين خبران لمبتدأ محذوف. وقد يُعترض على هذا القول بأنه  
يؤدي إلى تقدير محذوفين هما المبتدأ والخبر، لأن تمام تقديرنا للآية الكريمة هو  
«... للَّذِي هو مستقر ببكة». والجواب عن هذا أن الفعل أيضاً مقدر مع  
فاعله. فالمقدر في كل حال جملة: اسمية في إحداها وفعلية في الأخرى. إذ إن  
تقديرنا للآية بـ «الذي استقر ببكة» يقتضي وجود فعل هو «استقر»، وفاعل  
مستتر يعود على الموصول.

### ٣- أي الموصولة وأحوالها :

إن مما لفت أنظار النحاة إلى «أي» الموصولة - فيما أحسب - الخلاف في توجيه  
قراءة الآية (٦٩) في سورة مريم، وهي قوله تعالى: «ثُمَّ لَنَزِعَنَّ عَنْ كُلِّ شَيْعَةٍ  
أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا». حيث إن القراءة المشهورة بضم الياء المشددة في «أيهم»  
على الرغم من أن هذا الموصول مفعول للفعل «نَزِعَنَّ» (٢٦). والرأي الذي شاع  
بين النحاة هو رأي سيبويه الذي يقول إن «أيهم» مَبْنِيَّةٌ على الضم في محل نصب  
هاهنا. ولم يكتب لآراء أخرى القبول؛ فالخليل يرى أنها معربة ويشاركه في ذلك  
ابن السراج (ت ٣١٦هـ) والكوفيون. فهم يذهبون إلى أن «أيًا» الموصولة مُعَرَّبَةٌ  
في جميع أحوالها كالشرطية والاستفهامية. ولهم في توجيه هذه الآية وأشباهاها من  
الأمثلة أقوال عدة (٢٧).



وقد فَرَعَ النحاة على هذه الآية، فذكروا أن لأيّ أربعة أوجه أو أحوال بالنظر إلى «إِضَافَتِهَا» و «صَدْرِ صِلَتِهَا». وإذا قُلِّبَ هذان العاملان (الإضافة وصدر الصلة) نَتَجَّ أربعة أوجه لدينا ليس غير. وهما هي:

الوجه الأول: أن تكون مضافة ويُذَكَّر صدر الصلة كقولنا: «لَنُكَافِئَنَّ أَيَّاهُمْ هُوَ أَكْثَرُ اجْتِهَادًا».

الوجه الثاني: ألا تضاف، ولكن يُذَكَّر صدر الصلة، نحو: «لَنُكَافِئَنَّ أَيَّاهُمْ هُوَ أَكْثَرُ اجْتِهَادًا».

الوجه الثالث: ألا تضاف ولا يُذَكَّر صدر الصلة، نحو: «لَنُكَافِئَنَّ أَيَّاهُمْ أَكْثَرُ اجْتِهَادًا».

الوجه الرابع: أن تضاف ويحذف صدر الصلة، ومثاله الآية القرآنية السابقة. ومثلها قول الشاعر (٢٨):

إِذَا مَا لَقِيتَ بَنِي مَالِكٍ فَسَلِّمْ عَلَى أَيُّهُمْ أَفْضَلُ  
وَالْقَائِلُونَ بِنَاء «أَيُّهُمْ» في الوجه الرابع يرون أنها معربة في الأوجه الأخرى. والذي أراه أن النحاة هم الذين وَلَّدُوا الوجوه الثلاثة الأولى إذ قاسوها على الوجه الرابع قياساً أدى إليه تناوب الإضافة وصدر الصلة (المبتدأ). فالوجه الأول جاء مضافاً والجملة الاسمية معه تامة، وقد أشار ابن السراج إلى أن «أَيَّاهُمْ» قد توصل بالمبتدأ والخبر، وقد يحذف المبتدأ ويكتفى بالخبر. وقد سَوَّغَ الحذف عنده كثرة الاستعمال.

أما الوجهان الثاني والثالث ففيهما «أي» غير مضافة. وقد ذكر سيبويه الوجه الثالث دون الثاني. وفي اعتقادي أنهما من نتائج قياس النحاة. ونستدل على هذا القول بوجه:

أولاً: أن سيبويه نفسه قال: «ومن قولها [أي: الخليل بن أحمد ويونس بن

حبيب:] اضْرِبْ أَيَّ أَفْضَلُ . أما غيرهما فيقول : اضْرِبْ أَيًّا أَفْضَلُ . وَيَقِيسُ ذَا عَلَى «الَّذِي» وما أشبهه من كلام العرب ، وَيُسَلِّمُ في ذلك المضاف إلى قول العرب ذلك ، يعني «أَيِّهِمْ» . وَأَجْرُوا «أَيًّا» على القياس . ولو قالتِ العربُ : اضْرِبْ أَيَّ أَفْضَلُ لَقُلْتُه ، ولم يكن بُدٌّ من متابعتهم ، ولا ينبغي لك أن تقيس على الشاذ المنكّر في القياس . . . ولو جعلوا «أَيًّا» في الانفراد بمنزلة مضافا لكانوا خُلَفَاءَ إن كان بمنزلة «الذي» معرفةً أَلَا يُنَوَّنُ ؛ لأن كل اسم ليس يتمكّن لا يدخله التنوين في المعرفة ، ويدخله في النكرة (٢٩) .

فالذي يُستفاد من كلام سيبويه أن ما ذكره من خلاف إنما مرّده إلى قياس النحاة الذين قاسوا «أَيًّا» غير المضافة على «أَيِّهِمْ» التي ورد السماع بأمثلة لها . ومن عادة سيبويه في مواطن الاختلاف الإتيان بأمثلة من لغة العرب لبيان صحة المقول أو خطئه . أما هاهنا فالخلاف غيرٌ مؤيّد بأدلة كما نرى .

ثانيًا : أن النحاة أكثروا من القياس في باب الموصولات فولّدوا جُملاً وتراكيب لم تُسمِعْ عن العرب . فالمرّد (ت ٢٨٥ هـ) عَقَدَ فصلاً عنوانه : «هذا بابٌ منَ «الذي» و «التي» أَلَفَهُ النحويون فأدخلوا «الذي» في صلة «التي» وأكثروا من ذلك» (٣٠) . وفعل ذلك أيضًا ابن السراج (٣١) . وأورد كل واحد منهما أمثلةً مصنوعة هدفها تدريب المتعلم .

ثالثًا : أن ابن هشام ذكر الأوجه الخمسة لأي وهي أن تحيى : للشرط ، والاستفهام واسما موصولاً ، وصفة للنكرة دالة على معنى الكمال ، ووُصَلَةٌ إلى نداء . ثم قال : «ولا تكون «أي» غير مذكور معها مضاف إليه ألبتة إلا في النداء والحكاية . يقال : جاءني رجل ، فتقول : أيّ يا هذا؟ ، وجاءني رجلان . فتقول : أيّان ؟ ، وجاءني رجال . فتقول : أيّون ؟» (٣٢) .

فإن صحّ كلام ابن هشام هذا فإن الوجهين : الثاني والثالث من الوجوه

الأربعة التي ذكرناها لأيّ يسقطان، حيث إن «أيا» فيها غير مضافة.

رابعاً : أن كون «أي» موصولاً محلّ نظر. فهذا أحمد بن يحيى الملقّب بشعلب (ت ٢٩١هـ) ينكر أن يجيء «أي» موصولاً مستدلاً على ذلك بأنه لا يجوز الابتداء بها، فلا يقال: «أَيُّهم هو فاضلٌ جاءني»، كما يقال: «الذي هو فاضل جاءني» (٣٣).

وما قاله ثعلب جدير بالنظر، فـ «أي» تختلف عن الأسماء الموصولة من وجوه عديدة سوى ما ذكره ثعلب، منها:

(١) أنها لم تجيء إلا مضافة كما في الآية وبيت الشعر، والأسماء الموصولة كلها لاتضاف.

(٢) أنها وردت مبنية ومعربة كما هو واضح من الشاهدين والأمثلة الواردة ولم يُعرف عن الموصولات إلا أنها ملازمة للبناء.

(٣) أن «أيا» من الناحية الدلالية أقرب إلى ألفاظ العموم نحو «كل» للكلية، و«بعض» للجزئية. وتدل «أي» على الاختيار من الكل. فإذا قيل: «اقرأ أي كتاب يعجبك» دلت الجملة على مطلق الاختيار. ولذا نلاحظ أن قولنا: «خُذْ أَيُّها أحبُّ إليك» تختلف في دلالتها عن قولنا: «خُذْ مَا هو أحبُّ إليك» أو «خُذْ الذي هو أحبُّ إليك». ففي الجملة الأولى مجال للخيار لا توحى به الجملتان الأخيرتان.

وعلى الرغم من كل هذه الوجوه، فإنّ قول ثعلب المذكور سلفاً لم يرقّ للنحاة. كما لم يقبلوا تفسير الخليل «لأي» في قولنا «اضربْ أَيُّهم أفضلُ» وهو يُخْرِجُ بها من الموصولات. إذ يرى أن المراد هو «اضربِ الذي يُقال له: أَيُّهم أفضلُ» على الحكاية، وهو ما ارتضاه ابن السراج وأكّده (٣٤).

وقد قدّر لتفسير سيبويه لـ «أي» على أنها موصولة أن يجِدَ قَبُولاً لم يَحْظَ به

قول الخليل أو ثعلب . وأعتقد أنه من الأولى الأخذ برأي الخليل وثعلب وإخراج «أي» من الموصولات .

إن الدلائل والقرائن السابقة تؤيد ما نذهب إليه من أنه لم يرد عن العرب لـ «أي» الموصولة (عند من عدها موصولاً) إلا وجه واحد، وهو الذي يُستدلُّ عليه بالآية القرآنية . وهذا الوجه أيضاً يقبل توجيهات أخرى . فليست فيه «أي» موصولة على وجه مطلق . أما الوجوه المذكورة لأي - خاصة الثاني والثالث فقد أدت إليها أقيسة النحاة ورغبتهم في التفریع . والله أعلم بالصواب .

كما أن الآية المذكورة لا تؤيد قول النحاة في استثناء «أي» من شرط طول الصلة إذا عُدَّتْ «أي» موصولاً . فالصلة في الآية هي «أشدُّ على الرِّحْمَنِ عِتِيًّا» . وهي شبيهة - في طولها - بما سمعه الخليل عن العرب : «ما أنا بالذي قاتلُ لَكَ سُوءاً» ، أو ما قاله سيبويه من جواز «مَنْ خَيْرٌ مِنْكَ» على اعتبار «مَنْ» اسماً موصولاً ، لأن طول الصلة يعوّض عن المحذوف .

وقد يَعتَرِضُ على هذا البيتُ الشعرُ المشارُ إليه الذي فيه : «فَسَلِّمْ عَلَى أَيُّهُمْ أَفْضَلُ» . والجواب على هذا أن طول الصلة شرط في الصلات مع الموصولات كلها ، وأن قصرها نزر ونادر مع أي وغيرها . وقد وردت أمثلة على الموصولات : مَا ، وَالَّذِي ، وَمَنْ ، قَصُرَتْ فيها الصلة . وهذا مثال على «أي» لا ينقض ما قرَّرناه . ولا ريب أن الآية القرآنية أولى بالتقديم على بيت شعري مجهول القائل ، وأولى بالقبول من أمثلة النحاة المصنوعة للشرح والتعليم .

والله أعلم بالصواب ، وصلى الله على محمد وعلى آله

وصحبه وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

\*\*\*

## الإحالات والشروح

\* تفضل بقراءة هذا البحث الزميل د. إبراهيم الشمسان وأبدى ملاحظات قيمة أخذت بمعظمها. فجزاه الله خيراً، وله مني جزيل الشكر. وأسأل الله له التوفيق.

(١) يَعدُّ البعض «الذي» في قوله تعالى: «وَحُضِّنْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا» وقوله: «ذلك الذي يُبشِّرُ الله عِبَادَهُ» موصولاً حرفياً. انظر: أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، وصورته في بيروت: دار الفكر: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ٦/ ٦٩، ٧/ ٥١٥-٥١٦.

(٢) ابن عقيل - شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة، ط ١٤، ١٣٨٤/ ١٩٦٤، وقد صورته في بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت: ١٤١: ١ - ١٥٢؛ ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي. تحقيق صالح أبو جناح (بغداد: منشورات وزارة الأوقاف والشئون الدينية، ١٩٨٠) ١: ١٦٨- ١٧٩؛ عباس حسن، النحو الوافي (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥) ١: ٤٣٢- ٣٦٤.

(٣) ابن عصفور - شرح جمل الزجاجي، ١: ١٧٨.

(٤) شرح جمل الزجاجي، ١: ١٧٩- ١٨٢؛ جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم (الكويت: دار البحوث العلمية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٥م) ١: ٢٩٤- ٢٩٧؛ شرح ابن عقيل، ١: ١٥٣- ١٥٥.

(٥) السيوطي، همع الهوامع، ١: ٣١١- ٣١٢؛ شرح ابن عقيل، ١: ١٦٥.

(٦) همع الهوامع، ١: ٣١١؛ عباس حسن، النحو الوافي، ١: ٣٨٤- ٣٨٦.

(٧) سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٢هـ) ٢: ١٠٨.

(٨) سيبويه، الكتاب، ٢: ٤٠٤.

(٩) أبو حيان الأندلسي - تفسير البحر المحيط، ١: ١٢٣؛ أبو جعفر النحاس، إعراب

- القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد (بيروت: عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)  
 ١: ٣٠٣ - ٢٠٤؛ أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار وأحمد  
 يوسف نجاتي (القاهرة: دار الكتب المصرية، وصورته في بيروت: عالم الكتب،  
 ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ١: ٢١ - ٢٢؛ ابن جني - المحتسب في تبيين وجوه شواذ  
 القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد  
 الفتاح شليبي (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٨٦هـ) ١: ٦٤. أبو  
 البقاء العكبري - التبيان في إعراب القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي (القاهرة: عيسى  
 البابي الحلبي، ١٩٨٦م) ١: ٤٣.  
 (١٠) أبو حيان - تفسير البحر المحيط ٤: ٢٥٥؛ العكبري - التبيان في إعراب القرآن،  
 ٥٥٠: ١.  
 (١١) الكتاب ٢: ١٠٥؛ عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام محمد  
 هارون (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ٦: ١٢٠.  
 (١٢) شرح ابن عقيل، ١: ١٦٦، أبو الحسن الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن  
 مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،  
 ط ٣، ١٩٧٠م) ١: ٢٢٤.  
 (١٣) الأشموني - شرح الأشموني؛ ١: ٢٢٤، خالد بن عبد الله الأزهرى - شرح التصريح  
 على التوضيح (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، د. ت) ١: ١٤٤.  
 (١٤) الكتاب ٢: ١٠٧.  
 (١٥) أبو علي الفارسي. المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات، تحقيق صلاح الدين عبد  
 الله السنكاوي (بغداد: وزارة الأوقاف والشئون الدينية، ١٩٨٣م) ص ٢٩١.  
 (١٦) المفضل الضبي - المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون  
 (القاهرة: دار المعارف، ط ٤، د. ت).  
 (١٧) اعتمدت في ذلك على: إسماعيل أحمد عمارة وعبد الحميد مصطفى السيد - معجم  
 الأدوات والضمائر في القرآن الكريم (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م)  
 ٤٧٠ - ٥٠١.  
 (١٨) المفضليات، ص ١٢٠ (بيت ٣).  
 (١٩) نفسه ١٧١ (بيت ١٦).

- (٢٠) ص ١١٠ (بيت ١٦).
- (٢١) ص ١١٨ (بيت ٣٥).
- (٢٢) ص ١٩٨ (بيت ٧٠).
- (٢٣) ص ٢٧٢ (بيت ١٥).
- (٢٤) الكتاب ٢ : ١٠٨ .
- (٢٥) نفسه ٢ : ٤٠٠ .
- (٢٦) عن هذه القراءة انظر : تفسير البحر المحيط ٦ : ٢٠٨ - ٢٠٩ .
- (٢٧) الكتاب ٢ : ٣٩٩ ؛ النحاس ، إعراب القرآن ، ٣ : ٢٤ - ٢٥ ؛ أبو بكر بن السراج ، الأصول في النحو ، تحقيق عبد الحسين الفتلي (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ٢ : ٣٢٤ ؛ أبو البركات الأنباري - الإنصاف في مسائل الخلاف ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة : د. ت ، وصورته في بيروت : دار الفكر ، د. ت) ٢ : ٧٠٩ - ٧١٦ ؛ ابن هشام الأنصاري - مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة : مطبعة المدني ، د. ت ، وصورته في بيروت : دار الكتاب العربي ، د. ت) ١ : ٧٧ - ٧٨ ؛ أبو القاسم الزجاجي - مجالس العلماء ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (الكويت : وزارة الإعلام - سلسلة التراث العربي - رقم (٩) ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م) ٣٠١ - ٣٠٢ .
- (٢٨) خزائن الأدب ٦ : ٦١ . والبيت لا يعرف قائله ، لكن رواه أبو عمرو الشَّيْبَانِي كما في الخزانة .
- (٢٩) الكتاب ٢ : ٤٠١ - ٤٠٢ .
- (٣٠) محمد بن يزيد المبرد - المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضية (القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٣٨٥ - ١٣٨٨ هـ) ٣ : ١٣٠ - ١٣٢ . وانظر أيضا ١ : ٢٢ من الكتاب نفسه .
- (٣١) الأصول في النحو ٢ : ٣١٨ - ٣٢٢ .
- (٣٢) مغني اللبيب ١ : ٧٩ .
- (٣٣) نفسه ١ : ٧٨ .
- (٣٤) الكتاب ٢ : ٣٩٩ ؛ الأصول في النحو ٢ : ٣٢٤ .

# الأساليب اللغوية في إثبات الشخصية قبل الصور الضوئية

مصطفى أمين جاهين

كان لاختراع التصوير الضوئي «الفوتوغرافي» فضل كبير في تيسير التحقق من هوية الأفراد بواسطة الصور التي تُثبت فيها يعرف «بحفظة النفوس» في المملكة العربية السعودية وما يوازيها ببطاقات الهوية في بعض الدول العربية، وبطاقات الشخصية في دول أخرى، أو بواسطة بعض الوثائق الرسمية المماثلة كجوازات السفر، والرخص الخاصة بقيادة السيارات، وبطاقات العضوية في النوادي أو النقابات إذ يمكن





بمقارنة ملامح شخص ما بملامح الصورة المثبتة  
بالبطاقة التي يحملها التأكد من أنه صاحبها فعلاً، وأن  
البيانات المدونة بها تخصه فعلاً.

وقبل ذلك، كان التحقق من هوية الأشخاص يتم بشهادة الشهود الذين  
يتعين التحقق من شخصياتهم، هم أيضاً كشرط للنظر في قبول شهاداتهم.  
غير أن التراث الإداري العربي، ترك لنا العديد من أساليب التحقق من  
هويات الأفراد الذين يتعاملون مع مؤسسات الدولة وغيرها، حتى ينال كل  
صاحب حق حقه، ولكي يحال دون نجاح الأذعياء في تقمّص شخصيات  
غيرهم والحصول على ما ليس من حقهم.

وتلك الأساليب يتلخص في تسجيل أوصاف مفصلة للأشخاص الذين  
يتعاملون مع إحدى المؤسسات في سجل خاص، حتى يمكن مقارنة أوصاف  
من يدعي أنه شخص معين بالأوصاف المدونة في سجل المؤسسة لاختبار صحة  
ادعائه، فإذا تطابقت الأوصاف المسجلة مع أوصاف المدعي ثبتت صحة  
ادعائه.

وقد شجع على اتباع ذلك الأسلوب ونجاحه، ثراء اللغة العربية بالألفاظ  
التي تعبر عن أدق الأوصاف والمعاني، حتى أن المرء لا يكاد يطالع ما سجل  
بالألفاظ عن أوصاف أحد الأشخاص، حتى تنطبع على الفور الصورة الحقيقية  
لذلك الشخص في ذهنه.

وقد أوضح أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم الكاتب، ذلك الأسلوب في كتابه  
«البرهان في وجوه البيان»، عندما تعرض لوظيفة كاتب الجيش، فذكر أنه  
«يحتاج - مع العلم بالحساب وضبطه - إلى أن يعرف الأطلع «وهي رواتب  
الجنّد»، والجلي (\*) وأحكامها».

ويقصد بالحلّى أو التحلية، بيان الأوصاف المفصلة لكل مستحق لهذه الرواتب في السجل الخاص بذلك، حتى يمكن مطابقتها على أوصاف مدعي الاستحقاق قبل تسليمه راتبه .

فكان يُذكر في يمين الورقة المخصصة لكل شخص اسمه وبلده وولاهه، فيقال «فلان الرومي» وما أشبه ذلك، كما يذكر الراتب المستحق له، ثم يذكر قدّه، فإن كان قصيراً كتب «ربعة إلى القصر»، وإن كان ربعة كتب «مربوع» وإن كان طويلاً كتب «ربعة إلى الطول» (وإنما لم يقل «طويل أو قصير» على الإطلاق؛ لأن الطول والقصر من باب المضاف، والطويل إنما يكون طويلاً بالإضافة إلى من هو أقصر منه، وكل طويل فهو قصير إذا أضيف إلى من هو أطول منه، وكان قولهم ربعة إلى الطول أو القصر أحوط إلى تصحيح المعنى .

ثم يذكر لونه فيقال «أسود»، أو «آدم»، أو «أحمر تعلوه حمرة» إذا كان أشقر، أو أبيض «ولا يقولون أبيض» .

ثم تذكر الجهة بأوصافها : من ضيق أو رحب، وإن كان اجلح وهو ما انحسر شعره عن جانبي رأسه أو أصلع، أو ذا فروة، أو أغم «وهو ما سال شعره على جبهته وقفاه» ذكر ذلك ، وإن كان في جبهته غضون ذكرت .

ثم يُذكر الحاجبان بما فيهما من قرن «وهو اتصال الحاجبين»، أو بليح «وهو تباعد ما بين الحاجبين» .

ثم تذكر العينان، بما فيهما من كحل أو زرقة أو شهل «وهو أن يشوب حدقة العين زرقة، وأقل من الزرقة في الحدقة» . وقيل : أن تشوب حدقة العين حمرة، وليست خطوطاً، ولكنها قلة في سواد الحدقة، جعلتها تضرب إلى الحمرة، أو حوص (وهو ضيق في مؤخر العين)، أو حور (وهو صفة العين التي اشتد

بياضها وسوادها، واستدارت حدقتها، ورقت جفونها، وابتيض ما حوالها)، أو جحوظ، أو غور (وهو دخول العينين في الرأس وهو عكس الجحوظ)، أو حول (وهو اختلاف محوري العينين) أو بياض.

ثم تذكر صفات الأنف، بما فيها من قنى (وهو ارتفاع وسط قصبته، مع ضيق منخريه)، أو فطس (وهو انخفاض قصبه الأنف)، أو ورود أرنبة (أي طول أرنبة الأنف وهي طرفه)، أو انتشار متأخر (يقصد انبساطها، والمنخر ثقب الأنف).

ثم تذكر أوصاف الأسنان، بما فيها من درد (وهو سقوط الأسنان كلها، فيوصف الرجل بأنه أدرد، والأنثى درداء)، أو شفا (وهو اختلاف الأسنان في الطول والقصر، والدخول والخروج)، أو فليج (وهو تباعد الأسنان)، أو قلع (وهو تغير الأسنان بصفرة أو خضرة تعلوها)، أو انقلاع بعضها أو سواد بعضها.

فإذا ذكر الشامات (جمع شامة، وهي علامة تخالف البدن الذي هي فيه، أو بشرة في الجسم لونها أسود)، والخيلاء (جمع خال وهو حبة سوداء بارزة ينبت فيها الشعر غالباً، وبروزه ووجود الشعر فيه، هو السذي يفرق بينه وبين الشامة)، وآثار الحديد والقروح، وغير ذلك مما في البدن واليدين وغيرهما، فلا بأس.

ثم أضاف: «والأعمدة من هذه الحلي، مالا يتغير مثل الفطس والزرقعة، والطول والقصر، وأشبه ذلك... فإن اقتصر مقتصر عليها أجزأت وأغنت إن شاء الله».

وكانت تلك التحلية، تقتصر على غير المعروفين من الرجال إذ يقول: «وإن كان الرجل المذكور قائداً، أو أميراً لم تذكر حليته، واقتصر على اسمه، وذكر جاريه (أي راتبه)؛ لأنه ربما يحلي من لا يعرف ومن يخشى أن تقع حلية في اسمه، أو يدخل دخيل مكانه... فأما من عرف باسمه وعينه ونسبه، فلا

حاجة بالكاتب إلى تحليلته»<sup>(١)</sup>.

والحلية - لغة - صفة الرجل وخلقه، وصورته، وجمعها حلي، وقد أورد شمس الدين المنهاجي الاسيوطي في كتابه (جواهر العقود) تفصيلات أوفى عما كان يسجل من الحلي في سجلات القضاء، ووصفها بأنها: (الباب الموصل إلى يقين الشهادة)، وأن (علينا بنى أحكام المعرفة).

وذكر أن أول ما يُذكر في الإنسان سنُّه، ثم قَدُّه، ثم لونه، ثم جَبْهَتُهُ، ثم حاجِباه، ثم عيناه، ثم خَدَّاه، ثم شَفَتاه (وجميع ما في وجهه من حسنة، أو شامة، أو جرح أو ثؤلول، وهو خراج صغير صلب مستدير)، وإن كانت الآثار في عضو من أعضائه بحيث تكون الرؤية ممكنة بحيث لا يحصل بذلك مشقة، مع موافقة الشرع الشريف، فلا مانع بالاطلاع عليها وذكرها، والمراد من الحلية، أن يذكر أشهر ما في الإنسان، مما لا يزول بطول الزمان، في الغالب.

وبدأ بذكر المعالم الأساسية في جسم الإنسان فقال: ويذكر في الأقطع فيقول: مقطوع اليد الفلانية، أو الرجل الفلانية.

وذكر ما يكتب لبيان السن، فيقال للمولود: «رضيع» سواء أكان ذكراً، أم أنثى، فإذا فطم يقال: «فطيم»، فإذا تعدى ذلك، قيل للذكر: «طفل»، وللأنثى «طفلة»، فإذا زاد على ذلك، قيل للذكر: «غلام»، وللأنثى «صغيرة»، فإذا قارب البلوغ، قيل للذكر: «مراهق» فإذا بلغ يقال: «بالغ»، فإذا ظهر شاربه، قيل: «قد طر شاربه وسال عارضاه» فإذا استدار شعر وجهه خفيفاً قيل: «قد بقل وجهه»، فإذا اتصل الشعر بوجهه وذقنه، ولم يطل قيل: «مجتمع شعر الوجه» فإذا طال شعر عارضيه، ولم يتصل الشعر بذقنه قيل: «منقطع شعر اللحية والعارضين»، فإذا استدارت لحيته ولم يظهر فيها شيب، قيل: «شاب

مستدير اللحية»، فإذا بدا بها شيب خفيف، قيل: «فيه نبذة يسيرة من الشيب»، فإذا تزايد الشيب، قيل: «قد خطه الشيب»، فإذا غلب الشيب قيل: «كهل»، فإن زاد الشيب إلى أن يستوي البياض والسواد قيل: «أشمط» فإن نقا - أي خلص - شعر لحيته بالبياض قيل: «شيخ».

والأنثى إذا قاربت البلوغ، قيل: «معصر»، فإذا نفر صدرها، قيل: «كاعب» فإذا ظهر ثديها وهو قائم، قيل: «ناهد»، وقيل «بالغ»، فإذا ظهر برأسها شيب، وقد بلغت سن الكهل، قيل: «كهلاء»، فإذا زاد بها الشيب، قيل: «شمطاء»، وقيل «عانس»، فإن نقا شعرها (أي خلص بالبياض)، قيل: «عجوز».

ثم أضاف إلى ذلك قوله:

(وللأنثى أوصاف لا يستغنى من استعمالها، مع ما ذكرناه، وهي إما أن تكون شابة بالغاً، وهي بكر، فيقول: «البكر البالغ»، أو امرأة وسطاً في سن الكهولة، فيقول: «المرأة الكامل»، أو امرأة في سن العانس، أو متقدمة في السن، فيقول: «المرأة العاقل»).

### وفيما يختص بالألوان

إذا كان الرجل شديد السواد، قيل: «حالك»، فإن خالط سواده حمرة قيل: «دغمان»، فإن صفوا لونه، قيل: «أسحم» فإن خالط السواد صفرة، قيل: «أصحم» فإن كدر لونه، قيل: «أربد» فإن صفأ عن ذلك، قيل: «أبيض»، فإن رقت الصفرة، ومال إلى السواد، قيل: «أدمى اللون»، فإن كان دون الأربد، وفوق الأدمة، قيل: «شديد الأدمة»، فإن رق من الأدمة، قيل: «شديد

السمرة» ، فإن صفا عن ذلك ، قيل : «أسمر اللون» ، فإن صفا عن ذلك ، قيل : «رقيق السمرة» ، فإن صفا عن ذلك ومال إلى البياض والحمرة ، قيل : «صافي السمرة ، تعلوه حمرة» ويقال : «رقيق السمرة بحمرة» ، فإن صفا لونه جداً ، قيل : «صافي السمرة» فإن خلص بياضه ، قيل : «أنصح» ، وإن كان في بياضه شقرة ، قيل : «أشقر» ، فإن زاد على ذلك ، قيل : «أشكل» ، فإن كان مع الحمرة الزائدة نمش ، قيل : «أنمش» ، فإن صفا لونه ، ومال إلى الصفرة من غير علة ، قيل : «أسحب اللون» .

### وفيما يختص بالقُدود

إذا كان الرجل طويلاً ، إلى حد لا يزيد عليه طول قيل : «عميق القامة» ، فإن كان دون ذلك ، قيل : «عبطط» ، فإن كان دون ذلك يسيراً ، قيل : «شاط القامة» فإن نقص عن ذلك يسيراً ، قيل معتدل القامة إلى التهام «فإن نقص عن ذلك ، قيل «معتدل القامة» فإن نقص عن ذلك ، قيل «دون الاعتدال» فإن نقص عن ذلك ، قيل : «قصير القامة» ، فإن نقص عن ذلك قيل «ربع القامة» ، فإن تفاحش قصره ، قيل : «حسر القامة» ، فإن تزايد قصره إلى أن يكون كقد الصبي ، قيل : «دحداح» ، ويقال في الشيخ إذا انحنى «اسقف القامة» .

ثم ذكر وسيلة أخرى ، أكثر دقة في وصف القُدود ، فقال : (ومن الحذاق من اعتبر القُدود بذراع القماش ، واستأنس بتفصيل الرجل ملبوسه ، وجعل لغاية الطول على العرف المألوف في زماننا هذا ثلاثة أذرع ونصف ، وقسط أقسام القُدود على هذا الذرع — أي القياس بالذراع — فمهما

نقص انزله على المراتب إلى نهاية القصر، والاعتماد على ذرع التفصيل، مبني على سؤال الرجل، وربما عرف ذلك من رؤيته تقديرا).

### وفيما يختص بالجباه

إذا عرضت الجبهة وتربعت، قيل «رحب الجبهة»، وإن اعتدل عظمها واتسع جداً، قيل «أغر»، وامرأة غراء» فإن فتأ عظمها وظهر قيل «أفرق»، فإن استوى عظمها، وسلمت من الانكماش، قيل، «واضح الجبهة»، فإن كان بها انكماش، قيل «وبها أسارير»، فإن صغرت الجبهة وضافت، قيل «ضيق الجبهة»، وإن لم يكن لها أسارير قيل «صلب الجبهة»، وإن نزل شعر الرأس من وسط الجبهة، وخلا من الجانبين، مما يلي الصدغين، قيل «انزع»، فإن كان شعرها عليها من جميع جوانبها، وضافت الجبهة قيل «أغمم الجبهة».

### وفيما يختص بالحواب

إذا اتصل مقدم الحجاب بمقدم الآخر، قيل: «مقرون الحاجبين»، فإن اتصلا اتصالاً من غير فصل مخطوط، قيل «أبلج» فإن طال شعر الحاجبين ودقا قيل: «ازج»، والمرأة «زجاء»، فإن زاد طولها، قيل: «مهلل شعر الحاجبين»، فإن غزر شعرها، قيل: «أوظف شعر الحاجبين» والمرأة «وظفاء»، فإن خف شعرها، قيل: «أمعط»، والمرأة «معطاء» فإن سقط شعر الحاجبين، قيل: «أمرط»، والمرأة «مرطاء»، ويقال: «أزعر الحاجبين»، والمرأة «زعراء»، فإن غزر شعر الحاجبين، وطال، قيل: «أزب الحاجبين»، والمرأة «زباء».

## وفيما يتصل بالعيون:

إذا اتسعت العين، قيل «رجل أعين»، وامرأة «عيناء»، وإذا انتفخ جفن العين الأعلى، قيل للرجل: «الخص»، والمرأة «لخصاء»، وإذا قل لحم الجفون، وغارت الحدقتان، قيل: «غائر الجفون»، وإذا برزت الحدقتان، قيل: «جاحظ العينين»، وامرأة جاحظة» فإن كان في العين رطوبة، قيل: «ضعيف النظر برطوبة»، فإذا اشتد سواد العين، قيل: «أدعج»، والمرأة «دعجاء»، فإذا اسودت أطراف الجفون، قيل: «أكحل»، والمرأة «كحلاء»، فإذا استوى السواد، وصفا البياض، واتسع ما بين الأجفان، قيل: «أحور» والمرأة «حوراء»، فإن خالط السواد خضرة يسيرة، قيل: «أشهل» والمرأة «شهلاء»، فإن خالط البياض حمرة، قيل: «أسحر العينين»، والمرأة «سحراء»، فإن خلصت الخضرة إلى الزرق، قيل: «أزرق العينين» فإن اشتدت الزرق، قيل: «أشقر» فإن زادت حتى يغلب البياض عليها، قيل: «أفلج» فإن كانت إحدى العينين زرقاء، والأخرى سوداء، قيل: «أحيف العين اليمنى أو اليسرى»، وامرأة «حيفاء» فإذا كان النظر معتدلاً إلى الأنف، وكل واحدة من العينين تنظر إلى الأخرى، فهو «أقبل»، وإذا ارتفع النظر إلى أعلى العينين، ولا يمكنه النظر بهما إلى ما دونه، فهو: «أدوش»، والمرأة «دوشاء»، فإذا مالت العين إلى مؤخرها، أو إلى مقدمها دون الأخرى، قيل: «أحول اليمنى أو اليسرى»، فإذا انكمش قيل: «أخفش»، فإذا لم يكن يرى من قرب، فهو: «أكمس»، فإن لم يستطع رؤية النور فهو: «أجهر»، فإذا انقلب جفن العين فانشق، قيل: «أشتر» فإن طال شعر الأجفان، قيل: «أوطف»، فإن تساقط شعر الأجفان، قيل: «أعمش» فإن ذهبت إحدى العينين، قيل: «ممتنع» وقيل: «أعور العين الفلانية»، فإن كانت عيناه مفتوحتين ولا ينتظر بهما شيئاً، قيل: «قائم العينين».



### وأما ما يتصل بالأنوف فمنه قولهم في صفتها وأحوالها

إذا ارتفعت قسبة الأنف، ودقت الأنبة، واحذوب وسطها قيل: «أقنى الأنف»، وإن كان دون ذلك، قيل: «أدقق الأنف»، وإذا ارتفعت الأنبة، ودقت القسبة، وتطابقت يسيراً، قيل: «أشم الأنف»، والمرأة «شماء»، وإذا قصرت القسبة وصغرت الأنبة، وارتفعت عن الشفة، قيل: «أخنس»، والمرأة «خنساء»، فإن عرضت الأنبة، واطمأنت القسبة، وانكسر المنخران، وانفطس رأس الأنف، قيل: «أفطس»، فإن اطمأن وسطه، وارتفعت الأنبة، قيل: «أقنى الأنف»، فإن قصر ارتفاعه وغلظ، قيل: «أقشم»، فإن اعتدلت القسبة، قيل: «أفغاي»، والمرأة «فغوي»، فإن غلظت الأنبة، قيل: «غليظ الأنبة» وإذا اتسع المنخران اتساعاً فاحشاً، قيل: «واسع المنخرين»، وإن ضاقا، قيل: «ضيق المنخرين».

### وفيما يختص بالوجنات والحدود

الحد: هو مجرى الدمع، والوجنة: هي العظم النائيء تحت العينين، فإذا ظهر لحم الوجنتين، قيل: «موجن»، والمرأة «موجنة»، وإن استوى عظم الوجنتين، واعتدل لحم الخدين، قيل: «سهل الخدين»، فإن ضاق الوجه، وصغر جداً، قيل: «ضيق الوجه»، فإن طال الوجه، قيل: «مستطيل الوجه»، وإن كان في الخدين غضون، قيل: «وبخديه غضون»، وإذا انضم الخدان وانحصرا، قيل: «مضموم الخدين».

## وفيما يختص بالحي

فإذا دار شعر اللحية، قيل: «مستدير اللحية»، فإذا طال مقدمها، قيل: «طويل المقدم»، ويقال: «مسبل شعرها»، فإذا غزر شعرها، قيل: «أكث»، ويقال: «كثيف شعر اللحية»، فإن خف شعرها، قيل: «خفيف شعرها»، فإن كان بذقنه شعر كثير، وبعارضيه شعر يسير، قيل: «سناط»، وإن لم يكن في عارضيه شيء من الشعر، وكان بذقنه خاصة، قيل: «كوسج» ويقال: «كوسا»، وإن كان كبير السن، ولم يكن بوجهه شعر كالأمرد، قيل: «أثط» و«أفط»، وإن لم يكن في عنفته شعر — وهي النقرة التي تحت الشفة السفلى — قيل: «أكشف العنفة»، فإن توفر شعرها، قيل: وفر العنفة وإن كانت العنفة وما حولها مלאى بالشعر قيل: «أسد العنفة»، وإن كان في شعر اللحية شقرة ظاهرة، قيل: «أشقر شعر اللحية» فإن كانت الشقرة خفيفة، قيل: «أصهب شعر اللحية»، ويقال: «بها صهوية يسيرة»، فإن شابت اللحية، وهو يخضبها، قيل: «مستور شعر اللحية بالخضاب»، وإن كانت مستورة بالحناء، قيل: «بالحناء».

## وفيما يختص بالشفافة:

إذا رقتا ودقتا، قيل: «رقيق الشفتين»، فإن تقلصتا وغلظتا، ولم يستطع طبقهما على اسنانه، قيل: «أفوه» والمرأة «فوهاء»، فإن غلظت الشفتان يسيراً، قيل: «غليظ الشفتين»، فإن كان أكثر من اليسير قيل: «أثلم» والمرأة «ثلماء»،

فإن انقلبت الشفة العليا، واسترخت كشفة البعير، قيل: «أهدل»، والمرأة «هدلاء»، فإن اسود ما ظهر من لحم الشفتين، قيل: «ألحس»، والمرأة «لحساء»، فإن انشقت الشفة العليا، كشفة البعير، قيل: «أعلم»، وإن انشقت السفلى، قيل: «أفلج»، فإن كانتا مشقوقتين، قيل: «أشرم»، والمرأة، «شرماء». و«اللطع» بياض في باطن الشفة وهو يميل إلى السواد.

### وفيما يختص بالأفهام «جمع قم»

إذا كان القم متسعا جدًا، قيل: «أهرت»، والمرأة، «هرتة» فإن كان صغيرًا، قيل: «صغير القم»، فإن كان يتلفظ بالفاء، قيل: «فأفاء» والمرأة كذلك، وإن تردد في كلامه، قيل: «تتمام»، فإن غلظ كلامه، وثقل لسانه، قيل: «ألغظ»، وإن كان يتردد في الكلام إلى حد الخيشوم قيل: «أخن»، فإن أحال لسانه في فمه، في حالة الكلام، قيل: «لجلاج»، فإن كان إذا تكلم يبذل الحروف بغيرها قيل: «أرث»، ويقال: «النفغ»: فإن لم يتكلم قيل: «أبكم»، وقيل: «أخرس»، والمرأة «خرساء».

### وفيما يختص بالأسنان:

إذا اتسع ما بين الثنايا العليا، يقال: «مفلج ما بين الثنايا العليا أو السفلى»، وإن كان فلجًا واضحًا، قيل: «فلج يَبَنُّ أو يسير»، قيل: «يسير»، وقيل: يجوز أن يقال: «خفيفا»، وإن انفرج ما بين الأسنان، قيل: «أفرج ما بين الثنايا العليا، وكذلك السفلى»، وفي جميع الأسنان، إذا كانت على هذا الحكم، وإن التصقت الأسنان، وانتظمت يقال: «مصمت الأسنان» فإن تفلجت جميع

الأسنان، يقال: «مفلج جميع الأسنان العليا والسفلى» فإن كان بعضها مفلجاً أو مفرجاً، ذكره، وإن كان بالأسنان سواد أو صفرة أو خضرة، أو محتوتة، أو بعضها، ذكر كل ذلك بحسبه، وإن تغيرت، يقال: «متغير لون السنة الفلانية» وإن اثلثم طرف الأسنان، أو بعضها — أي انشق — قيل: «مثلثم طرف السن الفلاني»، وإن انقصمت أي انكسرت من نصفها، قيل: «مقصوم السن الفلاني»، ولا فرق بين أن يكون ذلك في السفلى، أو العليا، ويقال في السن الأعلى أو السفلى: «مقلوع السن الفلانية»، وإن كانت الأسنان بارزة، قيل: «بادي الأسنان»، فإن تراكبت، قيل: «متراكب الأسنان»، فإن زاد ما بين الأسنان، قيل: «وبين أسنانه سن زائدة، أو شاعبة».

### وفيما يختص بالأعناق:

\* السالفان : هما ما بين مكان القرط، ونقرة القفا.  
 \* والاختدعان : هما مكان المجتمين في صفحتي العنق.  
 \* والنغساع : هو ما تحت اللحيين.  
 \* واللحيان : مشى لحي، وهو منبت اللحية، وللرجل لحيان.  
 وإذا طال العنق واعتدل، قيل: «أجيد»، والمرأة «جيدة»، فإن طال في رقة، قيل: «أعنق»، والمرأة «عنقاء»، وإن مال العنق إلى ناحية، قيل: «أميل العنق إلى الناحية الفلانية»، وإن امتدت العنق فأقبلت على مقدمها، قيل: «أقود»، فإن قصرت حتى تكاد الرأس تلتصق برأس العنق، قيل: «أوقص»، والمرأة «وقصاء» فإن لامت العنق واعتدلت قيل «أغيد» والمرأة «غيدة».

### وفيما يختص بنوادير الخلقة :

إذا انحسر الشعر من جانبي الجبهة، وزاد على ذلك، فهو: «أجلح» فإن زاد على ذلك، قيل: «أجلى»، فإن زاد على ذلك حتى بلغ الشعر اليافوخ، فهو: «أصلع»، فإذا اجتمع الشعر في وسط الرأس، وخلا كل من جانبي الرأس، من الشعر، قيل «أقرع»، فإن كان الشعر مفلفلاً— أي شديد الجعودة— قيل: «مفلقل الشعر»، وإذا سال على القفا، قيل: «أغم القفا»، كما يقال: «أغمَّ الوجه».

وإذا انشق حجاب الأنف، قيل «أخزم»، وإذا انقطع الأنف، قيل: «أجدع»، والمرأة «جدعاء»، وإن كان بوجهه جذري مندرس أو ظاهر كتب ذلك.

\* والكوع : في طرفي الزندين، مما يلي الإبهام إلى السبابة.

\* والكرسوع : طرف الزند مما يلي الخنصر.

وإذا كان الرجل مقعدًا، يقال له: «مفلوج الرجلين»، والمرأة كذلك، و«الخفوص» صغر العينين، وهو ضيق مؤخرها، و«الفقم»: هو أن تقدم الثنايا السفلى، إذا ضم الرجل فاه، ولا تقع عليها الثنايا العليا، والفالج في اليدين هو اعوجاج فيهما، و«القعس»: هو دخول الظهر، وخروج الصدر، و«الاصطكاك»: هو أن تصطك كل ركبة بالأخرى، و«الأكف»: هو قصر الأنف، وصغر الأرنبة.

وإذا كان الرجل مقطوع الأذنين، قيل: «أصلم»، أو مقطوع إحداهما قيل: «أصلم الأذن الفلانية»، و«الصمغ»: صغر الأذنين.

وإن كان شيء من الأظفار متغيراً، قيل: «متغير الأظفار»، ويقال: «فاسد الأظفار» أو «فاسد الظفر الفلاني».

وإن كان يعمل باليد اليسرى، كما يعمل باليمنى، ولا مزية لإحدهما على الأخرى، قيل: «أضبط»، وإن عمل باليسرى دون اليمنى، قيل: «أشول»<sup>(٢)</sup>. وتضم بعض المصادر اللغوية الأصلية، مثل: (فقه اللغة) للثعالبي، والسفرين الأول والثاني من (المخصص) لابن سيده، والسفر الثاني من (نهاية الأرب) للنويري، وغيرها من المصنفات التراثية كثيراً من الألفاظ الأخرى التي تعبر عن الصفات المختلفة لأعضاء جسم الإنسان وملاحمه، وهي تغطي هذه الصفات جميعاً مع دقة الفوارق بينها، وتعددتها.

والواقع أن الاعتماد على الصور في إثبات الشخصية، لم يغن تامة عن التوصيف اللفظي للأشخاص في بعض المجالات، مثل التحقيق الجنائي، حيث يحرص المحققون على جمع شتات ما انطبع في أذهان المجني عليهم والشهود من صفات الجناة المجهولين، ثم يعمدون إلى تنسيق هذه المعلومات ليستخلصوا منها صورة متكاملة وإن كانت تقريبية للجناة، حتى يمكن على هديها تضيق نطاق البحث عنهم، توفيراً لما يبذلون من جهد ووقت في هذا السبيل.

وتتطلب الاستعانة بالتوصيف اللفظي في هذا المجال. إلمام المحققين بعدد وافٍ من هذه الألفاظ، التي تعبر عن مختلف الصفات، وإن تضاءلت بينها الفوارق.

واعتقد أن هذه الألفاظ يمكن أن تبعث فيها الحياة، باستخدامها الفعلي في هذا المجال وخاصة عندما توضع موضع التنفيذ، تلك التوصية التي أصدرها مؤتمر قادة الشرطة من ممثلي جميع الدول العربية الذي عقد في مدينة «عمان»

عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، منذ سنوات قليلة، في شأن توحيد مصطلحات الشرطة في هذه الدول.

فلا شك أن هذه التوصية تستهدف تعريب الألفاظ الدخيلة، وتصويب الأخطاء اللغوية الشائعة، وإعداد معجم موحد شامل للألفاظ التي يتفق على استخدامها في مجالات عمل الشرطة، أسوة بالمعجم الذي توصل إلى إعداده مندوبو الجيوش العربية، في سعيهم لتوحيد المصطلحات العسكرية التي تستخدمها هذه الجيوش.

وحسب هذا التوحيد الذي تسعى إلى تحقيقه أجهزة الشرطة في الدول العربية، أن ييسر وسائل التعاون في الأنشطة التي تتطلب جهوداً مشتركة، وفيما يتطلبه النهوض برسالة الشرطة في هذه الدول من تبادل المعلومات، والخبرات وترجمة الكثير من المؤلفات الأجنبية مما له علاقة بأعمال الشرطة.



### الهوامش

(★) الحلي: جمع حلية وهي صفة الرجل وخلقته وصورته، والمراد بالحلية أن يذكر أشهر ما في الإنسان مما لا يزول بطول الزمان.

(١) أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب:  
(البرهان في وجوه البيان) تقديم وتحقيق د. حفي محمد شرف مكتبة الشباب - القاهرة  
١٩٦٩م - ص ٢٩٨.

(٢) شمس الدين محمد بن أحمد المنهاجي الأسبوطي:  
(جواهر العقود، ومعين القضاة والموقعين والشهود) - طبع على نفقة محمد سرور الصبان - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٤هـ - ص ٥٧٢ وما بعدها . . .

# نظرات في معاجم البلدان

(إجلاء الخنافس عن وضع الحمى)

عرض الأستاذ / عبد الله محمد الشائع

بعد الحمد والثناء عليه «والصلاة والسلام على نبيه الهادي محمد



ﷺ، أقول : هناك مثل يقول : (إن البغاث بأرضنا يستنسر .) فمتى تصبح ضعاف الطير نسوراً؟ إذا اختلت المعايير، وفسدت الأمزجة، عندئذ يصبح القوي ضعيفاً، والضعيف نسرًا كاسرًا.

ويبدو لي أنه في زمن مضى بعد ضعف اللغة العربية الفصحى، والاستعاضة عنها عند التخاطب باللهجات العامية، فسدت الأمزجة بحيث أصبح لا يفرق بين طير القطا وحشرة الخنافس.



وهذا ما حدث بالفعل لقطيَّات امرئ القيس التي ذكرها عند تحديده لغيث نازل حيث قال :

أصاب قُطِيبَات فسال اللوى له فواري البرى فانتحي لسأريض

والعرب القدامى هم الذين حددوا أسماء أعلام الجزيرة العربية ، من جبال وغيرها وأعطوا كل علم ما يليق به حسناً أم قبحاً ، ودونوا لنا تلك المسميات بأشعارها ومن ضمن تلك المسميات هضبات « قُطِيبَات » إنه اسم لطيف يدل على جمال المسمى قبل أن تراه . فأين تقع قطيات هذه ؟

لنلق نظرة على المعاجم الجغرافية الحديثة التي تكلمت عن عالية نجد ، وبالذات عن حمى ضرية ، نقل الهجرى ( أن أوّل من أحمى الحمى بضرية عمر ابن الخطاب « رحمه الله » ، أحماه لإبل الصدقة ، وظهر الغزاة )<sup>(١)</sup> واتسع في عهد عثمان رضي الله عنه . فماذا قالت تلك المعاجم :

قطيات : في كتاب ( صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ) تأليف الشيخ محمد بن بلهيد « رحمه الله » .

يقول : ( قُطِيبَات : هي هضاب حمر معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهذا اسمها في الجاهلية إلا أنه تغير قليلاً بإبدال بعض الحروف ، وفي جنوبي حمى ضرية هضبات حمر ، يقال لها اليوم « مغطيات » زادوا على قطيات ميماً ، وأبدلوا القاف غيناً ، وهي واقعة شرقي جبل شعر المشهور بعالية نجد ، تبعد عنه مسافة نصف يوم . )<sup>(٢)</sup> انتهى . يقصد نصف يوم للإبل المحملة .

قطيات : في معجم « عالية نجد » تأليف الأستاذ سعد بن عبد الله بن جندل . يقول : قطيات : ( أم المشاعيب : هضاب حمر بعضها قريب إلى بعض تقع في عث من الأرض يحف من حولها صيهده أبيض تقع شمالاً غربياً من

الكودة، وغرباً من العرائس، يراها السائر مع طريق السيارات المُسفلت شمالاً منه وهو بحذاء جبل النير. . . وأم المشاعيب داخلة في نطاق حمى ضرية قديماً، واقعة في أعلى الوضح في بلاد بني كعب بن كلاب، وقد ذكرها الأصفهاني، وحددها تحديداً واضحاً باسم «قطيات» ووصفها وصفاً جغرافياً قال الأصفهاني: وقال العامري في قول العطاف:

تَرَبَّعت في النير من أوطانها بين قطيات إلى دغانها  
ومن الملاحظ أنه لا يوجد في بلاد الوضح هضبات تغير اسمها الحالي عن اسمها القديم إلا هذه الهضبات - أم المشاعيب - في أعلى الوضح، وهضبة «شرثة» في وسط الوضح مما يلي أسفله.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن أبا علي الهجري ذكر بلاد الوضح، وحددها تحديداً واضحاً، ووصف أعلامها، وجغرافيتها، وذكر قطيات باسم القطيات، وتبعه في ذلك أبو عبيد البكري فيما نقله عنه، وهذا خطأ من الهجري رحمه الله، أو أنه وقع تصحيحاً من النساخ. . .

ويبدولي - الكلام لمؤلف عالية نجد - : أن اسم قطيات أدخل عليه شيء من التحريف وانتقل إلى موضع آخر غير بعيد منها «فهناك حشة سورا تقع في جمش جهام تسمى «أم قطا» وهي واقعة في بلاد الضباب قديماً، وداخلة في حمى ضرية إلا أنها خارجة من بلاد الوضح، فأما المشاعيب تقع غرب كبشات في برث الوضح، وأما قطا فتقع شرق كبشات في جمش جهام. أما ما ذكره محمد بليهد تعليقا على شعر امرئ القيس فإنه قد أبعد النجعة في تحديده فقال: (قطيات: هضاب جنوب ضرية يقال لها في هذا العهد «مغطيات» الخ) - واستطرد مؤلف العالية قائلاً - : والواقع أنني زرت هذه البلاد ولم أعرف فيها هضاب تدعى

«مغطيات» وهذا التحديد الذي ذكره يتعارض مع ما ذكره الهجري وغيره في تحديدها، وما ذكره واضح لا لبس عليه . . . . ! .

ومما يؤيد القول : إن هضب أم المشاعيب هو هضب قطيات : أن العطف العقيلي في بيته الأنف الذكر حدد النير وقال إنه من قطيات إلى دغانين!! (٣) . .  
- انتهى كلام مؤلف معجم عالية نجد مع الاختصار - ويحسن أن يرجع القارئ إلى ما أورده المؤلف من النصوص - . أقول وبالله التوفيق : قبل أن نلقي نظرة فاحصة في بطون المراجع القديمة لنرى ماذا قالته عن قطيات . علينا أن نلقي أولاً نظرة على الرأيين المتقدمين حول تحديد موقع قطيات فالأستاذ سعد بن جنديل يقول : إن محمد بن بليهد أبعد النجعة في تحديده ، وهو حددها بهضب «أم المشاعيب» .

وقد أسمح لنفسي أن أقول إن يكن محمد بن بليهد «رحمه الله» أبعد النجعة ، فقد أبعداها سعد أكثر!! .

والحق يقال وهذا بالنسبة لانطباعي الشخصي فإن تحديد مؤلف «صحيح الأخبار» لبعض المواضع المجهولة في وقتنا الحاضر يتسم بالواقعية ، والحدس الذي يصيب الموضع الصحيح في الغالب أو قريباً منه ، وفي نظري فإنه «رحمه الله» قرب كثيراً إلى قطيات سواء من حيث المسمى أو المكان ، وسيوضح ذلك فيما سيأتي :

هل أم المشاعيب هي «قطيات» ؟ .

أظن أن أستاذنا سعد بن جنديل أبعد النجعة - أيضاً ، مع أن وضع الحمى ليس فيه نجعة لأن جميع أعلامه يشاهد بعضها بعضاً . وفيما يلي تحليل لما أورده :  
أولاً : - يقول : (إن أم المشاعيب هضاب حمر بعضها قريب إلى بعض . . . ،

وقد ذكرها الأصفهاني، وحددها تحديدًا ووضحًا باسم «قطيات» ووصفها وصفًا جغرافيًا ينطبق على أم المشاعيب، وكذلك ما ذكره ياقوت في وصفها وتحديدًا.

وقال ياقوت قطيات جمع تصغير قطاة . . . وقال الأصمعي : قال العامري : وقطيات هضبات لنا، وهن هضاب حمر ملس . متجاورات ينظر بعضهن إلى بعض، وهن قلات مياه كعب بن كلاب).

أقول : من وصف المؤلف لأم المشاعيب بأنها هضاب حمر بعضها قريب من بعض، قد يتبادر إلى ذهن القارئ أنها عبارة عن عدد من الهضاب مستقل بعضها عن بعض، ومتباعدة، والواقع أن «أم المشاعيب» عبارة عن هضب مقسوم إلى قسمين شمالي، وجنوبي يفصل بينهما مسيل ليس بالواسع فيه بعض الأشجار الكبيرة. الشمالي عبارة عن هضبة مستطيلة من الشرق إلى الغرب لها عدة رؤوس . والجنوبية قريبة منها، وفي الغرب والشمال هضبات تحيط بها الرمال .

وبمشاهدتي لهذا الهضب أرى أن الأوصاف التي وردت في المعاجم القديمة لا تنطبق عليه، فلا ينطبق على أم المشاعيب هذه، ما ذكره الأصفهاني، ولا ما ذكره ياقوت . فياقوت قال : قطيات جمع تصغير قطاة يعني أن قطيات هضبات تشبه الواحدة منهن القطاة، وأم المشاعيب لا تسعفنا بأن ينطبق عليها هذا الوصف الظريف . كما أن العامري في هذا النص وصف لنا قطيات وهي على كل قطياته، وهو أعرف الناس بها ويوصفها حيث قال : إنها هضاب حمر ملس . وأم المشاعيب ليست كذلك فهي ليست ملساء، وإنما هي عبارة عن حجارة متراكمة كأي جبل آخر.

وبسبب تقارب هضاب أم المشاعيب بعضها من بعض فإنه لا يصدق عليها جملة :

● ● ينظر بعضهن إلى بعض - فهذا الوصف يوحي أنها هضاب متباعدة ولكن بالقدر الذي يرى بعضهن بعضًا .  
وذكر العامري : أن بها «قلاتًا» فهل يوجد في أم المشاعيب قلات مياه؟ لا أظن ذلك فانظر إلى صورة أم المشاعيب أو زرها واحكم عليها .



● منظر هضب أم المشاعيب من جهة الشرق ●

ثانيًا : أما قول المؤلف (ومن الملاحظ أنه لا يوجد في بلاد الوضح هضبات تغير اسمها القديم إلا هذه الهضبات - أم المشاعيب - في أعلى الوضح ، وهضبة «شرثة» في وسطه مما يلي أسفله . )

أقول : إن عددًا من الهضاب الموجودة في الوضع تسمى الآن بغير  
 أسمائها القديمة فالهضاب كثيرة هناك ، وأسمائها متغيرة ، وهل أطار  
 قطياتنا مدار البحث إلا تغير الأسماء ، وسيتضح هذا فيما بعد .  
 ثالثًا : أما قوله : (أما ما ذكره محمد بن بليهد تعليقًا على شعر امرئ القيس فإنه  
 قد أبعد النجعة في تحديده . . . قطيات بها يسمى «مغطيات» . . .  
 والواقع أنني زرت هذه البلاد ولم أعرف فيها هضبات تدعى مغطيات ،  
 وهذا التحديد الذي ذكره يتعارض مع ما ذكره الهجري وغيره في  
 تحديدها ، وما ذكره واضح لا لبس عليه (111) .

أقول : أظن أن محمد بن بليهد لم يبعد النجعة فهو قريب من الموقع  
 الصحيح لقطيات الذي ذكره الهجري وغيره ، إن لم يكن أصابه حسبا  
 فهمه من النصوص .

أما عما يسمى «بمغطيات» فلو وقف مؤلف معجم العالية في الجهة  
 الغربية من أم المشاعيب ، ونظر جهة الشمال الغربي لرأى «مغطيات»  
 أو «مغطية» - كما يسميها البعض - ليست بعيدة منه ، إذ هي أقرب  
 الهضاب الحمر الواقعة بين أم المشاعيب وجبل «شعر» ولعل هضبة  
 مغطية إحدى القطيات .

ولذلك كله فإني أميل إلى القول بأن أم المشاعيب ليست «قطيات»  
 فعلينا إذا أن نتصّد قَطِيَّاتَنَا بواسطة النصوص القديمة الواردة بشأنها ،  
 وكذا الزيارة الميدانية للمنطقة .

وحتى لا يكون في الفلاة التي سنتصّد فيها تلك القطيات صياد  
 آخر يذيرها علينا أو نذيرها عليه فلم يبق فيما أعلم ممن رغبوا في  
 اصطيادها سوى أستاذنا عبد الله بن خميس حيث صوب على

«قطيَّات» بسهم، وذلك عندما جاز الطريق من اليامة إلى الحجاز حيث أورد في كتابه (المجاز بين اليامة والحجاز) ما نصه: (- مهزول - العثاعث: لا يوجد الآن علمان بهذا الاسم - مهزول والعثاعث - ويبدو لي من تحديد المراجع التي بين يدي أن (مهزولا) هو ما يسمى الآن (وادي جهام)، وأن (العثاعث) هي ما يسمى الآن (الخنفسيات) والله أعلم<sup>(٤)</sup>).

أقول: كما بدا للأستاذ عبد الله بن خميس أن «العثاعث» هي ما يسمى الآن «الخنفسيات»، فإنه لكل ما تقدم يبدو لي أن العثاعث ليست الخنفسيات، وبالتالي ليست «قطيَّات»، فموقع العثاعث وصفاتها لا تتفق مع تحديد موقع وصفات قطيَّات.

فلو رجعنا لتحديد الهجري لموقع «العثاعث» لوجدناه يقول: (ثم عن يسار العرائس جبال صغار علاهن الرمل سود مشرفات على مهزول [وهن يُسمَّين العثاعث]. ومهزول واد مستقبل العثاعث. <sup>(٥)</sup>).

وقد علق الأستاذ حمد الجاسر على كلام الهجري هذا بقوله: (عن يسار العرائس بالوضح بينهن أرتاق، صغار سود، علاهن الرمل مشرفات على مهزول، وهو واد في إقبال النير، وهن يُسمَّين العثاعث، وفي الأصل: ذوعث والصواب: بالغين المعجمة ويسمى الآن: غثاه. )

(قطيَّات لا زالت في أفحوصاتها)

عندما يهم باحث بتحقيق موضع من المواضع في الجزيرة العربية، سواء كان

هذا الموضع جبلاً، أم وادياً، أم مورد ماء، أو غير ذلك، فإن أول خطوة يتخذها هي البحث في المعاجم القديمة، وكتب التاريخ، فإذا عثر على اسم هذا العلم وطابقت تسميته القديمة لتسميته الحالية فليس هناك إشكال؛ أما إذا كانت التسمية مختلفة - فإن الأمر يحتاج إلى التحري والدقة بعد الرجوع إلى النصوص الواردة بشأنه، إذ على ضوء ما يستنبط من النصوص يتحدد مساهم وموقعه، وكلما دقق الباحث النظر، وقابل النصوص مع بعضها فإنه سيهتدي إلى بغيته، أما إذا أخذ جانباً من النصوص الواردة، وأهمل الجانب الآخر فهنا يحدث الخلط بين المواضع، ومن هنا قد يتحول الطائر الجميل كالقطاة مثلاً إلى حشرة متنتة الرائحة كالخنفساء، وحتى لا نقع في هذا الخلط يجب علينا حصر النصوص القديمة الواردة حول قطيات امرئ القيس قدر الإمكان.

#### النصوص في المراجع القديمة :

النص الأول : لعل أهم نص حفظ لنا اسم قطيات هو شعر امرئ القيس فقد ذكر الهمداني في (صفة جزيرة العرب) بيتي امرئ القيس كما يلي :

فعدت له وصحبتني بين ضارج      وبين تلاع يثلث فالعريض  
أصاب قطيات فسال اللوى له      فوادي البدي فانتهى ليريض<sup>(٦)</sup>  
وفي معجم البلدان لياقوت الحموي قال :

قطاتان : تنثية القطاة : موضع في شعر امرئ القيس حيث قال :

فعدت له وصحبتني بين ضارج      وبين تلاع يثلث فالعريض  
أصاب قطاتين فسال لواءهما      فوادي البدي فانتحى للأريض<sup>(٧)</sup>  
وفي مكان آخر أوردها بصيغة الجمع فقال :

قطيات : جمع تصغير قطاة، وهو من القَطْوِ مشيئة أو حكاية صوت :



هضاب لبني جعفر بن كلاب بالحمى حمى ضرية قال مطير بن أشيم الأسدي -  
ضمن أربعة أبيات له:-

ينتاب ماء قطيات فأخلفه      وكان منهله ماءً بحوران  
وقال الأصمعي : قال العامري : وقطيات هضبات لنا وهن هضاب حمر  
ملس بالوضح وضح الحمى متجاورات ينظر بعضهن إلى بعض ، وهي قلات  
مياه كعب بن كلاب ومياه بني أبي بكر بن كلاب (٨).

النص الثاني : ما أورده أبو علي الهجري حيث ساقه لنا مؤلف «عالية نجد» ،  
ولكن أحب أن أورد كامل النص هنا لأهميته في بحثنا هذا ، ولوجود فقرات منه  
لم يسبق أن ذكرناها ، وهي على جانب من الأهمية .

قال الهجري «رحمه الله» : (ثم جزعت الجبال الطريق ، وصار ما بقي من  
جبال الحمى عن يسار المصعد . فأول جبل عن يسار المصعد جبل يدعى  
«الأقعس» وهو محدط طويل في بلاد بني كعب بن كلاب ، وهو في ناحية  
الوضح ، والوضح بلد سهل كريم ينبت الطريفة بين أعلاه وأسفله ليلتان ،  
أسفله في ناحية دار غني ، وأعلاه عند الأقعس . ثم الجبال الحمر التي تدعى  
قطيات في ناحية دار بني أبي بكر بن كلاب .

ولهم هناك ماءان : الشطون ، وحفيرة خالده ، بين الأقعس والقطيبات ،  
والشطون في ناحية شعر ، وقد أكثر الشعراء في شعره ، وهو جبل عظيم في ناحية  
الوضح قال حكم الخضري يذكره :

سقى الله الشطون شطون شعر      وما بين الكواكب والغدير  
ثم الجبال التي تلي قطيبات عن يسار المصعد ، وهي هضاب حمر يقال لها  
العرائس وهي في الوضح في بلد كريم (٩) إلى آخر النص .

ونلاحظ هنا كما سبق أن لاحظته أستاذنا سعد بن جندل : بأن لفظ «قطيات» جاء في النص بزيادة حرف الباء أي «قطيبات» وليس لذلك تعليل إلا كما علله الأستاذ سعد، فالقطيبات مكانها في غير وضع الحمى . وقد أتكلم عنها في مكان آخر.

### النص الثالث :

ما أورده الحسن بن عبد الله الأصفهاني في كتابه «بلاد العرب» حيث قال : (قال العامري : وقطيات هضاب لنا، وهن هضاب حمر ملس، بالوضح وضع الحمى متجاورات ينظر بعضها إلى بعض، وهي في فلاة مياه كعب بن كلاب، ومياه بني أبي بكر بن كلاب.

هي في مياه السنان، وهي ماء لبني وقاص، من كعب بن أبي بكر، وأيمنها من مهب الجنوب، وأيسرها من مهب الصُّبا، وكل هذا متقارب ينظر بعضه إلى بعض.

وهؤلاء الهضبات يناوحن هضب بالوضح يسمى العرائس . وعمود من الهضب يقال له الأقعس . إلى جنب أجبل سود عظام للضبباب، يقال لهن كبشات . وهذا كله بالوضح وضع الحمى . وبين هؤلاء الأجبل الذي ذكرت يأخذ طريق اليمامة من ضرية حتى يرد الأحسن . . .

وقال العامري في قول القطّاف : - البيت المتقدم -

أما قطيَّات فلبطن من كعب بن كلاب يقال لهم بنو برقان، وهي في وسط وضع الحمى والوضح أرض بيضاء سَهْلَةٌ أَنْفٌ . (١٠)

إن تلك النصوص التي أوردها الأصفهاني كبقية النصوص الأخرى واضحة لا غموض فيها غير أنه ورد ضمنها وصف لم يتضح لي منه هل القصد اتجاه

هضاب قطيات أم اتجاه موارد المياه؟ وهذا الوصف هو:  
(وأيمنها من مهب الجنوب، وأيسرها من مهب الصّبا، وكل هذا متقارب  
ينظر بعضه إلى بعض).

ومع هذا فالذي أرجحه: أن المقصود هو اتجاه الهضاب، وذلك إذا أغفلنا  
قاعدة - عودة الضمير لأقرب مذكور - مع أن النصوص متضافرة جميعها على  
وصف قطيات حتى مع غياب هذا النص الذي يحدد باتجاه الرياح.  
فيإذا كان مدلول هذا النص حسبما فهمته فهو يعضد النصوص الأخرى  
وسأبين ذلك بعد مسح المنطقة على الطبيعة، وما علينا الآن إلا القيام بزيارة  
ميدانية لوضح الحمى.

### (الزيارة الميدانية للأقعس وما جاوره)

ما دمنّا حصرنّا النصوص الواردة حول «قطيات» قدر الاستطاعة، تلك  
النصوص التي تصفها وتصف موقعها وصفًا واضحًا فما علينا الآن إلا القيام  
بالعنصر المهم وهو الزيارة الميدانية للمكان، وتطبيق النصوص على المواضع  
سواء كانت تلك النصوص شعراً، أم نثراً، ولا شك عندي بأن هذه هي  
الطريقة المثلى لتحديد المواضع المختلف عليها؛ ولذلك فقد سبق أن قمت  
بزيارتين لمنطقة الوضع.

ولكي يتصور القارئ المنطقة التي نتكلم عنها الآن، فما عليه إلا أن يقرأ ما مر  
بنا من كلام للهجري حدد به (الوضع).

وسأضع خارطة تقريبية توضح تلك المنطقة والمعالم التي نتحدث عنها،  
لعلمي أن البحث في جغرافية البلدان مادة صامته قد لا يخرج منها القارئ في

بعض الأحيان إلا بأنم يحسه في رأسه نظراً للتداخلات التي تحصل ، إلا إذا كان القارئ ملماً بالمنطقة التي يقرأ عنها عارفاً لمسالكها فقد يخرج بنتيجة . وما أشبه علم جغرافية البلدان بعلم الفلك فمثلاً عندما تقرأ لتعرف حقيقة البروج ، والنجوم ، وأين تواجد لها في السماء ، ومتى تراها ، وما هي أشكالها ؛ فإنك تقرأ كثيراً ولا تخرج في الغالب بنتيجة واضحة ، وأعزو ذلك إلى طريقة من ألفوا في هذا المجال .

ونحن الآن نريد أن نعرف جبلاً راسية في الأرض لا نجومًا سابحة في السماء ، مع أن كلاً منها خلقها الله لحكمة بالغة (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) .

وقبل أن آخذ القارئ معي للقيام بزيارة ثالثة ، فلعله من المفيد أن أذكر خلاصة موجزة عن صفات القطيات التي نحن ذاهبون لاصطيادها من واقع النصوص التي مرت بنا :

١ - رواية شعر امرئ القيس جاءت مرة جمع تصغير بلفظ «قُطَيَّات» وجاءت مرة أخرى بلفظ «قطاتين» بالثنية .

٢ - قطياتنا التي نبحث عنها هضاب حمر ، ملمس ، متجاورات ، ينظر بعضهم إلى بعض .

٣ - تلك الهضاب الحمر الملمس يوجد بها قلات مياه .

٤ - قطياتنا توجد في أعلى الوضح حدد بها الهجري الموضح من جهته الغربية حيث قال (أعلاه عند الأقعس . ثم الجبال الحمر التي تدعى قطيات) «قطيات» .

٥ - أنها محاذية لغرب النير ، ودغانين .

٦ - أيمنها من مهب الجنوب ، وأيسرها من مهب الصُّبا ، كما قال العامري .

٧- يتناوح قطياتنا هضب العرائس ، وعمود من الهضب يقال له الأقعس ، إلى جنب أجبل سود عظام يقال له كبشات ، وكل تلك الأعلام في وضح الحمى .

٨- يوجد بقرب قطيات ماء ان لبنى أبي بكر بن كلاب هما الشطون ، وحفيرة خالده يقعان بين الأقعس ، وقطيات ، وأحد هذين الماءين وهو الشطون في ناحية جبل شعر .

### الزيارة الميدانية :

أحب أن اصطحب القارئ معي في تلك الزيارة لأنها الزيارة التي سنحدد على ضوء نتائجها موضع قطيات الصحيح إذا حالقنا الحظ :

اليوم الجمعة ١٤١١/٥/٦ نحن سائرون على طريق الرياض الطائف مروراً بالدوادمي وعفيف ، بعد مرورنا ببلدة البجادية ونحن متجهون غرباً يكون أمامنا عن يسار الطريق جبل التضادية «نضاد» عندما نتجاوزه نرى على يميننا بلدة القاعية إذا نحن الآن داخل وضح الحمى «حمى ضرية» بعدها بقليل نرى على اليمين «العرائس» ثم نصل إلى محطة وقود قرية «المعلق» نترك الطريق العام ، ونتجه شمالاً باتجاه هضب «أم المشاعيب» اتجهنا الآن على الدرجة ٣٣٠ شمالاً ، وعن يميننا هضبة الكودا «عمود الكور» وعن يسارنا هضبة «المعلق» .

مسافة الطريق بين محطة المعلق وأم المشاعيب أحد عشر كيلو متراً .

لن نتوقف في أم المشاعيب لمعرفة ما من الوصف السابق لها ، ولكن نتوقف في جهتها الغربية ، هذه الوقفة عبارة عن تأمل لما حبا الله هذه المنطقة من تربة نقية عذبة ومناظر خلابة ، ولا ننسى ما وصفها به المهجري رحمه الله حيث قال :

(الوضح بلد سهل كريم ينبت الطريفة ، بين أعلاه وأسفله ليلتان ، أسفله في ناحية دار غني وأعلاه عند الأقعس . ثم الجبال الحمر التي تدعى قطيَّات) «قطيَّات»

لعل بعض الرفقة يسأل ما هي «الطريفة»؟ فأقول له هذا ما سألت عنه كثيراً سكان تلك الناحية وغيرهم فلم يفدني أحد ماذا تعني تلك الكلمة . فأني نوع من النبات تلك الطريفة؟ بالرجوع لمعاجم اللغة اتضح أن الطريفة هي : نبات النصي في مرحلته الثانية فهذا النبات ما دام رطباً أخضر فهو النصي ، فإذا ابيض فهو الطريفة .

باتجاه الغرب وعلى الدرجة (٢٧٠°) نرى هضب الأقعس ، وهو ما يسمى في وقتنا الحاضر «الخنفسية» أو الخنفسيات ، وإذا التفتنا يميناً لجهة الشمال الغربي لدرجة (٣٢٠°) نرى قرية «النَّيصِيَّة» على بعد أربعة أكيال ومن خلفها نرى إحدى الهضاب الحمر، كما نشاهد بين تلك الهضبة وبين الأقعس عدداً من الهضاب الحمر الملّس ، ومن وراء الجميع جبل «شعر» وهو أسود اللون ممتد من الشمال إلى الجنوب .

منظر خلّاب ولا شك عدد من الهضاب الصغيرة الحمر الملّس في حضن جبل أسود . ولكيلا يأخذنا الوقت هل نذهب باتجاه صاحبنا الأقعس المتخفس ، أم للهضبة القريبة منا على اليمين ؟ نفضل الذهاب مع الطريق الأيمن مروراً بالنيصية .

عند الوصول إلى تلك الهضبة والتي تبعد عن أم المشاعيب سبعة كيلومترات وجدنا في شرقها قريباً منها بئر ماء بني حولها بعض المساكن ، رأينا رجلاً كبير السن ، ومن عادي العمل بالمثل القائل «البدوي ينشد» أي يسأل فسلمت عليه وسألته عن اسم تلك المنازل فقال هذا «المغطى» وسألته عن الهضبة التي هم

بجوارها فقال تسمى «مغطية» فقلت له : هذه هضبة واحدة وقد سمعت أن في هذا المكان هضاباً تسمى «مغطيات» فقال : لا يوجد في تلك الناحية غيرها ولكن بعض الناس يلحقون بها بعض الهضاب المجاورة لها ويقولون «مغطيات» وسألته عن سبب التسمية فقال : لا أعرف : كما أفادني عن بعض أسماء الهضاب القريبة وإن كنت عرفت أسماء البعض منها في الزيارة السابقة .

تجولنا حول الهضبة وبحثنا عن رس ماء ، أو قلته من قلات «العامري» وبعد البحث الدقيق وجدنا في عرض الهضبة «قلته» مغطاة بصخور كبيرة لا يعثر عليها إلا من له سابق معرفة بها . انظر صورة هضبة «مغطية» رقم (٣) وصورتي القلته أو الرس رقم (٤) ورقم (٥) .



● منظر : هضبة مغطية من جهة الشرق ●



● منظر لدخل الرس الموجود في هضبة مغطية ●



● منظر آخر للرسم الموجود في هضبة مغطاة ●



وأبدي أسفي لعدم وضوح مقر الماء في داخل الرس نظراً لأن الداخل معتم .  
وكاستحتاج شخصي عن سبب تسمية هذه الهضبة بمغطية فقد تكون التسمية أصلاً لقلعة الماء لأنها مغطاة بالصخور فأطلق الاسم على الهضبة ، والناظر للهضبة من ناحية الشمال تبدو له برأسين كما هو واضح في الصورة وهذا قد يكون سبباً في تسميتها «مغطيات» . وقد يكون غير ذلك .

بعد ذلك اتجهنا إلى هضبة حمراء ملساء يغطي رأسها بعض الصخور الكبيرة ، ويسميتها سكان المنطقة «أم قبعة» تبعد عن مغطية أربعة أكيال ، ومع أن هناك بعض الهضبات المتطامنة أقرب إلى مغطية ولكن شكل هذه الهضبة ، وجمالها جعلنا نزورها أولاً ، ويوجد قريباً منها من ناحية الشمال قرية صغيرة اسمها «فيضة الأشعرية» وبتجوالنا حول تلك الهضبة وجدنا في جهتها الشرقية غاراً أرضياً واسعاً يتسع لأناس كثير مع سيارتهم . ولكي نطلق على هذه الهضبة مسمى «قطة» لأنها حمراء ملساء فقط لا بد - وليس هذا شرطاً - أن يكون فيها مجمع ماء حتى يكتمل الوصف .

وبالتجوال حولها لم نجد ما يمكن أن يسمى رس ، أو قلعة بالمعنى الصحيح إلا أننا شاهدنا في جهتها الشمالية الملساء منخفضاً في عرضها فصعدنا فوجدنا ردهة واسعة يمكن الجلوس فيها ، وبها «جبء» كبير عميق وآخر بجانبه ولكنه مدفون بالأتربة . انظر إلى صورتي أم قبعة رقم (٦) ورقم (٧) وصورتي الجبء الموجود في عرضها رقم (٨) ورقم (٩) .



منظر هضبة «أم قبعة» من جهة الجنوب الشرقي



منظر : هضبة أم قبعة من جهة الغرب .



منظر «الجبء» الموجود في عرض مضبة أم قبعة، ويرى آخر عن يمينه، ولكنه مدفون.



منظر لشلالي مضبة أم قبعة ويرى اتجاه الصعود إلى الجبء

وفي ميل إلى الغرب على بعد ثلاثة أكيال من هضبة أم قبعة يوجد هضبتان متجاورتان ملساوان لم نتعرف على إسميهما ، انظر الصورة رقم (١٠) ويبدو جانب من إحدى تلك الهضبتين ، وانظر إلى الحجر الذي يشبه الشمانزي الرابض في جنوبي تلك الهضبة .



منظر جانب من إحدى الهضاب ومنظر الحجر الرابض أمامها

و على بعد كيلومترين يوجد هضبة ملساء اسمها «أم ردهة» يوجد في جهتها الشرقية «قلعة ماء» كبيرة بالقرب من أسفلها مدورة الشكل كأنها صحن كبير عميق إلا أن أسفلها مطمور بالطين ، والرمل ، وقد نبت فيها شجيرات شري ، وحفر فيها بعض الحيوانات حفرة عميقة مما يدل على كثرة الدفان الموجود ، انظر إلى صورة هذه القلعة رقم (١١) كأنك ترى صحنًا من شوربة العدس ، ، وهضبة أم ردهة تقع في وسط الهضاب مما يلي الشرق .



منظر قلعة الماء الكبيرة الموجودة في شرقي هضبة «أم ردهة»

ويقع جنوبًا عن الهضاب المتقاربة هضبتان ملساوان انفردتا بمائلي فريدة شعر الجنوبية يفصل بينهما واد كبير إحداهما تسمى «أم أصابع» نظرًا لأن فوق قممتها حجارة مرتكزة، والأخرى تسمى «هضبة صنيان» حيث أفادنا أحد سكان «المغطى» بأن سبب تسميتها أن رجلاً من جماعتهم اسمه صنيان توفي ودفن عندها فسميت باسمه.

انظر كيف تتغير أسماء الأعلام فكل جيل يسميها باسم خاص به.

وهاتان الهضبتان الملساوان هما آخر الهضاب من ناحية الجنوب ولم يبق جنوبًا من الهضاب الحمر سوى صاحبنا الأفعس، وهو أشهرها، والمسافة بينها وبينه أربعة أكيال، انظر إلى صورتَي هاتين الهضبتين رقم (١٢) ورقم (١٣)



منظر الهضبتين المنفردتين «أم أصابع» اليمنى و «هضبة صنيطان» اليسرى،  
المنظر مأخوذ من جهة الشرق، وترى فريدة شعر خلفهما .



منظر الهضبتين المنفردتين المنظر مأخوذ من الشمال مما يلي جبل شعر، واليسرى هي أم أصابع .

تجولنا حول الهضبتين المنفردتين لعلنا نجد فيهما مياهاً كبقية الهضاب ولم نجد شيئاً يذكر سوى مجمع ماء في شمال هضبة «أم أصابع» فلكونها ملساء فإن المطر النازل عليها يصب مع منحدر يرى على شكل زاوية يتجمع الماء النازل في السفح، ولكن مقر الماء مدفون والسبب عدم حاجة الناس إلى الماء في وقتنا الحاضر لتوافر وسائل جلبه من الآبار البعيدة والقريبة، انظر الصورة رقم (١٤) علماً بأنه يوجد شبيه به في نفس الهضبة يساراً منه، وانظر صورة أم أصابع من بعد رقم (١٥) والصخرات فوقها.



منظر ريس ماء في شمالي هضبة «أم أصابع»



منظر هضبة «أم أصابع» وترى الصخرات في قمته، وهي سبب التسمية

### كيف تحولت القطيات إلى خفافس:

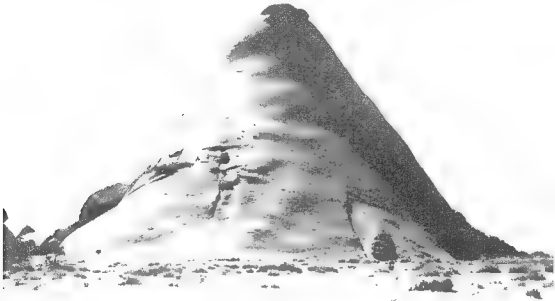
لمعرفة هذا التحول العجيب علينا زيارة هذا الأفقس المتخففس فهو غير بعيد منا الآن . عندما وقفنا عليه تبين أنه عمود من هضب ، وهذا الهضب مكون من ثلاث هضبات صاحبت أطولها وتلك الهضاب شبه متلاصقة بنظر العين إلا أنه بالإمكان المرور بين عمود الأفقس وهضبتيه الجنوبيتين ، انظر إلى الصورة رقم (١٦) .





● منظر مضبة الأقمس «الخنفسية» ●

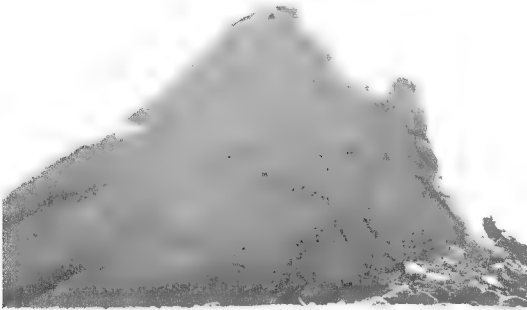
ويهمنا كثيراً معرفة السبب الذي سمي بالخنفسية بدلاً من اسمه القديم الأقمس . أحد الرفقة قال إذا نظرت إليه من جهة الشرق فإنه يشبه الخنفساء ولذلك سمي بهذا الاسم ، ونظرًا إلى أن جميع من سألناهم لا يعرفون سبب التسمية . والذي أميل إليه وقد يكون فيه شيء من الصواب أن سبب التسمية وجود حجر كبير بارز في جهته الغربية قريبًا من القمة يشبه شكل حيوان أو حشرة وأقرب الحشرات المشابهة لهذا الحجر هي «الخنفساء» ولهذا سمي بالخنفسية ومرة يطلق عليه الخنفسيات مع الهضاب التي حوله ، انظر إلى الصورتين رقم (١٧) ورقم (١٨)



● منظر الأقمس من جهة الشرق «الخنفسية» ●



● منظر الأقمس من الغرب وترى الخنفساء قرب القمة ●



● منظر الأفعس من الشبال وترى الخنفساء شبه منمرلة ●

وعلى كل فاسبب التسمية الحقيقية ذهب مع من أطلق عليه هذا الاسم الذي لا يتناسب مع جمال منظره، ومنذ أطلق عليه ذلك الاسم الذي يشم منه الرائحة الكريهة كما مر بنا، عندما عرف العرب الخنفساء وهو يسمى الخنفسية . وأظن أن تلك الرائحة أجلت قطياتنا عن أفحوصاتها فأصبحت تلك الهضاب الحمر الملّس بدون مسمى فتخفست أيضاً رغماً عنها فأطلق على جميع الهضاب الواقعة شمالاً منه «الخنفسيات»، واستمرت تلك التسمية إلى يومنا هذا .

وحتى مؤرخونا المحدثون عندما أرادوا تحديد أسماء ومواقع هضاب تلك المنطقة كان لهذه التسمية أثر مباشر في إبعادهم عن اسمها الحقيقي . ما عدا صاحب الاسمين (الأفعس - والخنفسية)، ولعلنا نتساءل كيف لم يهتد كل من

محمد بن بليهد رحمه الله ، وسعد بن جندبل إلى قطيات بدقة فاختار الأول «مغطيات»: واختار الثاني «أم المشاعيب»؟ هذا ما سأحدث عنه فيما يأتي:

### تشابهت الخنافس علينا:

عندما حدد لنا مؤلف (صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار) الخنفسيات قال:

(هي هضاب معروفة لا تبعد عن العرائس ، وشعر، وقال الشاعر:  
وقالوا: ما تريد ؟ فقلت: أرمي جموعاً بالخنافس ذي أثول  
وقال آخر:

صبحنا بالخنافس جمع بكسر وحيًا من قضاة غير ميل)<sup>(١١)</sup>  
فهل ما أورده رحمه الله من نصوص شعرية تنطبق على خنافس وضح  
الحمى؟

قبل أن أجيب على هذا التساؤل لا بد لنا أن نطلع على ما قاله بالنسبة  
لقطيات، وقد مرّ بنا ما قاله، ولكن من المفيد هنا إيراد نبذة مما قاله حتى  
نستطيع الإجابة قال:

(أما قطيات: فهي هضبات حمر معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهذا  
اسمها في الجاهلية إلا أنه تغير قليلاً... يقال لها اليوم «مغطيات»... وهناك  
هضبات بها ماء وقلات بالقرب من ضرية في جهتها الجنوبية يقال لها «مطوي  
ضرية»، وهناك هضبات حمر في طرف شُعبي... يقال لها «المطيويات»...  
والأول أقرب لقطيات.) أقول: إنه رحمه الله قرب كثيراً من قطيات، وأصاب في  
نظري إحداهن بسهم، ولكنه غير متأكد حيث صوب على أكثر من قطاة، وعلى  
كل فهو ولا شك حصارذ نصيبه منهن، ووصف قطيات واضح لا لبس فيه،

ولكن نظراً لاختلاط القطا مع الخنافس في المكان نفسه غلبت الخنافس على القطا فطاش السهم إلى حدود العراق .

قد يقول قائل : كيف حصل هذا؟ فأقول :

عندما عرف رحمه الله الخنفسيات أورد البيتين المتقدمين ، ولا أدري كيف استشهد بهما مع أنهما لا يتعلقان بتلك الخنافس ، وإنما يعنيان خنافس أخرى على حدود العراق .

فقد أورد الحموي في معجم البلدان ما يلي :

(الخنافس : أرض للعرب في طرف العراق قرب الأنبار من ناحية البردّان ، تقام فيه سوق للعرب ، أوقع عندها بالمسلمين في أيام أبي بكر رضي الله عنه ، وأميرهم من قبل خالد بن الوليد رضي الله عنه ، أبو ليلى بن فذكي فقال :

وقالوا : ما تريد؟ فقلت : أرمي  
فدونكم الخيول ، فألجموها  
فلما أن أحسوا ما تولوا  
وفينا بالخنافس باقيات  
جموعاً بالخنافس بالخيول  
إلى قوم بأسفل ذي أنسول  
ولم يغررهم صُبْحُ الفِئُول  
لمهوذان فسي جنح الأصيل

ثم كانت بها وقعة أخرى في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وإمارة المثنى ابن حارثة كبسهم يوم سوقهم وقتلهم وأخذ أموالهم ، فقال المثنى في ذلك :

صبحنا بالخنافس جمع بكر  
بفتيان الوغى من كل حي  
نسفنا سوقهم ، والخيول رُودٌ  
وحيًا من قضاة غير ميل  
تُبّاري ، في الحوادث كل جيل  
من التطواف والشرب البخيل (١٢)

هذا النص واضح في أن البيتين الذين أوردهما مؤلف «صحيح الأخبار» خاصان بأرض العرب التي بأطراف العراق، مع أنه رحمه الله عندما صحح عجز البيت في الجزء الرابع ذكر أن تلك الخنافس بأطراف العراق<sup>(١٣)</sup>. وزيادة مني بالتوثيق فقد رجعت إلى كتب التاريخ، وإليك هذا النص من كتاب (الكامل) في التاريخ، لابن الأثير قال:

(ذكر خبر الخنافس، وسوق بغداد): (وجاء إلى المثنى رجلان أحدهما أنباري فدله على سوق الخنافس، والثاني حيري، دله على بغداد فقال المثنى: أيها قبل صاحبته؟ فقالا: بينهما مسيرة أيام. قال: أيها أعجل؟ قالوا: سوق الخنافس يجتمع بها تجار مدائن كسرى، والسواد، وربيعة، وقضاة يخفرونهم، فركب المثنى وأغار على الخنافس يوم سوقها، وبها خيلان من ربيعة وقضاة، وعلى قضاة رومانس بن وبرة، وعلى ربيعة السليل بن قيس وهم الخفراء، فانتهب السوق وما فيها، وسلب الخفراء<sup>(١٤)</sup> (الخ).

وقد أورد شارح الكتاب الأبيات المتقدمة للمثنى «رحمه الله».

ومن ذلك يتضح أن الشواهد التاريخية والنصوص الشعرية القديمة كلها تتعلق بالخنافس التي بأطراف العراق، أما خنافس حمى ضرية والرابضة شرقي جبل شعر فتسميتها محدثة ولم أجد بشأنها نصوصاً نثرية أو شعرية.

(مدى انطباق ما جاء بالنصوص القديمة على قطيات بعد عودتها)

إذا ألقيت نظرة على الخارطة السابقة الموضح عليها تلك الأعلام التي مر ذكرها وطبقت عليها جميع النصوص القديمة فلن يكون هناك - في نظري - أدنى شك فيما توصلت إليه غير أنني أحب أن أستظهر ما ورد في بعض تلك النصوص لأوفق بين واقع الأمر وتلك النصوص، وهذا ولا شك اجتهد شخصي قد أخطئ فيه أو أصيب، وأرجو أن أوفق للصواب، أما إذا جانبني

الصواب فقد يُخالف من يحاول فيما بعد أن يستظهر تلك النصوص حتى نكون على حقيقة من الأمر واضحة :

### النص الأول :

رُوي بيت امرئ القيس مرة بصيغة الجمع (أصاب قطيات فسال اللوى له . . .) ومرة روي بالثنية : (أصاب قطيات فسال لواهما . . .) ، وروي ثالثة بالثنية أيضًا (أصاب قطاتين فسال لواهما . . .) .

فهل هي قطاتان أم قَطَيَات؟ أقول: أرجح أنها مجموعة قَطَيَات، ولكن تنوعت الروايات . فكثيراً ما تروى النصوص الشعرية بصيغ مختلفة مع الاحتفاظ بالمعنى، ولا أجد مخرجاً في الحالة التي أمامنا إلا أن من رواه بالثنية قصد اثنين من قَطَيَات، وهما الهضبتان الجنوبيتان المواليتان للأعس لانفرادهما عن بقية أخواتهما، إضافة إلى قربهما من منعطف الوادي الفاصل بين قطيات وجبل شعر، ويسمى في الوقت الحاضر «وادي الخنقة» ولا أستبعد أن اسمه القديم (اللوى) وإن كنت أعرف أن المقصود باللوى طرف الرمل وهو طرف (عريق الدسم) ولكن استنتاجاً من قول امرئ القيس أسال قطيات فسال لواهما) هذا القول يوحي بأن العble التي تقع فيها قطيات لما نزل عليها المطر سال منها الوادي، ومن جبل شعر الواقع عنها غرباً أيضًا وهذا الوادي هو وادي اللوى الواقع بين قطيات وشعر، كما جرى من هذا المطر النازل وادي البديّ فكلالوادين سالا، أما أن يسيل نفود الرمل بمعنى يجري معه الماء فهذا أمر مستبعد خصوصاً إذا عرفنا أن اللوى وهو الرمل بعيد عن قطيات ويفصل بينهما جبل شعر الطويل العريض، مع أن خيال الشاعر لا يعترف بالمسافات، مع أنني لو أعثر على الاسم القديم لوادي الخنقة هذا في المعاجم القديمة، والحديثة إلا إذا كان يحمل اسماً غير هذا . وهذا الوادي ينعرج أمام تلك القطاتين فهو ملتو أو منعرج



الوادي ، وعلى كل فرواية الجمع أعم سواء ما ورد من النصوص شعراً أم نثراً .  
النص الثاني والثالث : مما تقدم اتضح أن قطيات هضاب حر ملس متجاورات ينظر بعضهن إلى بعض ، ويوجد بها مجمعات مياه على شكل رسوس ، أو قلات كما هو واضح من الصور الفوتوغرافية ، وقد يتبين لمن يتقصى ، مجمعات مياه أكثر مما ذكرت .

النص الرابع : كما ذكر المهجري رحمه الله : فإنها مع الأقعس في أعلى الوضح تحده من الغرب ، وهذا فعلاً واقع الأمر .  
النص الخامس : أنها محاذية لغرب النير ، ودغانين ، وهكذا بالفعل الأقعس وقطياته .

النص السادس : أيمنها من مهب الجنوب ، وأيسرها من مهب الصَّبا ، وكل هذا متقارب ينظر بعضه إلى بعض .  
أقول إن من يصفها هذا الوصف قد يكون وصفها وهو مقيم في العراق : فإذا كان الأمر كذلك فإن قطيات بدايتها من الجنوب ، ثم تتجه شمالاً ، ثم تأخذ باتجاه مطلع الشمس : وهو مهب الصَّبا ويتضح ذلك من زيارتها أو إلقاء نظرة على الخارطة .

النص السابع : أنها تناوح هضب العرائس ، وعمود من الهضب يقال له الأقعس ، إلى جنب أجبل سود عظام يقال لمن كبشات ، وكل تلك الأعلام في وضع الحمى .  
وهذا واضح لا غبار عليه .

النص الثامن : وجود مابين لبني أبي بكر بن كلاب هما : الشطون ، وحفيرة خالد يقعان بين الأقعس ، وقطيات ، وأحد هذين المابين وهو الشطون في ناحية شعر .



وهذا الوصف دقيق يدلنا على قطيات حيث إن ماء الشطون هو ما يسمى اليوم بالأشعرية وقد أثبت هذا أستاذنا سعد بن جنيدل، ويقع فعلاً بين الأقمس، وقطيات إلا أنه داخل قليلاً في واد داخل جبل شعر.

أما حفيرة خالد فلا أعرف أين تقع، وقد تكون إحدى المياه المجاورة، أو أنها الآن سدوم فلا تعرف في وقتنا الحاضر، وهذا دليل واضح على أن هضاب أم المشاعيب ليس بهضاب قطيات إذ كيف يقع ماء الشطون «الأشعرية» بين الأقمس وبين أم المشاعيب وهو في جوف جبل شعر؟! فألقى نظرة على موقع الأقمس، وأم المشاعيب والأشعرية، هل يمكن هذا؟!.

«كلمة أخيرة موجهة إلى الجمعية الجغرافية بجامعة الملك سعود بالرياض»

لا أعرف عن نشاط تلك الجمعية شيئاً وهذا بلا شك قصور مني، وكل ما أعرفه عن هذه الجمعية ما سبق أن قرأته لرائد من رواد هذا المجال، وفارس من فرسانه هو الأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس في كتابه «محاضرات وبحوث» تحت عنوان - جغرافية بلادنا لا تزال مجهولة -.

### حيث قال معلقاً آمالاً كبيرة على هذه الجمعية:

(لقد استقبلنا هذه الأيام مولد الجمعية الجغرافية في جامعة الرياض، واستمعنا في ندوة مولدها الشيق من أفواه أسرتها دكاترة، وأساتذة، وطلاباً ما هو خليق بمثلها . . . وجغرافية بلادنا رغم الأشواط التي قطعناها في التعليم، ورغم الكشوف المتتالية، وأماكن الزراعة والمياه . . . رغم ذلك لا تزال جغرافيتها متأبدة، وكثير من جوانبها مغلقة . . . ولا يزال العالم - بله المتعلم - أمام مجاهلها، ومعاقلها خالي الذهن متبلد المعرفة . . . ولا تزال أمية الأعرابي المتمكنة، هي ذات الاختصاص في معرفة طرقها، ومعالمها، وأعلامها،

ونباتاتها، وحيواناتها، ومناهلها، ومجاهلها . . .

واستطرد أستاذنا عبد الله قائلاً: ولدينا رصيد جم من المؤلفات عن جغرافية بلادنا منذ بدء عصر التدوين إلى هذا العهد لرجال بروا، وأبروا، وأعطوا من أنفسهم ما تقتضيه الوطنية، ويقضي به حق العلم. فوضعوا المعاجم، ودونوا الرحلات، ووصفوا الديار، وتحدثوا عن السير والأخبار.

فكانت مؤلفاتهم مزيجاً من الاجتماع، والأدب، واللغة، والتاريخ، والجغرافيا . . . فأحرى بنا أن نبدأ من حيث انتهى سلفنا، وأن نجعل مؤلفاتهم أساساً لما سوف نبني، ومنطلقاً لما سوف ندون.

فعلى جمعيتنا الجغرافية الناشئة عبء ثقل وأمامها طريق طويل ولها رسالة شاقة متعبة . . . ولكن نفوسها كبيرة، وعزائمها المستحصدة ونفاسة ما تطلب سوف تكون عوناً على تذليل الصعاب، وترويض النافر، وكسب الانتصار) انتهى

وأملّي أن يكون تحقق لهذا الرائد المتكلم بعض ما أمله في هذه الجمعية، وأنها سائرة على الخط الذي رسمته لنفسها.

فعري بعزيمة الشباب أن تحقق ما أمله الآباء في أبنائهم، فالشباب هم القادرون بحول الله وقوته بإكمال ما بدأه هؤلاء الآباء في شتى المجالات، خاصة وأن هؤلاء الآباء أجهدوا أنفسهم بإخراج ما انطمر من وسائل المعرفة في مجالنا الذي نتحدث عنه إلى حيز الوجود فأصبح في متناول الباحثين من الناشئة.

خاصة وأن الوسائل متوافرة، والطرق معبدة فالحجة قائمة. ولعلها فرصة أمام الجمعية الجغرافية أن تدرس مثل هذه الأمور وتقرر ما تراه الأصوب خصوصاً وأنه بين ظهرانينا رواد خدموا هذا الجانب من العلوم،

وألغوا فيه المعاجم المطولة، والبحوث المستفيضة، ولهم حاسة قوية لا تتوافر  
لغيرهم مثلي، فحري بنا أن نستفيد من هذه الخبرات التي أعطت الكثير  
ولا زالت تعطي.



### الهوامش

- (١) أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع ص ٢٤٧.
- (٢) صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ص ٢ ص ١/٨١.
- (٣) المعجم الجغرافي / عالية نجد ص ١٦٤ - ١/١٦٩.
- (٤) كتاب المجاز بين اليمامة والحجاز ص (١٣٠).
- (٥) أبو علي الهجري وأبحاثه ص ٢٦٦.
- (٦) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٣٩٥.
- (٧) معجم البلدان / للحموي ص ٤/٣٧٠.
- (٨) معجم البلدان / للحموي ص ٤/٣٧٦.
- (٩) أبو علي الهجري وأبحاثه ص ٢٦٥ - ٢٦٦.
- (١٠) بلاد العرب / للأصفهاني ص ١٥٧ - ١٦١.
- (١١) صحيح الأخبار ص ٢/١٦٢.
- (١٢) معجم البلدان، للحموي ص ٢/٣٩١.
- (١٣) صحيح الأخبار ط ٢ ص ٤/٤٤.
- (١٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير ص ٢/٣١٦.

# الشعر النبطي

## تسميته وبنائه

د. محمد الباتل

يحاول هذا البحث تسليط الضوء على  
سبب تسمية (الشعر النبطي) بهذا  
الاسم ، ومتى بدأت بذور هذه التسمية ،  
وتلمس تأثر هذا الشعر بالشعر  
(الفصيح) في البداية والخاتمة ، وبعض  
جوانب لزوم ما لا يلزم .



## ١- من هم النبط ؟

من معاني (نَبَطَ) في اللغة : نبع الماء ، والحيوان الأنبط : مختلط الألوان من بياض وسواد <sup>(١)</sup> وهذا يعني أن النبط من الناس سمّوا بذلك باسم صناعتهم بالزراعة والمياه <sup>(٢)</sup> وقيل نسبة إلى أبيهم نابط (نابت) بن إسماعيل <sup>(٣)</sup> ، أو إلى نبط بن باسور بن سام بن نوح <sup>(٤)</sup> وقيل : «هم أهل بابل من العراق في الزمن القديم . . . قال ابن الكلبي : من بني نبط بن ماس بن إرم بن سام بن نوح ، قال ابن سعيد هم من بني أشور بن سام بن نوح» ولما كان أرباب الزراعة حاضرة ، ومن عادة المتحضرين عدم التحقّظ العرقي في الزواج <sup>(٥)</sup> ، فإنه ينبغي على ذلك غالبا اختلاط ألوانهم ، وهو الشق الثاني من المعنى اللغوي . على أن هناك مواضع باسم (النبط والنبطاء) ، ووادي النبط <sup>(٦)</sup> وهذا الوادي قريب من ديار ثمود ، وقد قال بعض الأسلاف : إن النبط من ثمود <sup>(٨)</sup> ولا يخفى أن هذا التوجيه قائم على أن نبط وادي موسى في غرب الجزيرة يلتقون مع نبط العراق ، وهناك من يفرّق بينهم . وبعضهم يجعل النبط من البابليين ثم الكلدانيين والسريانيين <sup>(٩)</sup> ، ويرى الطبري : أن النبط اختلطوا مع العرب ضدّ بختنصر <sup>(١٠)</sup> ، وقيل اختلطوا بهم قبل ذلك حين وجد العرب الأرمانيين (النبط) يقاتلون الأردوانيين (ملوك الطوائف) ، فناصر العرب النبط <sup>(١١)</sup> . وثمرود عرب يتكلمون العربية ، وبُعث لهم نبي عربي <sup>(١٢)</sup> وبقاياهم ذابت بين القبائل العربية قيل : إن منهم ثقيفا ، وقد نفى ذلك الحجاج بن يوسف الثقفي مستدلا بالآية (٥١) من سورة النجم «وَمُودًا قَاتِلًا» <sup>(١٣)</sup> ولكن الحجاج نسي أو تناسى قوله تعالى : «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَرْصَعَةٌ أَلْعَادِ أَلْهُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا بَيْنَ يَدَيْنَا مِنَ سَوْءِ الْعَذَابِ» من سورة فصلت : آية ١٧ ، و ١٨ ، كما قيل : إن معظم القبائل العربية من نسل نابت

(نابط) السابق، وأخيه قيدر<sup>(١٤)</sup>. ويظهر أن العرب يعرفون نبطا كثيرين وإنما خصّوا نبط العراق بالذكر دون غيرهم لأنهم يمثلون الأكثرية منهم، يدّلك على ذلك ما ورد من أن تجار النبط هم الذين أشعروا المسلمين باستعداد الروم لغزو المسلمين مما سبّب غزوة تبوك<sup>(١٥)</sup> وذلك النبطي الشامي الذي حمل الرسالة إلى كعب بن مالك رضي الله عنه في قصّة الثلاثة الذين تخلفوا عن الرسول ﷺ<sup>(١٦)</sup>، وفي حديث ابن أبي أوفى «كنا نسلف نبيط أهل الشام»<sup>(١٧)</sup>، وكما كانوا موجودين في العراق والشام، كانوا موجودين أيضا، في الحيرة<sup>(١٨)</sup>، ودومة الجندل<sup>(١٩)</sup>، وفي المدينة المنورة كما سبق، كذلك ورد أن النبط شاركوا في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه<sup>(٢٠)</sup>، كما ورد من تحدي نبطي مدني للفرزدق بهجائه<sup>(٢١)</sup>. كذلك رووا أن معاوية جلب طائفة من النبط للزراعة باليامة، استعبدهم بنو عُقيل عندما اختل الأمن. وقد ذكروا أن أم سلمة بن هشام بن العاص نبطية من دومة الجندل<sup>(٢٢)</sup>، كما ذكروا أن أم أبي عمرو السيباني الراوية المشهور (ت ٢٠٦ هـ على الخلاف) نبطية. كما قيل: إن قريشا من نبط (كوثي)<sup>(٢٣)</sup> على أن كلمة (نَبْطِيّ) قد مرّت بأطوار لغوية مختلفة، فالأعشى حينما سبّ إبادا العربية التي هاجرت للعراق وعملت بيوتا ذات أبواب تُقفل، وزراعات تُحصّد، قد انسلخت من عروبتها وأصبحت نبطية<sup>(٢٤)</sup>، وسعد بن أبي وقاص «أعرابي في حبوته، نبطي في جبوته»، وعمر بن الخطاب يحذّر: لا تنبطوا بالمدائن. وأيوب بن القُرَيْبَةِ يقول: «أهل عُمان عرب استنبطوا، وأهل البحرين نبيط استعربوا»<sup>(٢٥)</sup>، فكلمة نبط هنا تكاد ترادف الزراعة والتجارة والحرف، وهذا يعني أن من انسلخ من قبيلته العربية لسبب من الأسباب، وذاب في المجتمعات المتحضرة، ينتهي به الأمر، فييا يظهر، إلى النبط، كما ينتهي إلى ذلك تلك العناصر المستعربة المهاجرة إلى المنطقة من غير العرب.

والمحتضرون بسبب إقامتهم على أموالهم أصبحوا فريسة سهلة للقبائل البدوية التي تضرب وتهرب، فهم أذلاء حتى أن كلمة نبطي أصبحت سبّة تستدعي رفعها للقاضي<sup>(٢٦)</sup>، ولما قال ابن أبي دؤاد لابن الزيات: أضوي: أي: أسكت بالنبطية، قال الأخير لماذا؟ والله ما أنا بنبطي ولا بدعي<sup>(٢٧)</sup> بل أنف منها الفارسي أبو العتاهية حينما قال له جزّار يا نبطي، قائلا: إن كنت نبطيا هربت على وجهي<sup>(٢٨)</sup>، وبلغ الأمر بهم إلى حدّ أن الحجاج بن يوسف كان يضع عليهم علامة تميّزهم عن غيرهم<sup>(٢٩)</sup>، ويطفح الشعر العربي القديم بنظرة الازدراء إليهم، ولعل هذا من أسباب اشتراكهم في الثورات<sup>(٣٠)</sup> ويخلص إسرائيل ولفنسون بقوله: إن جهود المستشرقين في البحث عن موطن النبط الأول ذهبت دون جدوى، وإن أعلامهم وأوثانهم ولغتهم فيها الكثير من العربية، وبعضهم يقول هم أعراب يستعملون الآرامية، ويُرجّح أنهم آرام وعرب اختلطوا، ويقول: إن العرب خلطوا بين النبط والأنباط<sup>(٣١)</sup>. وهذا يعني أنه ممن يفرق بينهم.

## ٢ - النبط واللغة :

ذكر الجاحظ أن نبط العراق لا ينطقون بعض الحروف العربية نطقا صحيحا، بل يبدلونها، فالحاء: هاء، والعين همزة، والزاي سينا وليس عندهم ظاء حيث تنطق طاء، كما ذكر أنهم يخطئون في قواعد الصرف العربي فيقولون (تَلَد) بفتح اللام بدلا من كسرهما<sup>(٣٢)</sup>. وقال: «قد يتكلم المغلاق [أي النبطي] الذي يستعصى عليه الكلام] الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة، ويكون لفظه مُتَخَيَّرًا فاخرا، ومعناه شريفا كريما، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه، ومخارج حروفه، أنه نبطي»<sup>(٣٣)</sup>.

وأورد الأصفهاني عن إسحاق الموصلي قوله :

## «ذَهَبْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَتْ مِنِّي»

وأنت تعلم أنه لا يجوز في غنائك إلا أن تقول: ذهبوا، بالواو، فإن قلت: ذَهَبْتُ، ولم تمدها انقطع اللحن والشعر، وإن مددتها قَبَّحَ الكلام، وصار على كلام النبط، فبلغ ذلك إبراهيم بن المهدي، فقال لنا قِلِّيه بعد أن غَضِبَ: هذا من كلام الجرهمقي . . . قل له عني: أنتم تصنعون هذا للبضاعة، ونحن نصنعه للهو واللعب والعبث، قال: [أي الناقل] فخرجت إلى إسحاق فحدثته بذلك. فقال الجرهمقي منا أشبهنا بالجرامقة لغةً، وهو الذي يقول: ذهبت . . . «<sup>(٣٤)</sup>». وهذا يعني أن الجرامقة وهم مستعربون من العجم على الأرجح<sup>(٣٥)</sup>، لغتهم العربية ليست بتلك عندهم. ويذكر المؤرخون أن الحجاج ابن يوسف حينما انتصر على جيش عبد الرحمن بن الأشعث، ألحق فلول هذا الجيش مع أنبائهم بقرى الأنباط، فخبثت لغات هؤلاء الأبناء<sup>(٣٦)</sup>. كما ذكروا أن أبا عمرو بن العلاء طعن في فصاحة الطَّرمَّاح؛ لأنه رآه بسواد الكوفة يكتب ألفاظ النبط، فلما سُئِلَ عن ذلك قال: أُعْرِبَهَا وأدخلها في شعري<sup>(٣٧)</sup>. ولما كانت الأم أهم مؤثر لغوي، فإننا نرى الفرزدق (ت. ١١ هـ) لما عاب عليه عنبة بن معدان الفيل قوله:

«عَلَى زَوَاحِفَ تَرْجَى حُجَّاهِ رِيرِ»

قال الفرزدق: وما يدري ابن النبطية<sup>(٣٨)</sup>. وكذلك فعل أبو زيد الأنصاري في خلافه مع أبي عمرو الشيباني حول كلمة (محزرق كما يقول الأول، أو محزق كما يقول الثاني) وصف ادعاء أبي عمرو بأنه تحريف نبطي؛ لأن أمه نبطية<sup>(٣٩)</sup>. وقبل هؤلاء نقلوا أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يكلم صبيانه بالنبطية. كذلك لحّنوا مالك بن أنس رحمه الله بقوله: مُطِرْنَا البارحة مطراً أيّ مَطْراً واعتذّر له بأنه



يُخاطب العامة بلغتهم<sup>(٤١)</sup>. إذن كل انحراف في اللسان العربي عن اللغة الفصيحة سواء أكان في مدّ صوت لا ينبغي أن يمدّ كما في قصة إسحاق الموصلي، وطرح الحركات المستحقة من أواخر الكلمات إذا فرنا قول الطرمّاح: (أعربها) على أنه يعني الإعراب لا الترجمة كما سيأتي، وإبدال بعض الحروف صبحان الله، مثلاً، مكان سبحان، والاخلال الصرفي تلدّ بفتح اللام بدلا من كسرهما، ومحرزق بد من محزرق، أو مخالفة أساليب العرب، كل ذلك يجعل الكلام من كلام النبط منذ القرن الأول تقريبا. والسبب، في نظري يرجع إلى اعتقاد القائمين على العربية أن المستعربين من غير العرب هم أهم أسباب فساد اللسان العربي، بدليل قول عامر الشعبي لما مر على جماعة من الموالي يتعلمون اللسان العربي: إنكم إن أصلحتموه، فإنكم لأول من أفسده<sup>(٤٢)</sup>. وخصّ النبط بذلك أكثر من غيرهم كالجرامقة الذين سبق ذكرهم مثلاً، لكون النبط أكثر وأشهر في بيئة العراق اللغوية صاحبة هذا الاصطلاح، وقيل استنبط بمعنى استحدث<sup>(٤٣)</sup>. والأول أرجح عندي.

بقي سؤال مهم: هل هؤلاء النبط العرب الذين فسدت لغتهم، أو قل تطوّرت أكثر بسبب تحضرهم، وامتزاجهم بمستعربين من أجناس مختلفة، هل هؤلاء جميعا يتكلمون لغة أخرى غير العربية، أثّرت على عربيتهم؟ لو وجّهنا كلمة الطرمّاح السابقة (أعربها) بمعنى أنقلها من لغتها الأعجمية إلى العربية، وهذا هو ظاهر صنيع ابن الوحشية حينما نقل كتاب الفلاحة المشهور من النبطية إلى العربية<sup>(٤٤)</sup>، كما هو ظاهر قول القرطاجني أبي حازم (ت ٦٨٤هـ):

كما رَاطَنَ الزُّنْجَ النَّبِيطَ أَوْ الْقِبْطَ<sup>(٤٥)</sup>. ولا يفوتك أن لغات هؤلاء مختلفة فكيف يتراطنون إلّا عن طريق التعلّم، ومثله: كالتَّرْجُمَانِ لَقِي الأَنْبَاطَ<sup>(٤٦)</sup> لكن

يغلب على الظن أنه يوجد بين هؤلاء المشتغلين بأعمال الحضارة عرب قد انسلخوا عن قبائلهم لسبب أو لآخر، كما يوجد بينهم موالٍ قد انقطعت أجيالهم عن لغة الآباء الأصلية، ثم إنه، فيما يظهر، قد غلب اسم (النبط) حتى على المستعربين من الأعاجم المختلفين، وذلك لكثرة المزارعين في العراق، ممن أطلق على جنسهم اسم (النبط) من ناحية، ولأن من معاني كلمة (نبط) اختلاط الألوان، ومجتمع هؤلاء المتحضرين الحرفيين مختلط من عرب ومستعربين مختلفي اللدماء. أما كون النبط كانت لهم لغة قائمة ترجم عنها الكتاب المذكور، فيمكن حمله على أن المقصود جنس أعجمي منهم في القديم، مع جهل حال العربية في ذلك الوقت بعدا وقربا من هذه اللغة <sup>(٤٧)</sup>، على ألا ننسى أن هناك نبطا في الشام، وفي المدينة وغيرهما، وهؤلاء النبط جميعا لا تتطابق لهجتهم بالضرورة، إذ كل فريق يتأثر بلغة مدينته العربية <sup>(٤٨)</sup>، وخلاصة الأمر أن العربية المخلة بقواعد التصريف والإعراب هي كلام النبط من ذلك العهد، صحيح أنها تسمية توحى بالاحتقار التاريخي، صادرة من المشتغلين بالعربية الفصحى، ولكن التسميات لا تستقر بالحسن، وإنما بالتعارف والثبات. ولا شك أن هذا الشعر النبطي يشارك ذلك الكلام في تلك الصفات، حتى اشتهر بهذا الاسم الذي يعتقد الحاتم أنه لم يُعرف به إلا قبل ستمائة عام تقريبا، مستدلاً على ذلك بأن ابن خلدون قد بحثه، دون أن يذكره بهذه التسمية، كما يعتقد الحاتم، ويوافقه خالد الفرج أن منشأ هذا الشعر من العراق ومشارف الشام، ثم عمّ الخليج ونجدا؛ لأن النبط عرفوا ببطائح البصرة أكثر <sup>(٤٩)</sup>، ولأن الحواضر والتجمعات السكانية الأكثر ازدهاما، أسرع تطورا في اللغة من غيرها، بسبب كثرة الاختلاط. وعلى أي حال فقد سار الخلف على أثر السلف في هذه التسمية، يقول عبد الله آل عبد القادر الأحسائي:

كَلَّا وَلَا النَّبْطُ الَّذِي يَغْتَادُهُ      أمثاله في هذه الأزمان<sup>(٥٠)</sup>  
ويقول أبو حمزة العامري من شعراء النبط في القرن التاسع والعاشر الهجري:  
كَالدُّرِّ إِلَّا أَنَّهَا نَبْطِيَّةٌ      تَحْلَسِي عَلَى التَّكْسِيرِ وَالتَّرْدِيدِ<sup>(٥١)</sup>

### ٣- بناء القصيدة النبطية :

من البدايات المألوفة في الشعر النبطي أن يبدأ بذكر الله وتمجيده، خاصة إذا كان الشعر في عرض الشكوى، وطلب العون، والأمثلة على ذلك كثيرة منها مطلع قصيدة العوني:

يَا اللَّهَ يَا وَائِي عَلَى كُلِّ وَائِي      يَا خَيْرٍ يَذْعَى لِكَشْفِ الْجَلِيلِ<sup>(٥٢)</sup>  
وأحيانا يبدأ الشاعر النبطي شعره بقوله: يقول فلان الفلاني، وغالبا يكون ذلك في مجال الفخر:

قَالَ الشَّرِيفُ بْنُ هَاشِمٍ عَلِيٍّ      تَرَى كَبْدِي حَرَى شَكْتُ مِنْ زَفِيرِهَا<sup>(٥٣)</sup>  
و تقول فتاة الحَيِّ سَعْدَى وَهَاضَهَا      لَهَا فِي ضَعُوءِ الْبَاكِينَ عَوِيلُ<sup>(٥٤)</sup>

أما النهاية فتكون، إلا ما ندر، بالصلاة والتسليم على النبي وآله. ويظهر أن هذه الظاهرة لا تخص الشعر النبطي، وإنما هي عامة للأشعار العربية غير الفصحى يقول العقيلي عن نوع من الشعر في جازان: «ويفتح . . . غالبا بالابتهاال والاستغفار والتضرع وطلب المشوبة . . . حتى لتكاد تكون قاعدة مطردة . . . لا في منطقتنا خاصة، بل في أغلب هذا النوع من الشعر في جزيرتنا العربية»<sup>(٥٥)</sup> ويقول أحمد رشدي صالح من مصر: «بالإضافة إلى البداية

والخاتمة التقليديتين، واللتين كثيرا ما تكونان حمداً لله وصلاة على النبي...» (٥٦). وقد تساءل العقيلي قائلا: «فهل لهذه الظاهرة جذور بعيدة في أعماق التاريخ قبل الإسلام في وقت كان الشعر يُرتل في المعابد الوثنية...؟» (٥٧). الذي لا شك فيه أنها بصيغتها الحالية إسلامية، ومن الملاحظ أنهم يخصصون هذه الظاهرة بالأشعار الجادة، سواء في الشعر الفصيح أو في رديفه (النبطي) وهذا تأثير إسلامي بحت، كما أنه من البدهيات افتتاح أبي الأغلب العجلي أرجوزته بقوله:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجْلَلِ أَنْتَ مَلِيكَ النَّاسِ رَبًّا فاقْبَلِ  
كما يشيع هذا الافتتاح والاختتام في النظم العلمي في وقت مبكر، كما يلاحظ عند ابن عبد ربه (ت ٣٢٨):

بِاللَّهِ نَبْدًا وَبِهِ النَّهَامُ وَبِاسْمِهِ يُفْتَحُ الْكَلَامُ... ثم يختتمها بالحمدلة والدعاء (٥٩).

وابن مالك (ت ٦٧٢) يبدأ ألفيته المشهورة بقوله:

قَالَ مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ مَالِكٍ أَحْمَدُ رَبِّي اللَّهُ خَيْرُ مَالِكٍ  
ويختتمها بقوله:

فَأَحْمَدُ اللَّهِ مُصَلِّيًا عَلَى مُحَمَّدٍ خَيْرِ نَبِيِّ أَرْسِلَ  
وَأَلِيهِ الْغُرُّ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ وَصَحْبِهِ الْمُنْتَخَبِينَ الْخَيْرَةَ  
ومثل ذلك كثير، كقول محمد بن علي المحلي (ت ٦٧٣ هـ):

يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةِ اللَّهِ الْعَلِيِّ مُحَمَّدٌ نَجِلُ الْمَحَلِيِّ عَلِيٍّ (٦٠)

فهما قد افتتحا بذكر القائل، والثناء على الله في وقت واحد، ويكون الختام بالصلاة على رسول الله وآله، والذي يُقَوِّي أن هذه الظاهرة إسلامية وجودها في الشعر الإسلامي غير العربي كالتركي مثلاً.

وذكرُ الألفية يُذكرُ بمقارنة بين الألفية في الفصحى كالألفية ابن مالك السابقة وقبلها ألفية ابن معط، ويعنون بها ألف بيت، وبين الألفيات في الشعر النبطي، ويعنون بها بناء القصيدة على (أ، ب، ت . . . الخ) أي على حروف المعجم، اشتقوا اسمها من حرف الألف الذي يبدأ ون به، وقد أورد المقارن عدداً من الألفيات مثل ألفية العوني:

أَلْفٍ مَنْ حَلَى مَا يَقْرَأُ    بَيْنَ الْكِبَاتِيبِ وَالصَّبَارِفِ يَقْرَأُ

وغير العوني <sup>(٦١)</sup> وما يجب التنبيه عليه في هذه المقارنة قوله: «حيث ابتدع [الضمير يعود على الشاعر العامي كما سبّاه] بناء القصيدة مرتبة على الحروف الهجائية مبتدء بحرف الألف حتى حرف الياء . . .» <sup>(٦٢)</sup>، والحقيقة أن شعراء الفصحى هم الذين ابتدعوا ذلك في العصور الوسطى حينما شاع التزام ما لا يلزم بصورة المختلفة، يقول أبو عبد الله بن عمران:

أَلْفٌ أَيْ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ هَذِي    مِدْحِي وَمَا أَنَا فِي مَقَامِي هَازِي  
بَاءٌ بِهَا أَظْهَرْتُ صِدْقَ مَحَبَّتِي    وَبِذَلِكَ الْجَاءِ الْكَرِيمِ لِيَاذِي

ويستمر مخصّصاً كل حرف من حروف المعجم بيت من الشعر على هذا النمط حتى ختمها بالصلاة على النبي <sup>(٦٣)</sup>، وهي بإفرادها بيتاً واحداً لكل حرف تشبه بعض الألفيات النبطية، مثل ألفية محسن الهزاني:

أَلْفٍ: وَلَيْفَ الرُّوحَ قَبْلَ أَمْسٍ زُرْنَاهُ    غِرْوِي سَلِّي عَنْ جَمِيعِ الْمَعَانِي

والبا : بَقْلَبِي سَيِّدَ الْقَصْرِ مَبْنَاهُ وَأَدْعَى مَبَانِي غَيْرُهُمْ مِرْمَهَانِي . الخ (٦٤)

وقد نَوَّع شعراء الفصحى القوافي ، كأن يبدأ بالألف ويجعلها القافية أيضا للثلاثة الأشطر الأولى ، مع التزام قافية عامة في الشطرين بعدها ، على اعتبار كل حرف يبنى عليه خمسة أشطر ثم يأتي بالباء على النمط نفسه ، وهكذا حتى آخر حرف ، كما فعل مالك بن المرحّل المالقي (٦٥) وقد يفعلون الشيء نفسه بتخصيص أربعة أشطر تكون قافية لكل حرف يُبدأ به ، يتلوها شطران يلتزمان القافية العامة حتى آخر حرف ، وهو ما يسمى بالتسديس ، كما فعل محمد بن العفيف الحسني (٦٦) . ومن الملاحظ أن الألفيات النبطية التي ذكرها صاحب المقارنة تلتخص في أفراد كل بيت لحرف ، أو لكل حرف بيتان ، أي أربعة أشطر ، تتغير قافية الثلاثة الأولى في كل حرف بقافية داخلية خاصة ، ويلتزم في الشطر الرابع القافية العامة . وفي ألفية ابن عمار خُصِّص لكل حرف أربعة أبيات ، كل بيتين يشتركان في قافية داخلية خاصة للثلاثة الأشطر منها ، ويأخذ الشطر الرابع لها القافية العامة للقصيدة (٦٧) . على أن هناك ألفية نبطية شائعة لم يذكرها ، مطلعها :

أَلْفٍ : أَوَّلَفْ مِنْ غَرِيبِ الْفُنُونِ      مِنْ حُبِّ بِنَضْرٍ امْدَعَجَاتِ الْعِيُونِ  
مَا هُوَ هَوَى لِي بِأَمَلٍ وَأَعْدُرُونِي      بَلَوَى عَسَى مَا يَتَلِي اللَّهَ الْاجْوَادُ  
أَنَا أَنْ بُلُوسَ الْعَذَارَى فَنَا اللَّيِّ      آخِذْ مِنَ الْقَيْفَانِ وَانْقَسَى وَخَلَّى  
بِأَمْنٍ لَهُ الشَّكْوَى دُمُوعِي تَهْلِي      طُؤْلَ اللَّيَالِي مَا تَهَيَّتِ بِأَرْقَاذِ .

ويستمر على ذلك ، وهي على نمط ألفية ابن عمار كما ترى . وعلى أي حال فشعراء النبط في ألفياتهم ، مسبوقون ، ثم هم في التزامهم فيها ما لا يلزم لم يبلغوا

مبلغ سابقهم في الموشحات الفصيحة المبنية على حروف المعجم، الملتزم فيها فنونا من التزام ما لا يلزم، وكتب البديع تعطي صورة واضحة عن ذلك، بحيث طبق الشعراء الفكرة بتراكيب مختلفة منها ما سبق، ومنها تخصيص ٢٩ بيتا بعدد حروف الهجاء، مخصصة كلها لحرف واحد به يبدأ البيت، وبه ينتهي، كما فعل صفى الدين الحلبي (ت ٧٥٠هـ) <sup>(٦٨)</sup> وبناء القصيدة على حروف الهجاء يردّه بعض الباحثين إلى ابن دريد (ت ٣٢١هـ) <sup>(٦٩)</sup>. وهذا النوع كما هو شائع في الشعر النبطي، شائع في الشعر العربي غير الفصيح عموما <sup>(٧٠)</sup>.

ومن لزوم ما لا يلزم في الشعر النبطي اتخاذهم قافيتين: قافية داخلية ثابتة للأشطر الأولى من القصيدة، وقافية أخرى ثابتة للأشطر الأخيرة، وعلى الرغم من وجود ذلك داخل الموشحات في الدور الذي قد يصل إلى عدّة أبيات <sup>(٧١)</sup> فإنه يظهر أن البدايات في اتخاذ قافيتين عموما قد بدأ مبكرا كما في أغنية أولاد النجار الذين قبلوا بها الرسول ﷺ:

أَشْرَقَتْ أَنْوَارُ أَحْمَدَ      وَخَفَّتْ مِنْهَا الْبُدُوزُ  
يَا مُحَمَّدُ يَا مُجَدِّدَ      أَنْتَ نُورٌ فَوْقَ نُورِ <sup>(٧٢)</sup>

وهذه الظاهرة - أعني التزام القافيتين في البيت الواحد - لا نجدها في الشعر النبطي الأول سواء في الشعر الهلالي، أو النبطي القريب نسبيا في القرن العاشر الهجري، وما قبله بقليل، أو ما بعده بقليل كما في أشعار راشد الخلاوي، وأبي حمزة العامري، والشريف جري الجنوبي، والكيليف، والسمين، وأصراهم، حيث المدون من أشعار هؤلاء كالشعر الفصيح العادي بقافية واحد ويقول عبد الله الزامل: «إن هذه الطريقة هي الأصل... حتى جاء محسن الهزاني وابتدع الطريقة التي... أصبحت غالبية... وهي التزام القافيتين في الصدر

والعجز<sup>(٧٣)</sup>، ويوافقه ابن عقيل بعد أن ذكر بيتين لأبي زيد الهلالي اتفقا في قافيتي الشطرين الأولين وقافية أخرى للشطرين الأخيرين: حيث يقول: «ولعل لحنهم في الغناء اقتضى منهم القافيتين، لأننا رأينا الأحن الشعبية في نجد لم تقم على أساس القافيتين، وأول من مهد ذلك فيما أعلم محسن الهزاني<sup>(٧٤)</sup> والزامل وابن عقيل قد تابعا، فيما يظهر، خالد الفرج في هذا<sup>(٧٥)</sup> كما تأثر آخرون بذلك، ويعلق الكمال على كلام الزامل حيث اقتصر على النقل عنه قائلا: «أقول إن ما بين أيدينا من شعر القدامى البدو يؤيد ذلك غير أننا لا يمكن أن نجزم بأن محسن الهزاني هو الذي ابتدع الطريقة المعروفة الآن، لأننا لا نملك دليلا قاطعا»<sup>(٧٦)</sup> ولا شك أنه مُحَقِّقٌ في تحفظه، ذلك أن ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) قد أورد قصيدة زجلية تلتزم بهذا الالتزام<sup>(٧٧)</sup>، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن محسن الهزاني عاش في النصف الأخير من القرن ١٢هـ وأوائل ١٣هـ<sup>(٧٨)</sup>، على حين عاش بركات الشريف في القرن العاشر، والحادي عشر<sup>(٧٩)</sup>، وهم يوردون قصيدة لبركات تسير على هذا المنهج، مطلعها:

يَا مَرْقَبٍ بِالصَّبْحِ ظَلَيْتَ ابْتَدَيْتُكَ      مَا وَاحِدٌ قَبْلِي خَبَرْتُهُ تَعْلَاكَ

وهي طويلة ومشهورة<sup>(٨٠)</sup>، كما أن هذه الطريقة كثيرة جدا في أشعار نمر بن عدوان المتوفى ١٢٣٨هـ<sup>(٨١)</sup> وهو قبل الهزاني. ومن الظواهر المرتبطة بهذه القضية ميل شعراء النبط، أحيانا، إلى توحيد حرف القافية الداخلية - أعني الأشطر الأولى - مع القافية الأخيرة لأبيات القصيدة، مع التمييز بين القافيتين بالالتزام صوت مدّ (رَدَف) مع الداخلية، يخالف الردف السابق للأخيرة.

وشعراء النبط يسمون ما ركب فيه الشاعر قافية واحدة للبيت الواحد (موحد)، وما التزم فيه قافية موحدة للأشطر الأولى، ومثلها للأشطر الأخيرة،



وهو ما مرّ أنفاساً (مثنًى)، وما التزم فيه لثلاثة الأَشطر قافية، وللرابع قافية ثابتة عامة، وقد مرّ معنا في ألفياتهم - (مرويع)، وهو المربع نفسه عند شعراء الفصيح، غير أن شعراء النبط، أحياناً، في مطلع (المرويع) لا يوحدون روي الشطر الثالث فقط مع الشطرين قبله، ثم يلتزمون توحيد روي الثلاثة في بقية القصيدة، وقد لا يلتزمون قافية معينة للثلاثة الأَشطر، والالتزام فيها، للشطر الرابع فقط، ويسمونه (المرويع المتنوع)<sup>(٨٢)</sup>. والمربع ذكره ابن خلدون، فبعد أن ذكر أن أهل المشرق يسمونه الشعر البدوي، ويسمّون الغناء فيه (الخوراني) نسبة إلى خوران مسكن العرب في الشام، قال: «ولهم فنّ آخر كثير التداول في نظمهم يحيثون به معصبا على أربعة أجزاء، يخالف آخرها الثلاثة في رويّه، ويلتزمون القافية الرابعة في كل بيت إلى آخر القصيدة»<sup>(٨٣)</sup>. وكما عند شعراء الفصحى (مثنى) كذلك عند شعراء النبط (مثنون)، وهو عندهم عبارة عن ثلاثة أَشطر تأخذ رويّاً واحداً، ثم الشطر الرابع يأخذ قافية أخرى هي القافية العامة، ثم يأتي بعدها أربعة أَشطر تأخذ الثلاثة الأولى منها رويّاً ثلاثة الأَشطر قبلها نفسه، ورابعها مثل قافية الرابع قبله وهي القافية العامة، وتشمل بعض اللزوميات الأخرى أحياناً<sup>(٨٤)</sup>.

ولا تعدم بعض المطالع لقصائد نبطية يترسّم فيها أصحابها قصائد جاهلية مثل:

رَهَتِ الدِّيَارُ بِحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا      وَاسْتَبَشَّرْتُ بِالْعِزِّ رُؤُسَ جِبَالِهَا.

للكليف<sup>(٨٥)</sup> وهي تذكرك بـ (لَمَنِ الدِّيَارُ حَمَلَهَا فَمَقَامُهَا . . .).

ولعامر السمين وتسمّى الذهبية:

لَمَنْ طَلَلِ بَيْنَ الْحَمَائِلِ وَالْحَالِي خَلَا وَخَوَا وَخْتَلَا مِنْزِلِهِ الْخَالِي (٨٦)

وهي تذكر بقصيدة امرئ القيس، بل نجدهم أحيانا يضمّنون أشطرا، أو أبياتا قديمة مثل فعل العامري :

المال يحْيِي رجَالٍ لَا طِبَاحَ بِهَا كَمَا السَّيْلُ بِحِمِي الهَيْشِمِ الدَّمْدَمِ الْبَالِي (٨٧)  
وآخر يأخذ ( . . . كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَالٍ )، وهذا التضمين إنما يكون في الأشعار النبطية التي لا تحتاج إلا إلى إعطائها بعض التقويبات الإعرابية اليسيرة لتقرأ فصيحة، وهذا النوع كثير (٨٨)، كما أن ابتداء المطالع ببيكاء المنازل والديار ليس بقليل عندهم (٨٩). وشعراء النبط مثل غيرهم من شعراء الفصح، وغير الفصح يطلقون أحيانا على شعرهم (القافية) : (القاف) من تسمية الكل باسم الجزء، ويبدو أن هذه التسمية في بعض المناطق كجازان قد خصّصت لنوع خاص من الشعر (٩٠)، كما أن شعراء النبط قد يطلقون على الشعر (القليل) من وَلَفَّ القليل (٩١).

ولما كان شعراء النبط يعتمدون على الغناء في وزن أشعارهم، والغناء عادة يختلف من قبيلة إلى قبيلة أخرى، ومن منطقة إلى منطقة أخرى (٩٢)، نراهم يلقّبون أشعارهم، فهذا (طَرَقُ هَلَالِي) والطَّرَقُ : (الطريقة) والطَّرَقُ الحجازي، والطَّرَقُ الحوْطِي، والطَّرَقُ الجَوْفِي، وهكذا، أو الطَّرَقُ القحْطَانِي (قبيلة) (٩٣) . . . الخ. وقد تكون هذه الألقاب مستمدة من وظيفة الشعر مثل (الهجيني) وهو شعراء يُغَنَّى على ظهور (الهجن) أي الإبل، والسمامي، وهو شعر يُغَنَّى في السَّمر، أو رِدْيَة، وبعضهم يسميها القلطة، وهي أشعار المنافرات عندهم في ميادين يتحاور فيها الشعراء على البديهة . . . (٩٤). الخ

وهذه الألقاب بالأوزان الصق .

وعلى العموم فالشعر النبطي متأثر بالشعر  
المملوكي العثماني في المحسنات البديعية بأنواعها  
ومنها التعجيز بأنواعه ، والحروف المهملة والمعجمة  
إلى غير ذلك (٩٥) .

- (١) أبو بكر، محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ).  
الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة السنة المحمدية  
١٣٧٨هـ-١٩٥٨م (نبط) ص ٣٩٦.  
وأبو منصور، محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠هـ)،  
تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد المردوني، وعلى البجاوي، الدار المصرية  
للتأليف والترجمة (نبط) ١٣/٣٧٠-٣٧١.  
و: أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)،  
لسان العرب، دار صادر وبيروت ١٩٥٥م-١٣٧٤هـ (نبط) ص  
٤١٠-٤١٢/٧.  
ومحمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر  
القاموس، دار صادر - بيروت ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م، (نبط) ص  
٢٩٩/٥.  
(٢) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، التنبيه والإشراف،  
تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطبع والنشر  
والتأليف - القاهرة ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م. ص ٦٨/١.  
أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٣٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق:  
عبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة  
الثانية ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م هامش ٦٤/١.  
وجواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، شركة الرابطة  
للتبعية والنشر المحدودة - بغداد ١٣٧٢-١٩٥٣م. ص ١٢/٣.

- (٣) محمد عزة دروزة،  
تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار، منشورات  
المكتبة العصرية، بيروت، صيداء الطبعة الأولى ص ٣٤٠/٥، وعلى  
عبد الواحد وافي: فقه اللغة، مطبعة لجنة البيان العربي، الطبعة الثالثة،  
القاهرة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م، ص ١٢، وأبو علي أحمد بن محمد  
المرزوقي الأصفهاني (ت ٢٣١هـ): الأزمنة والأمكنة، حيدرآباد،  
الطبعة الأولى ١٣٣٢هـ - ص ٣٣١/٢.
- (٤) المسعودي: التنبيه والإشراف ٦٨/١. وبعضهم ينسبهم إلى شيث بن  
آدم، انظر: أبو محمد القاسم بن علي الحريري ت ٥١٦هـ مقاماته،  
المكتبة التجارية الكبرى بمصر (بدون تاريخ) ص ٥٧٠. وعبد الله  
البستاني، البستان - المطبعة الامريكانية - بيروت ١٩٣٠م ص  
٢٣٥٠/٢.
- (٥) أبو العباس، أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، المطبعة الأميرية -  
القاهرة ١٣٣١هـ - ١٩١٣م، ص ١/٣٧٠.
- (٦) حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، مطبعة اليمامة - الرياض، الطبعة  
الأولى ١٣٩٠هـ - ص ٤٧١، ومجلة العرب: الجزء ٩ و ١٠ الربيعان  
١٤٠٢هـ، السنة ١٦، مقالة (المجتمع البدوي) لروكس العزيزي،  
ص ٧٤٠ و ٧٥٦.
- (٧) شهاب الدين، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)،  
معجم البلدان، دار صادر وبيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٩٩هـ -  
١٩٧٩م - ص ٢٥٨/٥ - ٢٥٩.
- (٨) انظر: المسعودي: التنبيه والإشراف ٦٨/١، وأبو جعفر محمد بن  
جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر للطباعة والنشر

- والتوزيع (تصوير) ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م. ص ٢/٢٨.
- (٩) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، مروج الذهب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة ص ١/٢١٤ - ٢١٥، والمسعودي: التنبيه والإشراف ١/٣٣، والزبيدي، تاج العروس (كوث) ١/٦٤١، وعلى، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣/٥٦، ٩، ١٠ و ١٩، ٢١، ٥٢ و ٧/٢٨٠، ووافي: فقه اللغة ١٢ وهو ممن يُفرّق بينهم، وكذلك محمد صادق بيخيت، الأنباط والشعر النبطي، مطابع الهدف للتصميم والطباعة الفنية (بدون تاريخ) ص ١١ و ١٦ و ٣١ و ٣٢.
- (١٠) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ١/٢٩٣.
- (١١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٢/٢٨.
- (١٢) انظر: حبيد بن شربة أو سرية الجرهمي (ت ٦٧ تقريباً)، أخبار عبيد بن شربة (ملحقة بالتيجان في ملوك حير، لوهب بن منبه) مطبعة المعارف، حيدرآباد، الهند، الطبعة الأولى ص. ٣٧٠. وأبو عمر، يوسف بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣ هـ) القصد والأمم في التعريف في أنساب العرب والعجم، مطبعة السعادة - بمصر ١٣٥٠ هـ. ص ١٢، والحموي، معجم البلدان ٤/٩٦.
- (١٣) محمد بن يزيد المبرّد (ت ٣٨٥ هـ) الكامل في اللغة والأدب، الناشر مكتبة المعارف - بيروت - (بدون تاريخ) ص ١/٢٧٦
- وعلى، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣/٥٢، و ٥٤.
- (١٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ١/١٦١، والأزهري، تهذيب اللغة ٢/٣٦٧.

- (١٥) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة ٤٧٠ - ٤٧١ .
- (١٦) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مطبعة البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م، ص ٦٠/٩ .
- (١٧) ابن منظور، لسان العرب (نبط) ١٢/٧، والزبيدي، تاج العروس (نبط) ٢٩٩/٥ .
- (١٨) علي بن الحسين المرتضى الموسوي (ت ٤٣٦ هـ) أماليه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثالثة ١٣٨٧ - ١٩٦٧ م ص ١ / ٢٦١ خالد بن الوليد يسأل ممثل أهل الحيرة أعرب أنتم أم نبيط؟ فيجيب: عرب استنبطنا، ونبيط استعربنا .
- (١٩) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة ١٠٩ .
- (٢٠) أحمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ)، العقد الفريد، تحقيق د/ عبد المجيد الترحيني دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م - ص ٥١/٥ .
- (٢١) ابن عبد ربه، العقد الفريد ١٤٣/٤ .
- (٢٢) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة ١٠٩ .
- (٢٣) الزبيدي، تاج العروس (كوث) ١/ ٦٤١ وفسر ذلك بأنه للتواضع فقط . وكوثى كانت تسمى أور .
- (٢٤) الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: فوزي عطوى الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، (بدون تاريخ)، ص: ٢١٩ والحموي، معجم البلدان ٩٧/٤، وأبو الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزي (ت. ٦١١ هـ أو ٦١٢ هـ) المغرب في ترتيب المغرب - الناشر دار

الكتاب العربي - بيروت، (بدون تاريخ)، ص. ٤٤، وأبو محمد القاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص - مطبعة الجوائب - القسطنطينية، الطبعة الأولى ١٢٩٩هـ كلمة مرّفة نبطية ص ٩٢ علّق الشهاب الخفاجي في شرحه ص ١٩٣ بأنه يقصد بالنبط العوام لاختلاطهم بهم.

والبستاني، البستان، ٢/ ٢٣٥٠، ويوهان فك، العربية دراسات في اللغة واللهجات، ترجمة عبد الحليم النجار، مطبعة دار الكتاب العربي ٣٧٠هـ - ١٩٥١م، ص ١٤، ومجلة الدارة ع ٤، س ١٤٠١هـ / ١٩٨١م مقالة (تعليقا على خطاب النبي ﷺ، لآحمد الحوفي ص ٥٤، وإبراهيم أنيس وآخرين، المعجم الوسيط، مطابع دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ص ٢/ ٨٩٨.

(٢٥) ابن منظور، لسان العرب (نبط) ٧/ ٤١١)، الزبيدي، تاج العروس (نبط) ٥/ ٢٩٩).

(٢٦) انظر المصدرين السابقين بصفتيهما المذكورتين، ومادة كوٲ في الأخير أيضا ١/ ٦٤١.

(٢٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد ٤/ ١٣٩.

(٢٨) أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)

الأغاني، مطبعة التقدّم بمصر (بدون تاريخ) ص ٣/ ١٢٣

(٢٩) انظر: المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، ١/ ٢٩٧

وإبن عبد ربه، العقد الفريد ٣/ ٣٦٤ - ٣٦٥.

(٣٠) أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ) فتوح البلدان،

مراجعة: رضوان محمد رضوان، مطبعة السعادة - بمصر ١٩٥٩م. ص

١٦٤ - ١٦٦.



- (٣١) إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد بمصر  
الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م، ملخصاً ص ١٣٤ - ١٣٥ .
- (٣٢) الجاحظ، البيان والتبيين ١/ ٧٠ و ٧٢ و ٧٤، وابن عبد ربه، العقد  
الفريد ٨/ ١٤٦، وعبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ): المزهر في  
علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، دار  
إحياء الكتب العربية (الباي الحلبي وأولاده)، الطبعة الثالثة ص  
٢٨٣/١ .
- (٣٣) البيان والتبيين ١/ ٦٩ .
- (٣٤) الأصفهاني، الأغاني ٥/ ٥٧ - ٥٨ .
- (٣٥) انظر: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح: تاج اللغة  
وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مصر، الطبعة الثانية  
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، حضرم ٥/ ١٩١٤، وأبو الفتح، عثمان بن جني  
(ت ٣٩٢هـ): الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، مطبعة دار  
الكتب المصرية ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، ص ٣/ ٣٩٤ .
- والجاحظ، البيان والتبيين (هامش) ١/ ٦٤ .
- (٣٦) المبرّد، الكامل في اللغة والأدب ١/ ٢٩٧، وابن عبد ربه، العقد الفريد  
٢/ ٣٠٨ .
- (٣٧) أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤هـ).  
الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، المطبعة السلفية - القاهرة  
١٣٤٣هـ، ص ٢٠٨ .
- (٣٨) المصدر نفسه ٩٩ - ١٠٠ .
- (٣٩) أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تاريخ الأدباء  
النحاة المسمى (نزهة الألباء في طبقات الأدباء) بعناية: علي يوسف

(٤٠) جمال الدين، علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ): إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٤هـ-١٩٥٥، ص ١/١٤٠.

(٤١) أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية-القاهرة ١٣٢٨هـ-١٩١٠م، ص ٣١.

(٤٢) المبرد، الكامل في اللغة والأدب ١/٢٧٤، وابن عبد ربه، العقد الفريد ٣/٣٦٢ ونسب هذا القول لعبد الله بن الأهم. كارل بروكلمان (ت ١٣٧٥هـ)، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م ص ٣١ من الخطأ عزو اللحن إلى تأثير لغات المغلوبين فقط.

(٤٣) ظلال عثمان السعيد، الشعر النبطي، أصوله، فنونه، تطوره، ذات السلاسل، الكويت (١٤٠١-١٩٨١م ص ١٨).

(٤٤) انظر: القلقشندي، صبح الأعشى ١/٣٧٠ و ١/٤٧٥.

(٤٥) انظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/٤٤.

(٤٦) الجوهري، الصحاح (رحم) ٥/١٩٢٨-١٩٢٩.

(٤٧) مجلة المقتطف يوليو ١٩٠٨م مجلد ٣٣ مقالة (العرب قبل الإسلام) لجورجي زيدان ص ٧٩٨ «عربية الألواح غير عربية أشعار العرب» وانظر «مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة الجزء (٢٣) لعام ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م مقالة: (محاولة في تقدير زمن استواء اللغة العربية . . .) لمحمد عزة دروزة، ص ١٩ - ٢٠، ويرى المسعودي، التنبيه والإشراف ١/٦٩ أن السريانية والعبرانية والعربية ليس التفاوت بينها بالكثير. ويقول في مروج الذهب ١/٢١٤، «أهل نينوى ممن سُمينا نبطاً

وسريانيين والجنس واحد» واللغة واحدة، وإنما بان النبط عنهم بأحرف يسيرة في لغتهم والمقالة واحدة «ويقول المسعودي، التنبيه والإشراف ١/ ٦٩ - الكلدانيون هم السريانيون نسبوا إلى دار مملكتهم كلواذي من أرض العراق. وعند السيوطي، المزهري ١/ ٣٠ السريان نسبة إلى سوري أو سريانة بأرض الجزيرة ولسانهم مُشاكل للسان العربي إلا أنه محرف. وقريب من ذلك ما قاله أبو محمد علي بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) في: الإحكام في أصول الأحكام - مطبعة السعادة - بمصر - الطبعة الأولى - ١٣٤٥هـ - «... إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وريعية لا لغة حير لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث فيها جرس كالذي يحدث من الأندلس إذا رام لغة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام لغة الأندلس... وهكذا في كثير من البلاد، فإنه بمجاورة أهل البلدة لأمة أخرى تبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله» ص ١/ ٣١. ويرى وافي، فقه اللغة ٨٠ أن لغة الأدب جامدة لا تساير لغة الحديث اليومي.

(٤٨) انظر، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٧/ ٢٩٠ و ٢٩٢، ٢٩٤ لغة النبط عربية، ومجلة كلية الآداب المصرية (جامعة فؤاد الأول) المجلد العاشر، الجز الأول، مايو ١٩٤٨م، مقالة (بقايا اللهجات العربية... ) لاثوليتيان (النبط عرب بلا شك) ص ٢ و ١٨.

(٤٩) انظر، عبد الله الحاتم، خيار ما يلتقط، ذات السلاسل الكويت الطبعة الثالثة ١٣٨١هـ ص ١/ ٢٢. وخالد محمد الفرج: ديوان النبط، مطبعة الترقى، دمشق ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، (المقدمة: ي). ويقول: ريجيس بلاشير، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ترجمة إبراهيم كيلاني، دار الفكر - بيروت، ١٩٥٦م، ص ٨٩ شعر نجد الحالي يفهمه أهالي

- نخوم الشام وغربي الفرات، وانظر: السعيد، الشعر النبطي ١٢٤ -  
١٢٥ . ومحمد بن عبد الرحمن بن عقيل، ديوان الشعر العامي بلهجة  
أهل نجد، دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ٣٠ .  
٥٠) عبد الفتاح محمد الحلو: شعراء هجر من القرن الثاني عشر إلى القرن  
الرابع عشر، مطبعة الفجالة الجديدة - بمصر - طبعة أولى ١٣٧٩هـ -  
١٩٥٩م. ص ٢٣٦ .  
٥١) انظر، الحاتم، خيار ما يلتقط ٢٢، وجريدة الجزيرة - الرياض، ع  
٣٤٢٢، السبت ٢١/٣/١٤٠٢هـ، ص ١٣ .  
٥٢) الفرج، ديوان النبط ٢/٣٣٤  
٥٣) عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، مقدمته (كتاب  
العبر . . .) مراجعة لجنة من العلماء - مطبعة مصطفى محمد بمصر  
(بدون تاريخ) ص ١/٥٣٤ .  
٥٤) المصدر نفسه ١/٥٣٥، وانظر أيضا ١/٥٣٦ - ٣٥٧، وعند الحاتم،  
خيار ما يلتقط ١/٢٤ و ٢٧ و ٢٨ .  
٥٥) محمد أحمد العقيلي: الأدب الشعبي في الجنوب، دار اليمامة، الرياض،  
طبعة أولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ص ١/٢١ .  
٥٦) أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة، المصرية الطبعة  
الثانية ١٩٥٥م ص ١/٢٢٨ . وعبد اللطيف البرغوثي:  
الأغاني الشعبية في فلسطين والأردن، مطبعة الشرق العربية - القدس،  
الطبعة الأولى ١٩٧٩م ص ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨١،  
٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٣٠٧ (نماذج).  
٥٧) العقيلي، الأدب الشعبي في الجنوب ١/٢١ .  
٥٨) المرزباني، الموشح ٨٦

- (٥٩) العقد الفريد ٦/٢٧٦ الافتتاح، و٢٨٨ الاختتام.
- (٦٠) محمد بن علي المحلي (ت ٦٧٣هـ) العنوان في معرفة الأوزان، مخطوط ل ١.
- (٦١) جريدة الرياض ع ٦٧٦٦، س ٢٣، وتاريخ ١/٥/١٤٠٧هـ- مقالة: (الألفية ماذا تعني: الفصحى والعامة) لأحمد عبد الله الدماغي ص ١٠
- (٦٢) المرجع نفسه بصفحته، وزعم ذلك أيضا أبو عبد الرحمن بن عقيل، ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد، ١/٥٥.
- (٦٣) أحمد بن محمد المقرئ: (ت ١٠٤١هـ):  
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ- ١٩٤٩م، ص ١٠/٣٤٦- ٣٤٨. ولعل هذا الصنيع قد بدأت إرهاباته قبل ذلك كما عند أبي العلاء المعري، عبد الله بن سليمان (ت ٤٤٩هـ)، رسالة الغفران، تحقيق: بنت الشاطيء، دار المعارف بمصر ١٩٥٠م، ص ٣٠-٣٢، و٤٤ و ٤٣٠-٤٣٣.
- (٦٤) السعيد: الشعر النبطي ١١٢-١١٣
- (٦٥) المقرئ، نفح الطيب ١٠/٣٠٥
- (٦٦) المصدر نفسه ١٠/٣١٨-٣٢٢، وانظر: أيضا ١٠/٣٢٢-٣٢٦.
- (٦٧) جريدة الرياض، ع ٦٧٦٦، س ٢٣، بتاريخ ١/٥/١٤٠٧ مقالة (الألفية ماذا تعني: الفصحى والعامة) لأحمد عبد الله الدماغي ص ١٠
- (٦٨) عبد العزيز بن سرايا (صفي الدين الحلي) ت ٧٥٢هـ، أو: ٧٤٩هـ- ديوانه، دار صادر، بيروت (بدون تاريخ) ص ٧٠٥، وشفيق الكمال، الشعر عند البدو- مطبعة الإرشاد بغداد (تاريخ المقدمة) ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م ١٤-١٥.

٦٩) بكري شيخ أمين، مطالعات في الشعر المملوكي العثماني، دار الشروق بيروت-١٣٩٢هـ ص ٢١٠.

٧٠) انظر: محمد المزوقي، الأدب الشعبي في تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٩٦٧م ص ١٨٠، وهاشم الرجب، من الشعر العامي المذيل، وزارة الثقافة- بغداد ١٩٦٤م ص ٢١، ٣٥، ٤٣، والعقيلي، الأدب الشعبي في الجنوب، ١/ ٨٣ و ٨٨.

٧١) انظر: مصطفى عوض الكريم، فن التوشيح، دار الثقافة- بيروت ١٩٥٩م، ص ١٣١، ١٦٣، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٩١، ٢١٦ (على سبيل المثال).

٧٢) صفاء خلوصي: فن التقطيع الشعري والقافية، الطبعة الثالثة- بيروت ١٩٦٦م، قيل إنها أقدم موشح عُرف ص ٣٧٠.

٧٣) انظر: الكعالي، الشعر عند البدو ١٧١.

٧٤) أبو عبد الرحمن بن عقيل، ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد ٥٦.

٧٥) الفرج، ديوان النبط ١/ يا (المقدمة).

٧٦) الكعالي، الشعر عند البدو ١٧١.

٧٧) انظرها في: تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، بلوغ الأمل في فن الزجل، تحقيق ذ/ رضا محسن القرشي-

وزارة الثقافة السورية- دمشق ١٩٧٤، ص ٨٨، وانظر: صفى الدين الحلبي، ديوانه ٤٥ بيتان من هذا النوع.

٧٨) انظر: الحاتم، خيار ما يلتقط ١/ ١٧٧.

٧٩) المرجع نفسه ١/ ٦٧، وانظر السعيد: الشعر النبطي ١١٢.

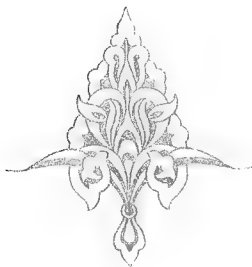
٨٠) انظر: الحاتم، خيار ما يلتقط ١/ ٧١-٧٣.

٨١) البرغوثي، الأغاني الشعبية في فلسطين والأردن ٢٨٨ و ٣٧٨.

- (٨٢) علي العبد الرحمن الماجد  
ديوان مظلوم، مطبعة دمشق ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م ص ١/٨٦، والحاتم،  
خيار ما يلتقط ٢/١٩٣.
- (٨٣) ابن خلدون، مقدمته ١/٥٨٣.
- (٨٤) انظر النموذج، الماجد: ديوان مظلوم ١/١١٤ وهي ألفية أيضا.
- (٨٥) الحاتم، خيار ما يلتقط ١/٣٩
- (٨٦) المرجع نفسه ١/٦٠
- (٨٧) المرجع نفسه ١/٢٣.
- (٨٨) انظر المرجع نفسه مثلاً ١/١١، و ١/١٩ و ١/٢٤، والفرج، ديوان  
النبط ٢/٢٥٥ و ٢/٣٠٦.
- (٨٩) انظر على سبيل المثال: الفرج، ديوان النبط ١/١٤١، ١٦٠، ١٦١  
١٦٤ و ٢/١٤٠، ١٥٨، ١٧١، ٢٥٥.
- (٩٠) العقيلي، الأدب الشعبي في الجنوب ١/٢١، و ٢/٣٦، وانظر:  
الكمالي، الشعر عند البدو ١٤ - ١٥، والحاتم، خيار ما يلتقط ٢/١٩٦  
و ٢٣٠.
- (٩١) الفرج: ديوان النبط ٢/٥٩.
- (٩٢) انظر: جريدة الرياض ع ٤٧٣٢ بتاريخ ١٢/٣/١٤٠١هـ مقالة (كيف  
يزن شعراء النبط شعرهم) لزين بن عمير، ص ٧، والكمالي الشعر عند  
البدو ١٠٨ - ١٠٩، والبرغوثي، الأغاني الشعبية في فلسطين والأردن  
٥٤ - ٥٥.
- (٩٣) مرشد البذل الرشيد، ديوانه: جمع عبد الله الصانع، مطبعة حكومة  
الكويت ١٩٧٣م ص ٣/١٩٦، والماجد، ديوان مظلوم ١/١٠١،  
١٠٧، ١٠٩، ١٢٨.

٩٤) انظر المرجعين السابقين، الأول ١٧١/٣، والثاني ١٧٧/١، و١٧٨،  
والكمالي الشعر عند البدو ١٣.

٩٥) انظر، صفى الدين الحلي، ديوانه (مهملة) ٦١٨، (معجمة) ٦١٩،  
وأمين: مطالعات في الشعر المملوكي العثماني ٢٠٠ طرد وعكس،  
و٢٢٢ الإعجام والإهمال. قارن بما عند الفرج، ديوان النبط ١/١٥٤ -  
١٥٦ (قصيدة مهملة الحروف لابن لعبون. على سبيل المثال)  
والأصفهاني، الأغاني ١٠٦/٤ نسب قصيدة مهملة لابن هرمة تبلغ  
(٤٠) بيتا، ذكر منها (١٤) بيتا، وذكر أن لوزين العروضي مهملة  
أخرى..







# الشرطة في العصر الأموي

● الغلاف ●

مراجعة وتعليق على كتاب «الشرطة في العصر الأموي»  
تأليف: د. أرسن موسى رشيد وترجمة: د. أحمد مبارك البغدادي.

د. سامي خماس الصقار

## التعريف بالكتاب:

تلقيت مؤخراً من الأخ الفاضل الدكتور أحمد مبارك البغدادي الأستاذ في قسم العلوم السياسية في جامعة الكويت، الكتاب المشار إليه أعلاه، الذي قام بترجمته إلى العربية. وأصل الكتاب أطروحة قدمها الباحث العراقي السيد أرسن موسى رشيد إلى إحدى الجامعات البريطانية لنيل الدكتوراة، وقد نالها، وهو الآن عضو هيئة التدريس في جامعة السليمانية في العراق. وقام بنشر الترجمة مكتبة السندس في الكويت في عام



١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، وهي تقع في ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط، علاوة على ٢٤ صفحة من الملاحق والفهارس وكشف المصادر. أما محتويات الكتاب فهي:

قدم المؤلف لبحثه بخلاصة موجزة تتضمن محتويات البحث وشكراً للمترجم والمصحح الترجمة، وأتبعها بقائمة لمختصرات عناوين المصادر الأساسية التي استخدمها المؤلف، ثم نبذة بمقدار صفحة واحدة تتناول المصادر التي اعتمد عليها. أما أصل البحث فإنه ينقسم إلى تسعة فصول هي:

١ - الأصول الاحتمالية لمصطلح الشرطة (ص ١٥ - ٢٤) نتناول فيه معاني الكلمة وأصول الشرطة كمؤسسة، وهنا رجع الباحث إلى فترة العصر الجاهلي في الجزيرة العربية، ومنها اليمن، كذلك رجع إلى نظام البوليس عند البيزنطيين والفرس.

٢ - القانون والنظام في بدايات العصر الإسلامي (ص ٢٦ - ٣٤): تناول فيه الفترات السابقة على العصر الأموي، بدءاً بفترة النبوة وانتهاءً بخلافة الإمام علي (رضي الله عنه)، فأورد الإشارات المتعلقة بالأعمال والواجبات التي تمت بصلة إلى أعمال الشرطة، وكذلك الإشارات التي تتعلق بوجود منصب صاحب الشرطة في العصر الراشدي.

٣ - تطور الشرطة في العصر الأموي (ص ٣٦ - ٥٧): وهنا ركز الباحث على تطور الشرطة في عهد كل من معاوية (رضي الله عنه) ويزيد، وفي عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، مع إشارة خاصة إلى دور الشرطة في العراق، ولا سيما دورها في مقتل الحسين رضي الله عنه، ثم دورها في مختلف الأقاليم، وركز

الاهتمام على دورها تحت رئاسة ولاية بارزين كالحجاج بن يوسف الثقفي . وختم الفصل بذكر نشاط الشرطة في أواخر العصر الأموي .

٤ - صاحب الشرطة في العصر الأموي (ص ٥٩ - ٧٥) : يتناول هذا الفصل الصفات المطلوبة في صاحب الشرطة ، وطبيعة العلاقة بينه وبين الخلفاء والولاة ، ودور القبلية في تعيين صاحب الشرطة ، مع إشارة خاصة إلى الخلفاء الذين التزموا بالتحيز القبلي ، وأولئك الذي اتبعوا سياسة التوازن القبلي .

٥ - واجبات الشرطة في العصر الأموي (ص ٧٧ - ١٠٩) : وهو يتناول مهمة الشرطة في حماية الخلفاء والولاة من عدوان مناوئهم في الداخل ، وقيامها بمعاقة المذنبين وإقامة الحدود الشرعية ، ومساعدة الجيش ضد أعداء الدولة ، ثم تنفيذ أحكام الإعدام وتعذيب المناوئين السياسيين للسلطة ، وإدارة أمور السجن والسجناء .

٦ - بعض قضايا خاصة بمؤسسة الشرطة (ص ١١١ - ١٢٥) : يتناول هذا الفصل الموقع المخصص لمراقبة الشرطة داخل المدينة الإسلامية والأسلحة ووسائل النقل التي يستخدمها رجالها والأعطية المخصصة لهم ، وأعداد الشرطة في مختلف الأمصار ، ثم وجود وظيفة خليفة (نائب) لصاحب الشرطة ، وأخيراً العلاقة بين الشرطة وعامة الناس ، ولا سيما الشعراء .

٧ - قوات ومؤسسات بوليسية أخرى وعلاقتها بالشرطة (ص ١٢٧ - ١٣٦) : ومن هذه المؤسسات الحرس من العرب وغيرهم ، والعرفاء ، وصاحب العذاب والاستخراج (أي استخراج الأموال المصادرة من الناس) ، ثم متولي السوق ، وهو الذي يراقب الأسواق في المدينة الإسلامية ، وهي وظيفة تشبه وظيفة «المحتسب» التي وجدت بشكل منتظم في العصر العباسي . (٨) تراجم أهم من

تولى منصب الشرطة في العصر الأموي ( ص ١٣٨ - ١٦٣ ) : تناول فيه المؤلف تراجم ستة من أبرز الشخصيات التي تولت في وقت ما منصب صاحب الشرطة ، من أمثال مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، والضحاك بن قيس الفهري ، وعمرو بن سعيد الأموي والحجاج بن يوسف . وقد أورد هؤلاء تراجم ضافية بمعدل أربع صفحات لكل واحد منهم .

٩ - مناقشة عامة لنشاط الشرطة في بدايات العصر العباسي ( ص ١٦٧ - ١٧٤ ) : وفيه تناول نشاط الشرطة في عهد كل من أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور ، ثم في الفترة اللاحقة حتى عام ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م . وختم المؤلف هذا الفصل بما سماه «مناقشة عامة» ( ص ١٧٣ ) خلص فيها إلى أن العهد العباسي شهد تطوراً في المناصب الإدارية كان من شأنها إيجاد مناصب جديدة تطورت على حساب صاحب الشرطة ، مثل منصب قائد الحرس ، مما أدى إلى تضيق السلطات التي كانت لصاحب الشرطة في العصر الأموي ، كما أن مسؤوليات القاضي قد توسعت هي الأخرى ، الأمر الذي أسفر عنه تضيق سلطات صاحب الشرطة أكثر فأكثر .

وعلاوة على هذه الفصول التسعة ، هناك ملاحق ثلاثة : الأول ( ص ١٧٧ ) وهو ترجمة لابن وهب الكاتب مؤلف كتاب «البرهان في وجوه البيان» ، وهي منقولة - على ما يبدو - من مقدمة الكتاب المذكور الذي حققه الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي ، ونشر في بغداد في سنة ١٩٦٧ . والملاحق الثاني ( ص ١٧٨ - ١٨٢ ) وهو بعنوان «صاحب الشرطة» ، والظاهر أنه نص يتناول الواجبات المنوطة بصاحب الشرطة والتعليمات التي ينبغي عليه اتباعها عند أدائه لواجباته . ولم يذكر الباحث المصدر الذي نقل عنه هذا النص ولا اسم

كاتبه . والملحق الثالث (ص ١٨٣ - ١٨٤) بعنوان «شرطة الخميس» ، وقد نقل فيه الباحث أقوال عدد من المؤلفين الأقدمين في معنى «شرطة الخميس» التي كانت في أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، مثل ابن النديم والكشي والبرقي وغيرهم .

وهكذا فقد سد هذا الكتاب فراغاً مهماً في المكتبة العربية ، إذ ألقى الضوء على مؤسسة إدارية مهمة من المؤسسات التي تطورت في العصور الإسلامية ، إن لم نقل إنها مؤسسة إسلامية محضة هي من ابتكار المسلمين . ولذلك فإن المؤلف يستحق كل الشكر والتقدير من جانب طلبة التاريخ الإسلامي والمعنيين به . ويستحق مثل هذا الشكر المترجم الفاضل الذي يَسِّر لقراء العربية الاطلاع على الجهد الذي بذله المؤلف في إنجازه . في الواقع إن التاريخ الحضاري الإسلامي لا يزال يشكو من الإهمال ، أو على الأقل من قلة الاهتمام إذا ما قيس بالتاريخ السياسي والحربي ، لذلك فإن أي جهد يبذل في حقل النظم والتاريخ الحضاري ينبغي أن يلقى الترحيب والتقدير .

### مراجعة الكتاب

قبل كل شيء أود أن أؤكد للقراء ، أنني قد استمتعت كثيراً بقراءة هذا الكتاب واستفدت منه . وقد عنت لي - أثناء مطالعته بعض الملاحظات ورأيت أن من المفيد إشراك القراء بها فعمدت إلى تدوينها ونشرها . فالكتاب مع تقديري الخالص لمؤلفه ومترجمه ، فإنه كأني عمل انساني لا يخلو من النقص ، إذ إن الكمالي لله وحده ، ولذلك سمحت لنفسي بإبداء بعض الملاحظات ، وأود قبل إيراد ملاحظاتي أن أؤكد كل التأكيد بأن تلك الملاحظات لا تبخس الجهد الذي بذله

الباحثان الفاضلان ، ولا تنتقص منه . وإن هدي منها ما هو إلا خدمة البحث والباحثين ، والله على ما أقول شهيد . وقد قسمت ملاحظاتي إلى قسمين ؛ أولهما يتعلق بالتأليف ، وثانيهما يتعلق بالترجمة . وكنت عازماً على تصنيف الملاحظات تصنيفاً موضوعياً ، فأجمع كل فئة منها ضمن الصنف الذي تخصه ، لكنني رأيت من الأفضل إيراد تلك الملاحظات متسلسلة حسب مواضعها في الكتاب ، تسهيلاً على القارئ عند متابعتها :

#### أولاً - الملاحظات المتعلقة بالتأليف

١ - ينقص هذا البحث وجود المقدمة الضافية التي اعتدنا أن نراها في جميع المؤلفات ، ولا سيما في الأطروحات الجامعية ، إذ هي ضرورية جداً لأنها تلقي الضوء على أهمية الموضوع والدوافع التي حثت بمؤلفه إلى اختياره ، مع إشارة إلى الدراسات السابقة إن وجدت ، وذكر مزاياها وعيوبها . ولكننا لا نجد شيئاً من هذا ، وكل الذي نجده ما سماه المؤلف «خلاصة» وهي تقع في حدود صفحة وربع الصفحة (ص ٧-٨) ذكر فيها الباحث فصول بحثه ومحتويات كل فصل بإيجاز ، وختمها بشكر مترجم البحث الدكتور البغدادي ، والأستاذ عبد القادر أحمد عبد القادر الذي راجع الترجمة من الناحية اللغوية ، ثم أتى بكشف لمختصرات عناوين المصادر الأساسية ، وشفعه بها سماه «نبذة حول المصادر التاريخية» وهي تقع في أقل من صفحة واحدة (ص ١١) أشار فيها إشارة عابرة إلى الصعوبات المتصلة بدراسة التاريخ الأموي لأن مصادره كتبت في العصر العباسي وما إلى ذلك ، وأنه اجتهد في استخدام تلك المصادر ، لا سيما وأن موضوع دراسته في مجمله لا يثير حساسية معينة . ثم أشار إلى ثلاثة مصادر فقط اعتبرها أساسية في موضوعه ، هي تاريخ الطبري وأنساب الأشراف للبلاذري والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني . وهكذا فإن ما أورده الباحث لا يفي بمتطلبات

البحث العلمي المعتاد، الذي يوجب بيان أهمية كل مصدر من المصادر الأساسية ومزاياه ومدى الاستفادة منه .

٢- أهمل الباحث تناول دولتي المناذرة والغساسنة ، وقد بخل عليهما بذكر شيء من أحوالهما وعمّا إذا كان هؤلاء ، قد عرفوا شيئاً من التنظيمات الإدارية التي يمكن أن تكون أصولاً احتمالية لمؤسسة الشرطة الإسلامية ، خصوصاً وأن الباحث يرجح تأثر المسلمين بها كان لدى البيزنطيين (حسب ظنه) من مؤسسات بوليسية ، فإذا صح هذا فمن باب أولى أن يتأثر بها الغساسنة الذين استقروا في الشام في ظل الدولة البيزنطية .

٣- من الأمور التي أهملها الباحث ، وكان ينبغي أن يكون لها موضع في أطروحته ، التقسيمات الإدارية لجهاز الشرطة ونظام عمله ، ويسدو مما ورد في الملحق الثاني (ص ١٨١ - ١٨٢) أن المدن كانت تقسم إلى أرباع ، ويعين لكل ربع صاحب (شرطة) عفيف النفس عارف بأحكام الشرطة ، ويقرن به عارض يكتب قصص المرفوعين إليه وأسباب رفعهم ، وأي صاحب «مسلحة» رفعهم ، ثم تجمع القصص التي رفعها العُراض في الأرباع يومياً وترفع إلى الأمير أو الإمام ليوقع عليها بما يراه مناسباً . وإن القصص والتوقعات وقرارات الإمام تنسخ وتدون في ديوان الشرطة ، كما يدون ما يقع من محاضر الصلح بين المتخاصمين في سجلات ديوان الحكم .

٤- أهمل الباحث أفراد فقرة خاصة بالجرائم التي ينبغي على صاحب الشرطة مراقبتها واعتقال مرتكبيها ، وإنه وإن أشار إليها إشارات عابرة ، فإنه أخفق في استقصائها ، لا سيما وهناك فئة من الناس كالمقامرين والشطار والخمار والقواد الوارد ذكرهم في الملحق الثاني (ص ١٨٢) كانوا ضمن الفئات التي ينبغي على صاحب الشرطة ملاحقتها ، ولكن الباحث لم يشر إليهم .

٥ - كذلك أهمل الباحث أفراد فقرة يعالج فيها حجية الأحكام - من الناحية الشرعية - التي تصدر عن صاحب الشرطة ، لأن الأحكام في الإسلام تصدر إما عن الإمام - وهو ولي أمر المسلمين - أو عن القاضي المعين من قبله . وصاحب الشرطة ليس واحداً منها ، لا سيما وأن الباحث يرى أن من حق صاحب الشرطة إصدار الأحكام المناسبة (انظر مثلاً ص ١١٥) .

٦ - في كثير من الأحيان يهمل الباحث ذكر مصادر المعلومات التي ينقلها ، وهي حالات كثيرة ، نذكر منها :

أ - في (ص ٣٤) في عبارة المؤلف عن توسع نشاط الشرطة في عهد الإمام علي رضي الله عنه .

ب - في (ص ٣٨ حاشية ١١) الرواية المتعلقة بنهب البيوت والاعتداء على الناس في البصرة .

ت - في (ص ٥٠) فيما يتعلق باشتراط الحجاج بن يوسف شروطاً معينة يجب توافرها فيمن يُعين في الشرطة .

ث - في (ص ٥٧) الرواية المتعلقة بمراقبة بعض جند الشام في المدن العراقية الكبرى .

ج - في (ص ٦٠) فيما يتعلق برواية ابن عبد ربه عن افتقاد صفة الأمانة لدى صاحب الشرطة (لم يذكر الجزء والصفحة) .

ح - في (ص ٨٧) بخصوص قول الباحث إن الولاة في العهد الأموي وليس الخلفاء هم الذين يعينون القضاة .

خ - في (ص ١٠٥ حاشية ١٢٥) فيما يتعلق بوجود ألبسة خاصة كان يرتديها السجناء .

د - في (ص ١٠٦ - ١٠٧) بخصوص قيام صاحب الشرطة بتسليم



الأشخاص المقبوض عليهم إلى صاحب السجن .

ذ- في ( ص ١٣٣ - ١٣٤ ) فيما يتعلق بقيام العرفاء بالتجسس على العامة .

ر- أشار الباحث ( ص ١٧٤ ) إلى أن ابن وهب الكاتب عالج القواعد التي تحكم منصب صاحب الشرطة ، ولم يذكر مصدره لهذه المقولة .

ز- في الملحق الأول ( ص ١٧٧ ) أدرج الباحث ترجمة ابن وهب نقلاً عن مقدمة كتاب « البرهان في وجوه البيان » الذي حققه أحمد مطلوب وخديجة الحديشي ، ولم يكلف نفسه مشقة الرجوع إلى المصدر الذي نقل عنه تلك الترجمة .

س- في الملحق الثاني ( ص ١٧٨ - ١٨٢ ) المتضمن واجبات صاحب الشرطة وقواعد ممارسته العمل ، لم يبين الباحث المصدر الذي نقل عنه ذلك الملحق ، وإن كنت أميل إلى أنه من كتاب ابن وهب ، ولكنه مجرد تخمين .

٧- تقضي الأصول المنهجية أن يعرف الباحثون بالشخصيات التي يرد ذكرها في متون بحوثهم ، ولكن الباحث أهمل ذلك ، مما أدى في بعض الحالات إلى الإرباك ، من ذلك ما ذكره عن وقوع حادثة « في عهد ولاية يزيد على البصرة » ، ولم يزد شيئاً يوضح متى كان ذلك ومن هو يزيد المقصود ، ويبدو أنه يتوقع من القراء أن يبحثوا عن ذلك . ولو أن الباحث عرّف بيزيد لأعنى واستغنى !! ولعل المقصود هو يزيد بن المهلب الذي تولى البصرة لسليمان بن عبد الملك (ابن خلكان ج ٦ ص ٢٧٩)

٨- يهمل الباحث أحياناً التعريف بالألفاظ الغريبة مثل كلمة « الأتور » الواردة في ( ص ١٢٤ - السطر ٨ )

٩- عندما تناول الباحث ( ص ١٧ ) الأصول التاريخية المحتملة للشرطة ذكر « منطقة شبه الجزيرة العربية وبلاد اليمن » ثم كرر القول في الصفحة نفسها فذكر

«فترة العصر الجاهلي وبلاد اليمن». ويبدو من هاتين العبارتين أن الباحث لا يعتبر أولاً بلاد اليمن من «شبه الجزيرة العربية»، وهذا خطأ جغرافي محض لأن المعروف أن شبه الجزيرة (أو جزيرة العرب على الأصح) هي المنطقة المحدودة بالبحار المعروفة، وتقع اليمن - بلا ريب - ضمن حدودها. ويكفي أن نقول إن كتاب «صفة جزيرة العرب» لابن الحائك الهمداني المتوفى سنة ٣٣٤هـ، والمعروف بلسان العرب - وهو يماني - قد تناول اليمن في كتابه هذا مثلما تناول غيرها من أقطار الجزيرة.<sup>(١)</sup> أما في العبارة الثانية فإن الباحث عطف مفهوماً جغرافياً هو «بلاد اليمن» على مفهوم تاريخي هو «فترة العصر الجاهلي»، وهذا خلط غير موفق. ولكن الأهم أن المؤلف يجعل فترة العصر الجاهلي قاصرة على بعض أجزاء الجزيرة العربية ولا تشمل اليمن، في حين أن العصر الجاهلي هو فترة زمنية تغطي بضعة قرون سبقت ظهور الإسلام، ويشمل نطاقها الجغرافي بلاد العرب جميعاً بدون تمييز.

١٠ - بالنسبة لنظام البوليس عند البيزنطيين والفرس، فإن الباحث يذكر (ص ١٩) أن العصور الرومانية المتأخرة شهدت أنظمة بوليسية متباينة إلخ... ولكنه عندما يفصل القول في الصفحات التالية لا نجد شيئاً يؤيد مقولته الأولى، وكل الذي نجده هو أن الجند كانوا يقومون بالمهام المتصلة بالأمن. وينطبق ذلك على الوضع في الأمبراطورية البيزنطية، ما عدا القول بأن توفير الأمن في العاصمة البيزنطية كان منوطاً بشخص معين (ص ٢١)، وهي معلومة منقولة عن مرجع حديث. ويستند الباحث على مرجع حديث أيضاً (ص ٢٢) وهو يزعم أن الأفيستا (كتاب زرادشت) تذكر بعض المعلومات عن وجود ضباط بوليس مهمتهم مراقبة البيع والشراء في الأسواق، وأنهم كانوا يتسلحون

بالقضبان . وينقل (ص ٢٣) عن ذلك المرجع الحديث نفسه وجود شخص أسماه (مؤلف ذلك المرجع) برئيس البوليس، ولكننا لا ندري ما هي الكلمة الفارسية الأصلية التي ترجمها المؤلف بكلمة «بوليس». ثم ينتقل الباحث سريعاً إلى ذكر الحرس الامبراطوري، ويخلص إلى القول إن النظام البوليسي لدى الفرس لم يكن مكتمل الأركان، إلا أنه يميل إلى القول (ص ٢٤) إلى انتقال مؤسسة الشرطة إلى المسلمين كان عن البيزنطيين عن طريق مصر والشام، ويؤكد (ص ٣٢) أن عمرو بن العاص قذب استعار نظام الشرطة من التراث البيزنطي الذي ترسخ (كذا) في مصر قبل الفتوحات الاسلامية، ولكنه لم يقدم أي دليل ملموس على وجود ذلك النظام في مصر قبل الفتح الإسلامي، لأننا بمراجعة ما أورده الباحث في هذا الصدد عن البيزنطي لا نجد معلومة واحدة تدعم الزعم بوجود مؤسسة للشرطة عند البيزنطيين بصورة عامة، وفي أقاليم مصر والشام بصورة خاصة بل إن ما ذكره شاخت (ص ١٥) من أن مصطلح «الشرطة» قد جاء إلى العربية، دون شك - على حد زعم شاخت - كان من الكلمة اللاتينية COHORT، وهي إغريقية الأصل. ولكن الباحث لم يذكر لنا ما إذا كانت هناك مؤسسة بوليسية لدى الرومان فعلاً تسمى بهذا الاسم؟! وكل الذي نقله عن شاخت قوله أنها «كلمة تتصل بالقضايا العسكرية وما شابهها»!! وأشار الباحث (ص ١٦ - ١٧) إلى ذكر احتمال اشتقاقها من كلمة لاتينية أخرى هي SECURITAS، ولكنه يختم كلامه بالقول بأن مناقشة الموضوع غير حاسمة ولا قاطعة، إلا أنه يميل إلى الرأي القائل بعدم عروبة المصدر الأصلي لمصطلح الشرطة، ويعتبر كلمة COHORT أكثر تقبلاً من أختها، وينسب الفضل في وصوله إلى هذه النتيجة إلى أستاذه الدكتور I.D. LATHAM (ص ١٧ حاشية ١٣).

ويتضح مما تقدم أن الباحث لم يأت بشيء قاطع يمكن أن يقنع الباحثين على أن نظام الشرطة الذي عرفه المسلمون منذ العصر الراشدي هو نظام مستورد . ولا أدري لماذا لا يكون هذا النظام من ابتكار المسلمين ، وأنه مجرد تطور للعس الذي كان يمارسه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ كان يجوب بنفسه دروب المدينة وأحياءها . والغريب أن الباحث على الرغم من رواية اليعقوبي - وهو من المؤرخين الأوائل - عن وجود صاحب شرطة لعمر بن الخطاب (ص ٢٩ و ٣٧) ، فإنه يشك في صحة تلك الرواية لسبب بسيط هو أن عمر كان يعس بنفسه !! ولا أدري أين هو موضع الشك؟! وهل هناك ما يمنع عمر - وهو خليفة المسلمين المسئول عنهم - أن يطمئن بنفسه إلى استتباب الأمن ويتفقد أحوال الرعية ، لا سيما وأن أكثر أبواب العوائل كانوا (مشغولين بالجهاد ؟ ثم إن الباحث يعدّ ما تقدم مناقضاً لرواية رواها اليعقوبي أيضاً من أن معاوية كان أول خليفة يعين «نفسه» صاحب شرطة . في الواقع لا تناقض هناك ، فصاحب الشرطة الذي عينه عمر كان لرعاية الأمن العام في المدينة ، في حين أن الذي عينه معاوية كان لحراسته هو ، وقد أكد الباحث نفسه (ص ٣٦) أن معاوية جعل له حراساً يقفون عند رأسه لحمايته أثناء الصلاة ، إذ خشي أن تتكرر المحاولة لاغتياله .

١١ - أشار الباحث (ص ٢٧) إلى حروب الردة ، وأنها قامت بها القبائل المحيطة بالمدينة ، ويذكر بعد ذلك مباشرة ، أن جيش المسلمين كان في أكثر الأحوال بعيداً عن المدينة مسافة (٤٠) يوماً ، وذلك أثناء قتاله للمرتدين . وفي هذا تناقض واضح ، فضلاً عن أن القبائل التي ارتدت لم يكن بينها أحد من القبائل المحيطة بالمدينة ، وأن أغلب المرتدين كانوا في منطقة نجد (اليامنة) واليمن .

١٣ - يذكر الباحث (ص ٣٧) أن الكوفة كانت عاصمة الخلافة في عهد الخليفة الراشد «الثالث»، وهذا خطأ واضح، إذ كانت العاصمة في عهد عثمان رضي الله عنه وهو الخليفة الثالث، في المدينة المنورة وفيها قتل. ولكن انتقال العاصمة إلى الكوفة كان في عهد الخليفة الرابع وهو علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

١٣ (ص ٣٩) عند الحديث عن البصرة في عهد معاوية (رضي الله عنه)، فقد أورد الباحث بعض الفقرات من خطبة زياد بن أبيه التي يتهدد بها أهل البصرة، وقال إن هدف زياد كان توفير الأمن والاستقرار وإقرار هيبة الدولة التي ذهبت في عهد المغيرة. في حين أن الخطبة أُلقيت في عام ٤٥ هـ عندما عين زياد عاملاً على البصرة (ص ٣٨) بينما بقي المغيرة. والياً على الكوفة حتى وفاته في سنة ٥٠ هـ، وعندها حل محله زياد (ص ٣٨). وهكذا ليس لتلك الخطبة علاقة بالمغيرة<sup>(٢)</sup>

١٤ - تناول الباحث (ص ٤٥) تجمع الناس حول مسلم بن عقيل في الكوفة، وأن عددهم كان (١٢) رجلاً وأن مسلماً أصبح من القوة إلى درجة يهدد بها الولي عبيد الله بن زياد الذي لم يكن معه سوى (٣٠) من الشرطة. ولعل الصحيح أن الذين دعموا مسلماً كانوا (١٢) ألف رجل. وكنت أظن أن الخطأ مطبعي، لكن قوله (رجلاً بدلاً من رجل) أكد لي أن الباحث يقصد (١٢) شخصاً وليس (١٢) ألف شخص<sup>(٣)</sup>. وفي الصفحة نفسها وردت عبارة مضطربة جاء فيها أن ولي مكة أوعز لصاحب شرطته بمنع الحسين من مغادرة مكة، «ولكنه لم يستطع تنفيذ ذلك بسبب الاضطراب الذي حصل بين مؤيدي الحسين». وهنا يتساءل المرء كيف أن اضطراب المؤيدين حال دون ذلك، بل العكس هو الصحيح، لأن الاضطراب يساعد على التنفيذ.

١٥ - حصل خلل كبير في ذكر التواريخ الهجرية (ص ٥٠ و ٥١) وما يقابلها بالتقويم الميلادي، فجعلت سنة ٦٧ هـ تقابل سنة ٦٩٥ م و ٧٢ هـ = ٦٩١ م و ٧٥ هـ = ٦٩٧ م و ٧٩ هـ = ٧١٣ م، وهذا خلل واضح لا يحتاج إلى دليل.

١٦ - ذكر الباحث (ص ٥١) أن الهدف من ثورة شبيب الخارجي عام ٦٧ هـ هو قتل الحجاج وصاحب شرطته، في حين ورد في (ص ٥٠) أن الحجاج تولى الكوفة في سنة ٧٥ هـ، ومعنى ذلك أن الثورة وقعت قبل توليه الكوفة بثماني سنوات! ومثل ذلك ما ذكره الباحث (ص ٥٢) عن ثورة ابن الأشعث ضد الحجاج، وقد سماها الباحث لأسباب غير معلومة «ثورة خارجية» ولعله يقصد أنها من ثورات الخوارج، وذكر أنها وقعت في سنة ٨٢ هـ، بينما ذكر (ص ٥٠) أن ولاية الحجاج انتهت في عام ٧٩ هـ. والجدير بالذكر ورود ذكر ثورة (ص ٥٢) تسمى «ثورة الزنج» ضد الحجاج أيضا، ولكن الباحث لم يذكر مكانها ولا تاريخ وقوعها.

١٧ - أشار الباحث (ص ٥٤) إلى تشدد عمر بن عبد العزيز مع شارب الخمر، ودلل على ذلك بأنه أمر غير المسلمين بإدخال الخمر إلى الأمصار (كذا) ثم أمر بمعاينة من يجهر بشربها!! وهذا أمر في غاية الغرابة، إذ يدل على موقف متناقض (نقل الخبر عن ابن سعد ج ٥ / ٣٥٦ - ٣٥٧) ولكنني وجدت أن ما نقله ابن سعد (ج ٥ ص ٣٦٥ طبعة صادر) يخالف ذلك إذ يقول إن عمر بن عبد العزيز أمر ألا يدخل أهل الذمة بالخمر أمصار المسلمين، فكانوا لا يدخلونها.

١٨ - بعد أن وصف الباحث (ص ٥٧) كيف أن صاحب الشرطة في الكوفة استطاع في عام ١٢٢ هـ، صد الثوار وإصابة زيد بن علي الذي مات متأثراً

بجراحه، قال إن الفترة الأخيرة من الخلافة الأموية شهدت دوراً ثانوياً للشرطة بسبب استعانتهم ببعض الجند الشامي. وقد فاته أن استعانة الشرطة بالجيش الشامي كانت موجودة قبل ذلك، بل هو نفسه اعترف بأن الحجاج استعان في سنة ٨٢هـ بجند الشام للقضاء على ثورة ابن الأشعث، ومع ذلك فإن دور الشرطة لم يبلغ من الوجود خلافاً لما يزعمه الباحث (ص ٥٧). ثم إنه يقول إن جند الشام أقاموا لهم مواقع خاصة بهم في مراكز المدن الكبرى في العراق وأن العلاقات بينهم وبين العامة كانت تتسم بالكراهية «وفقاً لما ذكره المؤرخون» ولكن الباحث لم يأت بمصدر واحد يؤيد تلك الوقائع. والغريب أن الباحث يقول (ص ٦٦) إن المدن التي تتوافر فيها حاميات عسكرية كمدن العراق، تبرز فيها مكانة صاحب الشرطة إذ تسمح له بالسيطرة على الأوضاع الأمنية في المجتمع، ومعنى ذلك أن وجود الجند يعزز مكانة الشرطة ولا يلغي دورها !!

١٩ - أورد الباحث (ص ٦٠) رواية مشرقية عن شرط توافر الأمانة فيمن يلي وظيفة صاحب الشرطة، ثم تحول إلى الغرب العربي - على حد قوله - وأتى برواية أندلسية، فيظن القارئ أن مثل هذا الشرط له مثيل في المغرب الإسلامي، لكنه سرعان ما يجد أن الرواية الأندلسية تنصب على ولاية خراسان، مما أفقدها أهميتها، إذ لم يأت بجديد !!

٢٠ - يذكر الباحث (ص ٦٢) أن من الأمور المستغربة التي تقع غالباً، أن الولاة يختارون لمنصب صاحب الشرطة من يائثلهم في الشكل والهيئة، ثم يأتي بمثال واحد لا غير، حينما اختار وال أعرج صاحب شرطة أعرج مثله. وهكذا فقدت كلمة «غالباً» مالها من قوة. وفي (ص ٦٣) استخدم هذه الكلمة مرة أخرى عندما قال إنَّ صاحب شرطة الخلفاء كان غالباً ما يتم اختياره من بين الولاة، ولكن الأمثلة التي جاء بها محدودة جداً (وهي ثلاثة) بل إن واحداً منها لم

يكن منصبه في عاصمة الخلافة، وإنما كان في مصر، أي أن صاحبه لم يكن صاحب شرطة للخليفة نفسه. ويبدو أن الباحث يميل إلى التعميم، من ذلك مثلاً قوله (ص ٦٧) إن تعيين صاحب الشرطة يقترن بالوالي شخصياً وإن المصادر التاريخية التي تتطرق إلى صاحب الشرطة لا تذكره مقروناً بالبلد الذي يمارس فيه عمله، وإنما تقرر ذكره بهذا الوالي أو ذاك، ويبني على ذلك أن تعيينه مقرون بتعيين الوالي مباشرة. ولكن الباحث لم يأت بالأمثلة ولا ذكر المصادر التي تؤيد مقولته.

٢١- نقل الباحث (ص ٦٨) عن ابن تغري بردي، أن من واجبات صاحب الشرطة إمامة المسلمين في الصلاة، وقال إن هذا المؤرخ لم يقدم الأدلة على ذلك رغم أن المذكور حدد الواقعة بأنها حدثت في عهد يزيد بن عبد الملك. ويبدو أن الباحث نسي أن خارجة صاحب شرطة الفسطاط كان يؤم المسلمين عندما اغتاله الخوارج ظناً منهم أنه عمرو بن العاص، وذلك في سنة ٤٠ هـ، وهو خارجة السهمي (ابن خلكان، ، طبعة إحسان عباس، ج ٧ ص ٢١٦ - ٢١٧)

٢٢- تناول الباحث (ص ٧٠) قيام الوليد بتوزيع المناصب على أبناء القبائل المضربة، وأن من بين هؤلاء برز الحجاج، مما يوهم بأن الوليد هو الذي عين الحجاج لأول مرة في ولاية المشرق، في حين أن الذي عينه هو عبد الملك بن مروان.<sup>(٥)</sup> ثم ذكر (ص ٧٠) أن يزيد بن عبد الملك كان هوام مع مضر أيضاً وأن صاحب شرطته كان كعب بن حامد العبسي الذي ظل في منصبه بعد وفاة يزيد» وذلك في خلافة أخويه الوليد وسليمان». وهذا خطأ واضح، لأن الوليد وسليمان سبقا يزيد إلى الخلافة وكان بين الفريقين خلافة عمر بن عبد العزيز،



ثم إن الباحث نفسه ذكر في الصفحة نفسها أن يزيد توفي سنة ١٠٥ هـ، وخلفه أخوه هشام !!

٢٣ - ذكر الباحث (ص ٧٢ - ٧٣) أن شعيب بن حميد البلوي الذي عين لشرطة مصر سنة ١٠١ هـ ، قد عزل بعد أيام من منصبه رغم تدينه وسمعته الطيبة ، وذلك لكونه من الموالي ، ولكنه لا يلبث أن يذكر (ص ٧٥) أن صاحب شرطة الخليفة عمر بن عبد العزيز - وهو روح بن يزيد السكسكي - كان من الموالي !! والغريب أن الباحث لم يبين وجه «الولاء» في الشخص الأول وهو «بلوي» والثاني وهو «سكسكي» ، فهل كانت نسبتها إلى تلك القبائل بالولاء؟! ومثل ذلك بالنسبة لوالدة مصعب بن عبد الرحمن التي قال عنها إنها أمة وهي من قبيلة بهراء (ص ١٣٨ - ١٣٩) .

٢٤ - يروي الباحث (ص ٧٧) أن عدداً من الباحثين الغربيين المعاصرين ، يرون أن مصطلح الشرطة الإسلامية وواجباتها تماثل مصطلح (البوليس) وواجباته ويذكر أن السيد أمير علي فتد هذه النظرية ، إلا أنه لم يبين كيف فندها ، وعلى أي أساس تم ذلك؟ في الواقع أن واجبات الشرطة التي أوردتها الباحث (ص ٧٧) ثم تولى شرحها بالتفصيل تؤيد آراء أولئك الباحثين الغربيين ، وليس العكس .

٢٥ - ذكر الباحث (ص ٨٨) أن واجب القاضي يتمثل بالنظر في المنازعات بين المسلمين من طلاق وزواج وإرث وغيرها من المعاملات المالية . وهذا - في ظني - انطباع خاطئ ، لأن القاضي ينظر أيضا في الجرائم الأخرى كالقتل والسرقة ، وقد نقل الباحث (ص ١٧١) عن الطبري أن مهنة «السياف» تنفيذ أحكام القتل الصادرة عن القضاة . وذكر في الملحق الثاني (ص ١٧٨) أن وظيفة صاحب الشرطة معونة الحكام (أي القضاة) وأصحاب المظالم والدواوين في

حبس من أمره بحبسه الخ. والغريب أن الباحث (ص ٨٨) يعد قيام القاضي بمعاينة جراح المتخاصمين خروجاً على المؤلف، في حين أن التعويضات المادية - كما هو واضح من الملحق الثاني (ص ١٨٠ - ١٨١) - تعتمد على معرفة مدى عمق الجراح وخطورتها. والأغرب أنه خرج باستنتاج في غير محله، هو أن القاضي ما كان له أن يقوم بما قام في هذه الحالة إلا بأمر من الخليفة، إذ ليست له السلطة اللازمة للحكم في مثل تلك القضايا الخ. . . في حين أنه ذكر (ص ١٧٣) بين مهام صاحب الشرطة مواجهة المجرمين وإلقاء القبض عليهم وإحضارهم إلى مجلس القاضي لينظر في أمرهم، وليصدر الأحكام المناسبة لجرائمهم. ونقل الباحث (ص ١٧٣ حاشية ٣٤) عن طيفور (كتاب طيفور ص ٤٢ - ٤٣) بأن الخليفة أصدر أمره إلى صاحب الجسر في بغداد ألا يصدر أية أحكام إلا بحضور القاضي.

٢٦ - يتابع الباحث (ص ٨٩) استنتاجاته ويقول إن سلطات القضاة كانت محدودة، وأنهم بحاجة دائمة لمعاوضة من هو أعلى منهم كالوالي وصاحب الشرطة (كذا). وهذا - في ظني - خطأ فاحش، لأن الوالي وصاحب الشرطة ليسا بأعلى رتبة من القاضي، وإن كان القاضي يحتاج لمعاونتهما في تنفيذ الأحكام، كما هو الحال في عصرنا الحاضر، فإن المحاكم، تصدر الأحكام وتقوم السلطات الإجرائية بتنفيذها، ولا يترتب على ذلك أن المنقذ هو أعلى رتبة ممن أصدر الحكم، بل العكس هو الصحيح. في الواقع أن الخليفة كان يعين القضاة في مختلف الأمصار<sup>(٦)</sup> إلى جانب الولاة على قدم المساواة - إن لم يكن القاضي أعلى منزلة من الوالي - وظل هذا التقليد مستمراً حتى نهاية العهد العثماني عند ما كان القاضي في بلدان الخلافة يعينه السلطان العثماني مباشرة،



## • قسيمة اشتراك •

أرفق قسيمة استمارة الدفع .....  
باسم دائرة الملك عبد العزيز بالرياض/ عن قيمة اشتراك لمدة سنة واحدة على أن ترسل  
إلى العنوان الآتي:

الاسم: .....

العنوان: .....

رقم التللكس أو الفاكس: .....

• الاشتراك: • ٢ ريالاً داخل المملكة العربية السعودية

• • البلاد العربية ما يماثل ٢ ريالاً سعودياً

• • • دولارات خارج البلاد العربية.



مجلة لصلية محكمة تصدر عن دائرة الملك عبد العزيز

٢٩٤٥ الرياض، ١١٤٦١ ✉

٤٤١٣٩٤٤ - ٤٤١٣٣١٨ ☎

رقم الفاكسميلي: ٢٠ ٤٤١٧٠ ١/٩٦٦/٠٠

المملكة العربية السعودية



## • Subscription card •

Please enter my subscription for king abdul Aziz Research Centre

address:  
King Abdulaziz Research Center  
✉ 2945  
Riyadh 11461  
☎ 4412318-4413944  
Facsimile No.: 00/966/1/4417020  
Riyadh - Kingdom of Saudi Arabia



Please bill me .....  
check enclosed for \$ .....  
Name .....  
Address .....  
City ..... Country .....  
Fax. ....

Annual Subscriptions

- Saudi Arabia: 20 Riyals
- • Arab Countries: The equivalent of 4 issues Price: SR 20.
- • • Non Arab Countries: US 6\$

ويقوم القاضي بتعيين نواب عنه من أهل البلاد . كما أن الحال في البلاد العربية هو أن القضاة يعينون بمراسيم صادرة عن الملك أو رئيس الجمهورية ، وبمارسون مهام القضاء باسمه ، وليس لأي شخص آخر سواء كان من الولاة أو رؤساء الشرطة أية سلطة عليهم ، ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى ما نقله الباحث (ص ١٧٠) عن الطبري بخصوص ما ذكره المنصور عن الأسس السليمة للدولة التي لا يمكنها أن تدار إلا بهم ، وذكر أن أول هؤلاء القاضي النزيه ، وثانيهما صاحب الشرطة المدافع عن الضعفاء إلخ . . . وهكذا فوظيفة القاضي أعلى شأنًا من صاحب الشرطة . وهذا ما توصل إليه الباحثون من أمثال جرجي زيدان (تاريخ التمدن الإسلامي - بيروت ، ج ١ ص ٢٣٤) وهو الرأي الذي نقله الباحث نفسه (ص ٩٠) عندما قال إن الشرطة خادمة للقضاء ، وأن صاحبها يأتي بعد القضاة ، ولكن الباحث - مع ذلك - يظل مصرّاً (ص ٩١) ويزعم أن الشواهد تشير بشكل لا لبس فيه إلى أن منصب القضاة يأتي بعد منصب صاحب الشرطة ، وأن صاحبه أعلى رتبة من القاضي . ثم يقول إن القاضي كانت لديه سلطة محدودة لايقاع العقوبة في الجنج كالحلف الكاذب والخذاع والغش ، ويأتي بالشواهد على حكم القضاة في مثل هذه الحالات ، وينسى أن إيرادها لا ينفي شمول سلطاتهم القضايا الكبرى ما لم يأت الباحث بالأدلة على أن القضاة قد منعو من النظر في مثل تلك القضايا . أما ما أورده عن شدة أصحاب الشرطة وممارستهم لإنزال العقوبات الشديدة التي قد تصل إلى القتل والتعذيب وغيره ، لا يقوم ذلك دليلاً على أن ما قاموا به هو ضمن سلطاتهم الشرعية ، وأن ذلك يجعل منزلتهم فوق منزلة القضاة . وإن ما ذكره الباحث مثلاً (ص ٩٣) عن قيامهم بمداومة المنازل حتى بدون إذن أصحابها ، فهو مخالفة صريحة للشريع ولنصوص القرآن الكريم ، ولا يدل على اتساع

سلطاتهم، وإنما يدل على جبروتهم وتعسفهم. ومع ذلك فقد نقل الباحث نفسه وفي الصفحة نفسها أن أحد الشعراء الذي اتهم بشرب الخمر قد لجأ إلى داره وتحصن فيها، ولم يستطع صاحب الشرطة دخول المنزل!!

ومن الأدلة على أهمية القضاة أن كتباً صُنفت عنهم، وكان عدد منها بين مصادر هذا البحث، مثل كتاب «أخبار القضاة» لوكيع، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد خصهم برسالة مشهورة تبين أهمية منصبهم<sup>(٧)</sup>، ولا نعلم أن أحداً صنّف كتاباً واحداً عن أصحاب الشرطة ومن في حكمهم. والغريب أن الباحث اعتبر من الأدلة على علو شأن صاحب الشرطة (ص ٩٢) الموكب الذي يسير بين يديه، بخلاف القاضي الذي يسير إلى مجلس القضاء بدون موكب!! وهذا دليل في منتهى الغرابة، لأن وجود الموكب وعدمه لا يدل على الأهمية في هذا المضمار، خاصة وأن القضاة هم أهل دين وتقشف، بعيدون عادة عن مظاهر الفخفخة التي لا يحتاجون إليها، بل ولا يتقبلونها، وقد أورد الباحث نفسه (ص ٩٢) أن ابن شبرمة القاضي كان يحتقر تكبر صاحب الشرطة.

٢٧ - ذكر الباحث (ص ٩٢) ضمن واجبات صاحب الشرطة تنفيذ الحدود، ولكنه لم يحدد الجهة التي تحكم بوجوب إقامة تلك الحدود على من يستحقها. وهذا واضح أن مرجع ذلك إلى القاضي أو الإمام. وقد نقل الباحث في الملحق الثاني (ص ١٨١ - ١٨٢) أن من واجبات صاحب الشرطة أن ينهي إلى الإمام الأحداث التي فيها القصاص والحد «فإذا أمره الإمام أن يقيّد أو يقبض فعلى ذلك»، وكذلك التعزير وهو أقل من الحد فمرجه إلى الإمام أيضاً، وليس إلى صاحب الشرطة، وأن على صاحب الشرطة أن يعرض على من فوقه من أمير أو إمام الحوادث ليوقع تحت ذكر كل رجل فيها يراه من أمره من

تأديب أو حبس أو إطلاق . وهكذا فإن الإمام هو الجهة العليا ، وما صاحب الشرطة إلا أداة للتنفيذ .

٢٨- ذكر الباحث (ص ٩٤) في عرض مدى سلطة صاحب الشرطة ، أنه في خلافة يزيد بن معاوية عاقب صاحب الشرطة عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، بسبب شربه الخمر . وذكر الباحث أن مكانة عبد العزيز هذا عالية جداً ، إذ هو الرجل الثاني بعد معاوية ابن أبي سفيان !! وهذه المقولة لم يذكر الباحث مصدرها ولم يبين حجة في إطلاقها وهي غريبة في بابها ، لأن عبد العزيز لا يمكن أن يكون الرجل الثاني بعد معاوية مع وجود والده مروان بن الحكم على قيد الحياة ، فضلاً عن أخيه الأكبر عبد الملك ، فلو كانت له تلك المكانة لكان الأولى بتولي الخلافة منها ، بل لكان أولى بالخلافة من يزيد !!

٢٩- لا يراعي الباحث الدقة أحياناً ، كقوله (ص ٦٦) «إن المدن التي تتوفر فيها الحاميات العسكرية مثل العراق» وكأن العراق مدينة واحدة وليس قطراً ، ومثل ذلك ما ورد (ص ٩٥- ٩٦) عن والي العراق خالد القسري من أنه كان كثير اللوم لصاحب شرطة لعدم شدته على المغنين حتى شاع الغناء في المدينة» وهنا أيضاً يعامل الباحث العراق وكأنه مدينة واحدة ، وكان حرياً به أن يخصص أي مدن العراق هي المقصودة ؟! ومن أمثلة عدم الدقة ما ورد (ص ٩٨) عن قيام معارك في «منطقة الفرات» والسيطرة على «منطقة الفرات» والفرات - كما هو معروف - نهر طويل يبلغ آلاف الكيلومترات إذ ينبع من آسيا الصغرى ويخترق ما هو الآن تركيا وسوريا والعراق ، لذلك فليس هناك منطقة يمكن تسميتها بمنطقة الفرات ، ولا بد من تقييدها بموضع محدد كأن يقال وقعت المعركة على الفرات عند الكوفة وما أشبهه .

٣٠- أشار الباحث (ص ٩٨) إلى رسالة أرسلها الخليفة مروان بن الحكم إلى

ابنه حين عينه قائداً لمحاربة الخوارج بقيادة الضحاك بن قيس الشيباني في عام ١٢٧ هـ، وهي من أنشاء عبد الحميد الكاتب. وقد وقع خلط كثير في هذه الفقرة. فقبل كل شيء كان على الباحث أن ينبه إلى أن قائد الخوارج هو غير الضحاك بن قيس الفهري أحد الزعماء المهمين في الفترة الأولى من العصر الأموي، والذي قتل في معركة دير الجماجم في سنة ٦٤ هـ (ص ١٤٢ - ١٤٥). أما الخلط فقد وقع في اسم الخليفة، لأن مروان بن الحكم توفي في عام ٦٥ هـ (٨) وإن الخليفة في سنة ١٢٧ هـ، هو مروان بن محمد الذي كان عبد الحميد الكاتب من رجال دولته، ولا علاقة له بمروان بن الحكم.

٣١- لا يتقيد الباحث أحياناً بالتسلسل التاريخي للأحداث، من ذلك مثلاً إشارته إلى أحداث وقعت في سنة ١٣٢ هـ، ثم لا يلبث أن يعود إلى الوراء فيذكر أحداثاً ذات علاقة وقعت في سنة ١٣٠ هـ دون أن يكون هناك مبرر للإخلال بالتسلسل (ص ١٠٠) ويشبه ذلك ما ذكره الباحث (ص ١٦٩) عن طلب أبي مسلم الخراساني من المنصور قبل توجهه لقتال عبد الله العباسي، أن يهب له حياة عدد من خلصاء المنصور للتخلص منهم حتى يصفو له الجو وحده. وذكر أن المنصور وافق على ذلك، وطلب إلى أبي مسلم أن يأتي لمقابلته، وعندها أمر بقتله. ويستفاد من صيغة الخبر هذه أن قتل أبي مسلم قد كان قبل توجهه لقتال عبد الله المذكور، في حين أن قتله كان بعد عودته من القتال متصراً. وهكذا وقع خلل جوهري في تسلسل الأحداث لم يفتن إليه الباحث.

٣٢- أبدى الباحث (ص ١٠٢) تعجبه لأن أحد القتلة ظل في السجن حتى بلغ ابن القتيل سن الرشد ليؤخذ رأيه في إقامة الحد على قاتل أبيه أو يقبل الدية، وأن المذكور طالب بالقصاص فأعدم القاتل. ولا أدري أين وجه الغرابة هنا؟ المعروف أن تنفيذ الحد في هذه الحالة منوط بولي الدم وهو الابن، ولكن



القاصر لا يملك التصرف في الأمور الصغيرة، فكيف في مسألة خطيرة كالقتل؟ ولهذا أوجبت الشريعة الانتظار حتى يصبح القاصر أهلاً للاختيار. وهذا من مزايا العدالة في الشريعة الإسلامية.

٣٣- تناول الباحث (ص ١١٨ - ١١٩) المخصصات المالية للشرطة، وهو يقصد أعطياتهم أو مرتباتهم، وكان الأفضل تسميتها باسمها. وذكر من تلك المخصصات الهبات واعتبرها كأنها هي المرتبات المفروضة لرجال الشرطة، إلا أنه يتضح من الروايات التي أوردها الباحث أنها مجرد هبات يمنحها ولي الأمر لمن في خدمته، وأن بعضها كان كبيراً جداً (١٠٠ ألف درهم) لا يجعلها مرتباً خصوصاً إذا قارنا ذلك بما رواه الباحث من أن المرتب الشهري لرجل الشرطة لا يتجاوز عشرة دنانير. وربما كان هذا المبلغ هو المرتب السنوي لا الشهري.

٣٤- تناول الباحث (ص ١٢١ - ١٢٢) وجود منصب خليفة (نائب) لصاحب الشرطة، وخلص إلى القول بأنه ليس منصباً دائماً، إنما يقوم به شخص من رجال الشرطة عند غياب صاحب الشرطة وتنتهي سلطته بمجرد عودته. هذا مجرد افتراض، إلا أنه يناقض ما سبق ونقله الباحث (ص ١٢١) عن كتاب «الأغاني» من «أن خليفة صاحب الشرطة كان يقوم بإخصاء المختين إذا أمره صاحب الشرطة بذلك». وهذه إشارة واضحة إلى وجود صاحبي هذين المنصبين في آن واحد، ومعنى ذلك أن وظيفة النائب وظيفة دائمة ويقوم من يشغلها بأعمال معاون لصاحب الشرطة الذي يكلفه بأداء عدد من الأعمال.

٣٥- ينقل الباحث أحياناً بعض الروايات على عجلها، ولا ينبه إلى ما فيها من خلل، من ذلك مثلاً ما رواه (ص ١٢٢ - ١٢٣) عن قيام شرطي من قبيلة الفرزدق الشاعر باعتقاله، وأنه قال فيه شعراً جاء فيه :

فلو كنت قيسياً إذا ما حبستني  
ولكن زنجياً غليظاً مشافره

ولم يتساءل الباحث إذا كان الشرطي المذكور من قبيلة الفرزدق، وهي قبيلة عربية مشهورة (تميم) فكيف يصفه بأنه زنجي غليظ الشفتين؟ والظاهر أن الذي استاء منه الشاعر أن يهان بتكليف زنجي أسود باعتقاله.

٣٦- تناول الباحث (ص ١٣٠) الحرس وأنهم فئة متميزة عن الشرطة، ويورد للتدليل على ذلك شطر بيت من الشعر ورد فيه القول: «وكانه شرطي بات في حرس» للدلالة على التفرقة بين الشرطة والحرس، على حد ظنه. ولكن في ظني أن المعنى المقصود هو «كانه شرطي بات يقوم بأعمال الحراسة» وذلك بسبب تيقظه وحذره، أي أنه يؤدي مهمته في الحراسة على أحسن وجه. وهكذا فإن الشطر المذكور يؤيد المفهوم الواسع للشرطة الذي يجعلها تضم الحرس أيضا.

٣٧- تناول الباحث (ص ١٣٢ - ١٣٤) العرفاء ورجع الباحث من أجل التعريف بهم إلى قاموس «المتجد»، وهو قاموس حديث لا يصح التعويل عليه مع وجود المعاجم الأصلية. ثم أن الباحث جعل العرفاء مسؤولين عن مراقبة العامة وتبليغ السلطات عن الحركات المشبوهة، دون إن يسند هذه المقولة إلى مصدر معين. ومثل ذلك قوله إن السلطات الأموية استغلت هؤلاء العرفاء لمصلحتها، وهذه أيضا لم يذكر مصدرها. وبنى على ذلك كله أن العلاقة بين العرفاء والعامة كان يسودها الكره وعدم الاحترام، ونقل عن ابن سعد (الطبقات ج ٦/ ٢٧٣) أن الناس يكرهون مجالسة العرفاء والشرطة في المسجد. وهذا - في ظني - استنتاج في غير محله، لأن الكره لم يتأت عن قيام العرفاء التجسس لحساب السلطة، وإنما لاستيلائهم على أعطية الناس، إذ كان العرفاء هم الذين يقبضون الأعطية نيابة عن أصحابها فيسيئون التصرف بها. في الحقيقة أن زياد بن أبيه عين العرفاء عندما كان والياً على العراق ليتولوا توزيع الأعطيات

على أبناء عشيرتهم وليكونوا مسؤولين أمامه عما يحدث في ناحيتهم وليؤاخذوا بما يحدث هناك (عمر العقيلي : معاوية ص ٨٧)

٣٨ - يعتمد الباحث أحياناً على مراجع حديثة ، كما هو الحال في الفقرة السابقة ، وقد تكرر ذلك ، إذ نراه ينقل معلومات تاريخية قديمة (ص ١٠٦ حاشية ١٣٣ و ١٣٤) عن مرجع أجنبي حديث هو (روزنتال) ، وقد كان من واجبه أن يعود إلى مصادر (روزنتال) ، أو على الأقل أن يتحفظ في حالة تعذر الوصول إليها . ونراه أيضاً (ص ١٣٩ حاشية ١٠) يعتمد عند التعريف بمدينة أيلة على «المنجد» ، وكان من الواجب أن يرجع إلى المعاجم الجغرافية للتعريف بها ، وهي متوفرة ويأتي في مقدمتها «معجم البلدان» لياقوت الحموي .

٣٩ - أضع الباحث حوالي (٢٦) صفحة من أصل (١٧٠) صفحة في تراجم أبرز الشخصيات التي تولت منصب صاحب الشرطة (ص ١٣٨ - ١٦٣) ، إذ توسع كثيراً في ذكر تفاصيل تراجم تلك الشخصيات ، مما لا علاقة له بعملهم في الشرطة . فذكر كل شيء عن حياتهم وما مارسوه من نشاط . وكان يكفي ذكر مكانتهم الخاصة وأهم المناصب التي شغلوها ، ومنها منصب صاحب الشرطة ، وإحالة القارئ على المصادر . فترجمة مصعب بن عبد الرحمن مثلاً وقعت في حوالي أربع صفحات (ص ١٣٨ - ١٤٢) ومثلها ترجمة عمرو بن سعيد . أما ترجمة الحجاج فقد وقعت في أكثر من خمس صفحات (ص ١٥٠ - ١٥٥) ، وكان الحجاج بحاجة إلى ترجمة أو تعريف . في الواقع أن مثل هذه التراجم ، ويمثل هذا التفصيل لا مبرر لها من الناحية المنهجية .

٤٠ - ذكر الباحث (ص ١٤٠) وجود بطن من قريش باسم بني «عدي» بضم العين خلافاً لما هو معروف من أن البطن هم بنو «عدي» بالفتح ومنهم

عمر بن الخطاب . والملاحظ أن الباحث أخطأ في إيراد الصيغ الصحيحة لأسماء بعض القبائل ، من ذلك مثلاً ما ورد (ص ٥٣ حاشية ٨٦) عندما سمي كندة «بني كندة» و(ص ٧١) عندما سمي مضر «بني مضر» و (ص ٧٥ حاشية ٧٦) عندما سمي كلب «بني كلب» و (ص ١٤٦) عندما سمي قضاعة «بني قضاعة» ، وهذا كله خطأ .

٤١ - يقع في البحث بعض الخلط ، من ذلك ما ذكره الباحث (ص ١٤٦) عن سعيد بن العاص بن أمية الأموي من أنه رزق بعشرين من البنين ، وكان من بينهم عمرو بن العاص (كذا) ، وهكذا وقع الخلط بين عمرو بن سعيد بن العاص وبين عمرو بن العاص الصحابي المعروف . . وقد كان حرياً بالباحث أن يكون أكثر دقة . ومما له علاقة بالدقة أن الباحث عندما ترجم (ص ١٥٠) للحجاج بن يوسف الثقفي ، قال «هو الحجاج بن حكم بن أبي عقيل الخ . . .» ، ثم قال «وأبوه يوسف»!! وهكذا جعل لأبي الحجاج اسمين خلافاً للمعروف عنه بأن والده هو يوسف الثقفي لا غير، والحكم هو جده<sup>(٩)</sup>

٤٢ - في الواقع أن الباحث أخطأ في تسمية بعض المؤلفين وبعض الشخصيات التاريخية ، من ذلك مثلاً ما ورد في (ص ٩ و ٥٠ و ٥٢ و ٥٩ و ٦٥ و ٨٤ و ٩٩ و ١٢٥ و ١٤٠ و ١٦٩ وحواشي بعض هذه الصفحات) من تسمية ابن أعثم إذ سماه «ابن الأعثم» بدون مبرر، في حين سمي الزبير بن بكار «زبير» بدون تعريف . كما أنه ذكر (ص ٨٩ و ١٣٦ و ١٥٧ - ١٥٩ وبعض حواشي هذه الصفحات) المؤلف وكيع وسماه «ابن وكيع» . أما الماوردي فقد صار اسمه «أبي بن محمد» (ص ١٨٩) وابن أبي الحديد سماه الباحث (ص ٩ ، ٨٨ و ١٠٤) ابن أبي «حديد» ، وأبو الفرج الأصبهاني سماه (ص ١١) أبا «فرج» .

أما ابن الزبير فقد سقطت كلمة «ابن» من اسمه في عدة مواضع (ص ٤٤ - السطر ٤ و ٥ و ص ٥٠ - السطر ١٥)، وقد أدى ذلك إلى خلل في معرفة الشخص المقصود، ومثله ابن الأشعث فقد صار (٥٣ - السطر ٥) الأشعث. وفي (ص ٨٩ - السطر الأخير) سمى الحسن البصري «حسن» بدون تعريف، في حين عرّف (ص ١٢٣ - السطر ١٠) بإضافة (ال) لاسم مروان بن الحكم فصار «المروان» وسمى بلال بن أبي بردة بن موسى الأشعري (ص ١٠٧ - السطر ١٤ و ص ١٥٥ - السطر ٦) والصحيح أن جده هو «أبو موسى الأشعري». وذكر (ص ١٢٣ حاشية ٥٤) الشاعر زياد الأعجم<sup>(١٠)</sup> باسم زياد بن العجم. وكذلك ورد (ص ١٣١) ذكر سعيد بن عثمان الوالي على بخاري ثم ورد اسمه مرتين على أنه «سعد»<sup>(١١)</sup> وفي ترجمة ابن وهب (ص ١٧٧) ورد اسم جده «سليمان» ثم صار «أبو سليمان» فإيهما الصحيح؟! ٤٣ - جرى العرف منهجياً أن نذكر تواريخ وفيات المؤلفين إزاء أسمائهم عند إدراجها في كشف المصادر، ليتسنى للقارئ أن يتعرف على مدى قرب المؤلفين من الأحداث التي يؤرخونها، ولكن الباحث أهمل هذه النقطة، ومن الملاحظات المتعلقة بكشف المصادر أنه ذكر (ص ١٨٧) ابن الأثير علي بن محمد إزاء مصنفه «الكامل» وأتبعه بذكر «ابن الأثير» دون ذكر اسمه، أو إيراد إشارة تفيد أنه علي بن محمد نفسه، وذكر إزاءه كتاب «أسد الغابة». في الواقع أن أبناء الأثير ثلاثة، ولذلك فإن عدم ذكر أسمائهم كاملة قد يؤدي إلى تشويش القارئ وذكر الباحث في هذا «الكشف» (ص ١٨٨) كتاب «الإمامة والسياسة» ضمن مؤلفات ابن قتيبة، دون أن ينبه إلى ما انعقد عليه إجماع الباحثين من كون هذا الكتاب منسوباً إلى ابن قتيبة وليس له. وذكر أيضاً في

الكشف (ص ١٩١) الموسوعة الإسلامية في طبعتها الثانية ولا شيء غير ذلك ،  
خلافاً لما جرى عليه العمل لدى الباحثين من ضرورة ذكر عنوان المقال الذي تم  
الرجوع إليه واسم كاتبه ، لأن الموسوعة هي مجموعة من المقالات بأقلام متعددة ،  
وتقوم أهمية المقال على شخصية كاتبه ، شأنها شأن المجلات العلمية .

٤٤ - لا يفتن الباحث إلى التناقض الذي يقع فيه أحياناً ، فنجد (ص ٥٤)  
ينقل عن وكيع (ج ٢ ص ٢٧) أن بلال بن أبي بردة الذي كان يتوق لتولي  
منصب كبير في خلافة عمر بن عبد العزيز ، قد وعد العميل الذي دسه له  
عمر ، بأنه سينفحه بمبلغ كبير إن هو عُيِّن في المنصب الذي يريد ، بينما نجد  
(ص ١٥٤) ينقل عن وكيع في الجزء نفسه والصفحة نفسها أن بلالاً قد  
وضع في يد العميل المذكور مبلغاً من المال . ولم يحاول الباحث التوفيق بين  
الروایتين كأن يقول إن مصادر أخرى ، كالذهبي وابن حجر هما اللذان ذكرا  
ذلك ليبريء نفسه ويبريء وكيع من تهمة التناقض .

٤٥ - ذكر الباحث (ص ١٧٧) في ترجمة ابن وهب ، أنه برز من عشيرته رجال  
أكفاء ساهموا في إدارة الدولة الإسلامية منذ عهد عمر بن الخطاب ، ولكنه لم يقل  
لنا من هي عشيرته ؟ كما لم يذكر أحداً من أولئك الأكفاء على سبيل المثال !!

٤٦ - أخطأ الباحث في جعل الفقرة المتعلقة بشرطة الخميس (ص ١٨٣ -  
١٨٤) ملحقة ، إذ إنها ليست نصاً بحد ذاتها منقولاً عن مصدر واحد ، وإنما  
هي مجموعة من المعلومات التي استقاها الباحث من مختلف المصادر كابن  
النديم والكشي والبرقي وابن حجر ، وقد ناقشها الباحث . ومثل هذه الأمور لا  
يصح أن تكون ملحقة ، وقد كان بوسع - إذا رأى ضرورة لذلك - أن يضعها  
ضمن الفقرة المخصصة للشرطة في عهد الإمام على رضي الله عنه .

٤٧ - وأخيراً كان من واجب المؤلف أن يذكر عنوان الكتاب باللغة الإنكليزية ما دام هو أطروحة، وبين بوضوح الدرجة التي حصل عليها والجامعة التي منحته الدرجة، وتاريخ ذلك واسم الأستاذ المشرف، لكي يسهل على القراء الذين يهمهم الرجوع إليها بلغتها الأصلية، أن يصلوا إليها.

### ثانياً - الملاحظات المتعلقة بالترجمة

قبل إيراد الملاحظات المتعلقة بالترجمة لا بد لي من التأكيد مرة أخرى من أن المترجم كان بصورة عامة موفقاً جداً في نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية، حتى ليظن القارئ (الذي لا يعلم أنه كتاب مترجم) أنه مكتوب باللغة العربية أصلاً. فقد تمكن المترجم من تخطي العقبات ولا سيما عقبات صياغة العبارات الإنكليزية بصيغة عربية سليمة. ومع ذلك فإن لي بعض الملاحظات التي رأيت من المفيد إيرادها لفائدة القراء:

١ - لم يتفضل المترجم بكتابة مقدمة وفقاً لما جرى عليه العرف لدى المترجمين، يبين فيها العوامل التي دفعته إلى ترجمة الكتاب وبيان أهميته، وما هي الصعوبات التي واجهته - إن وجدت - وعما إذا كان قد رجع إلى الأصول التي اعتمد عليها المؤلف أم لا، وغير ذلك مما ينبغي بيانه في المقدمات.

٢ - لو لم يرد في خلاصة المؤلف (ص ٧) من أن الكتاب أطروحة، لما علمنا أنه أطروحة جامعية. ولكن المؤلف - كما أسلفنا - لم يذكر عنوان الأطروحة باللغة الإنكليزية ولا الجامعة التي قدمت إليها والأستاذ الذي أشرف عليها والسنة التي أجزت فيها، وغير ذلك مما يسهل على القارئ الذي يهمه الرجوع إليها مباشرة. ومثل هذا النقص لم يعمل المترجم على تلافيه.

٣- لم يقيم المترجم باستدراك ما فات على المؤلف أو بالتعليق على ما يحتاج إلى تعليق أو تصحيح ما ينبغي تصحيحه، لا سيما وأن المترجم الفاضل مؤهل جداً للقيام بهذه المهمة، إذ هو أستاذ في قسم العلوم السياسية، ثم إنه تولى تحقيق أهم كتاب عربي في تاريخ النظم الإسلامية، وهو الأحكام السلطانية للماوردي. وهكذا جاءت الترجمة خالية من التعليقات والتصويبات، خلافاً للمعتاد.

٤- ترجم الدكتور البغدادي (ص ١٥) كلمة JUDICIARE الفرنسية بـ «القانونية» وصحتها «القضائية»

٦- ورد (ص ٢٢) ذكر زرادشت ولكن المترجم سماه «الزرادشت» خلافاً للمتداول.

٧- خص المترجم (ص ٣٣ و ٧٧) المؤلف الهندي السيد أمير علي بلقب «العالم» دون غيره، ولا أعرف ما هو الأصل الإنكليزي لهذا «اللقب»، ولعله SCHOLAR. وفي ظني أن الترجمة المناسبة هي «الباحث». أما إذا كان المترجم يصر على كلمة «عالم» فإن هناك من يستحقها أيضاً، وهو جرجي زيدان الذي سماه المترجم أو المؤلف «المؤرخ المعاصر»، وهو بلا شك مؤرخ ولكنه ليس معاصراً إذ توفي جرجي زيدان في سنة ١٩١٤م وهو على أي حال يستحق لقب «العالم»، لكن لم تجر العادة على إطلاق مثل هذه الصفة على المؤلفين في البحوث العلمية.

٨- لم يوفق المترجم أحياناً في الإتيان بالكلمة المناسبة، من ذلك مثلاً «عند ذكر المسجد الكبير (ص ١١١ - السطر ٦ و ص ١١٤ - السطر ٩) إذ كان يسميه المسجد الذي يصلي فيه العامة أو المسجد العام، ولعل الصحيح أن نقول «المسجد الجامع».



٩ - توهم المترجم أن كلمة (ANON) الواردة في (ص ١٦٧ حاشية ٢) هي اسم مؤلف كتاب «أخبارالدولة العباسية» الذي حققه الدكتور عبد العزيز الدوري، فعُرب الكلمة إلى (أنون)، وقد فاته أن المقصود بها هو أن المؤلف مجهول، وهو ما يرمز إليه بالإنكليزية بكلمة ANONYMOUSX وقد سبق له أن ترجم في (ص ١٣٩ حاشية ١٠) شيئاً مماثلاً فذكر (توتال) على أنه اسم المؤلف لقاموس «المنجد»، في حين أن مؤلفه هو لويس معلوف الوارد ذكره في كشف المراجع (ص ١٩٢)، هذا ولم أهتم إلى سبب ورود كلمة (توتال) مقرونة بقاموس «المنجد»، مما يحتملني على الظن أن خلا مطبعياً قد وقع في هذا الموضوع.

١٠ - عند الإشارة إلى مقدمة كتاب «البرهان» في (ص ١٧٧ حاشية ١) ظن المترجم أن حرف K الوارد في اسم أحد محققي الكتاب المذكور، أنه يرمز إلى حرف (ك) وقد فاته أنه يرمز إلى حرف (خ) من اسم خديجة الحديثي، وتكرر هذا الخطأ (ص ١٨٩). ووقع خطأ مماثل عند الإشارة في (ص ١٨٦) إلى كتاب «أخبار الدولة العباسية» آنف الذكر، عندما ظن المترجم أن حرف A الوارد في اسم أحد محققي الكتاب المذكور يرمز إلى حرف (أ) بينما هو في الواقع حرف (ع) من اسم عبد الجبار المطلبي.

١١ - يبدو أن المترجم أبقى ترتيب الأسماء في كشف المصادر الأصلية والحديثة، على ما هو عليه في الأصل الإنكليزي، مما أدى إلى خلل في الترتيب وفقاً للحروف العربية، من ذلك مثلاً تقدمت أسماء من تبدأ أسماؤهم بحرف (م) على من تبدأ أسماؤهم بحرف (ت) وتقديم حرف القاف على حرف الراء (ص ١٩٠). وقد أدى ذلك أيضاً إلى تأخير أسماء المؤلفين الذين تبدأ أسماؤهم بحرف (ز) إلى آخر الكشف (ص ١٩١ و ١٩٢)، لأن حرف Z اللاتيني آخر الحروف. وقد كان من واجب المترجم إعادة ترتيب الأسماء وفقاً لترتيب الحروف



المهجائية العربية ليسهل على القارئ مراجعة الكشف، وعملاً بما هو جار في المؤلفات العربية.

١٢ - أبقى المترجم كشف المصادر الحديثة (المراجع) على حاله، مع أنه خليط من مراجع عربية وأخرى أجنبية (ص ١٩١ - ١٩٢) بينما جرى العرف على فصل المراجع الأجنبية في كشف مستقل وترتيبها ترتيباً حسب حروفها اللاتينية، وهو ترتيب يختلف - كما رأينا آنفاً - عن ترتيب الحروف العربية. ولكن المترجم لم يفعل مما أدى إلى اختلاطها.

١٣ - وقعت في الكتاب أخطاء لغوية سنذكر بعضها على انفراد لأهميتها ثم نتبعها بكشف بالأخطاء التي هي دونها في الأهمية. ولا شك أن الأخطاء اللغوية تعود مسؤوليتها على المترجم ثم المراجع من بعده. وهذا بيانها:

أ - وقع المترجم في خطأ شائع إذ جمع بين مضافين إلى مضاف إليه واحد، كما في الأمثلة الآتية:

ص ١٧ - السطر ١٥ في عبارة «شمال ووسط شبه الجزيرة» وصحتها «شمال شبه الجزيرة ووسطها».

ص ٣٣ - السطر ١١ في عبارة «بتجميع وتنظيم القادريين على القتال» والصحيح بتجميع القادريين على القتال وتنظيمهم.

ص ٧٢ - السطر ٦ في عبارة «تقبل وتفهم ما قام به» وصحتها «تقبل ما قام به وتفهمه».

ص ١٢١ - السطر ١٦ في عبارة «خارج أو داخل المدينة» وصحتها «خارج المدينة أو داخلها».

ص ١٣٢ - السطر ١٥ في عبارة «قبل أو في أثناء» والصحيح «قبل ذلك أو في أثناء».

ص ١٤٢ - السطر ٨ في عبارة «قوة وهيبة مصعب» والصحيح «قوة مصعب وهيبته».

ص ١٤٤ - السطر ٥ في عبارة «أهمية ومكانة الضحاك» وصحتها «أهمية الضحاك ومكانته».

ويشبه ذلك ما وقع (ص ٥٤ سطر ١٩) في عبارة «تباع أو تشرب فيها الخمر» وصحتها «تباع الخمر فيها أو تشرب».

د- ومن الأخطاء الشائعة استخدام المترجم لصيغة «توافر يتوافر المتوافر» وصحتها «توفر» بدون حرف الألف، ومثلها استخدام كلمة «التواجد» بمعنى الوجود، في حين أن للتواجد معنى آخر هو إظهار الوجود، وهو من مصطلحات الصوفية (انظر ص ١١ - السطر ٩ وص ٥٩ - السطر ٤ و ٧ و ٩ و ص ٧٩ - السطر ٤ وص ١٢١ - السطر ١٠ وص ١٢٢ - السطر ٨ وص ١٢٩ - السطر ٢٠ وص ١٣٥ - السطر ٣ وص ١٤٨ - السطر ٣ بخصوص الصيغة الأولى. وبالنسبة للثانية انظر ص ٦٨ - السطر ٢ وص ٨١ - السطر ١٠ و ١٧ وص ١٠٤ - السطر ٧ وص ١٤٢ - السطر ١٠ وص ١٦٠ - السطر ١٤).

د- استخدم المترجم (ص ٦١ - السطر ٢١ وص ١٠٤ - السطر ١٧) عبارة «لا يجب» بمعنى «لا يجوز»، في حين أن عدم الوجوب يعني «الجواز»، وكان الأفضل القول «ولا ينبغي» بدلا منها.

ث- وقع في (ص ١٠٣ حاشية ١١٢) خلل في قافية البيت الأول في كلمة (ذاك) إذ هي لا تتفق وقافية البيت الثاني في كلمة (بارك)، ولعل الكلمة المناسبة هي (ذلك)، وبها يستقيم الوزن.

ج- استعمل المترجم في كثير من المواضع مثل (ص ٢٣ - السطر ١٢ و ص

٦٨ - السطر ١١ و ص ١٠٩ - السطر ١٢ و ص ١٤٣ السطر ١٥ و ص ١٤٤ - السطر ١١) صيغة «الرئيسية والرئيسي» وما إليها ، ويقصد بها «الكبرى والأكبر» وصحتها «الرئيسة والرئيس» بدون ياء النسبة ، لأننا هنا لا ننسب شيئاً إلى رئيس معين ، وإنما قصدنا الإشارة إلى شيء كبير أو أساسي .

ح - نؤن المترجم (ص ٢٩ - السطر ٤) اسم عمر بن الخطاب فسماه (عمرأ) وهو من الأسماء التي لا تقبل التنوين ، أما إذا لحقه التنوين فهو «عمرو» . في حين أن المترجم في (ص ٣٦ - السطر ١٤) لم ينون (عمرو) ، بل حذف الواو وكفى !!

خ - ورد في (ص ٢٩ - السطر ٧) تفسير لكلمة «درة» على أنها «السوط» ، وليس واضحاً هل هذا «التفسير من عمل المؤلف أم أنه من المترجم . والمعروف أن الدرة هي عبارة عن عصا قصيرة بخلاف السوط .

د - ورد في (ص ١١ - السطر الأخير) الإشارة إلى مؤلف يزودنا بالمعلومات حول مصر ، وذلك في عبارة «على غرار الذي يزودنا بكثير من المعلومات عن مصر الخ . . .» ، ولم يرد ذكر أي شيء عن ذلك المؤلف ، مما أدى إلى غموض هذه العبارة ، ولم يحاول المترجم تفسير ذلك الغموض .

ذ - أدرج فيما يأتي الأخطاء اللغوية التي تقل في الأهمية عما سبق:

ص	س	خطأ	صواب
٣٢	٩	علبا	علي
٣٧	٤	البوابون	البوابين
٣٨	١	مؤيدوا	مؤيدو
٣٨	٨	افتلات	انفلات
٤٩	٢	بفوضية	فوضى
٦١	٢٠	شروطاً	شروط
٧٢	١٧	بل لا	بل
٧٣	الأخير	قيسا	قيس
٧٤	١٨	أبونائل	أباناائل
٨٠	١٥	تاوي	تؤوي
٨٢	٦	ياوي	يؤوي
٩٣	حاشية ٧٣	فسلو	فسلوا
١٠٥	٥	لانباء	لأبني
١١٢	١٠	دعى	دعا
١١٧	١	مجال خاص	مجالاً خاصاً
١١٧	١	غرض خاص خصص	غرضاً خاصاً خصصاً
١١٨	١٧	بغيره	بغيرهم
١٤٧	٧	يتنمي	يمت
١٤٨	٣	قادرين	قادرين
١٤٩	٤	عمرا	عمرو
١٤٩	١٦	عمرو	عمرا
١٥٤	٩	مخلصاً	مخلص
١٥٦	١٠	بلالاً	بلال
١٥٩	١٤	يرافق	يرافقان
١٦٠	٥	موقعاً أو إقطاعاً خاصاً	موقع أو إقطاع خاص
١٦٠	الأخير	يستعفى	يُعفى
١٦٣	٣	واليا جديداً	وال جديد
١٦٩	١٧	احتوت	يقطنها
١٧٧	٩	حديث	قريب

## ١٤ - الأغلط المطبعية

ص	س	خطأ	صواب
١٧	١٧	بذل	بدل
١٨	٢٠	يعدو	يعود
١٩١	٦	ASHORT	A/SHORT
٣٣	حاشية ٣٤	ASHORT	A/SHORT
٣٩	١٨	صاحبة	صاحب
٥٩	١٥ و ١٦	الاشعت	الأشعت
٦٣	١٧	أببة	أبيه
٦٣	ح ١٦	الشرطة	صاحب الشرطة
٦٨	٩	السلمين	المسلمين
٧٠	١١	بني كعب	بني عبس
٨٢	١١	بني سعد	آل الزبير
٨٣	ح ٢٨	سارق	سارق الكفن
٨٤	٢	بين	بن
١١٣	٢٠	ويرى	ويروي
١٦٠	٤	ويرى	ويروي
١١٤	ح ١٣	لواسط	لواسطة
١١٨	٩	متهجناً	مستهجناً
١٢٨	٦ و ٢	ويرى	ويروي
١٢٨	١٢	الريان	بن الريان
١٣٠	١١	السيابجة	السيابجة
١٣٣	١	من الكوفة	في الكوفة
١٤٠	١٣	مصعب لمعاوية	معاوية
١٤١	٨	ابن	بن
١٤١	١٣	الهدف	تحقيق الهدف
١٤٦	١٢	أحد أعضاء	أحد
١٥١	٤	يستند	يستلذ
١٨٧	٢٢	جيب	حيب

# الموسوعات وأهميتها في التطور الثقافي والعلمي

للأستاذ عبد الله بن حمد الحقييل

الموسوعات ودوائر المعارف هي خلاصة جهود العلماء والباحثين وتبين ما بذله أولئك من عطاء في مختلف ألوان العلوم وضروب المعرفة وصنوف الثقافة، وهي دليل على اتساع آفاق المعرفة في كل اتجاه كما أنها تقوم بجمع وحصر المعارف المتجددة، فهي ثمرة تجربة متميزة ومن المصادر الأساسية للعلماء والباحثين تضافرت عليها جهود العديد من العلماء والمفكرين بعد دراسات مستفيضة.



وللموسوعات أهمية عظمى ودور بالغ في التطور الثقافي والعلمي  
وللباحثين الذين يسعون إلى الدراسة العميقة المستوعبة بل هي من الركائز  
المهمة للنهضة والمعرفة لأنها تتسم بالشمول والإحاطة الدقيقة بكل جوانب  
وأبعاد الموضوع محل البحث والدراسة، وعمل الموسوعات يحتاج إلى جهد  
شاق وعمل متواصل ونشاط فعال يتميز بالدقة والبحث ووضع الإطار السليم  
للتنفيذ لأنها تقدم للباحث والدارس ما يريد أن يصل إليه ويتعرف على جوانبه  
وتفاصيله . . وقد تبين من الدراسات التي تناولت هذا الجانب أن عمل  
الموسوعات يطول مداه، وربما تطوى فيه أعمار دون أن تدرك غايته ومنتهاه،  
ومن أجل ذلك فلا بد من تقدير وإدراك الأبعاد المتعددة وتجميع المعلومات  
والدراسات وتحديد أهداف العمل من خلال البحث ووضع الخطط اللازمة  
لذلك، ورسم إطار التنفيذ . .

ولتحديد مفهوم الموسوعة على مصنف ما فلا بد أن يكون ذلك المصنف  
جامعاً شاملاً لكل مصطلحات المعارف الإنسانية، أو على الأقل شاملاً لأكثر  
مجموعة منها، بمعنى أن يكون ذلك المصنف شاملاً للتعريف والمصطلحات  
لكل المعارف والعلوم والفنون والآداب التي تتناولها الأمم والشعوب في مراحل  
تاريخها وحضاراتها وهذا يتطلب المتابعة المستمرة والسريعة لملاحقة ذلك التطور  
المذهل في شتى فروع المعرفة والعلوم .

وبهذا المفهوم فإن الموضوعات أشمل في موضوعها من المعاجم وأوسع إطاراً؛  
ذلك لأن المعاجم تقتصر في منهجها على توضيح مصطلحات وتعريف علم  
معين دون غيره من العلوم كمعاجم البلدان أو اللغة أو التاريخ . .

أما الموسوعة فهي تقدم للباحث زاداً موفوراً من المعرفة وقد تغني القارئ عن  
السعي إلى الحصول على مراجع أخرى لاستكمال معرفته بها . .



ولكي تكون الموسوعة هدفا للعلماء فلا بد من جهد علمي صادق وبحوث ودراسات متواصلة إلى جانب شمولها لروافد المعرفة والمتابعة المستمرة والسريعة للملاحقة ذلك التطور العلمي ورصده وتسميته ومراجعته من قبل الباحثين ، ولقد صدرت في الأعوام الأخيرة الكثير من دوائر المعارف والموسوعات في موضوعات متخصصة وتتميز من بينها دائرة المعارف البريطانية . . ودائرة المعارف ماكجروهيل .

وسوف يتوالى صدور العديد من دوائر المعارف المتنوعة حيث برزت حركة موسوعية في العالم العربي في مصر ولبنان تحرص على العناية بالتراث العربي الإسلامي في شتى الميادين ، ولقد سبق أن ألف أسلافنا كتباً عن الأدب وأخرى عن اللغة والتاريخ بشكل موسوعي كما هو في كتب الجاحظ والقلقشندي وابن منظور والنويري وابن النديم وابن حزم وأصحاب كتب المعاجم وأعلام الرجال . ولقد أخذ العرب يحاولون اليوم أن يأخذوا دورهم في اللحاق بالركب ، فبدأت مجموعة من العلماء في نهاية القرن الماضي في التأليف على نمط دوائر المعارف كدائرة المعارف التي أصدرها البستاني ، وواصل أبنائه من بعده إصدارها . . ودائرة معارف القرن الرابع عشر لمحمد فريد وجدي وأحمد زكي باشا ، حيث أصدرنا موسوعة العلوم العربية وقد طبعت في مصر عام ١٣٠٨ هـ .

كما أن المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم تزمع إصدار الموسوعة العربية الكبرى . . وكذا المجمع العلمي الأردني يعتزم إصدار موسوعة الحضارة الإسلامية وتراثها وكذا الموسوعة العربية في سورية وغيرها . . وتقديم ذلك مقدمة علمية ومنهجية . .

وفي سبيل تحقيق الأهداف العلمية وبلادنا اليوم يتوافر فيها بفضل الله خيرة الأساتذة والباحثين ممن هو قمين بالعمل في هذا المجال ولتحقيق الأهداف المرجوة

فكم يكون جميلاً ومناسباً وضع دراسة لإنشاء دائرة المعارف العربية الإسلامية بحيث تكون شاملة ومستدركة ما فات مع الانتفاع بآراء الباحثين ووجهات نظرهم مما استجد من المعارف والعلوم ولكي تصدر متكاملة أو قريبة إلى الكمال فلا يؤمن تقويمها بالنقد وإثرائها بالمراجعة والبحث والتوجيه والتوجيه حتى تخرج متميزة ومتفردة وتختلف عن غيرها من المعارف بحيث تنسم بالموضوعية والاهتمام بالإطار العلمي للموضوع .

وندعو الله أن يعين الجميع على تحقيق هذا الهدف العلمي العظيم فما زال الفراغ في المكتبة العربية قائماً والحاجة ماسة إلى دائرة معارف يكتب مادتها علماء متخصصون في شتى فروع المعرفة والحضارة العربية الإسلامية وتراثها الغني الغزير .

وهذا ولا شك يستدعي التعاون ، وتوثيق الصلات مع أقطار العالم العربي والإسلامي والأجنبي لتحقيق دائرة المعارف ، بحيث تولي اهتماماً خاصاً بالحضارة العربية والإسلامية ، ومن شاركوا في ازدهارها ولتقدم روائع المعرفة وخلاصة البحوث العلمية المتعلقة بالحضارة العربية والإسلامية . . وتحقيق الرسالة التي اضطلعت بها هذه البلاد وهي الاهتمام بالتراث الذي هو حصيلة فكر الأمة وتجاربها وتاريخها والعمل في هذا الميدان وفاء للأسلاف وإحساناً للأجيال اللاحقة وبذلك تكون عوناً لجمهرة المثقفين ومرشداً وخدمة للعلم وإثراء للمعرفة ومعطيات تراثنا العربي والإسلامي المجيد وما يحفل به من الكنوز الثمينة في شتى حقوله المعرفية وإثراء الساحة الثقافية بكل مفيد . .

حقق الله الآمال ووفق الجميع .



• غلاف الكتاب •

# التاريخ الدبلوماسي للمغرب

( من أقدام العصور إلى اليوم )

تأليف : د. عبد الهادي التازي

عرض أ. عبد الله بن إبراهيم الحقييل

موسوعة تقع في عشرة مجلدات من الحجم الكبير ألفها الدكتور عبد الهادي التازي عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، وعضو المجمع العراقي، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ودمشق، وعضو أكاديمية المملكة المغربية.

خصص المجلدين الأول والثاني للمقدمة: حيث أبرز العناصر التي استرعت نظره وهو يحرر أبواب الكتاب وفصوله: هنا حديث عن مصادر



التاريخ الدولي للمغرب، وحديث عن أصالة الممارسة المغربية في باب التعامل مع الممالك، والدول، وهنا حديث عن قيام المغرب بمساعييه الحميدة بين الدول منذ العصر الوسيط إلى اليوم - حديث عن السفراء المغاربة القدامى واهتماماتهم ومذكراتهم . وأهداف السفارات ودور الشعور في تسجيل الحدث السياسي - اللغة العربية بوصفها لغة أساسية لتحرير الاتفاقيات والخطابات، وهنا حديث عن الرموز السرية المتبعة في المراسلات، وحديث عن العواصم الدبلوماسية المغربية - انطباعات الزوار الأجانب عن المغرب - الأسطول المغربي - وسائل المواصلات ووسائل الإعلام .

ويتناول المجلد الثالث موضوع: المغرب في حديث الأقدمين - والعلاقات المغربية الأولى مع غيره من الأمم - والمغرب وظهور الإسلام . . .

ويتناول المجلد الرابع ظهور الدولة الإسلامية الأولى بالمغرب وعلاقات الملوك الأدارسة بملوك الأمم الأخرى . . . وهنا حديث عن الصراع العُبَيْدِي والأُمَوِي على المغرب .

ويتناول المجلد الخامس الحديث عن دولة المرابطين وعلاقاتها بباقي ممالك إفريقيا . . . ثم علاقتها بممالك الحوض المتوسط والخلافة في بغداد .

ويتناول المجلد السادس العلاقات الدولية للمغرب في عصر الموحدين : مع باقي ممالك إفريقية - مع قشتالة والبرتغال وممالك وجمهوريات الحوض المتوسط - الاتفاقيات المبرمة - الصلات مع الخلافة في المشرق . . .

أما المجلد السابع فقد اختص بتاريخ العلاقات الدولية للمغرب أيام بني مرين وبني وطاس .

ويتناول المجلد الثامن علاقة السعديين بالعثمانيين وعلاقتهم بالبرتغال وإسبانيا وفرنسا وإنجلترا وجمهوريات البحر المتوسط .

أما المجلدان التاسع والعاشر فهما يتناولان الفترة الأولى من تاريخ الدولة العلوية، ابتداءً من القرن الحادي عشر الهجري = السابع عشر الميلادي، وهي ثرية بما تزخر به من وثائق سواء منها ما هو موجود بالمغرب أو ما هو موزع في أرشيفات عواصم القارات الخمس.

لقد كان للمغرب مع كل دولة من دول العالم، وبدون استثناء، علاقات جيدة، هناك عدد من المراسلات، وهناك طائفة من الاتفاقيات التي ربطت المغرب بالمجموعة الدولية والتي نجد أثرها في كل مكان . . .

وعندما يتحدث المجلد العاشر عن الأزمة التي عرفها المغرب نتيجةً لمناصرته للجزائر في أعقاب احتلالها ١٨٣٠، يتحدث عن فترة الحماية الفرنسية ١٩١٢ التي تميزت بالمقاومة الوطنية الشرسة التي بلغت قمته عندما نفى الملك محمد الخامس وأسرته، وألقي بالزعماء الوطنيين في السجون . . .

ويخلص هذا الفصل إلى الحديث عن عودة الملك محمد الخامس إلى عرشه وبالتالي عودة المغرب إلى حياته الأولى التي بدأت بها هذه الموسوعة. ويستمر المجلد العاشر في استعراض العلاقات الدولية للمغرب وعمله المتميز في حظيرة الأسرة الدولية وعلى صعيد المجموعة الأوروبية، والعلاقات الإسلامية والعربية والإفريقية وخاصةً مع دول المغرب التي ربطها منذ اليوم ميثاق اتحاد المغرب العربي . . .

« . . . لقد كان قصدي من كتابة هذا التاريخ - يقول المؤلف - أن أسهم بالتعريف ببلادي التي قدمت للمجموعة الدولية، عبر التاريخ، عطاءً أسهم في ازدهار الإنسانية ورخائها ورفاهها . . . »

الكتاب يقع في ثلاثة آلاف وثلاث مئة صفحة من الحجم الكبير ومزود بعدد كبير من الوثائق والرسوم والصور والخرائط وقد طبع على ورق صقيل بمطابع المحمدية، فضالة سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م . . .

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين

صاحب السمو الملكي

الأمير سلطان

ابن عبد العزيز



«حفظه الله»

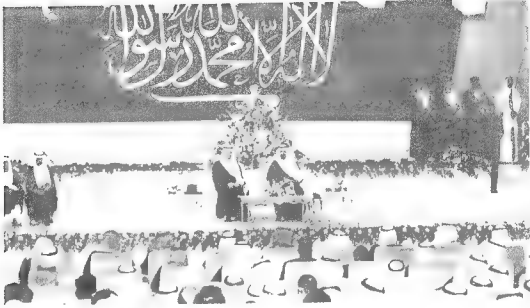
سلم جائزة الملك فيصل العالمية

للفائزين بها

في مساء يوم الثلاثاء ٣٠ من شهر شوال ١٤١١ هـ، الموافق ١٤  
من شهر مايو ١٩٩١ م، نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك  
فهد بن عبد العزيز «حفظه الله» سلم صاحب السمو الملكي الأمير  
سلطان بن عبد العزيز «حفظه الله» النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، ووزير  
الدفاع والطيران، والمتنش العام، جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤١١ هـ،  
للفائزين بها وهم:



- ١ - د. عبد الله عمر نصيف «سعودي». «في خدمة الإسلام»
- ٢ - الأستاذ أحمد محمود نجيب «مصري». «بالاشتراك في الأدب العربي للأطفال»
- ٣ - الأستاذ عبد التواب يوسف أحمد «مصري».
- ٤ - الأستاذ علي عبد القادر الصقلي «مغربي».



أما في مجالات الدراسات الإسلامية، والطب، والعلوم، فقد قررت لجان الاختيار حجب الجائزة في كل منها هذا العام، لأن الأعمال المرشحة فيها لا ترقى إلى مستوى الجائزة.

كما تقرر أن تكون موضوعات الجائزة في السنة المقبلة - بإذن الله تعالى -  
١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، كما يلي:

- أ - في الدراسات الإسلامية: «الدراسات التي تناولت تأصيل منهج البحث في الدراسات الإسلامية المعاصرة».
- ب - في الأدب العربي:

«ترجمات الدراسات الأدبية والنقدية إلى اللغة العربية» .

ج- في الطب :

«أمراض شرايين القلب التاجية» .

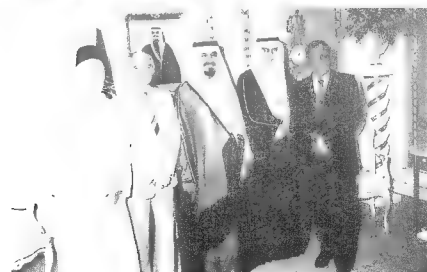
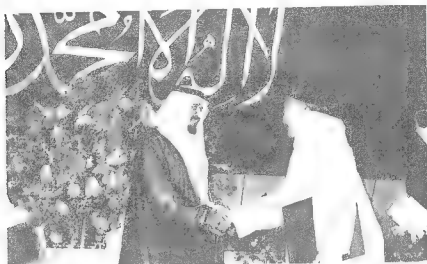
د- في العلوم :

علم الحياة (البيولوجيا) .

**لقطات من حفل جائزة الملك فيصل العالمية لعام ٢٠١٤هـ.**









*King Faisal International Prize 1991 A.D. "p. 250"*

*The writers' views do not necessarily reflect  
those of the magazine.*

#### Annual Subscriptions

- Saudi Arabia : 20 Riyals.
- Arab Countries : The equivalent  
of 4 issues prices : SR 20.
- Non-Arab Countries : US . 6\$

- Articles can not be returned to  
authors whether published or not.
- Articles are arranged technically  
regardless of the writer's prestige.

#### ● PRICE PER ISSUE ●

- |                |               |                      |                |
|----------------|---------------|----------------------|----------------|
| - Saudi Arabia | : 3 Riyals    | - Morocco            | : 5 Dirhams    |
| - U.A.E.       | : 4 Dirhams   | - Tunisia            | : 400 Millimes |
| - Qatar        | : 4 Riyals    | - Non-Arab Countries | : 1 U.S.\$     |
| - Egypt        | : 40 Piastres |                      |                |

#### ● Distributors ●

**Saudi Arabia :** Saudi Distribution Co.

✉ 13195, Jeddah 21493

☎ 6694700

**Abu-Dhabi :** ✉ 3778, Abu Dhabi.

☎ : 323011

**Dhubai :** Dar-Al-Hikma Library.

✉ 2007, ☎ : 228552

**Qatar :** Dar-Al-Thakafa,

✉ 323, ☎ : 413180

**Bahrain :** Al-Hilal Distributing Est.,

Manama, ✉ 224, ☎ : 262026

**Egypt:** Al-Ahram Distributing Est.,

Al-Gala'a Street, Cairo, ☎ : 755500

**Tunisia :** The Tunisian Distributing Company 5,  
Nahg Kartaj.

**Morocco :** Al-Sharifia Distributing Company,

✉ 683, Casablanca, 05.

### **EDITOR-IN-CHIEF**

**Mohammad Hussein Zeidan**

Director General of "ABDARAH" and  
Secretary General of King Abdul Aziz Research Centre

**Abdullah Hamad Al-Hoqail**

### **Editorial Board**

**DR. MANSOUR IBRAHIM AL-HAZMI**

**ABDULLAH ABDUL AZIZ BIN EDRIS**

**DR. ABDUL-RAHMAN AL-TAYYEB AL-ANSARI**

**DR. ABDULLAH AL-SALEH AL-UTHAYMEEN**

**DR. MOHAMMAD AL-SULAYMAN AL-SUDAIS**

### **Editorial and Technical Secretary**

**MUSTAFA AMIN JAHIN**

#### Articles

Articles should be  
directed to the  
Editor-in-chief

☎ : 4417020

#### Editorial Board

All Correspondence  
should be directed to:

☎ : 4412315 . 4413944

Fax 4412316

#### Subscriptions

Subscriptions should  
be directed to king  
Abdul Aziz research  
centre



IN THE NAME OF ALLAH  
THE MERCIFUL, THE BENEFICENT



An Academic Quarterly Issued by:  
King Abdul Aziz Research Center - Riyadh

## King Abdul Aziz Research Centre - Riyadh

- Established by a Royal decree No. M/45 dated 5/8/1392 A.H. as an autonomous body with independent juristic identity
  - Run by a Board of Directors vested with full authority to have its objectives materialized.
- objectives :

- To further studies pertaining to the history of the Kingdom, its geography, literature, intellectual and cultural heritage in particular as well as those of the Arab and Islamic world in general.

- To issue a cultural magazine carrying its name.

### ADDARAH.

- In accordance with the Royal approval No. 5/12608 dated 20/5/1396 A.H. the Centre has become the home of the National Saudi Archives and Manuscripts.

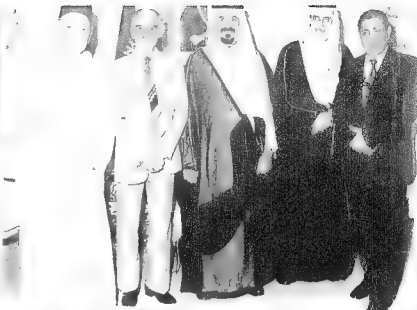
No. "2" • Year <<17>> • Aug, Sep, Oct. 1993

P.O.Box 2945 Riyadh 11461 Kingdom of Saudi Arabia

Facsimile No : 00/966/1/4417020

تشرين الأول

General Organization of the  
Library (GOAL)





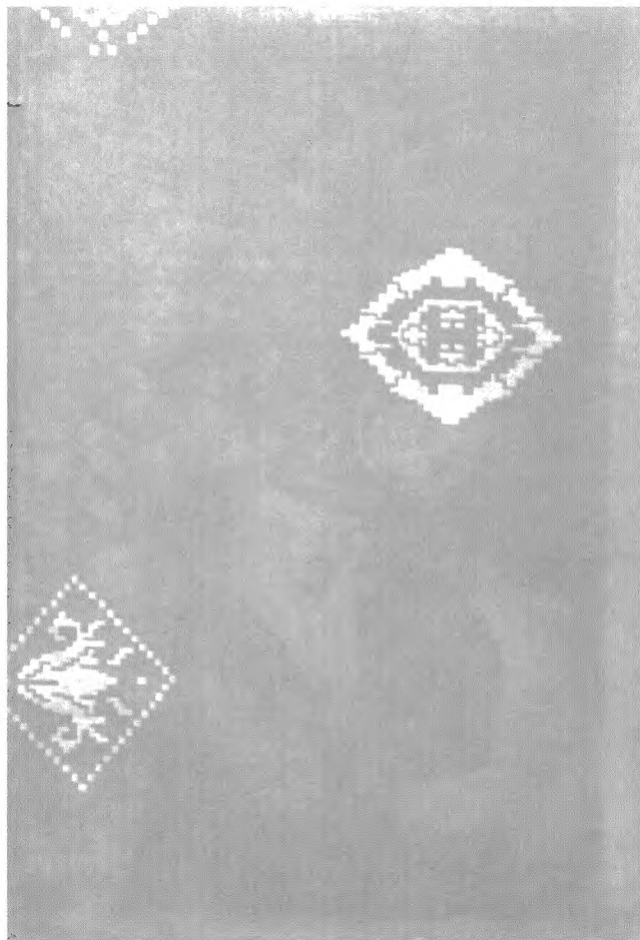
# مؤثرات

التي تتركها على المجتمع والثقافة والفكر في الكويت

في ظل التطور التكنولوجي السريع













Bibliothek Alexandria



0530552